كولن ولسون

طقوس في الظلام



دار الآداب

كولن ولسون

طقوس في الظلام

نقله الى العربية
فاروق محمد يوسف

منشورات دار الآداب - بيروت

الطبعة الخامسة
١٩٨٦

الفصـــل الاول

غادر النفق الارضي من زاوية هـايد بارك ، خفيض الراس ، متجاهلا الناس الذين كانوا يتزاحمون حوله ، تاركا لهم امر الابتعاد عن طريقه . لقد كره الجموع لانها كانت تتحداه . كان اذا سمح لنفسه بملاحظتهم يواجه في نفسه افكارا مثل : كم تضم هذه المدينة الدموية من الناس ، اننا لفي حاجة الى مذبحة للتقليل من عددهم . وكان حين يكتشف في نفسه مثل هذه الافكار يشعر بالغثيان . لم يكن يميل الى قتل احد . ولكنـه لم يستطع التحكم في كرهه للجموع . لقد تجنب للسبب عينه ان ينظر الى الاعلانات التي تحفل بها المدرجات المتحركة الهابطة الى انفاق لندن . ولكن النظرة العارضة جدا كانت كافية لتزيل كثيرا من الاحقاد . لقد كانت الصور نصف العارية التي تعلن عن ملابس النساء الداخلية وجواربهن كفيلة بان تبعث باحساس لاهب الى حلقومه ، وبهزة مفاجئة تشبه القاء عود من الثقاب على قطعة من القماش منقوعة بالبترول .

وانهمر رذاذ خفيف داكن ، وكانت السيارات العابرة تنثرحولها رشاشا من الماء الطيني . واحكم ازرار معطفه ورفع الياقة حول رقبته ، ثم فتح مظلة نسائية كان يعلقها من حمالتها حول رسغه ، وتضاءل عدد الناس حين كان يعبر كروسفينسر كريسنت ، وراح يبطىء في السـير ، مستمتعـا بصوت المطر على المظلـة .

ووقف خارج البوابات الحديديـة المذهبة وراح يبحث في جيوبـه عن النقود . كان مدخل المحل يختفي خلف خيمة ملفعة بالشرائط تتوجها قبـة روسية مبصلة ، وينهض الى جانبها تمثالان يمثلان زنجيين ضخمين يستندان الى القوس المرمري الذي كان يشكل مدخل الخيمة . وخفض مظلته وهزها قليلا ليخلصها مما علق بها من قطرات المطر . ولاحت له جدران المحل خلف

الخيمة سوداء مهجورة .

كان مدخل القاعة يتنفس برائحة الملابس المبللة . وكان هنالك خط من المنتظرين الذي كانوا يعدون حوالي الستة اشخاص، يقفون قرب نافذة البطاقات. أما الجدران الداخلية في الخيمة فقد كانت مغطاة بشرائط حمراء ومذهبة من الورق .

كان بيع البطاقات قد تأخر قليلا ، وكان هنالك رجل في منتصف العمر، يحتج بصوت ذي لكنة اجنبية قائلا :

ــ ومع ذلك ، فانا تلميذ في مدرسة لندن للاقتصاد . كل ما في الامر هو انني نسيت بطاقة الهوية . ولكنني احمل ايضا بطاقة هوية خاصة بغرفة مطالعة المتحف البريطاني اذا كانت تنفع . . .

واخرج سورم كتابا من جيب سترته الجانبي ومضى يقرأ . وتقدم خط المنتظرين قليـلا .

وشعر بان الرجل الواقف امامه ينظر الى كتابه ، محاولا ان يقرأ عنوانه من صفحة الغلاف . ورفع عينيـه ورأى العينين الضيقتين البنيتين اللتين انصرفتا عنه مباشرة بشيء من الحرج . ولكنه استطاع في تلك اللحظـة ان يسجل وجها نحيفا طويل الفك لاح له مالوفا بصورة غريبة . كان قبيحـا ولكن بصورة لطيفة ، تغطيه حفر صغيرة تشبه اثار الجدري . ومرت لحظة اخرى ، واشترى الرجل تذكرته ، وصار في وسـع سورم أن يلاحظ بصورة اتم . ولكن تفحصه له لم يتح له ان يتعرف عليه . كان اطول من سورم رغم ان سورم كان يزيد على الستة اقدام قليلا . كانت بذلته الرمادية الغامقـة انيقة . وكان لوجهه النحيف عظمتان عاليتان عند الخدين ، وعينان تطلان من الزوايا . لقد كان وجهه مالوفا الى درجة ان سورم ظل يحملق فيه طويلا، واكتشف نفسـه فجـأة يحملق في العينين البنيتين المطلتين من الزوايا مرة اخرى وابتسمتا له قليلا ، ثم استدار الرجل وسار في طريقه . وفجأة تأكد لسورم أنه لم يكن قد رآه من قبل . كانت بائعة التذاكر تسأل : تلميذ ؟

ــ نعم .

ــ شلن وستة بنسات من فضلك . المنهج ؟

كانت المدرجات التي تقود الى خارج الخيمة تدور حول جدارها المصنوع من القماش وتكشف عن المساند الصدئة التي كانت تدعمها . وسار مسرعا ، كارها الذكريات المزعجة التي بعثتها المساند الى نفسه . وأدت به المدرجات الى مدخل كان قد انشىء في محل نافذة في الطـابق الاول ، واستخدم بابا للمعرض. وسرعان ما بددت الغرفة الاولى مشاعر الكره في نفسه . كانت قد صممت لتلوح كشارع من شوارع باريس . وكانت هنالك قضبان حديدية ومنظر لنهر

السين بين البيوت . وكانت هنالك تحت اغصان شجرة عالية لوحة كتب عليها : ملهى الشانزيليزيه . الباليه الروسية . وكانت هنالك لوحة كبيرة لنجنسكي تمثله « شبح الزهرة » . وكانت ممضاة من قبل كوكتو .

كان المكان دافئا ، ولم يكن هنالك احد آخر في الغرفة . وتبدد في نفسه الشعور المتوتر الذي كان قد خلفه المطر والجموع . وانبعث من غرفة اخرى صوت موسيقي . ووضع الكتاب في جيب سترته، ودفن يديه عميقا في جيوب معطفه واستسلم تماما للشعور بالحنين الذي اثارته الغرفة في نفسه . ووقف هنالك بضع لحظات دون ان يتحرك . حتى سمع وقع أقدام بعض الناس واصواتهم من ناحية المدرجات ، وسار مسرعا مخلفا وراءه لوحة بافلوفا التي كانت تواجه لوحة نجنسكي ، وارتقى السلم الخشبي الضيق الى الطابق الثاني

كانت الموسيقى عالية هنالك ، وقد عرف فيها الرقصة الاخيرة في «طير النار » ، صوت البوق الخافت المطول . وبعث ذلك الصوت بهزة دافئة من الغبطة في عضلات ظهره وكتفيه ، وكذلك في جلدة رأسه . كان الناس يرقون السلم الان خلفه . وهرع الى الغرفة الغارقة في النور — كان هنالك شخص واحد فقط : الرجل الذي كان يقف امامه في خط الانتظار . وساقته الاصوات ووقع الخطى التي كانت تأتي من ناحية السلالم الى الغرفة التالية . وثار في اعماقه شعور عنيف بالكره لاولئك الذين كانوا يثرثرون عواطفهم بالكلمات . كان هنالك صوت بطيء منمق يقول : .... وكدنا أن نلتقط صورة له . كان هنالك على الشاطيء ، يرتدي ملابس الاستحمام . وامسكت ليتي بآلة التصوير ، ولكنها لم تكن سريعة تماما .... اذ انه أتم ارتداء الملابس . كانت ستكون صورة ممتازة — صورة لبيكاسو وهو عار ....

وتوقفت الموسيقى ، وخفت الصوت بعد ان اربكه الصمت . وفجأة عادت الموسيقى ثانية ، قوية عنيفة غير منسجمة ناشزة . بحيث انها اغرقت جميع الاصوات الاخرى . وعرف فيها (مقطوعة سيذيا) لبروكوفييف ، وابتسم . وكانت ضوضاء الموسيقى تهز المعرض الزجاجي في داخل الغرفة ، وتعزله عن الناس تماما كما يفعل الصمت . وراح يتفحص برضى تصميم البينو

لم تكن الغرف مزدحمة، واستطاع ان يتفحص محتوياتها ببطء، عائدا الى الغرفة الاولى حين التقى بالناس الذين كانوا خلفه — ضابط عسكري تصحبه فتاتان .

* * *

ومرت ساعة ، وكانت مكبرات الصوت تذيع (القبعة المثلثة) ، وكان هو ما يزال في الطابق الاول ، في معرض الصور . وكانت الحرارة تثير فيه

النعاس ، وكان الجو مثقلا برائحة غريبة لاح له انها قد تكون مخدرا .وبينما كان يمعن النظر في لوحة تصور سترافنسكي ، لاحظ التمثال النصفي . وكان ينهض على قاعدة مكعبة من المرمر تقبع مباشرة تحت لوحة زيتية لراقصة باليه ترتدي بذلة بيضاء . وكانت الكتابة المحفورة عليه تقول : نجنسكي ، صنع اونا تراوبرج ، وهنا تذكر وجه ذلك الغريب . لقد كان يشبه نجنسكي.

كان قد رأى في مكان ما منذ زمن بعيد صورة فوتوغرافية كانت تصور ذلك التعبير نفسه ، وكان ذلك الوجه النحيف ، الذي يشبه وجه اله الغاب اللاتيني ، قد ترك في ذهنه أثرا عميقا . وبينما كان يحملق في التمثال ، بدا الشبه يختفي رويدا . ونظر حوله بصورة اوتوماتيكية ليرى اذا كان الرجل قريبا منه . ولكنه لم يره . وخمن في خمول : ترى هل انه احد اقرباء نجنسكي ؟ او ربما ابنه .ولكنه لم يتذكر أنه كان لنجنسكي ولد ، وانما كانت له ابنة . لم يكن التمثال يشبهه تماما ، على كل حال . بل أنه لم يكن ليشبه نجنسكي نفسه . كان يصوره بطريقة مثالية .

كان الرجل في غرفة شيريكو في أعلى السلم . وكان يقف متكئا على مظلة ، يتفحص أحد التصاميم . وعبر سورم الفرفة ووقف قريبا منه ، بحيث كان يستطيع ان يراقب وجهه من زاوية عينه . كان الشبه موجودا بالتاكيد ، ولم يكن الامر تخيلا من جانبه . وادار راسه نحوه اكثر قليلا ، وكأنه كان يتفحص التصميم المعروض الى يساره ، واتيح له ان يتفحص الوجه جانبيا .

ولم ينظر الغريب اليه ، وانما قال فجاة :

ــ كان عليه أن يصنع تصاميم اخرى للباليه .

ومرت لحظة ، حسب فيها سورم أن الرجل كان يتحدث الى أحد يقف في الناحية اليسرى ، ولكنه ادرك ، بسرعة ايضا انهما كانا وحيدين في الغرفة . ولم يحول الرجل بصره عن التصميم الذي كان يتفحصه . وقال سورم :

ــ المعذرة ؟

ــ شيريكو لم يصنع شيئا أفضل من هذا التصميم لـ : «حفلة الرقص» (le bal) الا توافقني على هذا ؟

واجاب سورم قائلا : ــ لست اعرف ، اذ انني لا اعرف أعماله .

ونظر الغريب اليه ، وابتسم . وادرك سورم ان الغريب كان يرقبه في الزجاج الذي كان يغطي التصميم ، منذ ان دخل الغرفة . وبدا يشعر بشيء من الضيق والحرج . كان في صوت الرجل ما يشير الى انه كان شاذا جنسيا كان صوتا باردا مطولا قليلا .

وقال الرجل : ـ كان في وسعي أن أقسم انني كنت أعرفك، حين دخلت الغرفة ، فماذا تظن ؟

ـ لست أظن ذلك .

واستقرت العينان عليه بلا اكتراث . وكان يلوح كمن يتفحص حصانا . وفكر سورم في نفسه : اللعنة ـ انه يتصور انني شاذ ايضا .

وقال الرجل : ـ حسبت انـك كنت تعرفني . لقد نظرت الي وكانك كنت تعرفني .

وفاض صوتـه فجأة بنغمة من الاعتـذار . وتلاشى ضيق سورم . وخفض عينيه وابتلع ريقه ليقول :

ـ الحق انني تصورت فعلا انني عرفتك . ولكنني لا اظن ذلك ممكنا .

ـ ربما . أن اسمي هو أوستن نن. وقد لاح لي بالتأكيد انني عرفتك .

ـ اوستن نن ؟ هل الفت كتابا عن الباليه ؟

وشعر سورم بشيء من الحماسة والغبطة ، حين استعاد الـذكرى : صورة نجنسكي الفوتوغرافية .

ـ انني اتذكرك بالطبع . لقد قرأتهما معا . اذن هذا هو السبب الذي جعلني اتصور انني كنت اعرفك .

ـ انك تدهشني . لقـد كانت صورة فوتوغرافيـة سيئـة ، صورتي على الغـلاف .

ـ كلا ، لم ارها ، وانما رايت صورة تمثال نجنسكي النصفي . الم يكن ذلك في كتابك ؟

ـ اتعني اونا تراوبرج ؟ لقد وجدتها كارسارفينا في دكان للكتب القديمة في زقـاق سنت مارتن ، ولم أكن أعلم بوجود مثل هذه الصورة من قبل . ولكنني أعرف ماذا تعني . صورة نجنـسكي في l'après - midi (1) . الرأس والكتفان ؟

وهنا شعر سورم فجأة بالضيق والكآبة . وأحس بان حماسته قـد وضعته في مكان المعجب ، مجرد من هواة الشخصيات . وفي تلك الاثناء استدار نن ، قائلا بصوت يفيض بالسأم :

ـ على كل حال ، فان الصورتين معا لا تمثلان نجنسكي تماما . والواقع انني استخدمت صورة l'après - midi لان بعض الاصدقاء اخبروني

---

(1) الكلمات باللغات الاخرى الموضوعة مقصودة لتعيين طريقة المتحدث في الكلام ـ المترجم

بانهـا تشبهني .
ونظر سورم الى ساعته وقال : ـ حسنا، ارجو الا يكون قد ضايقك سؤالي .
ـ مطلقا . هل انت على عجل من امرك ؟ ترى هل رايت كل شيء هنا ؟
ـ كلا ، وانما قضيت هنا ساعة ونصفا ، ولست أعتقد أنني ساقضي وقتـا اطول .
ـ انك محق بلا شك . هذه هي المرة الرابعة التي أطوف فيها المكان . لقد رأيته حين تم افتتاحه في ادنبره .
وقال سورم بشيء من الضيق : ـ يجب ان أذهب .
ـ اسمع ـ لماذا لا تاتي معي وتشرب شيئا؟ سيحين موعد الافتتاح(١) قريبا .
وتردد سورم ، وفي الوقت ذاته اغضبه ان يجد في نفسه هذا التردد . لقد كان يستمتع بمشاعر الميل والكره التي اثارها نن في نفسه . ولم يكن يكره الشواذ جنسيا بصورة خاصة ، وانما كان يدرك ان نتائج كون المرء بصحبة احدهم قد تكون صعبة . وقال دون أن يثق بما كان يقول :
ـ لست اعرف اية حانة قريبة هنا .
ـ اما انا فاعرف . بل هناك الكثير . هيا معي لتشرب كأسا سريعة . انني احب دائما ان أقابل الناس الذين يبدون ولعا في البـاليه . اي طريق ستتبع ؟ النفق ؟
ـ اجل .
ـ هذا ينهي كل شيء . فالانفاق مزدحمة في هذه الساعة ، والافضـل لك أن تقضي بعض الوقت هنا وهنالك .
وتبعه سورم الى أسفل السلم ، وقال نن عبر كتفه :
ـ لم تخبرني باسمك .
ـ جيرارد سورم .
ـ سورم ؟ أنه اسم غريب ، هل هو فرنسي ؟
ـ لست أعرف . ان عائلتي هي من يوركشاير ، ويعتقد والدي ان هذا الاسم في لهجة يوركشاير تحوير لسومز .
كانا يعبران معرض الصور . وساله سورم :
ـ هل تلاحظ هذه الرائحة الغريبة ؟
ـ اجل . أتعرف ما هي ؟

---

(١) موعد افتتاح مشارب لندن .

ـ كلا .

ـ انها تدعى «متسوكو» . لقد كانت الرائحة المفضلة عند دياكيليف . شرقية . ستشمها بصورة أشد هنا .

كانا يعبران غرفة تضيئها مصابيح زرقاء ، صممت لتلوح كمسرح مسحور ، وكانت الرائحة شديدة هنالك . ولاح أنها كانت تنبعث من أزياء الباليه القديمة التي كانت معلقة في فضاء الغرفة الازرق ، تحيط بها مناظر المسرح الخلفية ، وتبعتهما الرائحة الى مدخل قصير ، ثم الى غرفة حافلة بالكاريكاتور ، ثم الى الخارج نحو مدرج مزوق بلوحة تمثل اسطوره « الجمال النائم » . وصافحت اذانهما ضوضاء الموسيقى حين هبطا المدرج ، وكان نن يسير في مرح وهو يؤرجح مظلته . كان يتميز بمشية الراقص البديعة ، وكانت طريقته في هبوط السلالم تتميز بطابع مسرحي . وسأل سورم :

ـ ماذا جعلك تقرأ كتبي ؟ هل انت مولع بالباليه ؟

ـ كنت كذلك حينا من الزمن ، ولكنني لست كذلك الان .

ـ واين تدرس ؟

ـ ما الذي يدفعك الى الاعتقاد بانني تلميذ ؟

ـ انك تحمل بطاقة تلميذ في جيبك العلوي . وعلى كل حال فانك تلوح تلميذاً .

وصارا في الخارج مرة اخرى ، وتوقفا عند تماثيل الزنوج الضخمة ، وكان الرذاذ يهطل باستمرار .

وقال سورم : ـ لست تلميذا ، ولكن الجميع يعتقدون انني تلميذ ، لسبب من الاسباب . اعتقد ان ذلك يرجع الى وجود النمش على بشرتي .

كان يتساءل كيف سيكون في وسعه ان يخبر نن ، بسرعة ، وبلطف ، بانه لم يكن شاذاً جنسيا . وبدأ يحاول أن يرفع المظلة ، ولكن نن منعه :

ـ لا تكلف نفسك هذا العناء ، ان سيارتي هنالك . هيا بنا نهرع اليها .

كانت سيارة سبورت حمراء طويلة ، ذات سقف من القماش . وفتح نن الباب بدون المفتاح ، ودخل سورم وراء عجلة المقعد الى المقعد الجانبي . واستدارت السيارة نصف دورة متقنة ثم انطلقت نحو ويلنكتن . وشكا نن قائلا :

ـ اعتقد انه سيكون هنالك توقف كثير في حركة المرور من هنا الى بيكادللي سركس .

ومضى سورم يحملق في الريشات التي كانت تتحرك على الزجاج الامامي ، وفي الضوء الاحمر المنبعث من اشارات المرور ، الذي كان يتألق عبر القطرات الحمراء في المنطقة التي لم تكن تصل اليها الريشات على الزجاج الامامي .

وبدا نن يغني بصوت خافت ، بينه وبين نفسه :

« قطط على السطوح ، قطط على البلاط . . . »

واتجهت السيارة نحو شارع دوفر ، وقال نن بنعومة :

ــ انه ليوم سعيد ، هيا تحرك ايها الولد العجوز .

كانت هنالك سيارة تحاول مغادرة الرصيف امام سيارتهما . وقاد نن السيارة بعناية نحو المكان الخالي وضغط على الفرامل فجاة ، وقال :

ــ ثلاثة انخاب ــ لقد وصلنا . افتح بابك .

وخرج سورم الى الرصيف ورفع المظلة مباشرة . واغلق نن الباب ، وقال متضاحكا :

ــ بالله عليك دع هذا الشيء جانبا . سيظن رجال شرطة المنطقة انك تستوقف المارة .

ــ استوقف المارة ؟

ــ سيظنون انك تحاول الاعلان عن جنسك بين المتحرفين المحليين .

فقال سورم بجفاء :

ــ انا لست بمنحرف .

ثم خفض مظلته . فقال نن ضاحكا :

ــ لا تكن احمق ، فلم اكن جادا ، ولا اظنك كنت جادا ايضا .

ثم عبرا الطريق ، متجنبين سيارة تاكسي ، واتجها ثانية نحو بيكاديللي وقاده نن نحو باب مضاء .

ــ ها قد وصلنا . انت اولا .

كان دفء الهواء ممتعا ، ونضا سورم عنه معطف المطر بمعونة رجل يرتدي بزة حمراء ثم سلم المعطف والمظلة الى خادم غرفة الملابس ، واحنى الرجل راسه لنن كما لو كان على معرفة جيدة به .

ــ طاب مساؤك ، يا سيدي .

ــ انعمت مساء ، جورج .

كان في الحانة شخصان اخران فقط . واشار نن الى سورم ان يجلس على مقعد في احد اركان الحانة . كان مقعدا عميقا مريحا .

ــ ماذا ستطلب ؟

ــ بيرة ؟

ــ لا يقدمون البيرة بالاقداح هنا ، يمكنك ان تأخذ بيرة خفيفة .

فقال سورم بضيق : عظيم . كان يحاول ان يتذكر ما عنده من النقود ، والمدة التي يجب عليه ان ينفقها خلالها ، ثم عقد ركبتيه وشعر برطوبة في

سرواله وراح يحدق في حافة السروال المتهرئة وفي الشرائط الجلدية المخاطة في اكمام سترته . لم يكن مظهره الزري ليضايقه ولكنه لم يفقد تماما احساسه بمساوىء ذلك . واخذ يفكر في نفسه : هل تراهم يسمحون لي بالدخول الى هذا المكان لو جئت لوحدي ؟ ثم استقر رايه على ان ذلك غير محتمل .

ووضع نن قدح البيرة امامه ، وجلس مواجها سورم على كرسي وثير حشي ظهره بالتبن ، ثم سكب كل محتويات زجاجة الجعة في قدح وسكي كبير وابتلع جرعة كبيرة منه واعاده الى مكانه وقال متنهدا :

ـ آخ ، ستكون سببا في موتي ، كما كانت سببا في موت ابي .

هل لـك في سيكارة يا جيرارد ؟

ـ كلا شكرا ، لا ادخن .

ـ الا يضيرك ان ادعوك جيرارد ؟

ـ كلا بالطبع .

ـ حسنا . اسمي اوستن .

وذاق سورم البيرة . كانت مثلجة .

ـ قل لي ، يا جيرارد . اذا لم تكن طالبا ، فماذا تعمل ؟

ـ لا اعمل شيئا يذكر . اني اقوم بتاليف كتاب .

ـ ولكن كيف تعيش ، بالصحافة ؟

ـ كلا ، كان لي دخل خاص صغير جدا منذ ان كنت فيالحاديةوالعشرين

ـ اي قبل . . . ؟

ـ خمس سنين . ولدي فقط ما اشق به طريقي في الحياة . ولهذا فانا حقا من الاغنياء الكسالى ، ما عدا انني لست غنيا .

ـ هل انت من الكسالى ؟

ـ تقريبا .

ـ انت مثلي اذن . اعتقدت باني اكتشفت روحا توأما لروحي حالما رايتك . وبالمناسبة ماذا كنت تقرأ ؟

فسحب سورم من جيبه كتابا معقوف الغلاف ، وقال متضاحكا :

ـ مدخل الى الجنس ، تاليف فرانك هاريس .

ـ « حياتي وغرامياتي » ، لم اقرأ شيئا لهاريس . اهو كتاب جيد ؟

ـ انه كتاب مدهش .

ـ كيف ؟ ومن اية ناحية ؟

ـ اكاد لا اتمالك ابدأ ان افتح فاهي ذهولا للطريقة التي ينتقل بها بين الفراش وخارجه . اعجب هل يوجد امثال هؤلاء الرجال .

ــ لم لا ؟

ــ اعني الرجال الذين تكون لهم هذه الشهوات المتنوعــــة . ان ذلك نيذهلني . فنجنسكي ، ان تتــذكر ، اضطجــع مع زوجتــه ليــالي عديــدة قبل ان يبدأ بمغازلتها . ذلك امر طبيعي . ذلك ما يجب ان تكون عليه الامور

ــ هل يعجبك نجنسكي ؟

ــ اجل .

ــ لماذا ؟ انك لم تره يرقص ابدا ؟

ومضى سورم يتفرس في قدحه ، محاولا ان يهتدي الى الكلمــات التي تعبر عما يشعر به بدقة . ولكن ذلك لم يكن ممكنا . فلم يكن يعرف نن المعرفة الكافية ، وقال :

ــ من الصعب ان اشرح ...

ــ انتظر ، لنطلب شيئا اخر من البيرة اولا .

ــ ليس لي ، فلا أستطيع أن أتناول أكثر مما شربته من البيرة الان .

ــ اطلب وسكي ، اذن .

ــ حسنا ، ولكن دعني ...

ــ لا، لا، لا. اجلس حيث انت ولا تتحرك .

واومأ الى الخادم صائحــا :

ــ ما اشــوقك الى حملي على الكلام . ترى ، ما الذي اعرفه مما قــد يعجبــك ؟

ــ اشياء كثيرة على ما اتصور . اعرف الان بعض الاشياء الملذة عنك .

ــ مثلا .

ــ انك في السادسة والعشرين ولك دخل صغير مستقل ولا يعجبــك العمل ، وهذا بحد ذاته ملذ . ان الفراغ الزائد يفسد أكثر الناس وفي وسعك ان ترى ذلك في وجوههم . غير ان وجهك لطيف لا ينم عن الانجراف في تيار الملذات . بل أنه ليخامرني العجب : ما الذي تفعله بفراغك ؟ فليس لديك ما يكفيك من المال لتبدده في قيادة الطائرات او السفر الى الاقطار الاخرى كما افعل انا . فما الذي تفعله بفراغك ؟ فاجاب سورم :

ــ لا افعل الكثير . احاول الا افعل شيئا .

ثم وضع الخادم المشروب على المنضدة والقى نن بباون على الصينية . وقال نن بالالمانية وهو يرفع القدح :

ــ نخبك . واجاب سورم :

ــ نخبك .

وناول الخادم نن الباقي ، فالقى نن قطعة من النقود على صينيته ورشف سورم جرعة كبيرة من الوسكي سالت لها دموعه . وتناول منديله وتمخط فيه بقوة وبعد ان لاحظ لون المنديل دسه على عجل في جيبه . ورفع نن بصره من الكتاب الذي كان على الطاولة ثم القى به الى سورم .

ــ لا يمكنني ان اتصور كيف تستهويك مثل هذه الاشياء .

فهز سورم كتفيه وافرغ زجاجة الجعة في قدح الوسكي . وشعر بتحسن كبير .

ــ لقد قرات الكثير .

وابتسم نن لهذا التملص من الاجابة ، واحتسى الخمر وهو غارق في التأمل يحدق باتجاه رأس سورم . وسأل ببطء .

ــ ما هو موضوع الكتاب الذي تكتبه ؟ فاجاب سورم :

ــ احزر .

ــ نجنسكي ؟

ــ بالضبط .

ــ حقا ؟ هل يعالج نفس موضوع كتابي ؟

ــ ليس تماما . انه قصة .

وشرب نصف قدح الوسكي والجعة ، وتأكد له انه كان يحس بالانبساط والرضى . ولم تعد تضايقه طريقة نن في الاهتمام به ، بل بدا يميل اليه . وقال نن :

ــ حدثني عن قصتك

ــ لا يسعني ذلك . انها ليست عن نجنسكي بالضبط وانما عن حالته العقلية .

ــ ماذا تعرف عنها ؟

ــ كان يؤمن بنفسه ، وأكثر الناس لا يؤمنون بانفسهم .

ودخل الحانة حفنة من الرجال ، كلهم من رجال الاعمال . ودخل ايضا شاب تصحبه امرأة ملفعة بالفراء .

واحس سورم بالكلمات تحتشد في أعماقه ولكنه ما لبث ان خنقها رغبة منه في الا يضجر نن . ومال الى الامام قليلا وهو يقول :

ــ عندما افكر في نجنسكي ومن ثم انظر الى هؤلاء الناس اكاد لا اصدق ناظري . اتدري ، يقول نجنسكي في يومياته ان الحياة صعبة لان احدا لم يدرك اهميتها . واني لاتخيله يطوف في الشوارع ليلا وهو اشبه بمرجل عالي الضغط يكاد أن ينفجر .

وتوقف سورم عن الكلام . كان يبدو على وجه نن الاهتمام التام ، وهو يصغي بجدية اكسبته شيئا من الظرف .

ـ تلاحظ ، اني أنظر الى المسألة بهذه الطريقة . هب انك رأيت في نهاية حياتك رؤيا الهية . ذلك يبرر كل شيء . فلو استطعت ان تختبر رؤيا كهذه ستجعل العالم مختلفا . ستعيش كالشيطان ، كانسان مأخوذ . ذلك لانك ستعلم بانها تعني شيئا ما ، بانها لم تكن خلوا من المعنى . انظر . لا يعيش واحد من هؤلاء الناس حياته كاملة . انهم يعيشون بضعة ايام متفرقة فقط كل مرة . ومثلهم مثل الذي لا يتناول وجبة كاملة من الطعام مطلقا ، بل لقمة في كل بضع ساعات ، او مثل الذي لا يصغي الى سنفونية كاملة في جلسة واحدة ، وانما يسمع نغمتين او ثلاثا في كل مرة مقسمة على عدد من الاشهر . تلك هي الطريقة التي يحيون بها . وعلى كل حال فهنالك من لا يعيش على هذ الصورة .

وقاطعه نن بنعومة قائلا :

ـ ما الذي يجعلك واثقا الى هذا الحد بان نجنسكي لم يعش بهذه الطريقة ؟

ـ كلا انه لم يعش بهذه الطريقة .

وقدم اليه نن علبة السجاير المفتوحة ، فهز سورم رأسه قائلا :

ـ كلا ، شكرا .

ـ واشعل نن سيجارة ، وهو ينظر الى سورم من فوق القدحة ، ثم اطلق نفثة من الدخان وهو يقول بارتياح :

ـ انك حقا لانسان غريب يا جيرارد .

وشرب سورم بقية الوسكي وهو يحدج نن بنظرة قاسية . ثم اومأ ثانية الى الخادم مشيرا بيده الى القدحين .

واستطرد بتمهل :

ـ ليس في هذا غرابة ، اذ اني مقتنع بأن الحياة يمكن أن تعاش ... بطريقة ما ، عشرين مرة اكثر تركيزا مما هي عليه الان ، واني لاقضي حياتي بطولها مفتشا عن السبيل الى ذلك . كم احسد المجانين . ولكني لسبب اجهله لا أجد السبيل اليها . غير اني اتعلق بالرموز ، وليس نجنسكي الا واحدا من رموزي .

ووضع الخادم على المائدة كأسين كبيرتين من الوسكي ، وقال سورم :

ـ سادفع ثمنها انا .

ـ كلا ، كلا ارجوك

فسال سورم ، بعد ان ابتعد الخادم :
ـ لم تدفع انت ثمن ما اشربه ؟
ـ لان والدي ذو ثراء فاحش .
ـ آه
ـ تبدو كما لو صعقت ؟
ـ كلا . قل لي . ماذا تفعل انت بوقتك ؟
ـ اه ، انك لتمس موضوعا حساسا . لقد خلقت خمسين طريقة مختلفة لتبديده . أؤلف الكتب ـ وهي ليست جيدة جدا . أحضر جميع الحفلات الموسيقية والاوبرا والباليه ، بحيث اني اطير الى فيينا وميلانو وبرلين لحضور الحفلات الموسيقية . لو كنت أكثر تفاهة مما انا عليه الان بقليل لتجرعت زجاجتين من شراب البيرنو في اليوم وقضيت على نفسي في سنة واحدة . اما والحالة هذه ، فاني امتطي الطائرات ولي شغف بالسيارات السريعة .
فقال سورم بخبث ؟
ـ انت غير متزوج طبعا ؟
ـ كلا . لم اجد ابدا من ارغب في الاستقرار معها ، ولسبب من الاسباب فاني افضل البغايا . لا اظنك تفهم ذلك ؟
ـ كلا في الواقع . اني اكره البغايا ـ من كلا الجنسين .
ـ من الواضح انك مفتقر الى الاتجاه المازوكي .
ـ اني اكره الالم مهما كان نوعه ـ بالنسبة لي وللاخرين .
ـ ها ، جيرارد ، انت تتحدث كالاخلاقي . ينبغي الا يكون المرء اخلاقيا
ـ انت لا تفهم . المسألة ليست مسألة اخلاق ، انها ما سبق وقلته ـ عليك ان تعمل على فرض أن هناك رؤيا من الممكن حدوثها تجمع معنى الحياة بكليتها . ولو امكن ذلك ، فينبغي على كل انسان أن يعيش كما لو كان هذا هدفه .
ـ إذن فانت اخلاقي فعلا يا جيرارد . يجب ان اقدمك الى عمتي فستروق لك .
ـ لماذا ؟
ـ هي ايضا اخلاقية . انها غير راضية عني ، وهي من شهود يهوة . وتعتقد أن يوم الحساب الاخير وشيك الوقوع في اية لحظة . وهذا ما تريده انت ، اليس كذلك ؟ اناس يؤمنون بيوم الحساب الاخير .
ـ انك لعلى حق ، ذلك ما ارومه بالضبط .

ـ اتود أن تعلم ما أريده انا ؟
ـ ماذا تريد ؟
ـ شيئًا آكله . هل نذهب لتناول وجبة ؟
ـ اين ؟
ـ في اي مكان . مطعم ليوني أو فكتور او اي محل آخر .
ـ ينبغي أن اذهب .
ـ أوه ، كلا . هل أن ما يقلقك هو النقود ؟ عندي الكثير منها . انظر .
واخرج نن محفظة نقوده واخذ يلوح بها تحت أنف سورم ، ووقع بصر سورم على حشوة من الدنانير . وأدرك ان الخمر اخذت تلعب برأس نن ، كما ساوره الشك في أن يكون تصرفه هو كما لو انه كان اشد سكرا مما هو عليه في الواقع .
ـ كلا ، لا افضل البقاء حقا .
ـ ولكن يجب أن تبقى ، لا أريدك أن ترحل الان . انك لا تريد الذهاب اليس كذلك ؟
ـ كلا ولكن ...
ـ حسنا ، لا يمكننا ان نستمر في الشراب على معدة خاليـة ، كما ان الخمر أخذت تلعب برأسي الى حد القرف ، ولم اتناول طعام الغداء . وعليه فيجدر بنا أن نأكل . هلم ايها الخادم .
وبينما كان الرجل ذو البذلة الحمراء يعاون سورم في ارتداء معطفـه ـ هتف نن :
ـ ارجو ان تكشف لي سرا يا جيرارد . ما الذي يدعوك الى حمل مظلة نسائيـة ؟
وتناول سورم المظلة من الرجل ودس في يده شلنا .
ـ انها ليست لي ، أنها تخص ابنة صاحبة البيت وقد الحت ان تعطيني اياها عندما هممت بالخروج اليوم .
وخرجا الى المطر ثانية . وشعر سورم بانه قد تحصن ضد المطر ، وانه سعيد . لم يكن قد شرب الى حد الثمالة منذ سنين عديدة . ولقد ابهجـه هذا الاحساس . وامسك نن بمرفقه وضغط عليه سائلا :
ـ هل تحوم حولك هذه الفتاة ؟
ـ اعتقد ذلك . امها على الاقل تفعل ذلك ، وقد ارتابت في أني استغل الموقف ـ او اكاد ، فاخطرتني بمغادرة المكان في الاسبوع القادم .
وقاد نن السيارة الى الخلف قليلا ، ثم انطلق بها بمهارة .

ـ اني منتقل الى محل آخر غداً صباحاً .
ـ اين ؟
ـ كنتش تاون . اني أسكن في كولنديل في الوقت الحاضر .
ـ يا الهي ، انها تقع في نقطة بعيدة على طريق بدفورد .
ـ ليست بهذا البعد . انها بالقرب من مكتبة الصحف ـ وهذا امر مفيد غير ان المحل الجديد سيكون اكثر ملاءمة لقربه من المتحف البريطاني .
ـ وهل ستنتقل الابنة معك ايضا ؟
ـ لا تخف . انها فتاة حلوة ، ولكني لا اريد ان اضطجع معها .
ـ يا لك من انسان عفيف ـ ابتعد عن طريقي ايها النغل البليد .
كانت هذه الكلمات موجهة الى سائق تاكسي كان يحاول الاستدارة بسيارته من منتصف الطريق في شارع « برور » . وضغط نن مرتين على جهاز التنبيه الذي كان يخرج نهيقا نحاسيا . وحينما مر بهما التاكسي صرخ سائقه :
ـ هلا صبرت قليلا ؟
فقال نن بهدوء :
ـ ايها القرد . لو كنا نعيش في العصور الوسطى لشنقته وجررته على الارض ومزقته اربا اربا لهذه العبارة .
وانطلقت السيارة الى الامام حتى كادت ان تدهس شخصا خرج من بين سيارتين كانتا واقفتين عند الرصيف . فصرخ نن :
ـ ايها المجنون .
ـ كان الاولى بك ان تقود عربة الاله الهندي جوغونوت ، انها اكثر ملاءمة لاسلوبك .
فهتف نن حانقا :
ـ ينبغي ان يكون سواق السيارات كافة أكثر طيشا لينخفض عدد المارة المهملين ولكي لا يبقى في النهاية الا المتنبذون منهم .
ـ ولنفرض انك احد هؤلاء المارة ؟
ـ كنت ساحمل معي بندقية . على المارة ان يحملوا بنادق رشاشة لاطلاقها على السائقين الطائشين . ما ابدع أن تكون لندن بهذا الشكل .
وانسابت السيارة على شارع « دين » ، وقال نن :
ـ لا تجد محلا واحدا لوقوف السيارة في سوهو . آخ ، ما أسعد حظنا الليلة . فقد تحركت سيارة من نوع (انكليا) من بين صف من السيارات الواقفة . وانزلق نن بسيارته متخطيا الفراغ ثم رجع بها الى الوراء داخل

المجال الخالي ، ثم أطفأ المحرك .

ــ انك حسن المزاج يا جيرارد . يبدو انك لا تكره الناس بقدر كرهي لهم

فابتسم سورم وقال :

ــ يبدو انك لا تعرفني بقدر معرفتي لنفسي .

طلب نن خدمة جيدة . واقبل مدير المحل الى مائدتهما وتفوه بكلمات مؤدبة معبراً عن سروره لرؤية نن . أما الخادم فكان يبدي تذللا ويذوب رغبة في ادخال الرضا الى نفسيهما .

ــ يبدو انك معروف في هذا المكان .

لم يكن سورم مكترثا لما كان يقول ، وانما قال ذلك لمجرد الكلام .

ــ لقد غيرت مطعمي عشر مرات خلال عامين . ولم اتردد الى هـذا المحل منذ اسبوعين ولهذا فربما اعتقدوا بانهم سوف لن يروني ثانية .

ــ لماذا تغير المطاعم ؟

وطفق نن يمضـغ الطعـام في فمـه وابتلع اخـر لقمـة من سمـك السلمون المشوي . واطلق زفرة وقال :

ــ انه مجرد سوء الطبع يا جيرارد . تجرحني اصغر الاشياء . انني ادرك تمام الادراك حماقة ذلك غير اني أحس بالاساءة مع هذا .

ونظر اليه سورم بارتياب يخالطه شيء من الخيبة . لقد شعر وكأن نن اعترف له برغبته في تسديد اطلاقة مسدس الى صدور النساء العجائز . اما نن فيبدو أنه لم يلحظ ذلك . وحينما ملأ الخادم قدحه بنبيذ « الكيانتي » افرغه في جوفه دفعة واحدة .

وطلب نن بطا مشويا مطبوخا بالفلفل الاحمر والجبن . وعندما حضرت الاطباق كف نن عن الكلام وركز كل اهتمامه في الطعام ، عدا بعض الكلمات التي كان يرد بها على تحيات معارفه الذين كانوا يمرّون بالقرب من المائدة . ولم يرفع سورم بصره في اثناء ذلك ، فقد كان يشعر بالعيون تراقبه في فضول وكان يحس بما كانت تنسج حوله من الظنون ، وشرع يأكل بعجلة وبحركات آلية ليخفي امتعاضه . وقد وجد مشقة في اقناع نن في ان يعدل عن طلب زجاجة خمر ثانية ، وكانت دوافعه لذلك انانية صرفة ، اذ كان يعلم ان كميـة اخرى من الشراب ستفسد عليه الليلة قبل نهايتها .

وانقطع المطر قبل مغادرتهما المطعم . كان سورم يسير وهو يشعـــر بالرضى الى جنب نن ، وهو يحس بسـعادة اكبر وهو ضـائع مغمور بين الجموع التي تزدحم في سوهو . وكانت مشـاعره نحو نن مختلطـة . كان يحسب ان الوجبة التي فرغ منها توا هي اغلى وجبة تناولها في حياته . وقد

افزعه منظر الجنيهات الستة التي القى بهـا نن في صحن الخـادم . كانت بالنسبة اليه تمثل ايجار اسبوع مع الطعام ، وكان اكبر مبلغ دفعه لوجبة واحدة عشرة شلنات فقط . واخذ يحس بشيء من الامتنان للكرم الذي اسبغه عليه نن ، بعد ان تلاشت شكوكه في دوافعه . غير ان شعورا باهتا بالبغض له كان يعاوده بين الحين والحين ، اذ كان هنالك في نن ما يثير الامتعاض والاشمئزاز ، شيء يتصل بذلك المزيج من الخشونة والانوثة فيه . كان شعره البني طويلا كالحرير ، جميلا كشعر امراة . وكانت اسنانه غير منتظمة تميل الى الصفرة وقد تدببت اثنتان منها كانياب الكلب . وحين تفرس بدقة في وجهه لم يجد اثرا للندب فيه . كان يصعب عليه تحديد سبب شعوره بانه كان في وجهه ما يشبه اثار الجدري .

وعندما استفسر عن ذلك وهما يحتسيان القهوة والفودكا ، اجاب نن باقتضاب : حادث سيارة . ومر باصبعه فوق خط ضامر يكاد لا يتميز ، يشق خده الايسر موازيا لذقنه .

ــ ما الذي تود ان تفعله الان ، جيرارد ؟

ــ اتظنني سأطلب شرابا لك انت الان ؟

ــ لا اجد سببا يمنعك من ذلك ايها الصديق العزيز . لندخـل محل (فرينتش) . هلا دخلناه ، امني ، اذا استطعنا الجلوس .

كانت الحانة مكتظة بالرواد ، وهب لتحيته على الفور رجل ثمل قصير القامة لون وجهه بلون الجلد المدبوغ .

وقال نن :

ــ كارل كاسترنك ، أقدم لك جيرارد سورم .

وامسك الرجل بيد سورم ، وراح ينظر في وجهـه بعينيـه النديتين المخمورتين .

ــ انك رجل وسيم جدا يا جيرارد . الا تعتقد يا اوستن انه يشبـه رامبو ؟ الا تعتقد ذلك ؟

وترك سورم يده لتداعبها كفان رطبتان ، ومن ثم سحبها .

وسال نن :

ــ ماذا تشرب ؟

ــ وسكي مركز .

وسال سورم الرجل السكران :

ــ هل تشرب شيئا ؟

فالتفت اليه الوجه الجلدي بدلال :

ـ ان ذلك في غاية اللطف منك . نعم اشرب ، وسكي وماء .
واستطاع سورم أخيرا أن يجتذب اهتمام نتاة البار . وناول قدحين من الوسكي الى نن وصديقه ، اللذين وقفا سوية بعيدا عنه لشدة الزحام وهما يمسكان بقدحيهما بقوة . وقال نن :
ـ كارل من احسن المصورين الفوتوغرافيين في لندن ، يا جيرارد .
فكشر كاسترنك عن اسنانه ضاحكا ضحكة بشعة في وجه سورم ، غير انه سرعان ما ارتسمت في محياه نظرة جدية وقال :
ـ اتمنى لو انك تجلس لاخذ صورة لك يا جيرارد ، هلا فعلت ذلك ؟
ـ فقال نن مازحا :
ـ شريطة أن يكون ذلك بحضوري .
ـ لم ؟ الا تأتمنني معه وحدي ؟ فاجاب نن :
ـ كنت امزح . ثم قال لسورم :
ـ انه قدحك ولنبحث عن محل اقل زحاما .
فابتلع سورم كأسه طائعا ، ولم يعد الوسكي يجعل الدموع تطفر الى عينيه .
ولما صارا خارج الحانة ، قال سورم متسائلا :
ـ هل ان كارل من اصدقائك ؟ فقال نن باختصار :
ـ خنزير ، مازوكي ، ولكنه مصور جيد .
واخذا يتمشيان ببطء في شارع أولدكومبتن وقد تلاصقا لكي لا تفرق بينهما حشود الناس ، ولما اصبحا خارج مبنى (السينراما) حيا نن الرجل ذا البزة الذي كان ينظم صف المنتظرين .
ـ يبدو انك تعرف الجميع .
ـ كان يعمل اجيرا لطرد من يحدث الشغب في محل كنت اعرفه .
وتوقفا عن السير ليتفرجا على الصور الملونة المعروضة خلف الزجاج والتي كانت تبرز مشاهد من الفلم ، ولمح سورم حين وقع بصره على نن ، نظرة تنطق بالاشمئزاز والاستغراق . كان نن يتفرس في صورة احدى سيارات النزهة المستعملة في المعارض ، وكانت هنالك صورة غادة جميلة مكتنزة الجسم تتطلع الى عدسة الكاميرا يرتفع طرف ثوبها فوق ركبتيها وتحركه الريساح فيكشف عن جوربها وكلاباته . ولوى نن براسه فجاة قائلا :
ـ لنذهب يا جيرارد .
فضحك سورم وقال :
ـ لم أكن أحسب انك مولع بالنساء .

فقال نن :
ـ ماذا تقصد ؟
ـ لا شيء ، كنت تحملق في تلك الفتاة كما لو انها قد خلبت لبك .
فاجتاحت تلك النظرة وجه نن ثانية ثم اختفت وقال مبتسما :
ـ لقد خلبتني فعلا . هيا نذهب .
وقفلا عائدين الى السيارة .
ـ والان الى اين يا جيرارد ؟ فقال سورم مترددا :
ـ اود ان نذهب الى مكان هادىء .
ـ وكذلك انا . ما رأيك في شقتي ؟
ـ ايـــن تقـــع ؟
ـ بالقرب من محطة شارع بورتلاند .
ـ افضل ان نجلس في مكان قريب من طريق عودتي الى البيت . فعلي ان افكر في العودة .
ـ اين تسكن ؟
ـ في هندن . وسيكون يوم غد آخر ايامي فيها .
ـ طبعا . اذن ، فلنأخذ ذلك الطريق . أعرف حانة صغيرة غير انهـا جيدة نوعا ما وهي تقع في شارع همبستيد ، ويمكننا الذهاب اليها . انهـا هادئة .
ـ همبستيد ؟ هل هي في طريقنا ؟
ـ بالتأكيد . يمكننا ان نأخذ الطريق مباشرة الى هندن واي . فالشـارع مستقيم .
وتحركت بهما السـيارة ببطء في شارع اولد كومبتن ، وضغط نن على نفير السيارة الذي كان يخرج صوتا رقيقا محذرا . وقال وهو يكشر مبتسما:
ـ ما اروع هذا الأختراع ، يمكنني ان أغير شد الصوت ونوعيته ، صوت عال مدو في الطرق الخارجية ، او رقيق مداعب لجمهور لندن . تحركوا ،ايها التغول البلداء ، والا استعملت كاسحة العوائق ـ هذا هو الجزء الوحيد من لندن الذي يذكرني بالريبربان في هامبرغ . هل زرت هامبرغ ؟
فاجاب سورم وهو شارد الذهن : ـ كلا .
كان يحملق في ساعته مدة نصف دقيقة دون أن يفقه الوقت . كانـت السـاعة تشير الى التاسعة والدقيقة العاشرة .
وقال نن فجاة وهما يمران بمحطة تشوك فارم :
ـ عرفت . لنذهب الى بيت عمتي ، فستقدم لنا الشراب .

ـ من هي عمتك ؟

ـ ستعجبك . اسمها جيرترود ، وهي ليست عمتي تماما ، ولكنها في غاية العذوبة وتعيش وحدها في منزل في فيل اوف هيلث ولا تقابل احدا مطلقا وهي تود أن أزورها الا اذا كانت تعقد احد اجتماعاتها .

ـ أي نوع من الاجتماعات هذه ؟

ـ شهود يهوة ، تلك هي رذيلتها الوحيدة ، ولكنها لطيفة .

فقال سورم بخيبة :

ـ لا اخالك جادا .

ـ لم لا ؟

ـ بشأن كونها من شهود يهوة .

ـ بلى ، اني جاد في قولي .

ـ اعني انهم يكادون أن ينقرضوا .

ـ لا يسعني الاجابة ايها الصبي . لا أعرف شيئا واحدا عنهم . فلم تحاول عمتي يوما أن تجعلني أنتمي أليهم . على كل لسنا مرغمين على البقاء اذا لم تستطع أن تحتملها ، كما ستقدم لنا الشراب على أية حال .

واسترخى سورم في مقعده ، وخامره الشعور بانه لن يستطيع العودة الى بيته مبكرا وكان سكره أشد من ان يجعله يكترث جديا لذلك . كما أن عزمه على تغيير مسكنه لم يعد مهما بالنسبة اليه بعد ان اقلقه طوال الاسبوع المنصرم . واغلق عينيه وراح يحاول ان يحصي عدد الكؤوس التي احتساها ، واذا بالسيارة تقف فجاة ملقية به الى الامام . وقال نن :

ـ آسف ايها الصبي ، انني معتاد على سياقة السيارة الاخرى التي تعمل فراملها برفق اكثر من هذه . لقد حطمتها في الاسبوع الماضي .

كان الشارع مقفرا تماما ، وقد ارتفعت الارض ارتفاعا مفاجئا على أحد جانبي الطريق . وترجل سورم من السيارة وصفق الباب خلفه . وايقظه الهواء البارد بعد ان كادت مدفأة السيارة تدفع به الى النوم . اما نن فقد اخذ يبحث في جيب السيارة الجلدي واخرج المصباح اليدوي . وتبعه سورم الى داخل البوابة حتى اكتنفهما الظلام . وعلى بعد حوالي خمسين ياردة كان هنالك نور يشع في مدخل الدار وكانت الاشجار تنفض المطر من اوراقها كلما هزتها الرياح . فرفع سورم وجهه الى الاعلى ليتلقى القطرات الندية ، وقال وهو كالحالم :

ـ هل تجد عمتك متعة في السكن في وسط المجهول ؟

ـ انها تكرهه في الواقع . وهي تهدد دائما بالانتقال الى مكان قريب من

المدينة لولا ان هذه البقعه تكون جميلة في الصيف .
وكان الضياء في الرواق ينبعث من فانوس مربع ، في داخله مصباح كهربائي مدبب . وقرع نن جرس الباب .
وبعد هنيهة لاح نور خلف الزجاج الذي كان يغطي النصف الاعلى من الباب . وهتف صوت امراة : من هناك ؟
ــ اوستن .
ــ اوستن !
وفتحت الباب امراة صغيرة الجسم رشيقة القوام .
ــ اقدم لك جيرارد سورم ، جيرترود . ان جيرارد مؤلف
ــ هلما بالدخول . كنت افكر بالذهاب الى الفراش توا .
ــ لا تخشي ، فلن نبقى طول الليل
ــ لم اكن أعني ذلك . ابقيا ما شئتما .
وتقدمتهما الى غرفة للجلوس طويلة مريحة التاثيث .
ــ هل انتما جائعان ؟ اتناولتما طعام العشاء ؟
ــ نعم ، شكرا ، منذ ساعة .
ــ هل لكما في مشروب ؟
ــ لا باس .
ــ انت تعرف محل زجاجات الشراب ، فاذهب وهيئة لنفسك . اما انا فسآخذ الكاكاو .
واشعلت المدفأة الكهربائية وخرجت . وفتح نن أحد الدواليب واخرج منه زجاجة وسكي ، واطل سورم بنظره على الزجاجات المصفوفة داخل الدولاب ، وسال :
ــ هل لعمتك الكثير من الضيوف ؟
ــ ليس الكثير ، فهي تختلط بطائفتين من الناس ــ الأولى زمرة من جمهور همبستيد الذي يتذوق الادب ــ افظع ما رايت من المتطفلين على الادب ــ والثانية أولئك الذين ينقذون روحها ، ولا يقل هؤلاء سخفا عن أولئك وهي تحرص على الا تدعو كليهما الى بيتها في نفس الامسيات .
ــ لماذا ؟
ــ حينما يزورها منقذو الروح ، تعلق لافتة كتب عليها : « حذار من شيطان الخمر » ، تعلقها على الدولاب . وحينما يهبط عليها الجمهور المتادب تضطر الى تاجير عامل ليسوقهم في عربة دفع الى بيوتهم .
ودخلت المراة ثانية وهي تحمل فنجانا موضوعا على صينية ، وسالت :

ـ كيف حال امك يا اوستن ؟
ـ على احسن حال ، شكرا ، انها آتية الى لندن في الاسبوع القادم .
ـ هل ستنزل عندك ؟
ـ ستنزل في بيتي ، غير اني سوف لن اكون هناك . انا ذاهب الى سان موريتز لالحق ببعض الاصدقاء .
وجلست العمة في مواجهتهما واستشعر سورم فيها جاذبية خاصة وخمن انها في حوالي الاربعين . كانت طريقتها في اللباس تضفي على مظهرها اناقة لا تبدو متكلفة . وكانت تنورتها الصوفية جيدة التفصيل غير ان السلسلة كانت مفتوحة عند خصرها وكان فمها وذقنها متوترين ، ينمان عن مظهر مديرات المدارس . ولكن كان يحيطها جو غريب لا يمكن تحديده . انها من النوع الذي لم يكن ليثير انتباهه لو وقع بصره عليها وهي جالسة امامه في قطار النفق .
ـ لم أسمع اسمك
ـ سورم ، جيرارد سورم .
فقال نن :
ـ ظننت ان اسمك سورمز .
ـ كلا .
ـ اي نوع من الكتب تؤلف يا مستر سورم ؟ فاجاب سورم متضايقا :
ـ ما كان لينبغي على نن ان يقدمني كمؤلف . فلم يسبق لي ان نشرت شيئا عدا بضع قصائد في المجلات .
ـ هل انت كاثوليكي ، فاجاب مندهشا :
ـ كلا ، لماذا ؟
ـ كنت اتساءل ...
فقال نن :
ـ انه ملحد حر الفكر ، يميل الى المذهب الكاثوليكي . اليس كذلك يا جيرارد ؟
ـ اوستن ، اصلح سلوكك !
فابتسمت العمة لسورم وقالت وكانها تريد ان تخرج نن عن الحديث :
ـ انت لست حر الفكر ، اليس كذلك ؟
ـ كلا ... لا اعتقد ذلك .
فقال نن :
ـ فما انت اذن ؟

فقالت العمة زاجرة اياه :

ــ اوستن ، أصلح سلوكك . هل كنت تشرب ؟

ــ بالطبع لا . على كل حال لم أشرب الكثير . هل لك في كأس اخر يا جيرارد ؟

كان نن قد ناوله قدحا مليئا الى منتصفه بالوسكي المركز وكان سودم يرجو ان تتاح له الفرصة ليسكبه في القنينة ثانية .

ــ من رايي الا تشرب انت يا اوستن . انه يؤذي معدتك .

فانتصب نن واقفا وقد اضطرب توازنه قليلا :

ــ لا شك انك على حق يا جيرتزود . اسمحوا لي بان اغيب قليلا يا اعزائي .

وخرج من الغرفة ، ولمح سودم العمة تلاحقه بنظراتها . ثم سألته :

ــ انه ثمل اليس كذلك ؟

ــ اجرؤ على القول انه سكران بالفعل ، اما انا فقليلا .

ــ لست تبدو كذلك . هل أنت معتاد على الشراب .

ــ كلا .

ــ لم أظن ذلك . هل تعرف اوستن منذ مدة طويلة .

ولسبب من الاسباب استبد بهشعور بالخجل منعه من ان ينبئهابحقيقة الامر ، فقال :

ــ ليس لمدة طويلة .

ــ ينبغي الا تدعه يدفعك الى عادات سيئة .

ــ لا اتوقع ذلك .

ــ ما هي الديانة التي نشأت عليها ؟

ــ لا ادري . الكنيسة الانكليزية ، على ما إظن ، غير اني لم اكن يوما ما مضطرا للذهاب الى الكنيسة او مواعظ ايام الاحاد . كنت امقت كليهما .

ــ وهل لك عقائد دينية ؟

ــ اقــل حــد منهـــا .

ــ وما هو الحد الاقل هذا ؟

وسمع سودم وقع خطوات نن خارج الباب . وقال وهو يبتسم :

ــ ساخبرك في وقت اخر .

ودخل نن وقال مبتهجا :

ــ كنت اظن أن يوم الجمعة هو يوم اجتماعاتك .

ــ هو كذلك ، وقد ارفض الاجتماع .

ـ ها ، وكيف حال اخينا الرهيب ؟
ـ عمن تتحدث ، يا الهي ؟
ـ ذلك البدين . طارطوف ذو بشرة القصاب ، ما اسمه ؟
ـ حقا، اوستن ان حالك لتسوء. ما يدفعك الى الحقد على الاخ روبنز؟
وجلس نن الى جانب سورم ثانية ، بعد ان ملأ القدح . وقال وهو يغمز بعينيـه :
ـ انه يلاحقك يا جيرترود .
ـ يا لهذا اللغو !
ـ قرأت ذلك في عينيه . انه يفكر بك تفكيره في صفقة جميلة . ..
ولحظ سورم لدهشته ان وجهها بدأ يمتقع ، فهب واقفا وقال :
ـ ارجو المغفرة . فقال نن :
ـ انها في الطابق العلوي ، الباب الثاني الى اليسار .
كانت الصالة والسلم يكسوهما الوبر الازرق مما لم يجعل لوقع اقدامه صوتا . وكان على جدار السلم صورتان فوتوغرافيتان للوحتين زيتيتـين للرسام (مونش) . وقد بدا له البيت وهو غارق في عالم الخمر الضبـابي الدافيء أجمل بيت وقع عليه نظره في حياته .
واشعل النور . فالفى نفسـه في غرفة نوم صغيرة تحتوي عـلى سرير واحد . وأبصر على طاولة الزينة اطارا يضم صورة لفتاة شقراء ، فاطـال النظر في الصورة باهتمام وارسل لها قبلة بشفتيه . وتراجع من الباب ليدخل الحمام، وكان على بابه حبل تتدلى منه بعض الملابس المبتلة. فتمتم بصوت خافت:
ـ يجب أن اغوى هذه المرأة حتى يكون في وسعي أن أعيش معها في هذا المكان فظروف العمل رائعة هنا .
وغسل يديه في الطشت ، وهو يردد لحنا ما بصوت خافت . وعندما استدار وجد منشفة فمسح وجهه ومد يده ليلمس مشد خصر من النايلون ، فتدحرجت قطرات الماء داخل كمه . واخذ يلعن بصوت واطيء .
ولما عاد الى غرفة الجلوس ثانية ، قال نن :
ـ أعتقد اننا يجب ان نرحل يا جيرارد ، فجرترود تريد النوم .
ـ بالتأكيد .
ـ الأ تنهي قدحك ؟
ـ لا اظن ذلك ، فقد شربت الكثير .
ـ توقعت ذلك ولذا فقد شربته نيابة عنك .
فقالت جيرترود ضاحكة :

ـ أنك شائن حقا ، يا اوستن . لا ادري كيف ستدبر سياقة السيارة . هلا اخذت حذرك .

ـ صه ، هل عرفت لي حادثة واحدة ؟ فقالت :

ـ تلك هي المعجزة .

ونهض نن على قدميه ، وامسك بجيرترود وزرع قبلة على جبينها ، ونظر اليها سورم وهو يبتسم . كان يود لو يفعل مثل صديقه . وقال نن :

ـ طابت ليلتك ، ايتها العمة العزيزة . اقفلي الابواب الان ، وتيقني الا يكون اخونا ذو البطن التي تشبه البرميل مختبئا تحت السرير .

فالتفتت الى سورم قائلة :

ـ ستزورنا ثانية اليس كذلك ؟ يمكنك ان تجد طريقك الى هذا البيت .

فاجاب مبتسما :

ـ لست واثقا تماما اني استطيع ان اجد طريقي .

ـ ساعطيك العنوان .

واقتطعت ورقة من دفتر رسائل يحمل اسمها اخرجته من مكتبها وكتبت عليه بضع كلمات . فدسها في جيبه الخلفي .

ـ وداعا ، حاول ان تجعل اوستن يقود السيارة بتأن .

وهز سورم يدها ، كانت قبضتها قوية كقبضة رجل . وصاحت من عتبة الباب الامامي :

ـ خذ جانب اليمين من الطريق ، فهناك بركة ماء .

وكان الضياء المنبعث من مصباح نن اليدوي يرقص بشرود على الارض والتصق سورم به لكي يقي نفسه التعثر ، وعندما خرجا الى الشارع قال نن :

ـ انها تميل اليك ، ايها الصبي . وقد لقنتها محاضر عن كيفية افسادك اعتقد انها تريدك ان تحضر دروسها الدينية .

ـ وليس الامسيات الادبية ؟

ـ لا ادري ، ربما ، اوه ... اعتقد من اسئلتها انها ... وتلكــأت الكلمات ولم يتم نن كلامه ، وفتح باب السيارة وتكوم على مقعد القيادة .

ـ اوف ، هكذا .. افضل ... حسنا ، اين وجهتنا الان ؟ الساعة هي العاشرة والدقيقة العاشرة بعد فقط . لدينا متسع من الوقت لكأس اخر . او ان شئت ذهبنا الى شقتي لنشرب كأسين .

ـ كلا ، حقا ، من المستحيل . يجب أن أعود . اية ليلة اخرى ما عدا هذه الليلة .

ـ آه ، نعم . عليك بالانتقال من مسكنك في الصباح . كيف ستقوم بذلك ؟

ـ استاجر تاكسي .

ـ اتحتاج الى معاونتي ؟

ـ لا، لا. لا تزعج نفسك .

واشعل نن سيكارة ، وقذف بعلبة الثقاب من الشباك . واضاءت مصابيح سيارته الطريق ، واندفعت السيارة الى الامام وتوقفت فجأة وانطفأ محركها فقال نن :

ـ عليها اللعنة . لم اسحب الفرامل اليدوية .

وقال سورم :

ـ اسمع ، دعني انزل في شارع (اجوير رود) ، ساخذ الباص من هناك او الافضل أن تدعني أنزل في همبستيد لاخذ قطار النفق .

ـ كلا ، بل ساوصلك الى البيت . لا تدع تعليقــات جيرتــرود حول سياقتي تقلقك ، هــا ؟

ـ لا . . .

ـ طيب . انا سائق مأمون الجانب تماما ، حتى عندما لا ارى طريقي من فرط السكر .

ـ وماذا وقع لسيارتك الاخرى . . . ؟

ـ اه ، لم يكن الخطأ خطئي . . كان احدهم قد شيد جدارا في عرض الطريــق .

ـ من حسن حظي لم أكن ثملا . تلك هي المأساة ، وقــد شعــرت في الصباح التالي بحالة سيئة جدا .

لم تبد سياقة نن للسيارة احسن او أسوأ نتيجة السكر . واوقــف ماكنة السيارة لجعلها تتدحرج تلقائيا هابطــة الطريق المنحــدر المؤدي الى (كولدرز كرين) ، وهو يغني وفي صوته جرس حزين :

قطط على السطوح ، قطط على البلاط .

وقال سورم : ـ هل كانت عمتك متزوجة ؟

ـ انها ليست عمتي .

ـ هل كانت متزوجة ؟

ـ كلا . أن قضية جيرترود في منتهى الغمــوض . ليس هنالــك من يعرف جميع الحقائق عنها . كان لها أب .

ـ لها ماذا ؟

ـ اب . فانك تعلم ان لبعض الفتيات اما لا ترخي لهن اللجام ليصلن ويجلن . على كل حال ، كان لها اب .

ـ وكيف يكون ذلك سببا في منعها من الزواج ؟
ـ وكيف لي ان اعلم ، ايها الصبي العزيز ؟ استخدم خيالك ، فان كان لك خيال متألق مثل خيالي ففي امكانك التوصل الى انواع العلل والاسباب.
وكبت سورم التعليقات التي طفرت الى شفتيه ، ولم يكن نن الشخص الذي يستجيب لها . وادهشه نن بقوله فجأة :
ـ على كل حال ، فلا اظنها تسوى شيئا في الفراش .
وحدجه سورم بنظرة ، وكانت السيكارة تتدلى متراخية من فمه ، وقال
ـ لا اجرؤ على القول انك على حق .
واخذ المطر ينهمر ثانية . واخذ سورم يصغي وهو في مجلسه الى تكتكة فرشاة الزجاج الرتيبة ، وقال فجأة :
ـ وبالمناسبة ، من هي تلك الشقراء اللذيذة في الصورة ؟
اية صورة ؟
ـ دخلت غرفة للنوم عندما كنت ابحث عن المرحاض ، الغرفة الاولى الى اليمين . كانت هنالك صورة فوتوغرافية على المنضدة لفتاة شقراءلطيفة.
ـ اه ، هي كارولين ، ابنة عمتها . لم اتعرف عليها . لماذا ؟
ـ انا مولع بكل شقراء صغيرة .
ـ انك لبقرة ، الست كذلك ؟ تبحث ابدا عن الجنس .
وضحك سورم ، وكانا في تلك الاثناء يمران بمطار (هندن) . وقال يغير الموضوع .
ـ انبئني ، هل قلت انك تقود الطائرات ؟
ـ اجل . لدي واحدة في مكان قريب من (ليدرهيـــد) ، ينبغــي ان ترافقني في يوم من ايام نهاية الاسبوع ، فاذهب بك في رحلة .
ـ طيارتك الخاصة ؟
ـ انها تخص والدي ، ولكنه لا يستعملها ابدا .
ـ استدر الى اليمين ، رجاء . يقع مسكني قرب عمود المصباح ذاك .
ووقفت السيارة بهزة ، ولكن سورم كان قد تهيأ لها هذه المرة . وقال :
ـ حسنا ، انا مدين لك بالكثير هذه الليلة .
ـ لا ابدا ، انا مدين لك بالكثير . فلو كنت وحيدا لقتلني الضجر . هل عندك مشروب في غرفتك ؟
ـ كلا مع الاسف . لدي بعض البيرة على الاقل .
ـ رائع . هيا نحتسيه اذن ، ام انك متعب جدا ؟
وقال سورم :

ـ كلا على الاطلاق . فلنصعد .
وعندما فتحا الباب الامامي ، قال سورم بصوت خافت :
ـ لا تصدر ضوضاء حتى تصل الى غرفتي .
ـ هل الجميع نيام الان ؟
ـ لا ، ربما يشاهدون التلفزيون الان .
وارتقيا السلم على اطراف اصابعهما ، وكان نن يتقدم سورم . وانفتح باب تحت ، وصدر صوت نسائي يقول :
ـ اهذا انت يا مستر سورم ؟
ـ نعم
ـ آه .
وانغلق الباب ثانية . وفتح سورم الضياء واغلق الباب .
ـ انت لا تعلم كم انت محظوظ اذ لا تشكو من صاحبة بيت . اني ابغض صاحبة البيت .
واشعل المدفأة الغازية وادارها الى نهايتها . كانت الغرفة صغيرة تزدحم بالاثاث ، وكانت بالقرب من الباب حقيبتان للملابس مربوطتان الى بعضهما بسلك . وكانت الطاولة مغطاة برمتها ببقايا طعام ودرج فارغ . وكان على طشت الغسيل في الزاوية صندوق صابون كبير من المقوى مليء الى منتصفه بالكتب . وخلع سورم معطفه وعلقه في دولاب الملابس . وجلس نن على السرير واشعل سيكارة .
ـ كانت لي صاحبة بيت غاية في اللطف في هامبورغ .
وتناول سورم الدرج الفارغ ودفعه في مكانه في دولاب الادراج .
ـ كان لدي الكثير من صاحبات البيوت . كان لدي الكثير بحيث اضحيت امقت حتى السيدات الظريفات منهن . ومن اهم مزايا المكان الجديد هو ان صاحبة البيت لا تسكن في البيت نفسه . ان اكثر السيدات حشمة ينتهين باضطهادي .
ـ لا تكن عصبيا يا جيرارد .
ـ لو كنت في موقفي من هذا العدد الكبير منهن لثارت اعصابك انت ايضا . ما اسخفهن ، قطط مسنة تافهات العقول يتركن لك قصاصات الورق في غرفتك بعد ان يكتبن عليها انه لا يعجبهن استقبال الضيوف بعد الساعة العاشرة . ولا تدري متى يغيظهن امر تافه فينذرنك بترك المكان . لو كنت دكتاتورا لفتحت مراكز اعتقال لصاحبات البيوت . تفاهات قديمة ، وضيعات ، تافهات يسعين وراء المادة .

ونقل صندوق المقوى الى الارض ، وفتح صنبور الماء الحار ، وغسل قدحين ، ومسحهما بمنشفة يد .

ــ مسكين يا جيرارد . ينبغي ان تبحث لك عن شقة مؤثثة .

واخرج سورم زجاجة بيرة من اسفل دولاب الملابس ، واخذ يسكب المحتويات في القدحين ، وناول احدهما الى نن قائلا : ــ نخبك .

ــ ورشف نن قليلا من البيرة ووضع القدح على الطاولة ، وقال :

ــ يؤسفني ان اغادر في اللحظة التي بدانا نتعرف فيها على بعضنا .

وجلس سورم على كرسي خشبي بالقرب من النار ، وقال نن كمن يتفوه بقول مأثور :

ــ سيكون لدينا متسع من الوقت .

ــ لا ريب في ذلك . اعطني عنوانك الجديد ، وساعطيك عنواني .

وتبادلا دفتري العناوين ، وابتدا كل منهما يكتب بصمت لحظة من الزمن . واشاعت الحرارة في قدمي سورم اللتين لم يخلع جوربيه عنهما حرارة شديدة . وكبت رغبة في التثاؤب . وسحب نن نفسه الى طرف السرير حيث امكنه ان يرى النار ومد يديه اليها .

ــ جيرارد . كنت تتحدث قبل قليل عن البحث عن طريقة اخرى للحياة

ــ نعم ؟

ــ ينبغي أن ترى احد أصدقائي وهو يدعى الاب (كاراثرز) ويعيش في منزل في شارع (روزبري) .

ــ يجب ان يكون في المكان الذي يسكن فيه الاخ (مونسيل) ، فهنالك يسكن عدد من القسس . هل تعرفه ؟

ــ كلا لست اتذكره .

ــ انت لست كاثوليكيا ، أم انك كذلك ؟

ــ كلا . أمي كاثوليكية . كاراثرز احد اصدقائها في الواقع ولكني واثق من انه سيروق لك .

واحتسى سورم البيرة على مهل ، فلم يكن يرغب فعلا في تناولها . كانت مرة المذاق لا يستسيغها تماما .

ــ ما الذي يستطيع الاب كاراثرز ان يفعله ، في رايك ؟

ــ لا اعلم ، ولكني أميل اليه ، فهو حاد الذكاء ، متعمق في علم النفس ، كان صديقا لادلر .

ــ ذلك ينذر بالخطر .

ــ لماذا ؟

ــ لا يمكنني ان اتصور ان الكنيسة تقر ذلك . هل يتحدث عن الاضطراب العصبي بدلا من الخطيئة ؟

ــ نعم . . او ، لا ، ليس تماما . ينبغي أن تذهب لرؤيته . لقد الـف كتابا عن تشيخوف .

ودفع سورم كرسيه الى الخلف ، كانت النار شديدة الحرارة ، وقال رغبة منه في الكلام :

ــ ربما سازوره . .

ورفع نن قدح البيرة وشرب كل ما فيه . فدفع اليه سورم بالزجاجة . وسكب نن البيرة في قدحه ، تاركا الزبد يطفح على الحافة ويسيل الى غطاء الطاولة . فمال الى الامام ورشف الزبد بملء فمه حتى كف عن التدفق . ورفع بصره بغتة الى سورم من فوق حافة القدح وهو يقول بلا مبالاة استشف سورم خلالها محاولة شديدة لضبط النفس :

ــ يبدو انك تحمل ضغينة هائلة للمنحرفين جنسيا يا جيرارد .

فأجاب سورم وقد غمرته انتفاضة :

ــ كلا ، بل على العكس . انا انسجم دائما معهم .

ــ ولكنك لا تميل اليهم .

ــ ليس السبب اني لا اميل اليهم ، وانما انا لا اقر بعقليتهم الشاذة .

ــ ماذا تقصد بحق السماء بالعقلية الشاذة ؟

ــ ينبغي الا اجيب .

ــ ارجوك ان تجيب ، لا تكترث بي ، فلن اعتبرها تمس بي شخصيا . اؤكد لك ذلك .

ــ حسنا . اكثر من خالطتهم من الشواذ شديدو التركيز على انفسهم، فكل شيء بالنسبة اليهم ممعن في الانانية ، وذلك يعتمد على الناس. لا يمكنني ان اتصور ان شخصا يرى الرؤى ، او ان نيوتن أو بيتهوفن يمكن ان يكون منحرفا جنسيا . اذ يبدو ان المنحرفين جنسيا يفتقرون الى الاندفاع العقلي ــ القابلية على ان يكون الشخص منغمسا بعنف في المسائل العقلية الصرفة . فهؤلاء يشبهون النساء وهم ينظرون الى كل شيء من الزاوية الشخصية ومن زاوية العواطف .

ــ انت تتفوه بالسخافات ولا شك ، ايها الصبي كيف عرفت ان نيوتن وبيتهوفن لم يكونا منحرفين جنسيا ؟ فلم يكن ايهما متزوجا . ثم ما قولك في شوبرت ، ومايكلا نجلو ؟

ــ طيب ، اسف لاني تكلمت .

ـ كلا ولكن اجبني ، اود سمـاع ارائك .

ـ لا ، انا شديد التعب . عندما تغادر الليلة ، سابقى لاحزم امتعتي . وعلي أن انهض غدا في الصباح الباكر للشروع في الانتقال .

وحدجه نن بنظرة : كانت عيناه جادتين ، تكادان تنطقان بالالم . وهـز راسه فجاة وابتلع ما تبقى من البيرة . ثم انتصب واقفا وهو يقول :

ـ حسنا ، ساتركك .

ـ لا داعي أن تغادر الان ، فلم تتعد الساعة الحادية عشرة ، يمكنـك البقاء ساعة اخرى .

فقال سورم : ـ كلا ، بل ينبغي ان اذهب . علام هذه الابتسامة ؟

ـ اراك تتململ قلقا . فلم لا تجلس ساكنا قليلا ؟

لم يكن ذلك هو السبب الحقيقي لابتسامة سورم . فقد كان يفكر في نفسه : لقد اعتبر نن الامر يمسه شخصيا ، وهكذا فيأخذ امثاله كل شيء ماخذا شخصيا . ولكنه مع هذا شعر بالسرور لان نن سيغادر .

ـ طبت مساء يا جيرارد .

ـ اين انت ذاهب ؟

فتململ نن وقال :

ـ الى البيت ، ربما ، او ربما الى احد النوادي في بادنفتون . وداعا .

ـ وداعا يا اوستن . اشكرك على هذه الامسية .

وقال نن : لا تتعب نفسك بالنزول .

وخرج من الغرفة مسرعا واغلق الباب خلفه . وبقي سورم واقفا حتى سمع الباب الخارجي يصفق ، فصاحت صاحبة البيت على الفور .

ـ من هناك ؟ فقال مخاطبا الباب بغضب : ـ آه ، اخرسي .

وسمع باب السيارة يصفق . وما ان اطل من الشباك حتى كانت انوار السيارة الخلفية تختفي في الظلام .

وسكب سورم ما تبقى من البيرة في الطشت وغسل القدحين ، وراح يغسل بعناية بقية الفخار الذي كان ملقى على الطاولة . كان صادقا حين اخبر نن بانه كان يريد ان ينهي حزم امتعته ، غير انه اخذ يحس بالنعاس والسكر كانت الغرفة شديدة الحرارة ، خانقة الجو . فاطفأ المدفأة وفتح النافذة . وقبل ان يخلع ملابسه ابتلع ثلاث حبات هاضمة مع قدح من الحليب . وشعر بالفراش باردا لطيفا . واخذ يفكر في نن وهو يطير الى سويسرا ، وشعـر بشيء من الحسد له غير انه اخمد هذا الشعور على الفور . وسرعان مـا غاب في نوم عميق .

الفصل الثـــاني

واعجبته غرفته الجديدة ، رغم انها لاحت اصغر مما كان يتوقع حين فرغ من فك الصناديق وصف الراديو والفرامافون على الدولاب . وكــــان هنالك سلم للحريق يمر من امام النافذة التي كانت تطل على قطــــعة من الارض الخربة وكنيسة . وقد الحق بالفرفة مطبخ صغير يبدو انه كان اصلا غرفة مهملات ، يقع في نهاية سلم ضيق في الطرف المقابل لباب غرفته . وكان يشاركه في هذا المطبخ رجل فرنسي يسكن الغرفة المجاورة .

كانت عملية الانتقال الى مسكنه الجديد قد انهكت قواه . كان قد افاق صباحا دون أن يشعر بالصداع ، ولكنه احس بالتعب وبجفاف في حلقه . وبعد أن اتم تنظيم غرفته كان العرق يتصبب على جنبيه ويسيل الى فخذيه ووضع اناء ماء ليغلي على الموقد الغازي . وكان يسمع دقات قلبه ، وصخب المرور في شارع كنتش تاون . وكان السرير تحت النافذة المفتوحة مباشرة فانعشه النسيم الداخل منها . وكاد ان يغلبه النعاس لولا صفير ابريــــق الماء الذي ايقظه فجأة .

وهيأ الشاي في قدح ترمس كبير وسكب محتوياتــه خلال مصفــاة ، ووضع اسطوانة على الفرامافون وجلس الى الطاولة وهو يتفرس في السنة النار المتوهجة في المدفأة الغازية ، واخذ يرشف الشاي . ونقر احدهم الباب، فصاح : ادخل .

وقال الرجل الذي فتح الباب :

ــ علمت اننا اصبحنا جيرانا ، وعلينا ان نشترك في المطبخ . فقال سورم:

ــ تفضل . هل لك في قدح شاي ؟

ــ اجل اشكرك .

لم تكن اللكنة الفرنسية في حديث الرجل قوية ، ولكنها كانت ظاهرة . ونهض سورم ومد يده :

ــ اسمي جيرارد سورم .

ــ ادمون كاليه . كيف حالك ؟

ــ هل اضع بعض الحليب المعقم في الشاي ؟

ــ افعل .

ورفع غطاء زجاجة الوسكي الذي كان يتوج قنينة الحليب المعقم التي جلبها معه من كولنديل . وكان الحليب يعود الى ما قبل ثلاثة ايام . واخفض صوت الفرامافون . وقال الرجل الفرنسي :

ــ اي موسيقى هذه ؟ بروكوفييف ؟

ــ نعم ، السمفونية الخامسة . هل تحب الموسيقى ؟

ــ احبها جداً . كنت اعزف الة الاوبوا في الفرقة الموسيقية في المدينة التي اقبلت منها ، مدينة ليل .

ــ ولكنك لست موسيقيا محترفا ؟

ــ كلا ، انا مهندس .

وكان فمه ، عندما يبتسم ، يتكشف عن اسنان بيضاء منظومة بانسجام. كان وسيم الوجه ، ذا فك عريض قوي . وقد شعر سورم بانه مال اليه في الحال . وجلس كاليه امامه على الكرسي ذي المساند .

ــ علمت انك مؤلف .

ــ نعم ، من قال لك ذلك ؟

ــ كارلوتة ، الفتاة التي تنظف المكان . لدينا بعض النزلاء من لهم اطوار غريبة . افظعهم هو الشخص الذي يسكن غرفة فوق غرفتك .

ــ افظعهم ، لماذا ؟

ــ انه مجنون ، ويعزف الاسطوانات طوال الليل .

ــ يا للسماء ، هل يحدث ضوضاء ؟

ــ كلا ، لا اظن ذلك . انه يعزف الاسطوانات فقط . ولن تراه اثناء النهار ، اذ يقضيه بالنوم .

ــ لا يهم ، فاني اعمل احيانا طول الليل ايضا . هل يزعجك صوت الالة الكاتبة ؟

ــ كلا . لدي واحدة ايضا . الشخص الوحيد الذي قد يعترض فتاة في الغرفة السفلي .

ــ فهمت . ومن هم « غريبو الاطوار » الاخرون ؟

فعبس الفرنسي كمن اصيب بذهول وقال سورم شارحا سؤاله : ـ قلت أن هنالك عددا من النزلاء ممن لهم اطوار غريبة ؟

ـ اه نعم ، الرجل العجوز الذي يسكن فوق غرفتك هو افظعهم . وهناك اثنان من الشواذ جنسيا يسكنان في الطابق الارضي ، ولكنهما لن يسببا لك قلقا ولو انهما يتخاصمان طول الليل . لا ضير فيهما الا عندما يكونان في حالة من السكر ، فيبدأ حينئذ ضجيجهما .

ـ الا تعترض صاحبة البيت ؟

ـ كلا . فهي لا تسكن هنا . ومن المفروض ان الفتاة الالمانية تقوم بمراقبة المحل . اسمها كارلوتة وتسكن في السرداب .

وانتهت الاسطوانة ، فاوقف سورم الفرامافون ، وسمعا مباشرة طرقا على باب الغرفة المجاورة . ففتح الفرنسي الباب هاتفا : ـ اهلا .

فاجاب صوت فتاة :

ـ تلفون للمسيو كاليه .

ـ قد اراك فيما بعد . شكرا على الشاي . فقال سورم :

ـ على الرحب والسعة .

وصب سورم فنجانا أخر من الشاي ، وادار الغرامافون ثانية . كانت الحرارة تبث فيه النعاس ، ولكي يوقظ نفسه ، طفق يعيد تصفيف الكتب في المكتبة المستندة خلف الباب . واخذ يسوي قطع المقوى التي يرزم بها الكتب ورفعها ليفرشها على سطح دولاب الملابس فاصطدمت بعائق ما ووقعت ثانية . فتسلق كرسيا وتفحص سطح الدولاب . كانت هناك اربعة مجلدات ممزقة من تاليف ب. ج. و ودهاوس وثلاثة مجلدات من سلسلة « محاكمات بريطانية شهيرة » . وكان داخل احد هذه المجلدات ختم : مكتبات ايريث العامة . اما التاريخ المختوم فيعود الى سنين عديدة .

فتناول الكتب ونفخ عنها الغبار المتراكم عليها ووضعها على الطاولة ليتفحصها . وبقي ربع ساعة وهو ما يزال يقرأ الجزء الاول الذي فتحه وهو (محاكمة برك وهير) . وجعله الكتاب يحس بمرض خفيف . طرق احدهم الباب ، فصاح : تفضل .

فاطل الرجل الفرنسي براسه من خلف الباب .

ـ مرحبا ، طلبت لوتة(1) ان اخبرك بان احدهم طلبك على التلفون صباحا

ـ أوه . ترك لي نبأ ؟

ـ نعم . لم تستطع أن تتبين اسمه ، ولكنه اعطاها رقم تلفون . اليك به

(1) تصغير لاسم كارلوتة

وتناول سورم المظروف المزق وقال :
ـ شكرا . ساتصل به الان . اين التلفون ؟
ـ لسوء الحظ ، قال ان عليك ان تتصل به قبل الثالثة واضاف انه سيغادر لندن في الساعة الثالثة .
ونظر سورم الى ساعته : كانت تشير الى النصف بعد الرابعة .
ـ اه .. اشكرك على كل حال .
فسأل الفرنسي على سبيل التحدث : ـ ماذا تقرا ؟
ـ اوه ،كتاب عن جرائم القتل .
ـ هل قرأت عن جريمة القتل التي وقعت الليلة الماضية ؟
ـ كلا .
ـ لقد حدثت في (وايتشابل) ، اذ عثر على فتاة اخرى كانت قد فارقت الحياة من اثر الضرب . كان الخبر في جريدة الظهيرة . هل تريد ان تراه ؟ فاجاب سورم مقهقها :
ـ لا تكلف نفسك . اريد ان اتناول وجبة كاملة اليوم . امور كهذه تدخل في نفسي المرض .
وعندما اغلق الباب ثانية رمى سورم بمجلد « محاكمة برك وهير » على السرير وفتح احد كتب وودهاوس .
ـ وافاق اثناء الليل وتذكر عمة نن ، فقد كان نسيها تماما حتى تلك اللحظة ، ومد يده الى سرواله واخذ يتحسس الجيب الخلفي في الظلام . كانت الورقة ما تزال في مكانها . فاشعل عود ثقاب واخذ يقرا : جيرترود كوينسي ، لوريلز ، فيل اوف هيلث ، وتبع ذلك رقم تلفونها . فوضع الورقة على الكرسي المجاورة لسريره ليتذكر ان يتصل بها تلفونيا في الصباح . ورقد ثانية وغمره ظلام الليل الذي كان مختنقا في ذلك الحين برائحة الكبريت المحروق ، وراح يفكر في هذه المراة . كانت رشيقة القوام جذابة المظهر ، في سلوكها حشمة مثيرة ولاح له انها لا بد وان تكون اكبر منه بخمسة عشر عاما ، او اقل ، او ربما عشرة فقط . واخذ يتامل في الفوائد التي سيجنيها لو اقنعها بان تصبح خليلته ، او حتى ان يتزوجها . ما اجمل ان يكون هناك من يعتني به . ولكن ماذا سيؤول اليه الوضع بعد عشر سنوات ، او خمس عشرة ؟ كما ان هناك مسالة انتمائها الى شهود يهوة . وشعر ، لسبب ما بان هذه المسألة لا تتناسب والموقف الذي يتصوره . كان يظن ان النسوة اللواتي ينتمين الى شهود يهوة هن من الطبقة العاملة ويرتدين ثيابا رثة .
كان يلذ له ان يكتشف مدى الجدية الذي تأخذ به مواعظ الكتاب

المقدس ، وهل ان عقائدها تحتم عليها العفة . وقد علم بيقين مفاجيء انه لا يملك اية رغبة في الزواج منها . فالزواج يعني التخلي عن كل شيء وقد احس بيقين في اعماقه بان الاستقرار الذي يشتريه بهذا التخلي غير ضروري على الاطلاق . وراح يفكر في مغازلتها عوضا عن ذلك . وساقته هذه الفكرة الى النوم

وقد حاول في مساء اليوم التالي ان يتصل بها تلفونيا ، فلم يتلق جوابا ، فضغط على حمالة السماعة وادار رقم اوستن . فاخبره صوت فتاة من البدالة ان المستر نن قد سافر لبضعة ايام . فعاد الى غرفته وهو يحس بالخيبة الى حد غريب .

وبعد نصف ساعة بينما كان يطالع كتابا تناهى اليه وقع اقدام ترقى السلم الى غرفة الرجل العجوز . وسمع طرقات على الباب ، وهتف صوت فتاة : مستر هاملتون ، ولم يجب احد . وهبطت الاقدام السلم ثانية . وسمع نقرا على بابه . فصاح : تفضل .

فقالت الفتاة التي كانت تقف عند الباب :

ــ آسفة لازعاجك . .   فقال سورم :

ــ هل انت كارلوتة ؟

ــ نعم ، هناك احد رجال الشرطة عند الباب الخارجي .

ــ يريد مقابلتي ؟

ــ أوه ، لا . قال ان احدهم رمى بزجاجة الى الشارع . واعتقد ان الفاعل هو مستر هاملتن ، ولكنه لا يجيب . فماذا افعل ؟

ــ ماذا يحدو بك الى الاعتقاد بانه الفاعل ؟

ــ لا بد انه هو . مسيو كاليه في الخارج ، فمن يكون غيره ، يا ترى ؟

ــ ماذا تريدين مني ان افعل ؟

ــ هل يمكنك أن تذهب بطريق سلم الانقاذ ؟ ربما سيرد عليك .

ــ اين الشرطي ؟   ــ تحت .

فتسلق سورم الى النافذة وخرج الى سلم الحريق ، ووقع بصره على حزمة من الضياء تنبعث من باب مفتوح في الاعلى . اما في الغرفة ، فجلس الرجل العجوز القرفصاء على الارض ، ظهره الى الباب ، عاري الجسد . وسمع اغنية دينية تغنيها جوقة كنسية باللغة اللاتينية:نجمة الصباح . الخ .

ووقف هناك ، مترددا ، لا يدري هل يعود الى غرفته بهدوء . فلما توقفت الاسطوانة ، سعل وطرق على الباب . كان يتوقع ان يلتفت العجوز او ان يباغته الشعور بالذنب ، ولكن لم يحدث شيء من ذلك ، وانما رفع الرجل الاسطوانة من الغرامافون والتقط اسطوانة اخرى من بين الكومة الملقاة امامه

وقال سورم : ـ عفوا . . .   فقال الرجل من فوق كتفه :

ـ ادخل ، لا تظل واقفا هناك . فتقدم سورم الى داخل الغرفة :

ـ آسف لازعاجك ، ولكن هنالك شرطيا تحت يسأل عن زجاجة كان احدهم قد القى بها الى الشارع .

ـ والتفت الى النافذة ، فيما هو يتكلم ، فالفاها مفتوحة ، وكانت تطل على الشارع . فقال له الرجل العجوز :

ـ انت الماني ، اليس كذلك ؟

ـ كلا ، انا انكليزي ، ولهذا هلا . . .

ـ نعم ، طيب ، طيب ، هل تعجبك مراسيم الصلاة الرومانية .

فثارت اعصاب سورم ، ولكنه احس بالعجز ، فقد كان الرجل يضع بين فخذيه زجاجة ينكفىء فوقها قدح . كان الفرامافون صندوقا خشبيا كبيرا ، وقد تدلت قطعة القماش الخضراء على القرص الدوار ، وامتدت الاسلاك منه عبر الغرفة الى جهاز راديو على رف الكتب . واحس بالبرد يلسعه من تيار الهواء الذي يهب في الغرفة ، ولكنه لاحظ لدهشته ان الرجـــل كان يتصبب عرقا .

ـ جئت لاخبرك فقط ان الشرطي يبدو عليه الامتعاض ، فالقاء القناني من الشبابيك يسبب متاعب جمة . .

ـ قل لي ، ايها الصديق الشاب ، هل تعتقد بموت الجسد ؟

واحس سورم فجاة انه كان يغلي من الغضب ، وانه يتمنى أن يمسك بالفرامافون ويهشمه على هذا الرأس الاصلع الذي يرشح عرقا . احس انه ضحية انسان عجوز سكران . فعبر الغرفة الى الباب وحاول ان يفتحهـــا ، لكنها كانت مقفلة وقد نزع المفتاح منها .

فقـــال العجوز بسماجة :

ـ اجلس وخذ شيئا من الخمر . من اي جزء من المانيا انت ؟

واخذ سورم يتلفت حوله ، لقد روعه واقرفه فجاة هذا الجسد العاري القذر ، وصعد الغثيان الى حنجرته . وسكب العجوز شراب الجن في قدح كبير ، ثم كفا القدح على رقبة الزجاجة ثانية . وهز الزجاجة فاخذ القدح يصلصل . فابتسم :

ـ لا يمكنك الخروج من ذلك الطريق . ومد يده اليمنى الى الامام ، مشيرا وتبع سورم اتجاه اصبعه الى دولاب في الجدار . كانت بابه مفتوحة .

ـ هل تعلم ما هو ذلك ، ايها الصديق الشاب ، ايها الصديق الالماني الصغير ؟

ـ كلا .
ـ انها خارطة اليس كذلك ؟ خارطة . ولكن هل تعلم ما هي ؟
ـ كانت هنالك خارطة مثبتة الى الباب من الداخل تبدو وكانهـــــا مرسومة بالحبر .
ـ لا شك انك لا تعلم . وسوف لن اخبرك . انها سر خاص بي .
فعبر سورم الفرفة ثانية وخرج مسرعا عن طريق سلم الحريق واخذ الرجل العجوز ينادي : هي ، انتظر لحظة ، وهبط سورم عن طريق سلـم الحريق وعاد الى غرفته ، وقالت الفتاة :
ـ حسنا ؟
ـ لا ينفعه شيء ، انه سكران . عليك ان تخبري الشرطي ان ذلك لن يحدث ثانية . فهو لا يستطيع الاصغاء من فرط السكر .
فاستدارت وتركت الغرفة دون ان تنبس بكلمة . فاغلق النافذة وجثا على ركبتيه قرب مدفاة الغاز ليدفيء يديه . وتناهى اليه من اسفل صـوت رجالي خشن . وكان الغرامافون فوق غرفته يعزف ثانية . واذهله عنـف غريزة القتل التي اثارها فيه هذا العجوز ، وحتى في تلك اللحظة كان يشعر برغبة شديدة في ان يقف في مدخل الغرفة ويفرغ الرصاص في ذلك العـري الكريه وادهشته قوة هذا الشعور بالكراهية .
وكانت يداه ملوثتين من لمس قضيب سلم الحريق ، فغسلهما في المطبخ ، واخذ يشعر بالانبساط تدريجيا وهو منحن على طشت الغسيل مغمور اليدين في الماء الدافيء . وعندما عاد الى الفتاة تنتظره في غرفته . كانت تنظر الى صندوق الكتب ، والتفتت اليه عندما دخل :
ـ او ، آسفة . ارجو الا يزعجك دخولي . . .
ـ كلا ، ابدا ما الخبر ؟
ـ يقول انه مضطر الى اخبار السلطات ، هذا كل ما في الامر .
ـ هل لك في كأس من النبيذ .
ونظرت وكانها تريد ان ترفض ، غير انه اخرج الزجاجة من الدولاب وقال : ـ ساخذ انا قدحا .
ـ حسنا ، قليل جداً ، رجاء .
كانت تلك الزجاجة هي نفسها التي فتحها في اليوم السابق ، وكانـت ما تزال مليئة تقريبا . وسكب الشراب في قدح ناوله اليها .
ـ تفضلي بالجلوس .
ـ اشكرك .

وجلست على كرسي الى جانب النار . كان لها وجه مدبب قوي ،وكانت عظام وجنتيها عالية . وكان فمها ممتلئا ، غير انه لم يكن شهوانيا . لو كانت اكثر رشاقة لكادت ان تكون جميلة . وكانت تتكلم بلهجة انكليزية تامة .

ـ ماذا تعتقد انه ينبغي علينا ان نفعله بهذا الشخص ؟

فقال :

ـ انا مستعد لقتله . انه يثير اشمئزازي .

ـ ماذا قال لك ؟

ـ لم يقل شيئا واضحا . كان غارقا في السكر ، جالسا على الارض عاري الجسد .

ـ عاري الجسد ؟

ـ نعم .

وسحب كرسيا وجلس في مواجهتها :

ـ اكاد لا افهمه . فمن الغريب انه لم يقتل نفسه . انه يشرب طول الوقت .

ـ من هو ، الا تعرفينه ؟

ـ كان يعمل مهندسا ، وقد ماتت زوجته . اعتقد ان لديه مالا . وهو يخطب ، في بعض الاحيان ، في حديقة هايد بارك عن الدين .

ـ ماذا يقول عن الدين ؟

ـ لا اعلم . انه يتحدث عن طائفة من الطوائف الدينية الروسية التي تؤمن بالرقص حول النار . وهو يثرثر كثيرا عندما يكون مخمورا . ويتحدث عن القتل ايضا .

ـ القتل ؟

ـ نعم . يدعي ان لديه سرا عظيما .. حول ـ ما اسمه ؟ .. جاك لا فانترير .

ـ جاك .. جاك القاتل ؟ آه ، تعنين جاك السفاك . ماذا يقول عنه ؟

ـ لا اعلم . انه يتكلم كثيرا عندما يكون سكرانا .

ـ ترى لماذا تحتمله المسز ميلر ؟ لم لا تلقي به خارجا ؟

ـ ولم تفعل ذلك ؟ انها لا تعيش معه في نفس المسكن . وهو ينقدها ثلاثة جنيهات في الاسبوع اجرا لتلك الغرفة . لا يدفع اي انسان اخر مثل هذا المبلغ .

وانهى قدح الشراب ، وسكب لنفسه قدحا اخر . اما هي فلم تكن قد شربت جرعة واحدة . وقالت: انه يخيفني. لقد سرق مني مرةزوجا من الاحذية.

وسمعت في هذه الاثناء جرس الباب الخارجي . فقفزت على الفور .
ـ يجب ان اذهب . انه لي .
ـ هل استرجعت الاحذية ؟
ـ نعم . وجدتها في دولابه . وداعا . اشكرك على الشراب .
ـ لا شيء . تعالي في احدى الامسيات يوم لا تكونين مضطرة الى المغادرة
وجلس وهو يحملق في النار الغازية . ثم انحنى ليلتقط قدحها الذي لم تلمسه . كان دافىء المذاق . وقال بصوت عال : يجب أن احصل على امرأة . لقد اخذ الجوع الجنسي يعصف بي . وراح يفكر في النساء الواقفات خارج محطة النفق في كامدن ، وعيونهن تلاحق من يمر بهن من الرجال . ولكنه ادرك في الحال انه لم يكن يرغب في المومسات . فانهن يهدمن شهيته ،كوجبة طعام في (روتن هاوس) . وجرع ما في القدح من الشراب ، وجلس الى الالة الكاتبة .

* * *

وفي تلك الليلة ، حدثت له رؤيا التشتت مرة اخرى . وافاق وهو يشعر بالحرارة وبقليل من السكر . كان ما يزال مرتديا كل ملابسه ، وهو يرقد على السرير . وكان جهاز الراديو القابع مقابل عينيه يئن بهدوء ، فقد داهمه النوم بينما كان يصغي الى حفلة موسيقية متأخرة . كانت الغرفة تسبح في الظلام الا من بصيص ينبعث من واجهة الراديو ، ومن الوهج الاحمر الصادر من مصابيح النيون التي كانت تضيء احد السينمات على الجانب الاخر من الشارع . وبينما كان يجول ببصره في ارجاء الغرفة ، طاف في ذهنه هذا السؤال : ماذا افعل هنا ؟ فقد بدا وجوده هنا وكانه لم يكن معنيا بذاته ، كان من المحتمل ان يكون في اي مكان او ان يكون اي شيء . وضيق عليه هذا الاحساس بالغربة ، فحاول ان يركز اهتمامه عليه ليستقصي طبيعته بصورة ادق . ولكن سرعان ما عصرت قلبه رعشة من الخسوف ، وافرغت كل ما في ارادته من القوة . لقد ادرك ان وجوده لم يستطع ان يفصل نفسه عن الوجود العام ليفحص ماهيته . وواجهه الوجود كالجدار الاصم واحس بانه مدفوع برغبة فطرية لان ينفذ خلال الجدار ، ليؤكد حقيقة ما وراء الجدار ، واستبد به الرعب الذي صاحب ادراكه بانه واقع في فخ الوجود ، وان لا سبيل الى الانفصال عنه . وكان الرعب الذي اصيب به كرعب الذي بترت ذراعه : امنف من ان يؤلم .
وعاد الى وجوده وهو راقد على السرير ، بهزة من الارتياح . وقفز من الفراش واجتاز الغرفة ليطفىء الراديو ، وهو يفكر : عبث أو غير عبث ،

فانني اختار ان اكون هنا .

وما ان عاد الى السرير ثانية حتى اخذ يحاول ان يخلق من جديد هذا الخوف ، والادراك الذي ولده ، ولكنه عجز عن ذلك . فقد استنزفته، كاشباع الرغبة الجنسية ، وراح ذهنه يصوغ الكلمات بدلا من الاحاسيس . ان الشعور الوحيد الذي استطاع ان يثيره ثانية في نفسه هو الاحساس بالغربة ، الشعور : باني لا انتمي الى هذا المكان . واخذ يتساءل بغموض ، وقد خسر المحاولة ليبقى متيقظا ، اليست البصيرة نوعا من الحارس ، من الروح الخيرة التي تتميز بالعدم ؟

وافاق ثانية اثناء الليل ، وشعر باشمئزاز غريب من جسده ، كان جسده قطعة من اللحم الميت . ثم ادرك فجأة ما الذي اثاره الغثيان في نفسه فكرة عدم وجوده .

* * *

واستيقظ مرة اخرى وداهمه احساس بان هناك شيئا يحدث . فنظر الى ساعته . كانت تشير الى النصف بعد العاشرة . وكان احدهم يضرب باب الرجل العجوز . وهتف صوت الفتاة الالمانية :

ـ افتح الباب ، رجاء . يريد احدهم التحدث اليك .

ورد العجوز بعبارة غير متميزة ، كانت كلماته مخنوقة . وتكرر الطرق على الباب . وصاح العجوز ثانية ، بصوت اوضح هذه المرة : ـ من هو ؟

ـ فقال صوت رجالي :

ـ ضباط الشرطة . ارجو فتح الباب .

واعتدل سورم في فراشه ، وتذكر الزجاجة حالا . وسمع جلبة فوق راسه ، وحركة قدمين عاريتين على ارض الغرفة . ثم تحرك شيء ثقيل ، قطعة من الاثاث . وصاح الصوت الرجالي ثانية :

ـ ارجو السماح لنا بالدخول رجاء .

لم يجب احد ، وتزحزح شيء اخر على الارض . واشتد الطرق على الباب واصبح اكثر الحاحا . وفجأة صاح الرجل العجوز ، بصوت حاد لاهث

ـ ماذا تريدون ؟

فاجابت الفتاة الالمانية مهدئة :

ـ مجرد بعض الاسئلة .   ـ عم ؟

فقال الشرطي   ـ افتح الباب ، لنتحدث .

كان صوت الرجل العجوز اجش ، يكاد لا يفقه ، وصرخ :

ـ اعرفكم ، اعرف الاعيبكم .

وكانت في صوته مسحة من الهستيريا . واخذ الشرطي يناقش الفتاة بصوت منخفض . ومشت الاقدام العارية على ارض الغرفة ، وسقط شيء على الارض محدثا قرقعة . وصرخ الشرطي :

ـ اذا امتنعت عن فتح الباب ، فسنقتحم الباب بالقوة .

وقفز سورم من السرير وارتدى سرواله . وفتش حوله عن نعليه ، ثم تذكر انه تركهما في المطبخ . وفتح باب غرفته فجاة ، واطلت الفتاة الالمانية . كان ما يزال على الارض ، يبحث تحت السرير . وسمعها تقول :

ـ لا يوجد احد هنا ، يمكنك الدخول .

واعتدل سورم بينما دخل الغرفة رجل ، فهمست الفتاة : اوه ، اسفة ، ظننت انك في الخارج .

فشعر سورم بالحرج ، وكان منثور الشعر ، ما يزال مرتديا سترة منامته . وسأل :   ـ ما الخبر ؟

ـ شش ، لا نريده ان يسمعنا . هذا السيد شرطي ويريد ان يصعد من سلم الحريق . هل لديك مانع من ان يمر خلال غرفتك ؟

ـ لا . بالطبع لا .

فاجاب الشرطي الذي يرتدي الملابس المدنية بصوت فظ :

ـ اشكرك يا سيدي .

ورفع سورم الجزء الاعلى من اطار النافذة ، فانزلقت بصرير من جراء عدم تزييت البكرات . وقطبت الفتاة . والتقط الشرطي صحيفة من جريدة كانت على الطاولة ، وقال بهدوء : هل تسمح يا سيدي ؟ ثم فرشها على السرير ووضع قدمه عليها ليتسلق خارجا من الشباك . كان رجلا قصير القامة ، له وجه مدبب يشبه راس الطير . وبقي في موقفه هنيهة محدقا في الغرفة العليا ، ثم تسلق سلم الحريق بهدوء . واخفض سورم النافذة قليلا ليقلل تيار الهواء .

وسأل الفتاة : ما الخبر ؟

فتململت وقالت : لا بد ان يكون معتوها . يريدون ان يوجهوا اليه بعض الاسئلة فقط .

ـ حول رميه القنينة ؟

ـ لا ، ليس لهذا السبب .

ـ ماذا فعل هذا العجوز ؟   فقالت بغموض :

ـ الامر يتعلق بجريمة قتل ، يعتقدون انه قد يعرف شيئا عن الموضوع وتناهى اليهما صوت ضربة مفاجئة على الباب كمن يريد ان يقتحمه .

وصرخ الرجل العجوز .

ــ لا يمكنك ان تدخل .

فهرعت الفتاة الى الشباك واخذت تنظر الى الاعلى . وصاح الشرطي :

ــ اخبري برت ان يأتي للمعاونة . فلا بد ان نكسر الباب .

واسرع سورم الى الباب . ولكنه قبل ان يصل اليه دخل الشرطي الاخر الى الغرفة راكضا ، ورفع الشباك وتسلق خارجا .

فقالت الفتاة :

ــ ماذا يبغي هذا المجنون ؟ لا يريد احد ايذاءه .

والقت بنفسها على السرير ثانية واشرابت بعنقها خلال النافذة .

وانطلق الباب مفتوحا بدوي عنيف . وصدر صوت الرجل العجوز يائسا :

ــ لا تقتربا مني .

فالتفتت الفتاة وحملقت في وجه سورم . وسمعا صرخة الم مفاجئة اجمدت الدم في عروقهما . فقال سورم :

ــ يا الهي ، ماذا فعل ؟ اعتقد انه من الافضل ان اذهب للمساعدة .

وحالما تسلق الى النافذة راى الدخان الاسود المنبعث من خلال الباب . وتسلق السلم مسرع الخطوات . لم يتمكن ان يرى ما في داخل الغرفة لشدة الدخان واللهيب . وصاح احد الشرطيين : افتح النافذة ، وخبت السنة اللهيب برهة من الزمن ، فاستطاع ان يرى ان النار كانت عند الباب فقط . فتقهقر الى الخلف متكئا على قضيب سلم الحريق ثم القى بنفسه في الغرفة وكان الدخان قد ملأ الغرفة كالضباب البني . كان العجوز يتلوى من الالم على الارض . وكانت النار مشتعلة فيه . وكان الشرطيان يحاولان اخماد اللهيب بالاغطية . وفتح سورم النافذة على الجانب الاخر من الغرفة ،وتنشق الهواء النقي وهو يحس بالامتنان . وحينما ادار راسه الى داخل الغرفة استطاع ان يتبين ان النار كانت تندلع من علبة زيت ملقاة بالقرب من المدفاة، والزيت ما يزال يتدفق منها . فركض نحوها وسدد لها ضربة بقدمه اطارتها خلال الباب الى باحة الدار . وتدحرج الرجل تحت قدمه وهو ما يزال يصرخ وسقط سورم على السرير ولكنه استرجع توازنه ورفع الفراش من السرير والقى به وسط اللهيب . فصغرت حالا مساحة اللهيب الى بقعة صغيرة ، واخذت تتطاير حول اطراف الفراش . وصاح احد الشرطة بصوت خشن : احسنت صنعا ، وتوقفا عن الضرب بالاغطية والقيا بها فوق النار . وفتح سورم دولاب الملابس ورمى بكل ما استطاع ان يجده من الثياب . وتخدشت عيناه وحنجرته من الدخان . واخذ يطأ بقدمه على السنة اللهيب التيبقيت

متأججة ، وهو يرتطم بالشرطيين في ترنحه كالثمل ، ويسعل في غمرة الدخان وكان الرجل صامتا ، على الارض .

وشتت تيار الهواء القادم خلال الغرفة سحب الدخان . وترك سورم الشرطيين ليطأ اللهيب ومضى ينتزع الصندوق والكراسي التي وضعهـا العجوز خلف الباب . وادار المفتاح وفتح الباب . وكاد أن يسقط على الدرج من شدة شوقه ليتنفس الهواء الطلق .

وقاوم رغبته في ان يغلق الباب خلفه ليعزل نفسه عن الدخان ورائحة الزيت الكريهة . وجلس على اعلى السلم متكئا على الافريز ، واخذ يتنفس تنفسا عميقا . وبعد قليل ، تلاشى الالم في عينه ، وشعر بالسخام يغطيه من قمة رأسه الى قدميه ، وبعد ان ذهب شعوره بالاختناق عاد الى الغرفـة مرة اخرى . كان الشرطيان يقفان خارج الغرفة على سلم الحريق يلهثان . وقد انطفأت النار . وكان الرجل العجوز يرقد بلا حراك تماما في وسط الغرفة واستدار سورم وهبط السلم ثانية . فوجد ثلاثة اشخاص في غرفته يتأملون من خلال النافذة. فشعر بالغثيان ولوى رأسه وسارنحو المطبخ. وفتح صنبور الماء ووضع رأسه تحته . وخلع عنه المنامة واخذ يمسح جسده باسفنجـة مبللة ، فهدأت الحرارة التي كانت تضطرم في جسده واحس ببرودة رغيدة. كان جسده يتوجع ويرتعش كمن تعرض لضرب مبرح . فمسح بالاسفنجـة والصابون على وجهه وصدره ثم اخفض سرواله ، وراح يمسح جزءه الاسفل وبعد أن جفف نفسه شعر بتحسن . واخذ الماء يقطر من شعره الذي تشرب بالماء فانساب على كتفه ورقبته . واخذ يمسح شعره بعنف ، ثم راح يسرحه وهبط السلم ثانية ، حاملا بيده المنامة .

كان باب غرفته مغلقا ، وقد جلس فيها الشرطيان ونزعا معطفيهمـا وسترتيهما . وكان الرجل العجوز راقداً على الفراش ، يئن بصوت خافت فنظر اليه الرجلان عند دخوله وانفرجت شفتاهما عن ابتسامة . وقـال احدهم معلقا :

ــ اللعنة ، اعتقدت اننا قضي علينا اليس كذلك يا جاك ؟

ورمق المدعو جاك السرير ، قائلا :

ــ ايها النغل البليد . لم يفعل كل ذلك ؟

فنظر الاخر الى سورم وقال :

ــ شكراً للمساعدة .

ــ لا شيء . هل تلقيان القبض عليه ؟

ــ كنا نبغي ان نوجه اليه بعض الاسئلة فقط .

كان راساهما وايديهما مسودة من القذارة ، وكانا يتصببان عرقا .
فقال سورم سائلا :
ـ هل لكما بشيء من الشراب ؟
فقال المدعو جاك :
ـ بل انها لفكرة بديعة .
فقال الاخر :
ـ ماذا ؟
ـ شراب او بيرة .
ـ بيرة لي .
ـ ولي ايضا .
وفتح زجاجة الجعة الخفيفة وسكب منها في قدحين واناء من الخزف وشرب حصته جرعة واحدة طويلة . ودفع الزجاجة اليهما قائلا :
ـ تفضلا واشربا .
ـ شكرا .
ـ اين كارلوتة ، الفتاة الالمانية ؟
ـ لقد ذهبت لطلب سيارة الاسعاف تلفونيا .
وفي اثناء ذلك دخلت الفتاة الى الغرفة وقالت :
ـ سيحضرون بعد قليل . كيف حاله ؟
فهز المدعو جاك كتفه وقال :
ـ لا يمكننا الجزم وهو بهذه السن . أن اصابته بالحروق ليست بليغة ولكنه اصيب بصدمة .
كان الرجل العجوز يرقد على السرير ، مفتوح العينين ، يتنفس بصعوبة وطفق يئن . وقال سورم :
ـ سأذهب لارتداء ملابسي ، عن اذنكم .
واخرج سروالا مكويا بعناية من الدرج ، وثوبا وربطة عنق . وملأ الشرطيان قدحيهما ثانية حتى افرغا الزجاجة ، وتجاهلا الرجل العجوز .
فتبعته الفتاة خارج الغرفة وقالت له :
ـ يمكنك الانتظار في غرفتي أن اردت . وستصل سيارة الاسعاف بعد قليل .
كاد أن يرفض ، ولكنه غير رايه :
ـ شكرا ، اين هي ؟
ـ تعال أدلك .

وسبقته في الهبوط على السلم ، فقال لها سائلا :
ــ ماذا فهمت من الوضع كله ؟ ما هي حقيقة الامر ؟
ــ لا ادري ، لا اعرف اكثر مما تعرفه أنت .
وكان يتوقع لسبب ما ان يجد غرفتها موحشة ، غير ان غرفة الجلوس كانت واسعة وثيرة الاثاث . وكانت ارض الغرفة مغطاة بالسجاد . وفتحت نورا عاليا للقراءة ينتصب الى جانب الاريكة ، نشر ضياء ورديا دافئا . وكانت هنالك مدفأة كهربائية مثبتة في الجدار تشتعل . وحينما تركته منفردا ، ارتدى ملابسه وسرح شعره ، ثم راح يجيل بصره في الكتب المصفوفة على الرف ، كانت جلها باللغة الالمانية . ولفت نظره أن سريرها في الزاوية كان واسعا ، فخطر له بصورة تلقائية : يسع شخصين ، ثم فكر : لا ، ليس من الحكمة في شيء ان تكون لك خليلة في بيتك ، يمكنها ان تراقبك بدقة . ومع هذا ، فقد طاف ببصره باهتمام على الصور المرتكزة فوق الدولاب ولم يجد بينها صورة رجل شاب . كانت هناك صور تمثل عائلتين وصورة فتاة تبدو في سن اصغر بعشر سنوات ، ذراعها يلتف حول خصر فتاة شقراء ، وكانتا ترتديان الملابس البافارية .
وفتحت الباب من خلفه . كان يتوقع الفتاة ، واذا به الشرطي المدعو جساك يدخل .
ــ هل اوجه لك بعض الاسئلة ؟
ــ تفضل . عن ماذا ؟
ــ تفضل بالجلوس اولا .
واخرج من جيبه دفتر ملاحظات وقلم حبر جاف . وجلس سودم على الاريكة .
ــ والان ، لنر . انك تسكن هنا منذ يوم السبت فقط ، فلا اتوقع منك ان تعرف الكثير عن هذا العجوز ؟
ــ لا شيء على الاطلاق ، في الواقع .
ــ ولكنك صعدت الى غرفته يوم امس ؟
ــ لبضع دقائق فقط .
ــ طيب . الم تتكون لديك اية فكرة عن اوراق يحفظها عنده ؟ شيء قد يريد اتلافه حرقا ؟
ــ لا اعتقد ذلك ، فلم امكث عنده غير دقيقة ونصف فقط .
وتنهد الرجل وقال :
ــ طيب .... حسنا . هلا شرحت لي ماذا حدث في الليلة الماضية .

ووصف سورم مقابلته مع الرجل العجوز ، واخذ يعيد ، ما استطاعت ان تسعفه به ذاكرته ، كل ما جرى بينهما من حديث . ولم يقاطعه رجل الشرطة الا مرة واحدة حيث قال :

ــ هل اتيح لك ان تلقي نظرة على الخارطة ؟

ــ كلا ابدا . لقد مررت من هناك فقط .

ــ هل كانت خلف باب الدولاب ؟

ــ نعم .

ــ خارطة شوارع ؟

ــ اعتقد ذلك .

ــ هل يمكنك التعرف على خارطة وايتشابل لو رأيتها ؟

ــ لا اعلم . ربما استطيع . من المحتمل جدا انها خارطة وايتشابل .

ــ اعتقد ان كارلوتة حدثتك عن فكرته المضحكة ، قضية جاك السفاك .

فاجاب الرجل باكتئاب : اجل . واغلق دفتر الملاحظات واعاده الى جيبه ثم قال : ــ حسنا ، اعتقد ان هذا هو كل ما اردت ان اسالك عنه .

وقال سورم :

ــ هل ان القضية سر ، ام يمكنك ان تحدثني عن ماهية الامر ؟

ــ انه مجرد تحقيق روتيني في قضية جرائم القتل التي حدثت في وايتشابل . اخبرنا احدهم عنه انه احد المشبوهين . ونحن ملزمون بأن نقوم بهذا التحقيق .

ــ ما هي جرائم القتل في وايتشابل هذه ؟

ــ الا تقرأ الصحف ؟

ــ كلا ، الا عندما اكون مضطرا ، ولست مضطرا على الغالب .

واشعل الشرطي سيكارة وانتصب واقفا وهو يبحث عن نفاضة سكاير وقال : ــ انت ، رجل محظوظ . اقرأ صحف اليوم فتجد كل ما تبغيه عنها .

ــ كيف نفذت هذه الجرائم ؟ اقصد ما هو السلاح المستخدم ؟

ــ عدة انواع : مطرقة ، مقص ، سكينة .

ــ وكم عدد القتلى الى الان ؟

ــ اربعة .

وقال سورم متسائلا :

ــ ولكن كيف علمت ان الذي اقترف هذه الجرائم كلها هو شخص واحد ؟ طالما كانت وسائل القتل مختلفة حقا . .

وقاطعه الشرطي بقوله :

ـ اصغ ، سؤالك لي لا يجديك شيئا ، اقرا جريدتك ، فلست المسؤول عن هذه القضية . اني اقوم بعمل روتيني وحسب .
ـ من المسؤول اذن ؟
ـ المفتش ماكمردو ، سكوتلانديارد .
وفجأة رن الجرس في الشقة ، وهتف الرجل :
ـ آه ، لا شك انها سيارة الاسعاف .
وراح يخطو نحو الباب ، وقبل ان يبلغ عتبتها ، سمعا وقع اقدام تهبط السلم بسرعة ، ففتح الباب وتوقف هناك واخذ يسترق السمع . وقال سورم:
ـ اتعلم ، الغريب انــه . . .
ـ ماذا ؟
ـ الطريقة التي تصرف بها . يظهر انه كان يعتقد انكما كنتما تبغيان توقيفــه .
ـ غريب جداً . اود ان اعرف سبب ذلك .
ـ اعتقد ان به لوثة في عقله .
ـ ينبغي ان ارحل الان . شكرا على المساعدة .. والبيرة .
ـ لا ابدا .
ووجد جريدة الصباح على مائدة المطبخ . وقد كتبت الجريدة بعناوين بارزة في صفحتها الداخلية : اكبر قضية تحقيق حتى الان . وتناول الجريدة وحملها الى غرفة الجلوس واقتعد الكرسي وانشأ يقرا . وكانت الصفحـة الاولى تحمل صورة فتاة مكتنزة الجسم ، ممتلئة الشفاه ، كتب تحتها :
« البحث مستمر عن القاتل المجنوٰن في لندن . جرى يوم امس تسخير جميع من توفر من رجال في اكبر ملاحقة عرفتها العاصمة حتى الان عن مجرم سدد اربع ضربات خلال احد عشر شهرا . وقد قال المحقق ماكردو في وقت متأخر من الليلة الماضية في حديث له الى الصحفيين ان الشرطة قد حصلت على ما يكفيها من الادلة للاعتقاد بان قاتل كريتشن ويدمان الموديل السابقة البالغة من العمر خمســة واربعين عاما والتي وجدت مصابة بطعنة مميتــة صباح يوم السبت ، هو نفسـه قاتل مارثا ترنر (٦ كانون الثاني) ، وخوانيتا ميلر (٣ نيسـان) وكاترين ايدوز (١٧ اب) .
« قتلت مارثا ترنر بضربة مطرقة في شارع جورج ، سبتاليفلدز . امـا خوانيتا ميلر ، فطعنت بمقص . وكاترين ايدوز ، مثل لاحقتها كريتشـن ويدمان طعنت بسكين .
« يكاد يكون اعتقاد رجال الشرطة جازما بانهم يلاحقون الان قاتـلا

مجنونا ذا ميول سادية ، تعاوده بين الحين والاخر شهوة القتل . ويجري رجال الشرطة ، منذ صباح يوم السبت ، تحقيقا من بيت الى بيت في كل ناحية من انحاء وايتشابل .

« وقد حقق البوليس كذلك مع اصحاب الاكشاك في سوق « بيتي كوت لين » حول رجل يحمل موسى حلاقة يمزق بها ملابس النساء الداخلية المعروضة للبيع هناك .

« وقد وصل مساء يوم امس الى غرفة التلفون في مبنى سكوتلانديارد حوالي مائتي نداء من اناس يظنون ان لديهم معلومات عن القاتل .

« وتحدث المحقق ماكمردو في الليلة الماضية قائلا : ليست هناك تطورات جديدة في الموضوع ، ولم يزل رجال الشرطة يأملون في القاء القبض على القاتل في اقرب وقت . »

ودخلت الفتاة في اللحظة التي انهى فيها قراءة الخبر ، وقالت :

ــ غرفتك خالية الان .

فقام على قدميه وهو يقول :

ــ اوه ، شكرا .

ــ هل لك في قدح شاي ؟

ــ نعم . شكرا جزيلا .

وصاحت من المطبخ :

ــ اخبرني رجال الشرطة انك قمت بعمل عظيم .

فاجاب متضاحكا :

ــ لا تحدث دائما حوادث مثيرة كهذه قبل الغداء .

ووقف عند مدخل الباب ، يراقبها تضع الشاي بالملعقة داخل الاناء ، ثم ترفع ابريق الماء الذي كان يصخب بازيزه . وقال :

ــ الا تسخنين ابريق الشاي ؟

ــ كلا ابدا ، واني لعلى يقين من ان المذاق لا يتغير ابدا ، يقول اصدقائي من الانكليز انه يتغير ، ولكني لا اشعر به .

فاجاب بلامبالاة : ــ يجوز .

فرمقته بنظرة ودية مفاجئة . وقالت :

ــ حسنا ، عندما اهيىء لك الشاي في المرة القادمة ، ساسخن الابريق

وارتسم الجد على محياه وقال :

ــ هل تعتقدين ان هناك اي امل في عودة هذا العجوز ؟

فقالت بلهجة مؤكدة :

ـ آمل الا يعود .
ـ هل قرأت جريدة الصباح ؟
ـ بعـــــد .
ـ تذكر الجريدة أن الشرطة تلقت اكثر من مائتي نداء حول قاتـــل وايتشابل هذا . يبدو ان احد هذه النداءات يتعلق بالعجوز .
وناولته الشاي في اناء خزفي رقيق الصنع . فقال سورم :
ـ شكراً ... لا ريب انه من المستحيل أن تكون لهذا الشخص علاقة بجرائم القتل هذه ، أليس كذلك ؟
ـ اظن ذلك .
وعادا ثانية الى غرفة الجلوس ،فجلست هي على الاريكة :
ـ اعتقد انه يمكنه ان يثبت انه لم يكن في محل الجريمة ، فهو يلعـب الاسطوانات طوال الليــل .
ووضع قطع السكر في قدحه ، واخذ يدير الملعقة ، وهو يقول متأملا :
ـ ومع هذا ، فمن الممكن ان يجعل من ذلك خدعة . فكل ما يحتاجــه هو غرامافون أوتوماتيكي وكومة من الاسطوانات . ما اروعها قصة بوليسية ، الا تعتقدين ذلك ؟ رجل يوقظ الجيران ليبرهن كونه بعيداً عن محل الجريمة . وفي احدى الليالي ، يضع كومة من الاسطوانات في الغرامافون ويتسلل خلال سلم الحريق ليقترف جريمة ويعود ادراجه بعد ساعتين . عقدة محكمة .
ـ لم لا تفاتح الشرطة بذلك ؟
فاجاب :
ـ سأفعل ، اذا ما تبين لي ان هذا النغل العجوز سيعود . ساضـع الخطة لادانته . واعلن باني رأيته يتسلق سلم الحريق بحذاء من المطاط وهو يحمل باحدى يديه فاسا ملطخة بالدماء ، فيتقرر بذلك مصيره .
فانفجرت الفتاة بحنان غير متوقع ، قائلة :
ـ مسكين هذا العجوز . كان ينبغي ان تكون له عائلة ترعى شؤونه .
واغضبه ما كانت تبطنه في كلماتها من لوم لصلابته . وقال وقد طفح وجهه بالبشر :
ـ اجرؤ على القول بان له عائلة بالفعل ، ولكنها تختفي لتتفاداه . هيا تأملي في الامر .
ـ يجب عليك الا تكون بهذه القسوة تجاهه .
ـ الم يوقظك طوال الليل باسطواناته الملعونة .
واحتسى الشاي . كان رديئا جدا ، خفيفا ، لم يبق المدة الكافية على

النار . فاضاف اليه كمية اخرى من الحليب ليلطف من مذاقه ، ثم افرغه في جوفه جرعة جرعة . وقالت له : المزيد من الشاي ؟

ــ كلا ، اشكرك . يحسن بي ان اذهب . وبالمناسبة ، هل القيت نظرة في تلك الغرفة ؟

ــ كلا ، لم ؟

ــ لا ادري هل الحروق فيها جسيمة ؟

ــ لماذا ؟ هل تريد أن تنتقل اليها ؟ فقال :

ــ قد تكون فكرة معقولة ، في حالة رغبة النزيل الاخر في ان يقوم بحركات بهلوانية طول الليل ، او ان يدرب حصانا على الرقص .

الفصل الثـالث

وهتف من كان على الطرف الثاني من خط التلفون :

ـ مكتب الاخبار .

ـ هل المستر بيل موجود رجاء ؟

ـ يتكلم .

ـ هلو ، بيل . جيرارد يتكلم .

ـ هلو ، ايها الزميل ، كيف الحال ؟

ـ انتبه يا بيل . لقد وقع شيء غريب في المحل الذي اسكن فيه . لقد حاولت الشرطة القاء القبض على رجل عجوز باعتباره مشبوها في قضيـــة وايتشابل .

ـ هـــل وصل الخبر الى اية جريدة اخرى ؟

ـ لا اظن ذلك .

ـ ماذا حدث ؟

ـ وضع العراقيل خلف باب غرفته واشعل فيها النار .

ـ يا السماء ! وماذا وقع بعد ذلك ؟

ـ حطموا الباب . وهو الآن في المستشفى يعاني من الحروق .

ـ ابق على الخط . . . طيب ، اعطني العنوان ، كولنديل ، اليس كذلك؟

ـ كلا فقد انتقلت الى كينتش تاون .

ـ حسنا . طيب . هل يمكنك المجيء الى هنا .

ـ الى المكتب ؟

ـ نعم ، كلا ، بل الى مقهى « جو » في شارع كارملايت ، تلك المقهـــى التي قصدناها يوما مع كريت ؟

ـ مضبوط . سأذهب هناك في الحال ، وارجو ان اراك خلال نصف ساعة .

ـ انتظر . ابق على الخط . اعطني العنوان ، سنوفد شخصا الى هناك حالا .

ـ حسنا . ولكن ارجو ان تسدي لي معروفا ، لا تذكر اسمي ، فقد تستنكر ذلك صاحبة البيت . اوص من ترسله ان يقول لها انه علم بذلك من الشرطة او ان احد الجيران اوصل الخبر الى مكتبكم ، مفهوم ؟

ـ نعم اعطني العنوان .

ومشى عائداً الى مسكنه مسرع الخطى دافنا يديه في جيوب معطف المطر . ولاحت السماء في شهر تشرين الثاني هذا مقرورة داكنة .

واسند دراجته الى شباك المقهى في شارع كارملايت ، ووضع القفل في العجلة الخلفية . كانت تجرى في الشارع بعض الاصلاحات وكان ضجيج المثقب الهوائي قد غمر الهواء باهتزازات عنيفة طمست ضوضاء مكائن الطباعة في الجهة المقابلة . وبدأت المقهى تغص بالجموع التي تتدفق وقت الغداء . ولم يجد اثرا لبين في كلا الصالتين . وخلع معطفه والقاه على طاولة خالية في احدى الزوايا ليحجزها ، ثم ذهب الى طاولة البار ليعين طلبه . وحينما عاد الى محله وجد رجلا يجلس هناك . فقال سورم بفتور :

ـ هلو ، بوبي . فاجاب الرجل :

ـ انني بخير يا جيرارد ، كيف انت ؟ ارجو الا يزعجك وجودي هنا ؟ والقى نظرة قلقة بعينيه النديتين . فقال سورم :

ـ كلا . اني بانتظار بيل بين .

ـ لا بأس . سارحل عندما يأتي . حسنا ، انك تبدو بخير ، ايها الصبي

ومضى سورم يتأمل ذلك الوجه المجهد ، غير الحليق ، وندم للفظاظة التي عامل بها الرجل . وبدا له هذا الرجل الاسكتلاندي ، وكانه لم يذق الطعام او النوم لايام عديدة . فقال له سورم :

ـ هل اقدم لك فنجانا من الشاي ؟

ـ كلا اشكرك يا جيرارد . فقد شربت توا . ولكن هل ادلك على ما يمكنك ان تفعله . اني اكاد اموت ظما لنفثة من الدخان ، ولا املك غير بعض القروش ، فهل يمكنك اقراضي شلنا او اثنين ، شلن واحد يكفي .

وقال سورم متضايقا :

ـ لا ادري . اظن ذلك .

واخرج محفظة نقوده وسلخ منها ورقة بنصف جنيه كانت مطوية

وناولها الى روبرت دروموند .
ـ اذا استطعت ان تصرف هذه الورقة ، يمكنك ان تأخذ منها شلنين .
ـ اشكرك ، ايها الرجل . لقد انقذت حياتي حقا .
ونظر سورم الى ساعته ، كانت النصف بعد الثانية عشرة . وعاد دروموند وقذف ببقية الشلنات امام سورم ، وقدم علبة السكاير المفتوحة اليه ، فهز سورم رأسه قائلا :
ـ اشكرك ، لا ادخن .
ـ انت سعيد الحظ .
ولاحظ سورم اليد المرتعشة التي كانت تشعل السيكارة .
وجلس الاسكتلاندي واطلق من فمه نفثة من الدخان ، ثم بصق بقطعة من التبغ كانت قد علقت بشفته السفلى ، واغمض عينيه وقال :
ـ آه !. هذه اول سيكارة ادخنها اليوم .
وفتح عينيه ، ورمق سورم لاول مرة بنظرة مباشرة :
ـ حسنا ، ايها الصبي ، ماذا كنت تفعل منذ اخر مرة رايتك فيها ؟
ـ لا شيء . اخبرني يا بوبي ، هل تعرف شيئا عن حوادع القتل في وايتشابل !
ـ ما قراته في الجرائد فقط . لماذا ، هل تعرف انت شيئا عنها ؟
ـ كلا . الا يوم امس . لم اكن قد سمعت بها مطلقا . فلم اقرا الصحف
فقال دروموند :
ـ هل اخبرتك يوما عن حادثة القتل التي الفيت نفسي مشتبكا بها في كلاسكو ؟
ـ كلا .
ـ طيب . لم تكن لي علاقة بها تماما ، ولكن الفتاة التي تسكن الغرفة المجاورة وجدت مخنوقة في احدى الليالي . وما يضحك في القضية هو اني سمعتها تصرخ ، ولكني بقيت راقدا ولم افعل شيئا .
ـ لماذا ؟
ـ لماذا ؟ من الصعب الاجابة .
وراح يتطلع الى سيكارته الثانية وهو ساهم . وصاحت المرأة : معلاق وبطاطة . فالتقط سورم الصحن من الطاولة ودفع الثمن . وعندما جلس ، قال الاسكتلاندي على مهل :
ـ نعم ، بل يمكنني ان اخبرك السبب . هل حدث لك يوما ان احتجت شيئا بشدة ؟ احتجت اليه اكثر مما يستحق ؟

فاجاب سورم : احيانا . وراح يرش عصير الطماطة فى الصن .

ــ كانت الفتاة بديعة الشكل ، هل تدرك ما اقصده ، ليست جميلة . ولم يكن لها اصدقاء دائمون من الرجال ، ولكنها ، حسب ما كنت أعلمه ، لم تكن نقية عفيفة الى هذا الحد . فقد كان يحدث احيانا ان يقضي معها احدهم ليلة ، وليس نفس الرجل في كل مرة ، تلاحظ ؟ وكثيرا ما كنت اشعر برغبة في أن أطرق الباب عليها واختلق عذرا ما واقول لها : ما رايك في الامر ، يا عزيزتي ؟ لا اعتقد انها كانت سترفض ــ لا اعتقد ابدا .

فقال سورم ، وهو يمضغ قطعة الملاق في فمه :

ــ لم لم تفعــل اذن ؟

فهز كتفيه وهو يطفىء عقب السيجارة :

ــ لا ادري . كنت أصغر سنا فى ذلك الحين ... خجولا .

ونظر الى سورم واشرق وجهه بابتسامة مفاجئة . كانت ابتسامة تنم عن البساطة والاخلاص الى حد غريب .

ــ وحدث في تلك الليلة ان سمعتها تصرخ واعتقدت انها رأت كابوسا . وفكرت فى نفسي : لم لا اغتنم الفرصة الان ؟ وكدت اصل الباب . ولكنــي اخذت ارتعش وكان العرق يسيل مني ، وبالرغم من انني كنت افكر منــذ مدة طويلة في المسالة الا انني لم اكن متهيئا لان افعل فعلتي بهذه الصــورة المفاجئة . ولبثت مستلقيا على السرير ، احس بقلبي يخفق ، وكنت احاول ان ابعث الجراة الى نفسي . وسمعت حركة ، وفكرت : لا تستطيع النوم .. ولم اذهب . وفي اليوم التالي وجدوها جثة لا حياة فيها .

ــ هل قبضوا على القاتل ؟

ــ نعم . القوا القبض عليه . كان جنديا ، قتلها طمعا فى ثلاث بــاونات كانت في حقيبتها .

فقال سورم :

ــ اوف ايها الحقير . يا لها من فتاة مسكينة .

وقال الاسكوتلاندي :

ــ هوذا بيل .

والتفت سورم في اللحظة التي دخل فيها بين الغرفة . فلوح له بيــده فنهض دروموند واقفا وهو يقول :

ــ سأرحـــل .

فقـــال سورم :

ــ اذا لم تتوقف عن التدخين المستمر ، فستحتاج الى علبة سكايــر

اخرى بعد نصف ساعة .

ـ انك على حق يا جيرارد . اشكرك على القرض .

وشد دروموند بيده غير المغسولة التي كانت تغطيها شعيرات حمـــراء على ذراع سوردم . وصاح بين قرب طاولة البار .

ـ شاي لكليكما ؟ فقال دروموند :

ـ ليس لي ، فاني مغادر . وداعا يا عزيزي ! وقال سوردم : ـ وداعا .

اقبل بـين يحمل فنجانين من الشاي . وقال : ماذا اراد ؟

ـ لا شيء ، جاء ليتحدث فقط .

ـ يتحدث ؟ الم ينصب لك شركا ؟

ـ شلنين فقط .

ـ علمت ذلك . فهو يحاول ان يستنزف المال مني كلما رآني . علمت انه قد اقتطع منك شيئا .

وقال سوردم :

ـ تبدو مريضا .

كان وجه بين شاحبا . كان وجها نحيفا بارز التقاطيع ذا ذقن منفلق الى نصفين ، وكان عندما يظهر عليه الاعياء تصطبغ بشرته بلون مخضر كزلال بيضـة البط .

ـ اني مريض فعلا . اكاد احتضر من النعاس . لقد بقيت ضعف ساعات الدوام في المكتب ، لان زميلي مصاب بالانفلونزا .

ـ هل ارسلت مخبرا ؟

ـ نعم ، هو في طريقه الى هناك الان . قلت له ان الحادثة بلغتنا عـن طريق الشرطة .

اخبرني ما حدث .

وكرر سوردم القصة ، مبتدئا بها من حادثة قذف القنينة . واخذ بين يحتسي فنجان الشاي على مهل ، وهو يصغي الى القصة من غير ان يقاطع . ثم قال متسائلا :

ـ هل تعرف الى اي مستشفى نقلوه ؟

ـ لا .

ـ لا يهم . يمكننا ان نحقق عن ذلك . كما ان القصة تلوح مثيرة . قلت انه كان يحاول اتلاف شيء ـ اوراق ؟ يظهر ان رجال الشرطة كانوا يراقبونـه ولكني اشك في ان يكون هو الرجل الذي يبحثون عنه .

ـ لماذا ؟

ــ قلت ان الرجل كان ضئيل الجسم ؟ يشير تقرير الطبيب الى ان الذي طعن الفتاة هو رجل طويل القامة . يمكنهم معرفة ذلك من زاوية الطعنة .

ــ لم اقرأ الصحف ابداً . حدثني بكل ما تعرفه عن القضية .

ــ لا يعرف احد الكثير ، الا ما تذكره الصحف في عناوينها .

ــ ولكني لم اقرأ حتى عناوين الصحف . ولم أسمع بهذه الجريمة الا في ذلك اليــوم .

ــ عليك بقراءة الصحف ، يا جيرارد . لا يمكن للمؤلف ان يستغني عنها

فاجاب سورم بتردد :

ــ اظن ذلك .

ثم احتسى بقية الشاي وراح يتفرس في قطعة السكر الملتصقة بقعــر الفنجان وقد اجتاحته حالة من التأمل ، وقال :

ــ حدثني عن هذه الجرائم .

ــ الم تقرأ شيئا مطلقا ؟

ــ فيما يخص الفتاة ، يوم الجمعة ، فقط . اين قتلت ؟

ــ في احدى نواحي وايتشابل . ولم اكن مسؤولا عن مكتب الاخبــار مساء الجمعة .

وكان بين ينظر عبر رأس صاحبه باتجاه الباب . وفجأة لوح بيده هاتفا: مارتن ! ثم التفت الى سورم قائلا :

ــ هوذا الرجل الذي يمكنه ان يخبرك .

وتحول بين الى كرسي جانبي ليفسح المجال لمارتن الذي كان يجتــاز الغرفة وقال :

ــ اظنك تعرفت بمارتن ميسن ، يا جيرارد ؟ فقال سورم :

ــ كلا . تشرفنا .

كان للرجل وجه نحيف يشبه المنقار وعينان كعيني الطير . وكــان كتفاه صغيرين متهدلين . واحنى رأسه قليلا لسورم ، وهو يضع قبعته تحت الكرسي بعناية .

ــ مارتن ، يريد جيرارد ان يعرف عن هذه الجرائم . فهيا اعطه الخلاصة

ــ الا يقرأ الصحف ؟

فقال سورم بصبر :

ــ كلا ، الا عندما اكون مضطرا . فقال ميسن :

ــ انت من الذين لا يتقيدون بما هو مألوف ، ها ؟

كان صوته ناعما يصدر من انفه ، رتيبا ، صوت يبدو معدا اعدادا تاما

للسخرية .

وابتسم سورم ليخفي اشمئزازه ، وقال :

ـ علمت انك كنت فى مكان الحادث فى احدى هذه الجرائم ؟

فقال ميسن وهو يحرك الشاي :

ـ اجل ما الذي تريد ان تعرفه عنها ؟

ـ الى اية جريمة تشير ؟

ـ الثالثة ـ كاترين ايدوز .

فقال بين :

ـ ظننت انها الثانية .

ـ كلا . كانت الثانية مقتل الراقصة الاسبانية خوانيتا ميلر . كان جمي وسام المسؤولين عن استقصاء اخبارها .. كانت امراة رائعة .

وقــال سورم :

ـ وماذا عن القضية الاخرى ؟ هل حضرتها ؟

ـ نعم ، ولكن فيما بعــد ، في معرض الجثث وكانت مغطاة ، ولــم يكن من المستطاع مشاهدة شيء منها . كانت امراة صغيــرة الجسم فــي متوسط العمــر .

وتساءل سورم :

ـ هل كانت من الجرائم الجنسية ؟

ـ لا يمكن الجزم بذلك ..

ـ لم لا .

ـ كانت عاهرة .

ـ والمراة الاخرى ؟ فقال ميسن :

ـ كانت كذلك ايضا .

وابتسم ، كالحاوي الذي نجح فى عرض لعبة . اما سورم فقــد وجد ان كراهيته لهذا الرجل كانت تتركز في انفه المبقع الذي كان يشبه منقــار الطــير .

وقــال بين معترضا :

ـ لم تكن الفتاة الاسبانية من البغايــا .

فقــال ميسن محدقــا :

ـ لم تكن افضل من العاهرة ، لقد اضطجعت مع عدد كبيــر مـــن الرجال حتى تعسر احصاؤهم .

فقال سورم :

ـ قل لي . هل تاكد ان الجرائم الاربعة اقترفها رجل واحد ؟

فقــال ميسن :

ـ ليس من المؤكد . لقد ماتت خوانيتا ميلر وكاترين ايدوز بطعنــــة سكين ، ولكنها لم تكن نفس السكين . كما ان السكين وجدت ملقـــاة بالقرب من الجثة في كلتا الحالتين . كانت الاولى سكين صيادين ، امـــا الثانية فكانت سكين مطبخ اعتيادية . غير ان ما يدعو الى الـدهشة هـو ان القاتل لا بد وان تلطخ بالدماء ، ومع هذا فمن المعتقد انه عاد الى لنـــدن وقت الفجر .

فقــال بين :

ـ ليس ذلك بالامر العسير ، فلندن تكون مهجورة نوعا ما في تلك الساعات . فقال سورم :

ـ هناك تفسيرات ثلاثة لذلك . من المحتمل ان الشخص هـــو مـــن ابناء الحي نفسه ، فلا داعي في هذه الحالة ان يبتعد كثيرا ، او أن تكون لديــه سيارة ، او انه كان يحمل معطفــا كان قد خلعــه عــن نفسه حين قتل الفتاة ثم ارتداه ليخفي بقع الدم .

فقــال ميسن :

ـ اوه ، هناك تفسيرات اخرى . لقد نشرنا رسالة بعث بها احدهم يعتقد فيها ان القاتل هرب عن طريق مجاري المياه القذرة .

فقــال بين :

ـ من المستحيل .

وقال ميسن :

ـ اظن ذلك ايضا . وعلى اية حال ، فانهم اذا لم يمسكوا بالقاتل فلن يعرف احد بصورة قاطعــة .

قال ذلك ، واستقرت عيناه على سورم ، ثم ساله فجاة كأنه يحاول ان يباغتــه :

ـ لماذا تريد ان تعرف ؟

فالتفت سورم الى بين الذي قال :

ـ لا تهتم ، انه يعمل لنا .

فقــال ميسن :

ـ ذلك هو السبب اذن ؟

ـ ليس تماما . المسالة هي ... على كل حال ، لقد انجرفت الــى هـــذه القضية .

فالتفت سورم الى بين متمما الشرح :
ـ حاول رجال الشرطة التحقيق مع رجل عجوز يسكن نفس البيت الذي اسكنه حول هذه الجريمة، فاعتصم الرجل بغرفته واشعل فيها النار.
ـ هل عرفوا سبب اشعاله النار ؟
ـ كلا . اعتقد ان الرجل مخبول .
فقال ميسن :
ـ قد لا يكون مخبولا .
ـ كلا ، اعتقد انه مخبول .
ـ قد تكون على حق . ولكني اقول لك شيئا واحدا . لا بد ان لدى الشرطة سببا معقولا يدفعهم الى التصريح باعتقادهم ان الجرائم الاربعة اقترفها شخص واحد . غير ان هذه ليست سياسة حكيمة ، فهي تجر اهتمام الناس الى التركيز على فكرة « القاتل الطليق » ، فيأخذ الناس بكتابة الرسائل الى جريدة التايمس وتوجيه الاسئلة فى البرلمان حول كفاءة الشرطة . فلا شك ان هناك سببا قويا يدفع الشرطة الى الاعلان عن هذا الاعتقاد .
فسأل بين :
ـ ما هو رأيك الخاص ؟
ـ اعتقد ان الشرطة قد توصلت الى معرفة الرجل ، وتريد الان ان تشعره بان الفخ يضيق حوله وذلك لارهابه وحمله على تسليم نفسه .
فقال بين :
ـ ربما .
ـ هل يمكنك اعطاء سبب اخر .
فقال بين وهو يهز برأسه :
ـ لو كانت لديهم فكرة عن القاتل ، لاحكموا الفخ حوله بهدوء . كانوا سيراقبونه حتى يقوم بمحاولة اخرى . ان القتلة الجنسيين يكررون محاولاتهم دائما .
فقال سورم :
ـ تلك الفتاة ـ تلك التي رأيتها ...
ـ تعني المرأة التي في متوسط العمر ؟ كاترين ميدوز ؟
ـ نعم ، كيف قتلت ؟
ـ بسكين ، كما بينت لك .
ـ ولكن كيف ؟ هل ذبحت من حنجرتها ، أم طعنت في قلبها أم ماذا؟

ـ لقد احصوا حوالي الستين طعنة في جسدها .

وابتسم ميسن . لقد سر للصعقة التي ارتسمت على وجه سورم .

ـ انه مجنون ولا ريب ! وماذا عن بقية الحوادث ؟

وابتلع ميسن نفثة طويلة من سيكارته ، وهو يبتسم :

ـ لم يكن المشهد بهذه الاثارة .

فقال سورم :

ـ لا حاجة ان يكون كذلك .

والتفت ميسن الى بيـن :

ـ هل سمعت الاشاعة المنتشرة عن جانيت وكين ؟

ـ اية اشاعة ؟ سمعت ان زوجته صرخت بوجـه جـانيت اثنـاء مخابرة تلفونيـة .

فنهض سورم واقفا :

ـ ينبغي ان ارحل يا بيل ، فانكما ترغبان في التحدث عن الاعمال .

ـ حسنا يا جيرارد . ولكن على كل حال علي ان اعـود الى مكتبي ثانية . قد نبعث اليك بصك بعد قليل . فقال سورم :

ـ سينفعني ولا شك .

ثم صافح ميسن قائلا : آمل ان اراك قريبا .

ـ وداعا يا جيرارد .

ووقف عند طاولة البار ليدفع ثمن وجبته . وكان ضجيـج الثقب الهوائي في الخارج يصم الاذان . وفتح القفل عن الدراجة ، ثم امتطاهـا واتجه نحو فليت ستريت ، حيث توقف عن المسير وتردد في القرار هـل يذهب نحو آلدويج أو بلاكفرايرز ، واخيرا تذكر ان صاحبة البيت قـد تكون هناك في تلك اللحظة ، فقرر الا يعود الى البيت ، واتجه نحو شارع فارينغتون . وشعر بـان معدته كاز ثقيلة متقلبة من جراء الحديث عـن حادثة القتل ، فقد التصقت هذه الحادثة بحواسه كغشاء من السخـام ينبعث من موقد ، كستها بلون داكن من الكآبة . كما لاحظ انه لم يكـن يقود دراجته بثقته المعهودة . وولدت له هذه الكآبة احساسا بان جسده بدأ يخونه . وراح يحدق في كنيسة سانت بول من طرف اودغيت هيـل ، وهو يفكر : لندن في شهر تشرين الثاني تبدو معدومة النهـار ـ لا شيء غير نور الاصيل الباهت ، على حين ان لندن في تموز تلوح اكثر اشراقـا من اللازم غير حقيقية ، او بالاحرى حقيقية اكثر مما يجب .

كان مكتوبا على لافتة بائع الصحف : البحث عن القاتل المجنـون .

واتجه نحو شارع روزبري . لم كل هذا الاهتمام بالجريمة ؟ قد يكون هـذا المجنون المسكين مصابا بالبارانويا ، قتله الضجر والقلق ، فاقترف جـرائم القتل على سبيل الاحتجاج .

* * *

كانت واجهة منزل شارع روزبري مبنية بالصخر الرمـادي الـذي يبعث فى النفس قشعريـة باردة . وضغط سورم على زر الجرس ، وفـي هذه الاثناء انزلقت الدراجة التي كان سورم قد اسندها خلفه على الرصيف فجاة وظلت العجلة الخلفية تدور . وفيما كان يرفعهـا ليسندهـا الى الجدار ، انفتح الباب . فصاح سورم :

ــ هلو ، روين ! كيف الحال ؟

ــ جيرارد ! يا للسماء ! ماذا تفعل هنا ؟

وامسكت به يد نحيفة ندية ، هي يد روين مونسل الذي سحبـه برفق الى عتبة الباب . فقال سورم :

ــ كنت مارا من هنا . لا شك انه وقت غير مناسب للزيارة ؟

ــ كلا ، بالطبع ، كلا . تفضل بالدخول . هل تناولت غـداءك ؟

ــ نعم شكرا .

ــ ما اجمل ان اراك !

واخذ ينظر فى وجه سورم مبتسما . وسحب سورم يـده ، وهـو يحس بشيء من السرور للتوتر الذي سيطر عليه . ودفع مونسل بابـا زجاجيا وتقدم سورم الى الصالة وجلبابه يخشخش برفق .

ــ هل لك في قدح من الشاي ؟

ــ نعم اشكرك ، اود ذلك .

ــ اشعل النار اثناء غيابي واهتم بامرها .

وبحث سورم في جيبه عن علبة الثقاب ، ولما لم يجدها مشى بصورة لا شعورية نحو خزانة الكتب واخذ يتفحص العناوين . كانت جميعهـا مؤلفات في الدين من تأليف كتاب لم يسمع بهم قط . وكانت الشبابيـك ذات الزجاج الداكن تطل على الشوارع ، وكان الناس يمرون عبرها كالاشباح .

ــ الم تشعل النـار ؟

ــ آسف ، لا املك علبة ثقاب .

ــ اوه ،

واخرج مونسل علبة الثقاب من جيب صدريته ، وانحنى على ركبتيـه واشعل النـار الغازية .

ـ دعني اخلع معطفك . اجلس . كيف حالك ؟ وكيف حياتــــك الجنسيـــة المخزيــة ؟

فقال سورم متضاحكا :

ـ انك تهتم بخطاياي اهتمام الاخ .

ـ بالطبع ، لا اريد ان ارى اللعنة تنزل عليك . ولكني اعتقد انـك ترغب في ان تنزل عليك اللعنة ، الست محقا ؟

فقـــال سورم :

ـ بلى . اننا جميعا لكذلك .

ـ امل الا نكون كذلك .

وجلس على الكرسي بسرعة رشيقة وشبك كفيــه فــي حضنــه . وقــال سورم :

ـ اعتقد انك تقترف خطاياي نيابة عني ، يا روبين .

ـ رباه ، كلا . في الواقع اني اكره من كل قلبي ان احيا طريقتــك في الحياة ، ثق ! ولكن انبئني ، كيف حال . . . ا . . ا ، تلـك الــتي اضطجعت معها في المرة الاخيرة التي رأيتك فيها .

اخذ سورم يحدق في النار ، وقال بلهجة وقورة :

ـ ماتت ، ماتت بمرض الكزاز ـ وتشنج المفاصل .

ـ حقا ؟ يؤسفني ذلك . اوه ، انك تمزح ! الست تمزح ؟ كلا ، كن جديا . اذا كنت لا تود ان تحدثني عن حياتك الغرامية فلنتحـــدث عـــن شيء اخر .

ـ بل جئت لاتحدث عن شيء اخر ، في الواقع . اخــبرني عــــن الاب كــاراثرز .

ـ لماذا ؟ اين سمعت بــه ؟

ـ حدثني عنه احد الاصدقاء ـ صديق لي يدعى اوستن نن ،هل تعرفه ؟

ـ كلا ، بــل اعرف سيدة تدعى مسز نن تتردد الى هنــا ، قــــد تكــون قريبتــه ؟

ـ بل هو ابنها ، وقد اقترح علي ان اتحـــدث الى الاب كاراثرز . فماذا تعتقــد انت ؟

ـ عم ؟

ـ اود ان التقي به فقط،هذا كل ما في الامر.يظهر انه لطيف المعشر.

ـ هو كذلك . انــه في غاية الذكاء ، وقد الف بضعة كتب . لقد الـف كتابا عن تشيخوف واخر عن دانتي . وهو يعكف الان على تأليف كتـــاب

عـن مارسيل .

ـ هل تظن انني استطيع ان اقابله ؟

ـ بالطبع ، فليس من الصعب تدبير ذلك . ولكن اصغ ، هل تعدني بشيء ؟ على كل حال اترك المسألة .. سأذهب لاحضار الشاي .

وكف سورم عن التطلع الى عناوين الكتب ، بعد ان تحقق لـه ان ليس هنالك ما يستحق القراءة ، بل انه اخذ يندم على هذه الزيـارة ، فقد نسي ان روبين مونسيل يمكن ان يثير اعصابه الى ابعد الحـدود . كما ان فكرة التحدث مع الاب كاراثرز اخذت تفقد حدتها وبريقها لسبب لا يعلمه . وطفق يتثاءب .

وفتحت الباب واطل من خلفها قسيس شاب ، وقال :

ـ ارجو المعذرة ، هل تنتظر احدا ؟

فقـال سورم :

ـ وددت ان التقي بالاب كاراثرز .

ـ أعتقد انه نائم ، سأذهب لارى .

واراد سورم ان يقول : لا تزعج نفسك ... واغلقت الباب ثانيـة وبعد لحظة ، رفس احدهم الباب ، فقام سورم ليفتحه ، ودخل مونسيل يحمل صينية مليئة :

ـ ايها الصبي الطيب ، كم يسرني ان اراك ثانية يـا جيرارد . غيـر اني ارى وجهك شاحبا هل كنت تتعب نفسك بالعمل ؟

ـ هل يمكنك ان تتصورني انا اعمل ؟

ـ بالطبع ، فانت لست من الصنف المدلل ابدا . ينبغي عليـك ان تعمل . لم لا تبحث عن وظيفة ؟

ـ ولماذا ابحث عن عمل ؟

ـ لكي تطرد عنك الضجر . انك تشعر بالضجر ، الست على حق ؟

ـ اجل ، اشعر بالضجر .

ـ اذن ، فابحث عن عمل .

وصب مونسيل الحليب في الاكواب من الاناء الخزفي واضاف لـه قطـع السكر .

ـ لم ابحث عن عمل ؟ طيب ، اني احس بالملل ، فعلى ماذا يـدل ذلك ؟ يدل على انني لا احسن التصرف بما لدي من الـوقت . فمـاذا تقترح ؟ ابدده بالعمل . اليس ذلك من المنطق في شيء . وبالمناسبة ، قبل ان أنسى ، أطل احدهم براسـه مـن وراء الباب وسألني عمن اريد أن ارى ،

فاجبته : الاب كاراثرز ، فذهب ليبحث عنه . قسيس يتكلم برطانة اجنبية ، صغير جداً .

ــ اه ، انه الاب راكوسي ــ لاجيء هنغاري . ما اشد بلادتك !

ــ على كل حال ، قال ان الاب كاراثرز نائم .

ــ اظن ذلك . فهو لا يستيقظ الا نادراً ، اذ انه يعاني من الم في معدته لا اعرف طبيعته ــ ما كان ينبغي ان تدع الاب راكوسي ليذهب لينحقق من ذلك .

ــ ولماذا ؟

ــ كنت انا ذاهبا لاتحقق بنفسي .

ــ اوه ، آسف . بيد انه ذهب قبل ان اتمكن من ايقافه . ناولني السكر رجاء .

وطرق احدهم الباب ، ودخل القسيس الهنغاري ثانية ، وارتسمت على وجهه الدهشة عندما القى مونسيل .

ــ عفوا ظننت انك كنت في انتظار الاب كاراثرز ؟

فقال سورم :

ــ آسف ...

وقال مونسيل :

ــ هل وجدته مستيقظا ؟

ــ نعم ، يقول انه يتمكن من مقابلة الناس بعد ساعة .

ــ يحسن بك ان تذهب الى غرفته على الفور ، يا جيرارد . يمكننا ان نتمم حديثنا فيما بعد .

وابتسم القسيس،ثم انحنى لهما وترك الغرفة. فهتف سورم: اشكرك.

ــ انك احمق ، يا جيرارد . لم لم تنتظرني ؟

ــ مع الاسف . لم اعلم انه سيرتب المقابلة بهذه السرعة .

ــ لا بأس . يحسن بك ان تقابله الان .

ــ اريد ان اشرب الشاي هنا ، الا استطيع ذلك ؟

ــ لا ، بل خذ الكوب معك . هلم . تعال ادلك على الطريق .

وتبعه سورم على السلم المكسو بالسجاد ، ورأى في عطفة السلم الاولى كوة فيها تمثال ازرق للعذراء وهي ترفع ذراعيها في ابتهال. وطرق مونسيل الباب برفق عند نهاية الرواق ، ودفعه ليفتح وترك سورم يدخل اولا .

ــ اقدم لك جيرارد سورم ، ايها الاب . انه صديق للمسز نن .

كان القسيس جالسا في الفراش ، تحيط به الوسائد . وكان يرتدي جلبابا من قماش خشن ازرق . واغلق مونسيل الباب وتركهما وحيدين . وقـال سورم :

ــ لست صديق المسز نن ، وانما انا صديق ابنها .

ــ اه ، اوستن . لم اره منذ وقت طويل . كيف حـاله ؟ تفضل بالجلوس .

كان وجهه اقبح وجه رآه سورم في حياته ، لم يكن مشوها ، وانمـا كان قبيحا فقط . تغوص فيه اخاديد واضحة المعالم ، كان له فك كبير جدا ، يبدو انه كاد ان يخل بتوازن الراس لولا الجبهة الواسعة التي كانت بـارزة ولها طية راسية حادة الى وسطها كما لو ان احدا كان قد ضربـه بقضيب حديدي . وكان انفه الغليظ مفلطحا قليلا ، وكان فمه عريضا يمتد عبر وجهه كالخندق . وكانت عيناه صغيرتين لا لون فيهما ، ولو سلط فوق راسه مصباح لاختفت العينان تماما في ظلال حواجبه . وحـاول سورم جاهدا ان يتذكر اين راى هذا الوجه من قبل ، او اين راى وجهـا يشبهه . واخيرا تذكر : انه التمثال النصفي لتشارلي بيس الموجـود في غرفة الفظائع في متحف الشمع . وجعلته هذه الفكرة يبتسم ، وابتسـم القسيس بدوره ابتسامة ودية. وجلس سورم على كرسي قرب النار وقال:

ــ اوستن صبي ممتاز ، ايها الاب. وقد اقترح علي ان آتي لزيارتك.

ــ ماذا قلت ان اسمك كان ؟

ــ سورم ، ايها الاب ، جيرارد سورم .

ــ سورم ؟ سورم ... انني اعرف هذا الاسم . انـه اسم نادر ، اليس كذلـك ؟

ــ لم التق باي شخص يحمل هذا الاسم ، خارج عائلتي ...

ــ آه ، تذكرت ! الاب غراي في كومبتون هاوس . هل تعرفه ؟

وانتاب سورم شعور المذنب ، وقال :

ــ نعم . كان يقوم بتدريسي يوما ما .

ــ حسنـا !

وكان القسيس يبتسم ثانية ، وتظهر على وجهه مخايـل البشر ، ثم اردف :

ــ انا لا انسى الاسماء . اجل . تحدث الي الاب غراي عنك مرة . لم انقطعت عن الدراسة ؟

ــ لم ... لم انسجم مع الاب غراي ، قبل كل شيء .

ــ لماذا ؟

ــ يلوح انه كان يريد اقناعي بان الكاثوليك بالرغم من كل شيء قوم محترمون ، هل تعرف ما اعنيه ؟ اكل لحم البقر وشرب البيرة ... الخ ، ولم يكن لديه الوقت للتصوف . وانفق ثلاث محاضرات ليقنعني بان القديس بطرس كان في الحقيقة اول بابا . فمللت تلك المحاضرات .

فقال القسيس وقد ادرك احساس سورم :

ــ فهمت . ان الاب غراي لا يحمل الفكرة التي يحملها كل واحد عن الكاثوليك ... رغم انها لا تختلف كثيرا .

وابتسم سورم ، وهو ينتظر . وكانت العينان الزرقاوان الشاحبتان ترقبانه بثبات . ثم قال القسيس وهو يبتسم :

ــ اذن ، فانك تعود الينا دائما ، لماذا ؟

فقطب سورم وهز كتفيه . كان من الصعوبة ان يجد الجواب . فاضاف القسيس بصوته الهادىء :

ــ هل تعتقد بانك ستصبح كاثوليكيا في يوم من الايام ؟

ــ اعتقد ان ذلك ممكن .

ــ ولكن هل تتوقع ذلك انت ؟

ــ كلا ، في الحقيقة ، ايها الاب، ولكني لا اعني انه من المستحيل .

ــ تماما . ولكن هل تعرف بالضبط ماذا انت باحث عنه ؟

ــ كلا ، ايها الاب ، كلا في الواقع .

ــ لا تعرف على الاطلاق ؟

ــ اعتقد ان لدي فكرة فقط ...

ــ هل يمكنك ان تحدثني عنها ...

ــ في الواقع ، اني ابحث عن شخص استطيع التحدث معه .

ــ عن ماذا ؟

ــ لا أعرف ما لم اجد الشخص الذي استطيع التحدث معه .

واحس بان جوابه كان سخيفا ، وحنق على نفسه . اما القسيس فقد استقر نظره على سورم بهدوء ، وكأنه يختتم امتحانا تتألف اخر مراحله من النظر الى سورم . واحس بالرغبة في أن ينهض ويترك الغرفة . ولكن القسيس ابتدره بالسؤال :

ــ هل لك معرفة جيدة باوستن ؟

ــ ليست معرفة جيدة . التقيت به للمرة الاولى يوم الجمعة الماضية ولم اره منذ ذلك اليوم .

ـ كيف التقيت به ؟
ـ في معرض دياغيليف . وتكلمت معه .
ـ اكنت البادىء بالكلام ؟
ـ كلا ، هو الذي ابتدأ الكلام معي . وتحدثنا عن نجنسكي ، ثم خرجنا وتناولنا العشاء معا .
ـ وماذا حدث بعد ذلك ؟
ـ ثم عدت الى مسكني ، وعاد هو الى مسكنه . لم توجه هذه الاسئلة الي ايها الاب ؟
ـ حب الاستطلاع فقط .
وثارت ثائرة سورم ، وهو ينظر الى هذا الوجه الجامد . ان ما استفز اعصابه هو احساس غريب بالخجل من هذه الحادثة ،كلما عاد بذاكرته الى الوراء ، متأملا اياها .
وقال بصراحة :
ـ كنت اتساءل هل حدث شيء اخر بيننا . كنت اود لو تسألني ذلك بصراحة .
فتململ الاب وقال :
ـ هل حدث شيء اخر ؟
ـ كلا .
ـ أن المسألة لا تثير اهتمامي بصورة خاصة ، كما تفهم . وان ما تفضيه الي انما هو من شأنك ، ولست ارغب في ارغامك على ان توليني ثقتك . ولكني ، كما يمكنك استنتاجه ، على معرفة تامة باوستن .
وفهم سورم حالا ما كان يقصده الاب :
ـ بالضبط . ولذلك افضل ان تسألني عن اي شيء تريد معرفته بصراحة تامة . فمعرفتي باوستن ليست وثيقة على الاطلاق . فلم يحدث بيننا غير أن تناولنا العشاء سوية وتحدثنا بعض الشيء . ولكني لا اشاركه في نزعاته . اية منها .
ومال القسيس براسه . وقال :
ـ تعجبني صراحتك . فقل لي اذن ، عندما تحدث اليك اوستن وخرجتما معا ، هل كانت لديك فكرة عن .. ميوله الجنسية ؟
ـ خمنت انه منحرف ، نزاع الى الجنس المشابه ، وقد ازعجني ذلك قليلا ولكني لم اشعر بانني كنت شخصا اصطاده اوستن .
ـ هل اخبرك فيما بعد انه ينزع جنسيا الى الجنس المشابه ؟

ــ كــلا .
ــ طيب . وهل تحدث عن اي شيء آخر ؟
وركز سورم نظرته في وجه الاب ، بعد ان غاب عليه المعنى .
ــ اي شيء آخر ؟ مــا هو ؟
ــ طيب . كان مجرد فضول .
وجد سورم ان القس كان يريد تغيير الموضوع ، ولكن فضوله كــان قــد استثير .
ــ تعني ان له ميولا جنسية اخرى ؟
ــ ليس من شأني ان اجزم بذلك . الست على حق ؟
وحدق سورم ثانية في وجهه لفترة قصيرة ثم قال :
ــ طيب .
فابتسم القس مباشرة وقال :
ــ ارجو الا يتبادر الى ذهنك اني اعنفك . كل ما فيالامر ان أوستن وربما تعلم بذلك ، جاء الي قبل عام ولديه بعض المشاكل الخــاصة . واذا بــه يرسلك الان ، ومن الطبيعي ان اسالك هل ان مشاكلك هي من نفس النوع الذي شغل باله . ولكني لاستطيع التحدث عن مشــاكل اوستــن ، فيمكنه ان يحدثك هو عنها ان اراد . كما انه من المفروض انك جئتلتبحث مشاكلك انت وليس عن أوستن .
وقال سورم وقد احس بالحرج :
ــ لا ادري اذا كان لدي ما يمكنني تسميته بمشكلة ، ايها الاب .
ــ طيب ، لا . ليس هذا ضروريا . انني اتفق معك . ما هو عملك؟
ــ التاليف .
ــ تعيش من التاليف ؟
ــ كلا . عندي مورد صغير ، يكفي لسد رمقي .
ــ ما اسعد حظك ! ماذا تكتب ؟
ــ اكتب قصة ، في الوقت الحاضر .
ــ هل لك اهتمام بالسياسة ، على الاطلاق ؟
فاجاب سورم بدهشة :
ــ كــلا ابدا .
ــ هل تذهب الى الكنيســة ؟
ــ اذهب الى الكنائس احيانا ــ وافضل الوقت الذي لا يكون فيــه هنــاك احــد آخر .

ـ هل عندك اصدقاء تتحدث معهم في شؤون الفكر ؟
ـ كـلا ، في الحقيقة .

وابتسم له القس ، وتغير شكل عينيه عندما لاح عليهما السرور . وشعر سورم بالارتياح للانبساط الذي ارتسم فيهما . وقال الاب :

ـ يلوح ان قضيتك صعبة ، اليست كذلك ؟
ـ لمـاذا ، ايها الاب ؟
ـ انك لا تعمل شيئا اخر عدا الكتابة . وهذا يترك لك المجال الهائل للاستبطان ، ثم تأتي لرؤية القس كمن لم يمارس الرياضة في حياتـــه ويذهب لعيادة الطبيب . هل خطر لك ان تذهب لرؤية عالم نفساني ؟

كانت اللهجة الساخرة تجعل الكلمات تبـدو وكانما غـير مقصودة ، ولكن سورم قرأ فيها جدية القصد . وقال :

ـ لماذا ؟ انا لا اعاني من اي مرض . بالاضافة الى ذلك ، فاني اشك في ان جميع الاطباء النفسانيين هم مجانين او دجالون . لا اعتقد ان بي اي مرض ، ليس بي شيء لا يعاني منه الجنس البشري باكمله ـ على اية حال .

ـ فلماذا اذن تريد التحدث مع قسيس ؟

واخذ سورم يتأمل في الوجه المضحك كأنه وجه عفريت وراح يبحث عن جواب ، وقال اخيرا :

ـ لا لاني مريض ، على اية حال .

فضحك القس وقال :

ـ حسنا . جواب مقبول . اذن ، فانك لست مريضا ولكنك تحس بانك فاشل ، بطريقة ما . اذلك صحيح ؟

ـ نعم . ولكني لست فاشلا من الناحية الشخصية او الجنسية .

واغاظ سورم شعوره بعدم امكانية التفاهم والفشل في التعبير عما يجول في نفسـه . والواقع ان ما ازعجه هو الفرضية التي استندت عليها المحادثة : ذلك انه يشكو من شيء .

ـ عندما تقول من الناحية الجنسية ، تعني من الناحية الجسمية ؟
ـ نعم ، اعتقد ذلك .
ـ طيب ...

وأحنى القس راسه واخذ ينظر الى يديه المعقودتين .

ـ حسنا ، حسـنا . الان فهمت ما الذي حير الاب غراي فيك . من العسير أن نتعلم شيئا منك .

ـ انا آسف ، ايها الاب .

ـ دعني احاول سؤالا اخر معك . ما الذي يتركز عليه اهتمامك في الحياة ؟ ماذا تريده في الحقيقة ؟

واشتد شعور سورم بعدم امكانية التفاهم ، ولم تكن لديه على الاطلاق اية رغبة في التعبير عن نفسه للقس . واجتاحه ، وهو يدرك أن هناك عينين شاحبتين تراقبانه ، احساس بالتمرد والامتعاض . وطفق يحاول ان يتناسى القس والفجوة التي تفصل بينهما ، ويركز على الافكار التي يريد التعبير عنها فقط . واخذ يحدق في النار ، وقال ببطء .

ـ استطيع القول ان حياتي تتركز حول فكرة واحدة ، هي فكرة الرؤيا . ولا اعني بذلك .. الرؤيا التي يراها القديسون . ليس ذلك النوع ، بل اعني ضربا اخر من الرؤيا .

ـ هل يمكنك التعبير عن فكرتك بوضوح اكثر ؟

ـ استطيع ... استطيع ان اقدم لك مثالا على ما اعنيه . استيقظ في بعض الاحايين ليلا واجد ان هناك بعض الهواجس تخالجني ، فاحس ان وجودي لا يخضع لقانون ، انه عبث بطريقة ما . وينتابني الشعور : من انا ؟ وماذا افعل هنا ؟ اشعر اننا نأخذ الحياة اكثر من اللازم كشيء مفروغ منه . اننا نأخذ وجودنا على علاته . على حين قد لا يكون من الطبيعي ان نوجد . وقد حدث لي ذلك قبل مدة . يدرك الانسان كم من الاشياء الكثيرة التي يأخذها على علاتها ، فيحس بالخوف المفاجيء من ان ليس له الحق في اخذ اي شيء على علاته . هل تفهم ما اعنيه ايها الاب ؟

واخذ ينظر الى كاراثرز ، واحس على الفور انه استحوذ عليه ـ فاخذ يشعر بتحسن ، وقال القس :

ـ نعم ، امض في كلامك .

ـ هذا جانب واحد من شعوري . وهناك جانب اخر اعتقد انه يختلف تمام الاختلاف .

قبل شهرين التقطت فتاة ما من احدى المقاهي . كنت على معرفة بسيطة بها ـ كانت طالبة في مدرسة (سليد) للفن . وقد ذهبت واضطجعت معها تلك الليلة ، ومضى كل شيء على ما يرام . بيد انه عندما اضطجعت معها ، حدث شيء غريب . احسست فجاة باني لا ارغب فيها . لم اكن اعرف بالضبط . كل ما حدث اني كنت مستلقيا الى جانبها لا تدفعني اية رغبة لمغازلتها .

وقال القس بلطف :

ـ موقف محرج ولا شك .

ـ اجل ، وذلك هو وجه الغرابة . كنت راقدا بقربها احس بالاحراج والتمس السبب . واحسست بالخجل والضيق . ولم يكن السبب اني لم ارغب في الفتاة ، بل شعور اخر يتعارض معه . وهكذا بقيت مستلقيا، محاولا ان اتبين حقيقة هذه العاطفة الجديدة وفجأة شعرت بهيجان عنيف في نفسي . كان شعورا قويا جدا حتى احسست باني لن ارغب في النوم ثانية . ودفعني ذلك الى التفكير في الرياضيات .واخذت افكر : اني ارقد هنا في وسط مدينة لندن ، وهناك ما يقرب من ثلاثة ملايين من الناس يرقدون حولي ، وهناك الماضي الذي يمتد الى الخلف الى الزمن الذي شيد فيه الرومانيون هذه المدينة على مستنقع ينشر الحمى ... لا يمكنني التعبير عما احسست به . كان شعورا بالمشاركة في كل شيء . اردت‌ان اعيش اكثر مما عاشه اي‌انسان بملايين المرات.هل تفهم ما اعنيه ايها الاب؟

ـ اظن ذلك .

ـ لقد احسست بالهيجان ، اتلاحظ ؟ وفجأة ادركت كم من الناس وكم من الاماكن توجد خارج نفسي .

ـ لقد ذكرت الرياضيات ؟ ماذا تعني بالرياضيات ؟

ـ حسنا .. لانني فكرت فعلا في الرياضيات . على الاقل ، اني لم ابدأ بالتفكير في الرياضيات . كنت احس بالمضايقة من الفتاة ، ومن فكرة انها تريدني ان اغازلها . ثم انتقل تفكيري الى موضوع كنت قرأته في‌ذلك اليوم عن السحر ـ حول امرأة تدعى ايزوبيل غودي وكانت تدعي أن لها صلات جنسية مع الشياطين بينما يرقد زوجها الى جانبها ..

ـ ما الذي جعلك تفكر في ذلك ؟

ـ الفتاة التي كنت اضطجع معها . كانت فتاة افسدها التدليل تماما مريضة الاعصاب ، عندها ظما للجنس . لقد احسست فجأة بان نفسي كانت تجيش من طريقة هندامها الباهت ، ومن رغبتها الجنسية التي لا سبيل الى اشباعها . كانت تتعاطى الجنس لنفس الدوافع التي تدفعها الى التدخين المتواصل . انه الضجر . ثم تذكرت ايزوبيل غودي ، التي كان الجنس يعني شيئا بالنسبة لها على الاقل . كانت تريد ان يغتصبها الشيطان . فربما كان الضجر قد قتلها وهي في مزرعة اسكوتلاندية في وسط المجهول . ولهذا فقد اخترعت هذه الشياطين والعفاريت .

كان هناك طرق خفيف على الباب . وجفل سورم بعنف . ودخلت امرأة ترتدي صدرية .

ـ لقد وصل المستر برايس والمستر جيننغز ، ايها الاب .

ـ ماذا ، بهذه السرعة ؟ حسنا ، لينتظرا قليلا ، رجاء .
وحالما خرجت ، نهض سورم وقال :
ـ يحسن بي ان ارحل ، ايها الاب .
ـ بل اجلس قليلا . لقد بكرا في المجيء ، ويمكنهما الانتظار . يطيب لي ان اسمع ما كنت تحدثني به. هل تحدثت الى شخص اخر بهذا الموضوع؟
ـ كلا ايها الاب .
ـ اود ان تزورني ثانية لنتحدث . انا لا اطلب اليك ذلك لظني انك بحاجة الى الكلام معي ـ ، رغم انك قد تحتاج الى ذلك فعلا ، ولكن لان ما تحدثني به يثير اهتمامي جدا . هل قرات كتابي عن القديس يوحنا ذي الصليب.
ـ كـلا ، ايها الاب .
ـ هو ذاك ، هناك . على الرف السفلي ، خذه معك ، واقراه اذا لم يدخل السأم في نفسك . لا بد ان يثير اهتمامك الفصل المتعلق بالرؤيا الالهية . فهذه التجارب التي تتحدث عنها ... اني اميل الى الاعتقـاد بانها جذور جميع الرؤى .
وفتح سورم ابواب المكتبة الزجاجية ، ووجد الكتـاب الصغير ذا الغلاف الاسود . وثارت في نفسه ثانية الرغبة في الهروب ، ولكن لسبب اخر هذه المرة . وما لبثت الشكوك ان ساورته حول طبيعة الارتياح الذي اخذ يحس به اثناء حديثه مع القس .
ـ هل يمكنك المجيء غدا ؟
ـ اظن ذلك ، ايها الاب .
ـ حسنا . ساكون في انتظارك . بلغ اشواقي الى اوستن اذا رأيته.
وامسك سورم بيد القس التي مدها له ، وادهشه ما كان فيها من دفء ، فقد كان جسده يلوح باردا جافا .
ـ بلغ المسز داوتي ان تدخل الرجلين رجاء .
ـ سمعا . وداعا ايها الاب .
ـ وداعـا .
ووقف خارج الغرفة ساكنا بضع لحظات ، وهو عابس الوجه يحدق في تمثال العذراء عند نهاية الرواق ذي النور المعتم . ثم تذكر الكتـاب الذي كان ممسكا به ، فدسه في جيبه وهو شارد الذهن . واجفله خـروج الخادمة فجأة من باب جانبية على يمينه . وقالت له باقتضاب :
ـ هل هو مستعد الان ؟ ـ نعم . يريد ان تدخلي عليه الرجلين .
وهبط السلم على عجل . كانت الباب الخارجية مفتوحة . وخـرج

وهو يبحث في جيبه عن مشبك الدراجة . وسمع صوتا يهتف خلفه :
ـ جيرارد !
ـ هلو روبين ! آسف ، لقد نسيتك .
ـ لا داعي للعجلة .
فقال سورم مختلقا العذر :
ـ ينبغي ان اذهب خلال دقائق قليلة .
ـ على كل حال ، ابق قليلا .
وتبع مونسيل الى غرفة الاستقبال . كانت النار ما تزال تشتعل. واغلق مونسيل الباب بأن دفعه بظهره ، وسأل :
ـ والان ، كيف كانت المقابلة ؟
ـ اوه ، لا بأس بها .
ـ هل حدثته عن حياتك الجنسية المخجلة .
ـ قليلا. وتحدث عن القديس يوحنا ذي الصليب. ثم قاطعنا احدهم:
ـ لابد وانه اطال الكلام عن القديس يوحنا، فقد مكثت عنده نصف ساعة!
ـ انا لا اخفي عنك شيئا .
ـ لا تخفي شيئا ؟ حقا ؟ حسنا ، اني أصدقك .
ـ قل لي ، يا روبين . تقول انك لا تعرف اوستن نن البتة ؟
ـ ليست معرفة جيدة . التقيت به مرتين .
ـ اوه ، الا تعرف شيئا عنه ؟
ـ كلا . لا شيء يذكر ، على اية حال .
ـ هل تعرف انه منحرف جنسيا ؟
ـ نعم ... اعتقد ذلك . لماذا ؟ الا تعرف انت ؟
ـ بلى . اظن ذلك . كنت اتساءل ...
ـ انتظر . لدي شيء اريد أن اقوله . لا تخبر به احدا .
ـ كلا ، بالطبع .
ـ اعتقد أن له ميولا سادية
ـ كيف عرفت ذلك ؟
ـ سمعت عرضا حديثا للاب كراتزر الى الدكتور شتاين في يوم من الايام بعد مغادرة المسز نن .
ـ ماذا قال ـ هل تتذكر ؟
ـ كلا ، ولكنه مجرد انطباع . فقد اكون مخطئا. ولكن ارجوك الا تفشي ذلك لاحد . اذا اتهمني يوما احد باني اخبرتك فسأنكره .
ـ سوف لا اخبر احدا بالطبع . من هو هذا الدكتور شتاين .

ـ اوه ، انه صديق للاب كراثرز . كانا معا في المدرسةالدينية . وشتاين طبيب نفساني . لماذا ؟

ـ لا شيء . كل ما هنالك هو انني اشعر بالفضول يدفعني الى البحث في قضية اوستن ، وعن كل من يهتم به .

ـ طيب . هل وقعت في غرامه ام ماذا ؟

ـ بحق المسيح ! هل انك جاد ؟

ـ حسنا ، لست ادري . اجرؤ على القول ان لك شيئا من هذه النزعة الجنسية الى الجنس المشابه ، وستنفجر يوما ما ، وسيدهشك ذلك .

ـ انك لاحمق !

ـ ادركت ؟ اراهنك اني على حق .

ـ دعنا من ذلك .

فقال مونسيل مقهقها : ولهذا ترى ... اراهن اني على حق .

ـ ينبغي ان ارحل .

ـ انك لبقرة حقا . متى تزورنا ثانية ؟

ـ ربما غدا . طلب الي الاب كاراثرز ان اعود .

ـ آه ، انه يضعك تحت رعايته !

ـ ربما .

ـ طيب . تعال مبكرا لتلقاني اولا . هلا جئت ؟

ـ حسنا . قد لا آتي ابدا . ساتصل تلفونيا اولا .

ـ هذا حسن ، فانا الذي اجيب على نداءات التلفون .

ووقف سورم ويده على مزلاج الباب . وسأل :

ـ هل تتذكر ماذا قال الاب كاراثرز بالضبط لهذا الرجل المدعو شتاين؟

وبدا الانزعاج في نظرة مونسيل :

ـ لا ! بالله عليك ! لا تذكر الموضوع لاي شخص . قد اكون مخطئا . فمن المحتمل جدا انه كان يتحدث عن شخص آخر .

وادرك سورم ان مونسيل ندم لافضائه بالخبر ، فقال بلا مبالاة :

ـ لا تقلق . فالامر لا يهمني . سأراك غدا .

ـ حسنا . تعال مبكرا .

ورافقه مونسيل الى خارج الباب قائلا :

ـ وداعا يا عزيزي .

ورفع سورم قدمه الى قضيب الدراجة ليشبك سرواله . واحس فجأة بانه خائب منهوك القوى .

الفصـــل الرابـــع

وابتدأ المطر ينهمر بينما كان سورم يقود دراجته الى ساحـة الدار ، فالقى عليها غطاء من القماش المشمع . كان الضياء في الشقة الارضية مفتوحا، وفيما هو يستدير ليترك الساحة تحركت ستارة النافذة واطلت الفتـاة . فأبتسم وهز رأسه بتحية قصيرة ، فأختفى وجه الفتاة فجاة . وفيما هو يدخل مفتاحه في الباب الخارجي ، اذا به ينفتح ، فقال :

ـ شكرا لك يـــا كارلوتة .

ـ يسرني انك اتيت ، فانني ساخرج . هناك رسالة لك . صحيـــح ؟

ـ طلبك احدهم تلفونيا من سويسرا ، وسيعيد المكالمة مساءهذااليوم .

ـ سويسرا !

ـ وصلت المخابرة حالما خرجت . سيتصل بك ثانية في حوالي الساعة السابعة .

ـ اشكرك جدا . هل عاد الهدوء الى هذا المكان ثانية ؟

ـ اجل . مـا عدا ان اثنين من المخبرين الصحفيين كانا هنا .

ـ مخبرين ؟ مـــاذا ارادا ؟

ـ بعض التفاصيل عن الحريق . وتحدثت اليهم المسز ميلر ، اعتقـد انها مغرمة بان يظهر اسمها في الصحف .

ـ مممممم . . . جميل جدا . هل حدثتهم عني ؟

ـ لا اظن ذلك . لمـــاذا ؟

ـ كنت عازما على ان احصل على ميدالية جورج .

ولاحظ سورم ، من التعبير الذي ارتسم على وجهها انها لم تفهم ما كان يعنيه . واحس ان تعبه كان اشد من أن يمكنه ان يشرح لها ما يعنيه، وسأل وهو يضع قدمه على السلم :

ـ أين المسز ميلر الان ؟

ـ عادت الى بيتها . لمـــاذا ؟

ـ لا شيء . اشعر بالانشراح فقط .

فضحكت هذه المرة . ولاحظ ان ثدييها يرقصان وهي تمر من امامه ، فشعر بالاضطراب ، وطفق يفكر : لم احتاج دائما الى المرأة عندما تكون اعصابي منهوكة ؟ وكانت ساقاه تؤلمانه وهو يرتقي السلم . ودخل غرفته وفتح موقد الغاز ووضع عليه ابريق الماء ثم القى بنفسه على الكرسي وهو يتثاءب . وراحت افكاره تحوم حول الفتاة الالمانية ، واخذت فكرة ان يجعل منها خليلته تجذبه اكثر من ذي قبل ، ولكنه عزا ذلك الى الاجهاد الذي اصابه ، وقال لنفسه : التعب الجسمي يوقد الخيال .

اخذ الماء يغلي ، ومد يده الى الطاولة وتناول الترمس فوجده مليئا الى منتصفه بالشاي البارد ، وشعر أنه اكسل من ان يقوم ليفرغ محتويات الترمس في المرحاض ، فأمسك به واخذ يهزه ثم فرغه في طشت الماء وفتح صنبوري الماء ليغسل اوراق الشاي الملتصقة .

بحق السماء ماذا يبغي أوستن من مخابرته هذه ؟ وكيف حصل على رقم التلفون ؟ ساكتشف ذلك . سريعا . ونظر الى ساعته : كانت تشير الى الدقيقة العاشرة بعد الخامسة . ساعتين . يجب ان اتناول شيئا . احس بالجوع ، ولكن بعد ان اشرب الشاي وآخذ قليلا من الراحة . وتصاعد البخار من قدح الترمس عندما كان يسكب الماء فيه . مثل فاسلاف (١) . اني اله . هل هو سادي ؟ انهم يحسون بالحاجة الى ضرب احدهم . ينبغي ان اسأله.

كانت حرارة الشاي وحرارة النار الغازية اكثر مما يمكنه احتماله . فسحب نفسه الى الفراش . واخذ يشعر بالنعاس فيما هو يشرب الشاي، ولكنه اخذ يتأمل بضيق : لم احس بالنعاس ؟ اني لم استيقظ حتى الساعة الحادية عشرة . من المحتمل أن تكون صدمة عصبية . واخذ يقاوم الرغبة في ان يستلقي ويغلق جفنيه ، ولكن سرعان ما طغت عليه الرغبة في النوم. فنهض واقفا ، وراح يجيل ببصره في الغرفة ليجد شيئا يفعله . كان هنالك على دولاب الملابس صندوق لم يفتحه بعد ، فوضعه على السرير وفتحه واخذ ينظم المناديل والربطات . ووجد في قعر الصندوق ثلاث صور لفان غوخ وقد تغضنت قليلا بسبب الرطوبة ، وهي الصور التي كانت معلقة على جدران غرفته السابقة . فاختار المجال فوق الموقد ليعلق صورة (حقل السنابل الخضراء) ، وعلق صورة (الليلة ذات النجوم) على رأس سريره ، في موضع بحيث يقع نظره عليها كلما استدار نحو الجدار . اما صورة (حقل القمح والغربان) فعلقها في وسط الجدار المقابل بالقرب من الباب . ووقف في مواجهة صورة (حقل السنابل الخضراء) واطال الوقوف وهو يحاول عبثا

---

(١) فاسلاف : الاسم الاول لنجنسكي ـ المترجم ـ

ان يستعيد حالة معينة . واخذ يركز تفكيره وهو يحدق في الصورة :
ليجدد الفرح المضطرم ويفجر السطح الصخري
فان كل ما يحيا مقدس ؛ والحياة تبتهج للحياة .
ومـاذا عن نن . وذلك الرجل العجوز . والقاتل السادي الذي قتـل اربع نساء . ليس جسمي المريض ـ ان روحي هي المريضة . يا للازدراء . هل هناك شعور اخر احس به ؟ ليس لجسمي ، وانما لروحي . مسكين يـا فاسلاف . لقد مات .

وعاد اليه النعاس ، ولكنه اوقفه . القذارة . التعب . وهذه الغرفة . لا يحيط بها الغموض ، انها سجن . ودفعت الرياح بعاصفة من المطر على زجاج النافذة . مريض ومنهوك القوى ، ولكني اختار ذلك . انا اختاره . انـه اختياري . العنف . ذلك هو بالضبط . اني انطوي على العنف . لا اريد ان يهدئني احد . ان العنف يكمن في عضلاتي ، في حنجرتي . وحينمـا ينفجر هذا العنف ، اكون قد اصبحت ذاتي . ان كل ما يحيا هو مقدس .

ولاحظ ان الحرارة في ساقيه تتلاشى . كانت النار الغازية قد خفتت . واخذ يبحث في جيب سرواله عن شلن . فوجد في الجيب الخلفي ورقة مطوية كتب عليها بخط نسائي جميل : جرترود كوينسي ، يمكنك الاتصال تلفونيـا في اي يوم بعد الساعة الخامسة . وبحث في جيب سترته فلم يعثر على شلن . فتناول معطفه وهبط السلم . وحينما عاد الى البيت ثانية ، بعـد خمس دقائق ، توقف عند التلفون الموجود في الصالة ، وبسط الورقة على صندوق النقود . واجاب صوت جيرترود حالا : فضغط على الزر (آ) . وقال :

ــ الو . جيرارد سورم يتكلم .
ــ جيرارد ماذا ؟ اوه ، صديق اوستن ! الو ! كيف حالك ؟
ــ بخير ، فكرت في ان انفذ وعدي بزيارتك يوما حين لا تكونين مشغولة .
ــ اجل ، افعل ذلك ارجوك . هل تود ان تزورني في وقت تناول الشاي ؟
ــ حسنا . . . ربما . هل ستكونين في البيت هذا المساء .
واستشعر سورم ترددا واضحا . وقالت اخيرا :
ــ نعم . . . في اي ساعـة ؟
ودهش سورم لهذا التردد ، وشعر بان عزيمته ثبطت :
ــ لا يهم ، لتكن امسية اخرى اذا كانت هذه الليلة غير مناسبة . هـل تفضلين الاسبوع القـادم ؟

وكان قد قرر حالا انها اذا كانت ستؤجل الموعد فلن يتصل بها ثانية . ولكنهـا اجابت سريعا :

ــ لا ، بل تعال هذه الليلة . كنت احاول ان أذكر هل سيزورني شخص اخر ، ولكني لا اظن ذلك . تعال فى حوالي السابعة ، ان اردت .
ــ شكرا . لا استطيع ان آتي فى السابعة ، فان أوستن سيتصل بـي تلفونيـا .
ــ كنت اظنـه فى الخـارج ؟
ــ نعم هو فى الخارج . سيتصل بي من سويسرا .
ــ حقا ! تعال فيما بعد اذن . سأنتظرك .
واغلقت التلفون وهو ما يزال ينطق بكلمات الشكر . ووجد من العسير عليه للمرة الثانية ان يكظم غيظه . وصعد الدرج وهو يشتم بصوت خافت. الناس جميعهم خنازير . ولما صار الى غرفته ، وضع شلنين فى صندوق الغاز واشعل النار ثانية . وصب قدحا اخر من الشاي واخذ يتذوقه ، كـان مركزا . ووضع على الغرامافون اسطوانة السمفونية الخامسة لبروكوفييف واستلقى على السرير . وقبل ان تبلغ الموسيقى منتصف الوجه الاول مـن الاسطوانة كان قد غلب عليه النوم .

* * *

واستيقظ فجأة وسط الظلام ونظـر الى ساعته . وامعـن النظر فى العقارب المضيئة . ان الساعة تشير الى الثامنة ، فمد يده الى زر المصبـاح ، ووجد أن الساعة كانت تشير الى الثامنة تماما . كان الجو حارا فى الغرفة . ودس قدميه فى خفيه وهبط السلم مسرعا . لم يكن هناك احد . ونزل الـى السرداب وطرق الباب ، ولما لم يرد عليه احد فتح الباب قليلا . كانت الغرفة تسبح فى الظلام . فأطلق شتيمة بذيئة . وعندما كان يصعد الدرجات ثـانية اخذ جرس التلفون يرن . فاختطف السماعة قبل أن يرن ثانية . وقـال صوت امـراة :
ــ المستر سورم موجود رجاء ؟
ــ يتكلـم .
ــ اوه . جيرترود كوينسي تتكلم . هل ستأتي ؟
ــ نعم . ولكني آسف جدا ، فقد اخذني النوم . اعتقد أن اوستن قد اتصل بي ولم يرد عليه احد . يبدوانه لا يوجد احد فى البيت .
ــ يـا للسماء ...
ــ لا تهتمي . سآتي حالا . سأراك خلال نصف ساعة .
ــ طيب . ساهيء لك بعض الطعام .
ــ شكرا جزيلا . سأراك حالا .

واعاد السماعة ، واخذ يتفرس في ساعته . كان شعره اشعث واحس بلزوجة في فمه من النوم . ورن جرس التلفون على الفور . وهتف صوت امرأة:

ــ هل المستر سورم موجود ؟

ــ يتكلــم .

ــ ابق على الخط لحظة . لديك نداء شخصي من سويسرا .

ــ شكــــرا .

كان صوت نن يبدو صافي النبرة قريبا الى حد مدهش .

ــ الو ، جيرارد !

ــ الو اوستن .

ــ ارجو الا اكون قد جعلتك تنتظر . كنت احاول الاتصال منذ ساعة .

ــ كلا ، ابدا ، فقد استيقظت توا .

ــ طيب . كيف حالك ايها الصبي العزيز ؟

ــ على ما يرام . ما الذي يدعوك ان تبذر المال في مكالمة تلفونية بعيدة .

ــ ليست المسالة مهمة جدا . ولكني اريدك ان تسدي لي معروفا .

ــ بالتاكيد . ماذا فعلت ؟ نسيت فرشاة اسنانك ؟

ــ ليس الامر بهذا السوء ! هل يمكنك سماعي بوضوح .

ــ نعم ، بوضوح جدا .

ــ طيب . يبدو صوتك بعيدا . اسمع ، جيرارد . اني افكر في العودة الــى انكلترا . .

ــ حســـنــــا . . .

ــ ولكني اريدك ان تفعل شيئا من اجلي اولا . ارجو أن تذهب الى شقتي وان تسأل البواب هل سأل عني احد اثناء غيابي .

ــ طيب . هذا كل ما في الامر .

ــ هذا كل ما في الامر . تحقق فقط اذا سأل عني احد، ومن الذي سأل .

ــ حسنــا . وبعدئذ ؟

ــ اذا لم يسأل عني احد ، فابعث لي ببرقية رجاء ، اكتب فيها : لـــم يسأل احد ، فقط اما اذا سأل عني احــــد فاكتب : ارجو الاتصال تلفونيا ، وسأكلمك غداً . مفهوم ؟

ــ نعم . هل تريد تفاصيل كل من يسأل عنك ؟

ــ نعــم .

ــ من تحــاول ان تتجنب ؟

ــ أجل ، اني احاول ان اتجنب احدا . شخصا غير مرغوب فيه . هل

يمكنك ان تقوم بذلـك ؟

ــ نعـــم .

ــ هل لديـك عنوان الشقة ؟

ــ نعم . متى ستتصل ثانية ؟

ــ في نفس الوقت غدا مساء . اذا كان قد سأل عني فعلا شخص مـا ، ارجو ان تحصل على كل تفاصيله . يمكنـك ان تسأل ايضا فتاة البدالة . هـل يمكنـــك ؟

ــ نعـــم .

ــ طيب ، ولكن اذهب انت بنفسك هناك ، لا تكتف بالاتصال تلفونيا.

ــ كـــلا ، ساذهب .

ــ طيب ، لنفحص الموضوع : اسأل البواب هل سأل عني احد . واسأل فتاة البدالة ، فـاذا ....

ــ اذا لم يسأل احد فابعث لك برقية اكتب فيها : لم يسأل احد . واذا سأل احد فاحصل على التفاصيل وابرق لك : ارجو الاتصال تلفونيا . حسنا؟ والان اعطني عنوانـــك .

ــ اوه ، نعم . بانسيون فيفي ، سان موريتز . اني امكث في هذا الفندق باسم اوستن ، المستر ب. ج. اوستن .

ــ انـك لرجل غـامض !

ــ كلا في الحقيقة . لا تعط عنواني الى اي شخص .

ــ يا للسماء ، لا ! ولماذا اعطيه لاي احد ؟

ــ مـا اطيبك مـن انسان ...

وانتهى الوقت ، وقال نن :

ــ وداعـا يا جيرارد . عرفت العنوان جيـــدا ؟ بانسيون فيـفي . ف. ي. ف. ي. مفهوم ؟

ــ نعم وداعا يـا اوستن .

* * *

انقطع المطر عن الهطول . ولكن الطريق لم يزل مبتلا زلقا . كان سورم يكره ركوب دراجته في الطرق المبتلة ، لان واقيات الطين لم تكن على ما يرام ، وقد بلل المطر اسفل سرواله . وانحنى بكل جسمه على عجلة القيادة ، اثنـاء صعوده في طريق هافرستوك هيل . كانت التلال تتعبه ، وكان يبدد فيهـا من الطاقة في السباب اكثر مما يصرفه في الضغط على قضبان السير . ومرت بقربه سيارة ، ورشته بالماء الملوث بالطين ، فظل يحدق فيها بغضب وحسد .

ودقت احدى الساعات نصف الساعة فيما هو يستدير مــن ويل وك باتجاه شارع ايست هيث . فترجل واخذ يمشي صاعدا التل .

ودق جرس الباب ، واستند الى الحائط ، وهو يلهث ويتصبب عرقا. ولاح ضوء على الجانب الاخر من الزجاج . كانت تقف هناك وهي تبتسم اليـــــه تبدو منعشة ساحرة .

ــ هلو ، ادخل . قطعت المسافة بسرعة .

ــ يؤسفني جدا ان اتأخر ...

ــ لا تهتم . لحسن حظك اني هيأت عشاء باردا. نعم ، علق معطفك هناك.

كانت ترتدي بدلة لونها اسود واخضر من قماش لماع ، كشفت عن الجزء الاكبر من ذراعيها . كان قوامها كقوام فتاة رشيقة في مقتبل العمر . ونظــر اليها باعجاب وهي تتقدمه الى المطبخ .

ــ الا يضايقك ان تأكل في المطبخ ؟ أنه اسهل .

ــ كـــــلا ، ابـدا .

ــ الم تأكل شيئا ؟

ــ كلا . فقد نمت فيحوالي السا دسة . واتصل بي اوستن بعــــــد مخابرتــك حــالاً .

ــ حقــا ؟ مــاذا كان يريد ؟

ــ أوه ... طلب غريب . يريد مني ان اتحقق له هل وصلته ايـــــة رسائل الى شقته .

ــ من الغريب حقا . فلم لم يتصل بهم مباشرة ؟

وجفف سودرم يديه بفوطة صغيرة ، ثم جلس الى الطاولة . وسألت :

ــ شوربـــة ؟

ــ نعــم ، رجـــاء .

واخذ يتفحص تقاطيع جسمها بحرية بينما وقفت هي الى المو قد وقد ادارت له ظهرها . كان ردفاها يفتقران الى بعض الانحناء ، حتى كانا يشبهان عجز صبي . غير ان رشاقة خصرها راقته . وبينما كان يحاول ان يتخيــل كيف تبدو وهي عارية ، التفتت اليه فحول بصره عنهــا بسرعة . ووضعت صحن الشوربة على القرص الفايني ، وانحنت بجسمها امامه اثناء ذلك ، حتى أنه لو انحنى الى الامام قليلا لاستطاع ان يقبل الجزء الاعلى من ذراعها . كانت رائحة جسدها نظيفة ، غير معطرة .

ــ هل تسكنين هنا وحدك تماما ؟

ــ نعــم .

ـ ليس هناك احد ابدا ؟

فقالت وهي تبتسم :

ـ من النادر ان اكون وحدي . فهناك زوار دائما . ان اعضاء الجمعية يزورونني ثلاث او اربع مرات فى الاسبوع ، كما ان لي قريبة كثيرا مـــا تمكث معـــي .

ـ من شهود يهـــوه ؟

ـ نعم . ولدي كذلك أصدقاء من هامبستيد .

والتهم ملعقة من الحساء ، وادرك أنه كان يتضور جوعا . وشعربامتنان حسي ينبعث من معدته كان يجعله يبتسم لها . وجلست في مواجهته ،واخرجت تنورة صوفية لم تتم خياطتها من كيس ورقي ابيض كتب عليه ـ محـــلات هارود . وسحبت ابرة كانت مغروزة فى القماش وراحت تخيط بعنـــاية . فسألها بعدم اكتراث :

ـ مـــاذا تخيطين ؟

ـ تنـــورة .

ـ هـــل أعتدت على خياطة ملابسك بنفسك ؟

ـ نعـــم .

وانهى الحساء ودفع الصحن بعيدا .

ـ كـــان رائعـــا .

ـ طيـــب .

ونهضت بصمت وفتحت الثلاجة . كانت اطول منها .

ـ هـــل انت نباتي ؟

فـــأجاب بحمـــاس :

ـ لا بالتأكيـــــد .

كان الصحن يحتوي على فخذ دجاجة وثلاثة شرائح من لحم الخنزير .

ـ خـــذ شيئا من السلطـــة .

ـ شكـــرا .

ـ هل لـــك فى قدح بيرة ؟

ـ أود ذلـــك جـــدا .

واخذ يأكل بشراهة ، وتناول كمية كبيرة من البيرة . وراح يستمتـــع بمنظرها وهي تجلس امامه وقد احنت رأسها منشغلة بالخياطة . وتنـــاول كمية اخرى من السلطة ، وهو ينتقي بعناية اوراق الشكوريا وقطع الفلفـــل الاخضر . وسألها فجـــأة :

ــ الـم تتزوجي مطلقا ؟

كان يعرف الجواب ، ولكنه اراد ان يعرف رد فعلها لهـذا الموضوع . ولدهشته رمقته بنظرة يبدو عليها الغيظ ، واجابت :

ــ كــــلا .

ــ ارجو ان لا يزعجك سؤالي .

ــ لا ابـــــدا .

كان ما يزال في صوتها شيء من الحدة . ومضى يأكل وصب لنفسه قدحا آخر من البيرة ، وراح يتساءل في نفسه لماذا اغضبها السؤال . وقال بتحفظ :

ــ جعلتني اشعر انه ما كان ينبغي لي ان اثير الموضوع .

واستمرت على الخياطة . واخذ يفكر في انهاعزمت على تجاهله ، كدليل على عدم الرضى . ثم شرعت تتكلم ، وهي ما زالت منهمكة في الخياطة ، بصـوت دقيق العبارة لا تعبير فيه :

ــ لا يزعجني السؤال ، غير ان ما يزعجني هو الفرضية التي يقوم عليها السؤال عادة . الرجل الاعزب أمر طبيعي ومقبول ، ولكن المراة غير المتزوجة يطلق عليها « عانس » ، ويعتبرونها شيئا ناقصا . اقصد ذلك اللغو الـذي يردده بايرن من ان الحب هو طريقة لتزجية الفراغ لدى الرجل ولكنه كل ما في الحياة بالنسبة للمراة . . .

في الاحوال الاعتيادية ، لم يكن ليتقبل مشاعرها هذه دون ان يتشكـك فيها ، ولكن وجبة الطعام هذه ولدت لديه شعورا بالانبساط والامتنان . فقال عـلى عجـل :

ــ اني اتفق معك كليا . انه لغو باطل . بالطبع يحق للمراة ان تتمتـع بنفس الاستقلال الذي يتمتع بـه الرجـل . . .

فقاطعته بقولها :

ــ انا لم أقل ذلك . انا لا اعتقد ان لاكثر النسوة الاستقلال الطبيعـي الذي للرجل . بيد أني لدي عملي الخاص والزواج . . يشغلني عنه .

ــ مـا هو عملك هــذا ؟

فأبتسمت له فجاة ، واختفى مظهر مديرة المدرسة الذي تميزت بـه وحل محله سحر جعلها تبدو اصغر سنا .

ــ هل ترغب حقا في ان تعرف ؟

فقـال بجـد :

ــ ارغب جـــدا .

ومضت في خياطتها . وقـالت :

ـ كنت افكر فى ان اكون امراة .. لديها ما تقوله .
ـ مؤلفـــة ؟
ـ نعم . وليس من الضروري مؤلفة مع هذا . عندما كنت فتاة صغيرة كان لدي كتاب عن حياةالقديسات ـ مثل القديسة كاترين من سيينا والقديسة تيريزا من افيــلا ، وغيرهمــا .
ـ هل كنت ترغبين فى أن تكوني قديسة ؟
ـ لست أدري . كنت اصغر من أن افهم معنى كون الانسان قديسا .
ـ هــل تفهمين الان .
ـ احسن من السابق قليلا ، على ما اظن . كنت اقرا عن سيمون فايل، كانت قديسة . لا يمكنني ان اكون مثل سيمون فايل أبدا .
ـ لمــــــاذا ؟
ـ لان ... اوه ، لانه ليس لدي الذكاء الكافي ولا القوة الكافية ولا ... اوه ، لا ادري .
ـ ومع هذا لا تريدين الزواج وتكوين عائلة ؟
ـ قد افعل هذا ، لو وجدت الرجل الذي يعجبني الاستقرار معه .
ورفعت نظرها اليه فوجدته يبتسم . وقالت :
ـ اعرف بماذا تفكر . امراة اخرى تبحث عن الرجل المناسب . لقـــد التقيت بالكثيرات منهن ، ينتظرن المستر « مناسب » !
فقـــال :
ـ ولكن الامر ليس كذلك فى حالتك ، فأنك ترغبين فى ان تؤدي عمـــلا نافعا فى حيـــاتك .
فاجابت ، والتعب باد فى نبرتها :
ـ فى اعتقادي يجب الا يكون الزواج خاتمة المطاف بالنسبة للمراة ، على كل حال . ان أكثر النساء يتصرفن كما لو انه يوم الحساب الاخير .
ـ ومـــاذا تعتقدين انت ؟
ـ اوه ، اعتقد ... اعتقد ان ذلك مجرد تبجح ، ولكني ارى أنه ينبغي عـــلى البشر ان يسعوا لجعل العالم مكانا افضل للحياة ، بالاضافة الى سعيهم ان يعيش كل منهم حياته الخاصة .
ـ وهل تعتقدين ان الانضمام الى شهود يهوه ينفع فى هذه الحالة ؟
ـ اعتقد ذلك . اما انا فلا انظر لنفسي بصفتي من هؤلاء الشهود ، ولكن بصفتي مسيحية . ان شهود يهوه هم الطائفة الوحيدة بين المسيحيين التي تسعى للوقوف بوجه الطريقة التي تسير عليها الامور .

وفتح سورم زجاجة بيرة اخرى ، وسكب محتوياتها في القدح :
ــ وعلى اية طريق تسير الامور ؟
ــ اوه ... لقد اصبح الناس اكثر خسة وتفاهة .
ــ الا تعتقدين انهم كانوا دائما بهذا الشكل ؟
كان يلح عليها بالاسئلة لانه وجدها تستمتع بالتحدث ، ولانه كان يجد لذة في سماع صوتها ومراقبة وجهها الذي لوته جانبا . وكان يفكر : ما اجمل ان يطبع قبلة على ذلك الوجــه .
ــ بلى ، اذا نظرنا الى المسألة من جانب واحد . ولكن الرجال والنساء في العصور الوسطى كرسوا حياتهم للاخرين دون ان يثيروا ضجة حول الامر . كانوا يقومون بذلك بصورة طبيعية ، بدافع من حبهم لله ولاخوانهم البشر ، ولم يظن احد ان ما كانوا يفعلونه شاذ او يتهمهم بانهم من صناع الخير . ويبدو ان في هذه الايام ــ على كل حال ، كل انسان لنفسه ...
ــ وكيف تأملين في تغيير ذلك ؟ بحمل الناس على تغيير مبادئهم ؟
ــ لست ادري . ادعو احيانا بعض اصدقائي من شهود يهوه لتنــــاول العشاء معي ، واعتقد انهم ... تبدو عليهم السذاجة ، بالرغم مما يتسمون به من جدية . ويحدث ان اتحدث احيانا اخرى الى هؤلاء الذين يدعون الثقافة فأجدهم سخفاء بالرغم من براعتهم .
فقــــال سورم مبتسما :
ــ لك مؤهلات الهرطوقي من الصنف الاول .
ــ فاجابت بصوت ناعم :
ــ مــــن المحتمل .
وساد الصمت بينهما . وراح سورم يراقب يديها وهما تمسكان بقطعة القماش ، ولاح له انه كان من البساطة ان يجلس بجانبها ، دون ان ينطــــق بكلمة ، وهو لا يشعر بالحرج من ضرورة الكلام . واخذ يتساءل هل كانت البيرة هي المسؤولة عن شعوره هذا بالانبساط والاسترخاء .
وقــــالت فجــــأة :
ــ هل تعلم ان اوستن كان قد التحق باحد الاديرة ؟
ــ كــلا . متى ؟
ــ قبل مدة غير بعيدة ، منذ اقل من سنة . ولكنه خرج ثانية ، لم يكن ذلك ما يبحث عنــــه ...
ــ حقــــا ؟
ثم دفع صحنه ابعد قليلا ، واستلقى الى الخلف .

وقـــالت بنعومـة :

ــ مسكيـــن اوستن .

كان الحنان واضحا فى نبرتها . فقال بفضول :

ــ هل انت مغرمة باوستن ؟

ــ بالطبع ! فقد راقبته حتى شب وترعرع . كنت فى التاسعة من عمري عندما ولد . وكنت اخرج به للنزهة . كان طفلا غريب الاطوار .

ــ كيـــف ؟

ــ كان فى بعض الاحايين يلوح طفلا ملائكيا . على اية حال كان صبيـا ذا مزاج طيب جدا ، غير انه كان يسلك فى بعض الاحيان سلوك من كـــانت تكمن فيه روح شريرة كانت احيانا تنتابه حالات عصبية فيحاول ان يهشم ما تقع عليه يده او يقسو على الاشياء .

كانت عيناها تنظران باتجاهه ، وقد لحظ عليها انهـــا كانت تستمتع بالحديث عن اوستن ، واستقر نظرها فجأة عليه ، فوجدت انه لم يعد يأكـل طعـــامه .

ــ هل لك فى فنجان قهوة ؟

ــ كـــلا ، شكرا .

ــ شاي ؟

ــ شكرا ، لا اشرب شيئا .

ــ فلنذهب الى الغرفة الاخرى اذن . فيمكنك ان تتناول شيئا مـــن البراندي اذا رغبت .

ــ آه .

واصرت على ان يتقدمها فى الدخول الى غرفة الجلوس . وقال لها :

ــ اشكرك على الطعام الشهي حقا !

ــ اشكرك . انـك لملاك !

ــ وشعر على الفور انها ارتكبت خـــــطأ ، ثم احس بالدهشة للحمرة الخفيفة التي صعدت الى وجهها . لقد سحرته ، فقد أكسبتها تلك النظـرة مظهر طالبة مدرسة . وقال لها وهو يدير القدح باصابعه :

ــ مـــا اكبر القدح !

ــ من المفروض ان يكون كذلك !

ــ حقـــا ؟

ــ الم تشرب البراندي من القدح المخصص له قبلا ؟

ــ ابدا . كان لي جد بحار يعرض علي احيانا ان اتناول رشفة مــــن

البراندي، وكان يشرب البراندي بكوز كبيرجدا معالماء الساخن وعصير الليمون.
فضحكت له : كان يسمعها تضحك لاول مرة . وامسكت بقدحها عاليا وقالت :
ــ ينبغي ان تمسك بالقدح بهذه الطريقة ــ وذلك لتسخينه بحرارة يديك . ذلك اذا كان البراندي جيد النوعية ، ليس كهذا .
ــ انه حسن المذاق بالنسبة لي .
ــ نعم ، ولكنه ليس جيدا . البراندي الجيد له مذاق رائق سلس . . .
فقـال ضاحكا :
ــ لك مؤهلات الابيقوري من الصنف الاول !
فارتسم الجد عليها فى الحال ، وقالت بهدوء :
ــ كـــلا .
وراح ينتظرها لتمضي فى حديثها ، ولكنه لما رآها قـد اتمت عبارتها ، قال وقد رفـع جفنيه :
ــ كـــلا ؟
ــ كلا . لا اعتقد اني اهتم للحياة الناعمة . . . امضيت مرة اسبوعين فى منزل للنساء فى القطاع الشرقي من لندن ، فلم اشعر بالحنين الى البيت ، لولا قذارة المكان . والقذارة غير مرغوبة فى اي مكان . . .
ــ وماذا كنت تفعلينه فى هذا المنزل ؟
ــ للمساعـــدة .
ــ آه . فهمت .
وبسطت القماش على فخذيها ، وشرعت فى الخياطة . واخـذ سورم يحتسي الخمر ، ويرقبها باعجاب . كان وهج النار من المدفاة الكهربائية يضفي احمرارا على ساقيها اللذين لبست عليهما الجوارب ، وينعكس فى بدلتهـــا المصنوعة من القماش اللماع . وايقظ هدؤوها ورقتها فيه الرغبة فى لمسها ، ولكن شيئا فى اعماقه انذره بانها تخاف الالفة ! وطفق يتأملها وهي منهمكـة فى الخياطة ، ومضى يتخيل حياتها الماضية . ولاحت له نظرية الاب التي افضى بها اوستن لا تخلو من الصدق . هنالك امر ما ولا ريب . وراح يفكر : كيـف سيحملها على الافصاح به ؟ فقد جعله البرود المفاجيء الذي قابلت به حديثه عن الزواج يحاذر فى الامر . وقال اخيرا :
ــ حدثيني عن اوستن .
ــ ما الذي تريد ان تعرفه عنه ؟
ــ قصة الدير هـذه .

ـ لست ادري . اساله انت .

ـ ايـن يقـع ذلك الدير ؟

ـ في الالزاس ـ على نهر الراين ، على مبـــا اظن . فاوستن لا يحب الحديث عنه . لا يتحدث عنه الي ، على كل حال .

ـ ولا تعرفين شيئا مما حدث ؟

ـ قليلا جدا . ان والدة اوستن تدين بالكاثوليكية ، وقد حاولت فترة من الزمن ان تجعل من اوستن قسيسا . ولكن شيئا من هذا لم يحدث . فقد كان والده يريد ان يدفع بولده الى التجارة ، ولكنه لم يبد ميلا الى ذلك ايضا . كل ما حدث هو أن اوستن ادمن على الشراب ، فزجه ذلك في متاعب كثيـرة وقرر والده على اثر ذلك أن يرسله الىالبرازيل . ومن حسن الحظ ، عزمت والدته على أن تتدخل في هذا المشروع واقنعت الاب بأن الصبي بحاجة الـى مراجعة طبيب نفساني . وذهب اوستن الى الطبيب ، وادرك أن الامر كلـه هراء ، ولكنه اعتقد ان مراجعة الطبيب كانت افضل من الرحيل الىالبرازيل. وفوق كل ذلك ، اقنع الطبيب على ان يخبر والده بأنه صبي لا يليقبالتجارة .

فقـــال سورم :

ـ مسكين اوستن ! يبدو انهم لا يريدون ان يدعوه وشانه .

ـ تماما ! من المؤسف انه ولدهم الوحيد .

ـ ومـــاذا حدث بعد ذلك ؟

ـ وبعد ذلك . . . بدأ اهتمامه ينصرف الىرقص الباليه واعلنانه يريد ان يؤلف كتابا . فمنحوه لذلك بعض المال وتركوه وشأنه ـ وهذا ما كـــان ينبغي لهم أن يفعلوه . وقد كتب بالفعل ، واخالك تعلم ، ثلاثة مؤلفات ممتازة، وبدأ يكون له سمعة مرموقة في عالم الصحافة .

ـ وما هي قصة الدير هذه ، على كل حال ؟ متى حدث ذلك ؟

ـ منذ زمن قريب . فقد غادر الى المانيا منذ ثلاث سنين ليعيشهناك ، ومكث فيها ما ينوف عن العام ، لم نسمع خلاله الكثير عنه . وفي يوم منالايام كتب يقول بانه انضم الى دير في مقاطعة الالزاس وانه يأمل ان يصبح راهبا . وبالطبع ، سرت والدته لذلك . كانت واثقة من انه سوف لا يلبث ان يغـادر الدير بعد ان يصبح قسيسا . بيد ان الامر اخفق ، حيث لم يمكث غير شهر واحد ، كأنه نزيل في فندق . وعاد بعدئذ الى لندن . وقد عكف منذ ذلك الوقت على كتابة قصة ـ كما قال لي هو . فربما تكون على معرفة افضـــل منـي بهــذا الامر ؟

ـ كلا . لم يذكر لي شيئا عنها . لم اتعرف به منذ مدة طويلة . هـل

كنت دائما على صلة وثيقة به ؟

فقـــالت بهـــدوء :

ـ كان دائما يحضر الي اذا ما احس بالتعاسة او السخط .

ونظـر اليهـا ، واحس ثـانيـة بتيقظ الرغبة في لمس جسـدهـــا المشوق . وقـــال :

ـ يـــدهشني لمـــاذا ؟

ـ يـــدهشك ؟

ـ لماذا يحضر اليك دائما ؟

ـ كنا دائما مغرمين ببعضنا . كـــــان يثق بي دائما . احسبني كنت متسامحة معه الى حد لم يشهده من مربية اخرى !

راح سورم يتأمل رقة عباراتها وهي تتحدث عن أوستن ، واخـــــذ يتساءل : هل انها تحب اوستن . ولكنه قرر ان الامر مستحيل ، بينما كانت هي تطوي التنورة وتدسها فى كيس الورق . كانت هيأتها تنم عن موقف فتاة ترعى اخاها الاصغر .

وسأل بفضول :

ـ هل كنت مجرد صبية ؟

وبدت كأن تغيير الموضوع قد افزعها ، ونظرت اليه والتساؤل يكتنـف وجهها ، ثم قالت على عجل :

ـ نعـــم .

ونهضت وثنت اعلى الكيس. فشعر سورم للمرة الثانية بأنه قد اربكها بالحديث عـــن نفسها . وقالت :

ـ معذرة يجب أن اقوم بنداء تلفوني قبل ان انسى .

ـ انا صاعد الى الطابق الثاني ، عـــن اذنك .

وتناهت اليه وهو فى الحمام همهمة صوتها وهي تتكلم فى التلفون . كانت الغرفة دافئة الى حد ملائم ، واحس بالشبع والنعاس . ووجد الماء الدافيء والصابون ذا عبير البرتقال من المستطاب حتى خلع ثوبه وشرع يغسل رقبته ووجهه. ثم مسح البخار من المرآة،واستحسن وجهه الوردي المنعكس فيها. لم يكن قد حلق ذقنه منذ يومين ، ولكن بشرته كانت بيضاء لم يكد الشعـــر يبرز عليها واضحا . ومسح الصابون من ثنايا اذنيه وكشر على نفسه فى المرآة وسمع رنين جرس الباب فى الاسفل. فاقترب من الباب وراح يسترق السمع، ولكنه لم يفقه شيئا . كانت قد فتحت الباب دون أن تعيد سماعة التلفـون الى محلها ، لان صوتها عاد يهمهم . وسمع طرقة التلفون وهي تضع السماعة

فى مكانها ، بينما كان يخرج من الحمام . وعندما نزل السلم الفاها داخل المطبخ، وسألهـــا :

ــ هــل قــدم احد ؟

ــ ابنــة اخي .

وعندما دخل الغرفة ألفى الفتاة جاثية على ركبتيها أمام الموقد تــدفيء يديهـــــا . وقال :

ــ كيــــف حالك ؟

ورفعت نظرها اليه ثم نهضت على قدميها وقالت وهي تبتسم :

ــ هـــلو !

كانت الفتاة التي رأى صورتها فى غرفة النوم . كـــان شعرها الاشقر القصير يلوح حديث القص والتجعيد . وعندما انفرج ثغرها عن الابتسامة ، وجد اثنين من اسنانها الامامية غير منتظمين، كان احدهما يتوسد الاخر قليلا . وخمن سنها فى السادسة عشرة وقالت :

ــ اسمي كارولين . كيف حالك ؟

ــ جيرارد سورم .

ــ هل انت من شهود يهوه ؟

ــ كــــلا .

ــ لم أظن انك منهم . ولا يبدو عليك ذلك !

ولم تدع الطريقة التي ابتسمت بها مجالا للشك فى انها قصدت بهـــذه العبـــارة مديحـــا له .

ــ لا يبدو علي ؟ فكيف ابدو اذن ؟

ــ لست أدري .

فالقت اليه نظرة فاحصة وقد لوت رأسها جانبا قليلا ، ثم اطلقت قهقهة مكتومة ، كشفت عن حقيقة عمرها الذي كانت تخفيه بتصنعها الكلام الرزين الموزون وسفسطة العبارة . واثار فيه تصنع السفسطة هذا شعورا طفيفـا بالاشمئزاز .

ودخلت المس كوينسي .

ــ آه ، لقد تعارفتما . هل لك فى قدح من الشراب ، يا كارولين ؟

ــ نعم ، شكرا . ايمكنني ان اشرب قدحا من الشيري .

ــ انا لا اعني هذا النوع من الشراب ، يــا كارولين . اوصتني امك الا ادعك تلمسين الخمــر .

فقالت كارولين بلهجة حزينة :

ـ ولكني اكاد اموت من البرد . هيا تحسسي .
وجعلت قفا كفها يلمس وجه المس كوينسي .
ـ حسنا . ولكن لا تسرفي في الشرب . سأهيء الشاي .
ثم التفتت الى سورم تسأله :
ـ الا تريد شيئا من الشاي ؟
ـ نعم ، شكرا !
ـ لا تدع كارولين تسرف في شرب الشيري .
وخرجت المس كوينسي من الغرفة ، وقالت كارولين :
ـ ستجدينني عندما تعودين ملقاة على البساط يكاد يخنقني السعال .
وراح سورم يتطلع اليها باهتمام متزايد . فوصية المس كوينسي بكارولين ادخلت شعاعا من الالفة بينهما ، ووضعته موضع الوصي عليها . كان يرقبها وهي تحرك الزجاجات في الدولاب . وسألت :
ـ اتشرب انت ؟
فقال :
ـ كنت اشرب البراندي .
ـ الا تريد ان تملأ قدحك ثانية ؟
ووجد قدح المس كوينسي ولم تمسسه بعد ، فقال :
ـ لا اعتقد ان لجرترود النية في الشرب . ربما يكون من الافضل ان اتناوله انا .
ـ بل ان ذلك افضل فعلا !
وجلست على الاريكة ، وعقدت ساقيها . كانت لها ساقان جميلتان ، وكانت ترتدي بذلة سوداء بسيطة الشكل لها ردنان يصلان حتى المرفقين .
ـ طيب ، اخبريني ، ما هي مهنتك ، اذن ! لا استطيع التكهن .
ـ مهنتي التأليف . . .
ـ حقا ! انت مؤلف . رائع ! كنت دائما اود التعرف بمؤلف .
ـ صحيح ؟ لست اذن اول مؤلف تتعرفين به بالتأكيد ؟
ـ تقريبا . كان والدي صديقا لاحد الروائيين يدعى دينيس سكوت منذ بضع سنين . وتعلقت به بعنف ! كان وسيما جدا !
وقال سورم مبتسما :
ـ آه . وهل اثمرت العلاقة ؟
ـ اثمرت ؟ يا للسماء ، لا ! كنت لم اتعد العاشرة من العمر .
وقال سورم وهو يتعمد مضايقتها :

ـ كنت فتاة للدبلة آنذاك ولا شك !

فاجابت بلكنة اميركية : اوه ، نعم . وعادت تصطنع الرزانة التي كانت تتـــلاشى .

ـ كم تبلغين مـــن العمر الان ؟

ـ السابعة عشرة . ابلغ الثامنة عشرة بعد ثلاثة اشهر . مـــا هو نوع مؤلفيـــاتك ؟

ـ اخبريني ماذا تفعلين انت اولا .

ـ التمثيل . أدرس التمثيل فى أ. ل. م. ف. د.

ـ ايـــن ؟

المدرسة التي تنافس « رادا » ، انها تقع فى كنسنغتن .

ـ أ. ل. م. ف. د. اقصد اكاديمية لندن للموسيقى والفن الدراماتيكي،

ـ آه !

وشعر سورم بانه استطاع فجأة ان يجد محلها فى اطاره الذهني . لقد حيره هذا المزيج من السذاجة والتعقيد ، كـما اذهله انعدام الخجل لديها . واخذ يتصورها بعد سنتين لا تتكلم الا بهذه اللهجة المصطنعة ، وتنادي كـل من تصادفه « يا عزيزي » . اما الان فسلوكها هو مزيج من اثنين : طـــالبة المـدرسة والمسرح .

وقـــالت :

ـ اعتقد انك تسكن فى همبستيد ؟

ـ كلا ، فى الواقـع .

ـ اوه ، حسبتك واحدا من اصدقاء عمتي المتفننين .

ـ كلا . بـ ل انا صديق لاوستن .

ـ اوستن ! لم اتعرف به قط ، وكنت دائما ارغب فى ذلك . هـل هو ساحر المظهـر ؟

فقـــال سورم ، وهو يبتسم :

ـ لا اعتقد انـــه سيثير اهتمامك .

فقـــالت :

ـ لماذا ؟ ثم بدا عليها بصورة مفاجئة كأنها فهمت قصده وقالت :

ـ آه هل هو بهذا الشكل ؟

ـ ينبغي الا تعلمي شيئا عن ذلك .

ـ لا ؟ لم لا ؟ لدينا اثنان منهم فى فصلنا . انهما يتمشيان ويحيط كـل منهما الاخر بذراعـــه .

ـ منظر مزعج اليس كذلك ؟

ـ بل هو كذلك . وهنالك فتاة وقعت في غرام أحدهما ـ الذي يدعى ارنست . ولقد كان ذلك سببا في شقائها حقا . اعتقد ان المنحرفين جنسيا جذابون ـ ولكن بطريقة كريهة . الا تعتقد ذلك ؟

وقال سورم وهو يبتسم :

ـ كيف لي ان اعلم ؟ فميولي ليست في ذلك الاتجاه .

وقالت : طيب !

وراح سورم يتساءل هل كانت تعني موافقته بهذه الكلمة . وراح يحاول ان يتأكد من ان ابتسامتها الدافئة قصدت خصيصا له ، او انها جزء من قواعد السلوك العامة التي تعلمتها في مدرسة التمثيل . واستلقت الى الوراء وهي جالسة على الاريكة واخذت تحملق في السقف . وطفق سورم يرمق ساقيها برجاء ، ولكن رداءها لم ينحسر كثيرا وهي تتمطى الى الوراء .

وقالت :

ـ قل لي ماذا تكتب .

فأجاب :

ـ ليس الان . في وقت آخر .

ورمقته بنظرة من طرف عينيها .

ـ متى ؟

وسرت في جسده هزة من الابتهاج التي خفف من حدتها مفعول البراندي . وقبل أن يجيب ، دخلت المس كوينسي . ونظرت باستنكار الى الطريقة التي كانت كارولين جالسة بها . وشعرت الفتاة بموقف المس كوينسي دون ان تنظر اليها فاعتدلت في الحال واخذت تنفض الوسائد . وقالت المس كوينسي :

ـ لم اكن اتوقع مجيئك الا في ساعة متأخرة ، يا عزيزتي .

ـ اعلم ، فقد كنت اعتزم ان آتي من المسرح مباشرة ، ولكن الغي التمرين . ولشد ما سرني ذلك ، فانني اشعر بتعب ممض ، لقد كان يوما مليئا ! ارجو الا اكون قاطعت مناقشة مهمة ؟..

ـ كلا يا عزيزتي .

قالتها المس كوينسي وكان يبدو عليها الارتياح . كانت تصب الشاي .

وقالت :

ـ جيرارد ...

وادهشته النبرة التي تفوهت بها . كانت ممسكة بفنجان الشاي .

ـ اوه . شكرا جزيلا .

فسألت كارولين بطريقتها المصطنعة :

ـ عم كنتما تتحدثان ؟

فاجـــاب سورم :

ـ عن اوستن بالدوجة الاولى .

ـ اوه !

وقالت المس كوينسي :

ـ كارولين .

وتناولت فنجان الشاي . واضافت المس كوينسي :

ـ هل انت جائعـة ؟

ـ قليلا . لم اتناول لقمة واحدة منذ الغداء .

ـ حتى ولا الشاي ؟

ـ لم اكن اود مقاطعة عملي . كنت اتعلم دوري .

ـ يا لله ! يجب ان تاكلي شيئا . سأهيء لك شيئا الان .

ـ لا تزعجي نفسك . ساجد قطعة ساندويتش لنفسي .

وسالها سورم : اي دور تقومين بتمثيله ؟ لم يكن مكترثا ولكن حديث المس كوينسي عن الطعام اخذ يضايقه . فقالت كارولين بلا مبالاة :

ـ غاب اسمها عني . انها زوجة شاعر ... اننا نقوم بتمثيل مسرحية عن الشاعر الفرنسي رامبو . انا زوجة اعز اصدقائه .

ـ فرليـــن ؟

ـ اجل . علي ان اتلو قصيدة بالفرنسية . ارجو أن تكون لهجـــتي صحيحة . تبدا القصيدة هكذا ...

فقاطعتها المس كوينسي قائلة :

ـ هيا اشربي الشـاي ، يا عزيزتي

فقالت الفتاة بوداعة :

ـ طيب .

واخذت ترشف الشاي . وجلست المس كوينسي وقالت :

ـ حقا ، لا ادري ماذا فعلت بقدح البراندي ؟

ـ اوه ... شربته انا . آسف جدا . ظننتك لن تشربيه .

ـ لا بأس . لم اكن ارغب في شربه في الواقـــع . ولكني فضلت الا ابدده ...

لقد استطاعت بطريقة ما ان تجعله يشعر بالذنب ، وبانه على تفاهم خفي مع كارولين . ونظرت اليه الفتاة من فوق فنجان الشـاي ، كـــانت

عيناهـا تتألقان . وتوقف عن مبادلتها النظرات . ووضعت قـدح الشاي على المنضدة ، وتمطت كالقطة ، فبرزت انحناءات صدرها . وصدر صوت شيء ينقطع . فصاحت متبرمة :

ـ اللعنة . انفكت كلابة مشد الصدر .

وصاحت المس كوينسي :

ـ كـارولين !

غير ان الفتاة تجاهلتها ورفعت يدها لتتحسس ظهرها عند اسفـل رقبتها . وقالت :

ـ يحدث ذلك مرتين في اليوم . هل لديك ابرة خياطة، ايتها العمة.

ونهضت المس كوينسي بصمت ، واجتازت الغرفة الى الـدولاب . ولحظ عليها سورم الامتعاض والاستنكار . ولكن كارولين لم تحفل بذلك. وقال سورم مبتسما :

ـ هل حدث ذلك في ظروف محرجة ؟

واحس بنظرات المس كوينسي متجهة اليه . وقالت كارولين :

ـ كلا ، لحسن الحظ ، كنت لوحدي . ولكني اعرف فتاة مسكينـة سقط عنها لباسها الداخلي اثناء التمرين ...

وانطلقت تتضاحك وكادت تختنق . وعـادت المس كوينسي وهي تحمل ابرة وبكرة خيوط بيضاء . وتناولتهما كارولين دون ان تنظر اليهـا وقـالت :

ـ كم كان الموقف مضحكا . كان لباسها من النوع الذي يثبت بالازرار..

وصاحت المس كوينسي :

ـ كارولين !

ـ وانقطع الزر ... كادت ان تسقط وان تدق عنقها ولبـاس النايلون معلق في رسغي قدميها ...

ـ كارولين ، أرجوك ! وقالت الفتاة مدافعة عن نفسها :

ـ ولكن الامر كان مضحكا جداً . كم بدت مضحكة وهي تحـاول الهروب من المسرح دون ان تتعثر ...

وحدث بسورم رغبة في أن يزيد مـن مضايقـة المس كوينسي ، فقـال للفتـاة :

ـ ماذا كنت تفعلين لو وقع الحادث لك انت ؟

وجلست المس كوينسي ثانية ، كما لو ان الحديث اصبح اخطر ممـا يمكنها أن تتحمل مسؤوليته . واجابت كارولين :

ـ لكنت زلقته من ساقي ومضيت في التمثيل !
واصطبغ وجه المس كوينسي بالحمرة وصاحت :
ـ ارجوك ان تكفي ، يا عزيزتي !
وقالت كارولين :
ـ لكن هذه امور تحدث. وهل من العيب ان تكون صريحين بصددها؟
فقالت المس كوينسي بلطف غريب :
ـ انه ليس موضوعا لائقا ، يا عزيزتي .
فقالت كارولين باحتقار :
ـ لائق . انك لحمقاء ، ايتها العمة !
ونظر سورم الى المس كوينسي بتوجس ، ولكنها اخـــذت تشرب الشاي بهدوء ، كأنها شاردة الذهن . ونهضت الفتاة :
ـ سأذهب لخياطة الكلابة ، ثم احضر قطعة ساندويتش .
ـ سأخيطه لك ، يا عزيزتي .
ـ لا ، تزعجي نفسك .
وتركت الغرفة وهي تحمل قدح الشاي . وعندما بلغت الباب التفتت والقت قبلة خاطفة لسورم . وعندما انغلقت الباب ، اخذت المس كوينسي تحدق في الفضاء ، والقلق باد على وجهها . ثم قالت اخيرا :
ـ لشد ما انا قلقة عليها .
ـ لماذا ؟
وظلت تحدق ، دون ان تجيب . ثم قالت فجأة :
ـ اوه ، على كل حال . فانها ستتزوج ولا شك .
فقال سورم :
ـ لا شك في ذلك .
فنظرت الى سورم :
ـ اما بالنسبة اليك فالامر يختلف . انك رجل . وفضلا عن ذلـك فانك اكبر منها سنا .
ـ ماذا تعنين ؟
ومضت في الخياطة ثانية ولم تجب . واخذ يرقبها بفضول وهـــو يعرف كنه مشاعرها بالضبط . ولم يستطع ان يجد شيئا يقوله ليفتـــح الموضوع ثانية . وسأل اخيرا :
ـ هل تعترضين على مدرسة التمثيل ؟
ـ ليس هـــذا ...

وانتظرها لتتم عبارتها وهو يتفرس في النار . وكانت تنظر اليـــه ولكنه ظل يحدق في قضبان المدفأة المحمرة . وقالت :

ـ اني اسعى الا اقحم معتقداتي على الاخرين . انا لا احـــاول ان افرضها على اوستن او كارولين او عليك . هل لاحظت ذلك ؟

ـ نعـم .

ـ ولكن ... على كل ، المفروض في ان ابين لكم معتقداتنـا ، فـي الواقع . ان من صميم عقيدتنا هي ان ندع الفرصة لكل انسان ان ...

وانتظرها لتقول : « ان يتوب » ، ولكنها مضت تقول :

ـ ... ان يتعرف على رسالتنا .

فقال سورم :

ـ قد لا تؤمنين بها انت نفسك الى هذا الحد ؟

فقـالت :

ـ بل اؤمن بهـا .

كان صوتها خلوا من التعبير ، كأنها تتحدث عن شيء غير مهم كمفتاح الباب الامامي مثلا . ثم اردفت :

ـ للناس طرائقهم المختلفة في السلوك تجاه عقائدهم.واني لا اتحرج من الكلام الى الغرباء لانهم غير ملزمين بالاصغاء . اما اذا اقحمت كـلامي على الاشخاص المقربين لي ، فانني اشعر وكانني قد اقترفت اثمـــا . هل ... هل تفهمني ؟

ـ تماما .

ـ ومع هذا ، عندما اجد كارولين وكأنها لا لشيء الا للمسرح ، اشعر بالقلـــق . فقال :

ـ اطلبي منها ان تحضر اجتماعاتك الدينية .

لم يطرح السؤال بصورة جدية ، ولم يكن يهمه الحديث عن كارولين. وقالت على الفور :

ـ اوه ، كلا : لا اعتقد ان ذلك يسرها مطلقا . اعلم انها لن تكترث لذلك . بل ... اعتقد ينبغي ان يفاتحها بذلك رجل ذو سن يقارب سنها. وقال سورم :

ـ شخص يمكنها الانسجام معه .

قال ذلك ، وهو يتذكر الفتيات اللاتي كان يشاهدهن يرتلن الصلوات في زاوية الخطابة في حديقة هايدبارك بوجوههن الشاحبة وثيابهن الرثة. والتفت اليها ، فضايقه منظرها وهي ترمقه بنظرة جدية . وقالت :

ـ قد يمكنك انت أن تقوم بذلك .
ـ أنا ؟ ولكني لست من شهود يهوه على اي حال ؟
ـ يمكنك ان تحضر عددا من اجتماعاتنا .
ـ بالطبع . ولكن ذلك لا يضمن اني سانتهي باعتناق ارائك ؟
ـ لا يهم ذلك . انك انسان جاد في طبعك . ذلك اهم شيء .
ـ يسرني ان تظنيني كذلك .
ـ ولكنه اهم ما في الامر اليس كذلك ؟
وقال في ترو :
ـ من الجائز . ولكن هناك تباينا شاسعا بين وجهتي نظرنا .
ـ شاسع جدا ؟
فقـــال :
انني اعمل على فرض ان العالم خلو من المعنى ، وان الحياة عبث.
ـ عبث ؟
ونظرت وكأنها قد صعقت :   ـ بالضبط .
ـ ولكن كيف ... كيف يمكن ان تكون بدون معنى ؟ لا اشك انـك لا تؤمن بذلك ؟ لا يمكن لاحد ان يؤمن به .
ـ لم لا ؟
ـ لا تعود الحياة تستحق أن تعاش ...
ـ كلا مطلقا . من المبهج ان يعيش الانسان . وهذا يختلف تمـــام الاختلاف عن الايمان بان للحياة معنى .

كانت تحدجه بنظرة نفاذة مفعمة بالتشكك ، كأنها ترتاب في انـــه يريد ان يجعل منها اضحوكة ، وكأنها قد تأهبت لاطلاق الضحك بمجــرد ان يعترف لها بنيته هذه . وابتسم لها . وقالت فجأة :

ـ فماذا يمكنك ان تكتب عنه اذن اذا كنت تظن ان الحياة تفتقــر الى المعنى ؟

ـ آه ! سؤال وجيه . سأجيبك . اريد ان أؤلف كتابا عن الطــرق المختلفة التي يضفي بها الناس معاني على الحياة التي يعيشونها . وسيكون الكتاب بعنوان « طرق ووسائل خداع النفس » ، وسيعالج جميع الطــرق الممكنة التي يتوسل بها الناس لاخفاء معنى الحياة عن انفسهم . وسأستهل الكتاب بفصل عن التجار والسياسيين اسميه «الانسان النشيط» وسيكون هنالك فصل عن الفنانين والادباء ورجال المسرح اسميه «الانسان الجمالي» ثم فصل عن الثائرين والرجال الذين يدفعهم الحسد وعدم القناعـــة .

واخيرا ، عدد من الفصول عن جميع انواع خداع النفس عن طريق الدين.
واخذ الصفاء يعود الى وجهها وهي تصغي اليه . وابتسمت وقاطعته بقولهـــا :
ــ تلك فكرة رائعة ! اني اتفق معك تماما . ان كتابا من هذا النــوع سيجعل مهمتنا اسهل كثيرا . فنظرتك ، على كل حال ، دينية في حقيقتها، اليست كذلك ؟ وسوف لن يفكر الناس في الاشياء المهمة فعلا الا . . .
ــ وساضع فصلا عن شهود يهوه . اريد الا اكون متحيزا .
ــ ولكنك لا تعرف شيئا عنا .
ــ بل اعرف القليل . انكم تسندون كل شيء الى الكتاب المقـــدس ، اليس كذلك ؟ تلك هي نقطة انطلاق جيدة .
وقالت بحماس :
ــ ولكنك تقول ان الحياة معدومة المعنى ، على حين ان الكتـــــاب المقدس يضم معنى الحياة . فكيف يمكنك ذمنـــا دون ان تكــون قـــرات الكتــاب المقدس ؟
وقـــال باناة :
ــ انت لا تفهمينني . ليس ذلك ما اعنيه . ما اعنيه هــو ان تجاربنــا مجزاة . اننا نعيش على الاكثر في الحاضر . بيد اننا لو كنا مخلصـــــين لاعترفنا بان الحياة سلسلة من اللحظات ترتبط ببعضها بحاجتنا الـــى ان نظل احياء ، ان نقهر الضجر . وتجاربنا كلها تحدث على اجزاء . ولكـــن التاجر القابع في محله يلصق هذه الأجزاء ببعضها وهو يعتقد ان غــــــاية الحياة تكمن في حصوله على سيارة اضخم . اما السياسي فيقرن غايتـــه بهدف الحزب الذي ينتمي اليه . ويربط رجال الدين هـــذه الأجزاء بقبولـــه هداية كنيسته وكتابه المقدس . انهم جميعا يستخدمون انواعا مختلفة مـــن الصمغ ، ولكن لجميعهم غاية واحدة . . . وهي اضفاء نظام مـــا ولفرض معنى ما . وكل هذه المحاولات لا تعدو ان تكون تزييفا . لو كنا مخلصيـــن لاعترفنا بان الحياة لا معنى لها .
ــ وما نفع هذه الفكرة ؟
ــ قد تذهب عنا هذا الخمول والشعور بالقناعة والرضى . انها قـــد تحول حياتنا الى بحث عن معنى .
ــ ولكنك قلت الان انها خالية من المعنى ؟
ــ كل شيء يبقى عديم المعنى الى أن تكتشف معناه .
ــ الامر يختلف في هذه الحالة ! يختلف تماما عن القول بان الحياة

عديمة المعنى . لانه افرض ان هناك عددا من الناس ممـــن ادركوا المعنى ؟ اناس أرسل الله لهم الرؤى ..؟

ـ وما الفائدة التي اجنيها انا من ذلك ؟ لم اؤمن بما يقوله الاخرون؟ اريد ان ارى المعنى بنفسي .

كان ينظر اليها بتركيز شديد حتى انه جفل عندما فتحت البـــاب خلفه . وقالت كارولين :

ـ هل توافقون اناجلب السندويش معي هنا ؟ لن ادع الفتات تسقط .

فقالت المس كوينسي :

ـ اجل ، يا عزيزتي .

كان صوتها اعتياديا لا اثر للامتعاض او الدهشة فيــــه . واحس سورم كأن هدوءها قد غلبه على امره . وقالت كارولين :

ـ شكرا . ودخلت الغرفة وهي تحمل طبقا . وقذفت المس كوينسي بابتسامة سريعة الى سورم تكاد تكون غنجة . وقالت :

ـ على كل حال ، هي شجاعة منك ان تحاول أن تضــع المسؤولية على عاتقك . ارجو لك النجاح فيما تبغيه .

واطل سورم بنظره الى كارولين ، وهو يشعر بالانفعال .وقالتكارولين:

ـ لمــاذا هو شجــاع ؟

فقــــال :

ـ لا شيء ...

وتذكر انه لم يقطع وعدا بعد للمس كوينسي بانهسيحضر احد اجتماعاتها او أن « يتحدث » الى كارولين وسره ذلك .

وقــــالت كارولين :

ـ يبدو جيرارد جادا بفظاعة !

وابتسم سورم وقال :

ـ كنت اتحدث عن جميع الناس الذين سأقتلهم عندما اكون دكتاتورا .

ـ مــا دام اسمي ليس فى القائمة ...

ونظر اليها ، وشرع يقول : انت آخر من ارغب فى قتلهم ، ولكنه ردع نفسه . كانت تتصفح جريدة (الراديو تايمس) ، وهي تمضغ الساندويتش . وقــــالت فجــاة :

حقا ، لم لا نفتح الراديو ، ايتهاالعمة ؟ سيقرا ديلان توماس شيئا مــن

شعره في الساعة العاشرة والربع .
ونظر سورم الى ساعته : كانت تشير الى الدقيقة العاشرة بعد العاشرة . وقال :
ــ أعتقد انه ينبغي علي ان اغادركما الان فانكما تبكران في النوم اليس كذلك؟
وقالت المس كوينسي :
ــ لا داعي للذهاب . انا لا انام عادة في الساعة العاشرة ! كانت تلك الليلة شاذة .
وقالت كارولين :
ــ الا يعجبك ديلان توماس ، يا جيرارد ؟
فقال سورم :
ــ لم اقرأ له شيئا على الاطلاق .
ونهض وقال :
ــ على كل حال ، يحسن بي ان ارحل .
كان يفضل أن يكون وحيدا مع احداهما ، اما أن يجلس مع الاثنتين فهو امر يشعره بالخيبة . وخامره احساس بانه قد توغل في علاقته مع المس كوينسي وانها كانت تريده أن يبقى .
وقالت كارولين :
ــ ارجو الا تكون ذاهبا بسببي ؟
ــ كلا ابدا . انك لا تجعلين أحدا يهرب ، أؤكد ذلك .
ــ اشكرك .
وقالت المس كوينسي :
ــ لدي كتاب قد يسليك . أعتقد انه ينبغي عليك ان تقرأه .
ــ من هو المؤلف ؟
ــ ان كتبنا لا تحمل أسم المؤلف دائما ، ولكن اتفق اني اعرف من الفه . انه من تأليف الاخ ماكاردل من مانجستر . تعرفت اليه مرة . انه رجل العسي متخصص في الكيمياء الحيوية .
وكانت وهي تتكلم تفتش بين الكتب . وقالت :
ــ لا أجده هنا . يجب ان يكون في الطابق العلوي . لن اغيب اكثر من لحظة .
وتبعها سورم خارج الغرفة ، ثم تناول معطف المطر من المشجب . وعاد الى غرفة الجلوس ليرتديه . فنظرت اليه كارولين ، وهي تلوك الطعام في فمها وقالت :
ــ يؤسفني انك ذاهب .

ـ قد يمكننا اللقاء ثـــانية ؟
ـ اود ذلك كثيرا . اود ان تحدثني عن كتابك .
وحزم المعطف . وقال :
ـ متى تفرغين من العمل ؟
ـ كل يوم بعد الغروب . واحيانا في وقت العصر .
كان يتعمد عدم المبالاة ، ولكنه كان يصغي باهتمام لئلا تعود المس كوينسي قبـــل الاوان . وسألها :
ـ هل لديك موعد غدا مساء ؟
ـ لا اظن ذلك . واذا كنت مشغولة فاين يمكنني الاتصال بـك ؟
واعطاها رقم التلفون ، فسجلته في دفتر ملاحظات اخرجته من حقيبتها وقـــال :
ـ ايـــن التقي بـــك ؟
ـ ايـــن تسكن ؟
ـ كـــامدن تاون .
وتناهى اليهما وقع خطوات المس كوينسي . فقالت كارولين بسرعة :
ـ الساعة السادسة في محطة نفق ساحة لستر ؟
طيـــــب .
وكانت كارولين ما زالت تضع الدفتر في حقيبتها عنـــدما دخلت المس كوينسي . وشعر سورم دون مبرر بالتوتر والارتباك . اما كارولين فــكانت محتفظة برباطة جاشها بصورة تامة ، واخذت تقضم طعامها . وقدمت لـــه المس كوينسي كتابا ذا غلاف اخضر .
ـ هــل لديك نسخة من الكتاب المقدس ؟
ـ أ . . . نعم ، طبعـــا .
ـ لم طبعا ، اكثر الناس ليس لديهم نسخة منه .
ـ لا ؟
ـ طبعا اكتشفت هذه الحقيقة راسا عندما كنت اقوم بصحبة الاخ رويتز ببعض الاعمال التي تتطلب التردد على البيوت . وقمنا مرة بزيارة ثلاثين بيتا في شارع واحد في منطقة باتني ، فوجدنا الكتاب المقدس في اثنين منها فقط .
ودس الكتاب في جيب المعطف الداخلي . إذ لم يكن كبير الحجم .
ـ سترى اشارات في محلات كثيرة منه . انه من احسن الكتب التـــي نشرناها ، على ما اظن . فهو يقدم الله باختصار كل ما نؤمن به . فاذا اعتزمت ان تكتب عنا ، يجب ان تستند على هذا الكتاب . كما يجب ان تكون لديك نسخة

من الكتاب المقدس للرجوع اليه ايضا .

ـ اشكرك جدا ... و ... متى سأراك ثانية ؟

وشعر ، وهو يتكلم بحضور كارولين ، ان اختياره للالفاظ كان غير موفق الـــى حد سخيف .

ـ بعد ان تقرأ هذا الكتاب . كلا ، لا اعني ما اقول . انك علـى الرحب والسعة ان قراته ام لم تقراه. تعال في اي وقت يعجبك . ما عدا نهاية الاسبوع.

ـ خـلال هـــذا الاسبوع ؟

ـ نعم .. ما عدا يومي الاربعاء والجمعة ، الااذاكنت ترغب في حضور احد الاجتماعات . اما في يوم الخميس فسيزورني بعض المعارف . يمكنـــك المجيء غدا ان اردت .

ـ ليس غدا ، اظنني سأكون مشغولا .

ـ اذن ، فليكن يوم الاثنين القادم على اقل تقدير . هل يناسبك ذلك ؟

ـ نعم ، لا بـأس .

والتفت عند الباب فالفى كارولين ما تزال تمضغ الطعام .

ـ وداعـــا .

ـ وداعا يا جيرارد .

وتعمد الا يدعوها باسمها الاول « كارولين » فقد كان يحس بالتقييد وهو امـــام المس كوينسي .

وقال عندما بلغ الباب الخارجي :

ـ اصغي ، ينتابني شعور بالذنب حول ذلك ...

ـ حول مـــاذا ؟

ـ حول قدومي والتهام طعامك . لا اريدك أن تحسي باني ... على كل حال ، تعرفين قصدي ...

ـ يا للهراء . انك لا تثقل علي . ستجد دائما مأكلا ومشربا في اي وقت تعـــود . لا تشعر بالاثم .

وقـــال :

ـ قد ادعوك لتناول وجبة في احد المحلات يوما ما .

وابتسمت وهزت كتفيها ، ثم واجهت عينيه فجاة ، وصعد الى وجنتيهـــا لون بـــاهت وقالت باقتضاب :

ـ حسنا ، يمكننا ان نتحدث عن ذلك .

وامسك بيــــدها .

ـ الـــى اللقـــاء .

ـ الى اللقـاء يـا جيرارد .

ولشد ما ادهشه أنها اخذت يده بكلتا يديها واعتصرتها . واستـدار مسرعـا وانطلق عابرا الممر .

وقـالت لـه :

ـ هـل ترى طريقك جيـدا ؟

ـ اجـل . اشكرك .

وابتلعه الظلام . وانصفق الباب خلفه .

الفصل الخــامس

واستسلمت له حالا ، ولم تبد اية دهشة . ولما حاول ان يدفع بها الى الخلف على الاريكة ، ابعدته عنها بلطف وقالت: ليس هنا . فقد يدخل الغرفة احد . وابتسمت واومأت براسها الى غرفة النوم . وابتدأت ، قبل ان تدخل باب الغرفة ، تنزع عنها بذلتها . فصفق الباب خلفه واقفله . وقال والسعادة بــادية عليــه :

ــ ربــاه ، لك جسم ناضر !

وسمع احدا يطرق باب الغرفة بعنف . وادهشه ذلك ، فقبل لحظــة واحدة لم يكن فى تلك الغرفة احد . وارتسم عليها الرعب ، ومدت يدهـــا لتنتشل رداءها الداخلي الذي كانت قد القت به على السرير . وطرق الباب ثــانية . فقال سورم :

ــ لا تعيري الطرق اهتماما . فلنسرع .

ولكن الطرق على الباب اشتد الحاحا ، وسمع صوتا يهتف : نــــداء تلفوني لــك . . .

وذهب الحلم . استيقظ سورم واعتدل فى الفراش والنعاس لم يزل عالقا به ، ونظر الى ساعته . ثم صاح :

ــ اشكرك جــدا .

وتلاشى وقع اقدام كارلوتة وهي تهبط السلم . فارتدى الروب ودس قدميه فى نعليه . لقد ذهب الحلم فى عالم الخيال ونسيه تماما قبل ان يتمكن من استعــادة تفاصيله .

وكان الباب الخارجي مفتوحا على مصراعيه ، فاغلقه سورم قبــل ان يلتقط سماعة التلفون . وسأل صوت عاملة البدالة : المستر سورم ؟

ــ يتكلــم .

ــ نــداء خاص مــن سويسرا .

فقـــال :

ـ اللعنـة ! مرة اخرى ؟

ـمـــاذا قلت ؟

ـ لا شيء . ضعيني على الخط رجاء .

ـ جيرارد . اهـــذا انت ؟

ـ نعـــم .

ـ هـــل ذهبت ؟

فترك سورم نبرة الامتعاض تبدو واضحة في صوته وقال :

ـ كلا . لقد استيقظت من النوم توا .

ـ اوه . آسف جدا . هـل ايقظتك ؟

ـ نعم ، لا تغتم . هل هذا ما طلبتني من اجله ؟

كان سورم في غير هذه الحالة مستعداً للاعتذار عن المضايقة التي قـــد يسببها للاخرين عفوا ، ولكن النعاس كان قد كدره قليلا . وقال نن :

ـ هل يمكنك سماعي جيـدا ؟

ـ نعم . على احسن ما يكون .

ـ جيرارد ... ارجو أن تسدي لي معروفا . هل تفعل ذلك ؟

ـ نعم . ولكـن مـا هو ؟

ـ ارجوك ان تذهب الى غرفتي وتأخذ منها شيئا لي ؟ خذه الـــى غرفتك . هـــا ؟

ـ طيب . ولكن هل سيدعني البواب أدخل .

ـ نعم ولكن ليست غرفتي الاعتيادية ... انا لا اتحدث عن شقتي . اريدك ان تذهب الى عنوان اخر . هل لديك قلم؟

وتحسس جيبه فوجد قلم الحبر الجاف الذي يحتفظ به دائما هناك . ولم يكن معه دفتر العناوين ، ولكنه وجد غلاف علبة شوكولاتة، فمزقه وفتحه :

ـ حسنا . لدي قلم . استمر .

ـ العنوان هو ٢٣ كانتغ بليس . اي في كينسنغتن ، بالقرب من بـالاس كيت . هل تعرف المكـان ؟

ـ نعم . ثلاثة وعشرين . مـاذا تريدني ان افعل ؟

ـ هناك رجل يدعى فانيت ، هو المسؤول عن البيت . وهو صديق لي. اسأل عنه ، وهو الذي سيدخلك غرفتي .

ـ هل يفعـل ذلـك ؟

ـ نعم . سأكلمه تلفونيا الان .

ـ حسنا . ومـــاذا بعدئذ ؟

ـ عندما تدخل الغرفة ، تجد بعض الملابس فى زاوية بالقرب من المدفأة، فأحزمها كلها فى كيس وخذها معك الى المنزل . ولكن لاتدع جيرالد فانيت يراك . تأكد من انه لا يكون معك فى الغرفة . ومهما تفعل ، فلا تخبره بسبب دخولك الغرفة . سأخبره بأنك ستدخل لتبحث عن عنوان ما تركته انـــا هنـــاك . مفهوم ؟

ـ نعم ولكن لم هذا التستر ؟

ـ سأشرح لك فيما بعد . احتفظ بالملابس فى غرفتك ولا تخبر احدا .

ـ حسنا . شيء اخـر ؟

ـ نعم . قد تجد بعض الكتب ملقاة هنا وهناك فى الغرفة ، فالتقطهـا وضعها ثانية على الرفوف ، ها ؟ وتأكد من ان فانيت لا يراقبك . اجلس هناك، وهيء لنفسك الراحة كأنك ستقضي نصف النهار هناك . هلا فعلت ذلك ؟

ـ حسنـــا .

ـ ثم استأجر سيارة تاكسي ، وسأعطيك النقود عندما اعود ، او الافضل ان تتصل بسيارة سلفر للاجرة ، واذكر لهم رقم حسـابي عندهم . وهو٧٢٣ . اطلب رجلا يدعى جاكي .

ـ لا يهم ، سأستخدم دراجتي .

ـ لا، ابدا . اطلب سيارة تاكسي بالتلفون . فلن اشعر بالارتياح اذا لم تفعل ذلك . ارجوك .

حسنـــا .

ـ اسمع يا جيرارد . يؤسفني أن ازعجك . ولكن ليس هناك من اثـق به غيرك . لا تنس . ارجوك الا تذكر شيئا لاحد ـ وبالاخص لفانيت . ها ؟

ـ كلا . حسنا . وهل لا زلت تريد أن ابعث اليك بالبرقية ؟

ـ نعم ارجوك . ان استطعت .

ـ متى اراك ثانية ؟

ـ غدا من المحتمل . لست واثقا ، ولكن من المحتمل .

ـ طيب ، يا اوستن . امل ان اراك ...

وقابلته كارلوتة على السلم وقالت :

ـ يجب ان يكون صديقك غنيا جدا ليكلمك من سويسرا .

ـ انه غني فعلا ، وغريب الاطوار ايضا .

ولما صار فى غرفته اشعل النار الغازية ووضع عليها ابريق الماء ليسخن. وعاد الى فراشه الذي لم يزل دافئا واخذ يصغي الى وشوشة الغاز ، وازيـز

المـاء . واغلق عينيه وطفق يفكر في اوستن ــ انسان واسع الثراء ، لديه من المال اكثر مما لديه من العقل . يبدو انه يسبب الكثير من المضايقات . أعجب لهذا التستر المفرط ؟ لا يمكنني الحكم بشيء . للشاذين اراء غريبة . وربمايريد ان يخفي عن الناس شذوذه . لا يحتمل ذلك. فاكثرهم يعلنون عن شذوذهم . ايثق بي ؟ لماذا ؟ ربما لانني لا اعرف أحدا في دائرة معارفه .

وذابت افكاره هذه فيما يشبه الحلم وراى اوستن مستلقيا خلف حاجز صخري على قمةجبل، وكان يشير باصبعهالىبيت في الوادي ويقول : « لا تظهر نفسك ، فله عينان ثاقبتا البصر . استلق باستقامة . » وكانا في سويسرا : وكانت تربض خلفها على هضبة صغيرة طائرة اوستن . كانت الطائرة تبدو مثل الـ (سبتفاير) التي رآها يوما بالقرب من بوابة مخيمالقوة الجوية عندما كان يرابط هناك اثناء الخدمة العسكرية .

واستيقظ من نومه فوجد الماء يغلي في الابريق . واعد الشاي ثم عاد الى الفراش ثانية ليشربه ، وهو يرتدي الروب . ومديدهوتناول اقرب كتاب في المكتبة فكان كتاب (محاكمة جورج تشابمان) واخذ يحتسي الشاي ويدفعه فضول مريض للتحديق في صورة الشخص الذي يدس السم والذي تحركه الميول السادية ، ذي الفك الكبير والعينين الغائرتين ، والوجه الذي يلوح كثير الندب .

* * *

وسأل سائق التاكسي :

ــ هل انت جاكي ؟

ــ نعم ، يا سيدي ، ولكنك لست المستر نن !

ــ كلا ، انا لست المستر نن، ولكنه اتصل بي تلفونيا من سويسرا منذ ساعة وطلب مني ان اقوم ببعض المهام له . هل تعرف عنوانه ؟

ــ صحيح . يا سيدي ، ولكن ليس من المناسب ان آخذك وانك لست المستر نن . فالحساب حسابه ، و . . .

ــ اعلم ذلك ، ولكنه في سويسرا ، وقد اتصل بي قبل لحظة . واعطاني رقم الحساب .

ــ نعم ، ولكني لا اعرف شيئا عن ذلك .

فقال سورم بامتعاض :

ــ طلب مني نن ان اسالك انت بالذات لانك لا تصعب الامور !

فاكفهر وجه الرجل وقال :

ــ حسنا ، ادخل ، ساغامر في القضية .

ودخل سورم السيارة وهو يشتم بصوت غير مسموع . فقد غضب واحس بالاهانة لانه كان موضع شك . غير انه أخذ يشعر بتحسن عندما تحركت السيارة . فهو يركب التاكسي لاول مرة منذ مدة طويلة ، وغمره شعور بعدم الاكتراث والاسترخاء . ووضع قدميه على الحقيبة الجلدية التي جلبها معه ليضع فيها ملابس اوستن ، واخذ يتطلع باستمتاع الى السيارات العابرة . وتذكر كارولين ، وشعر ثانية بالرضى والسرور بنفسه . لا يحدث له هذا الاحساس مرارا ، فان ما يصاحب كل شيء يفكر فيه من النقد الذاتي والتحليل يجعل هذه اللحظات نادرة الوقوع . وكانت افكاره تعتمد على المنطق والكلمات ، كالكتابة او المخاطبة التلقائية ــ ولا يلعب الحدس في عملياته العقلية دورا يذكر . وكان عندما يحس بالتعب ، يمقت في نفسه هذا الاتجاه للحوار الذهني الذي يجري في نفسه، ولكن لم تكن له القدرة على ايقافه . وراح يفكر وقد طغى عليه شعور بالفرح : حاولت أن اتجنب التعقيدات ولكنها تقبل علي مع هذا ، ولقد حاولت ان ابسط حياتي ، ان اركز على الشيء الوحيد المهم فيها ، ولكن البساطة تحطم قدرتي على التركيز . والان تحدث امور يجب أن تزيد الموقف تعقيداً وسوءاً ولكني عوضا عن ذلك اشعر بالثقة .

واحس بالخيبة عندما وقف التاكسي مقابل محطة شارع غريت بورتلاند . وسأل السائق :

ــ هذا كل ما في الامر ؟

ــ كلا . فلدي مهمتان اخريان الا تنتظر؟

فقال السائق باستسلام :

ــ سمعا يا سيدي .

وهرع رجل يرتدي بزة حمراء لاستقباله حالما دخل من الباب الدوارة الى الصالة .

ــ اي مساعدة يا سيدي ؟

فقال سورم :

ــ انعمت صباحا . طلب مني المستر نن ان آتي لاتحقق اذا كانت وصلته ايــة رسائل .

واخذ الرجل يتصرف باحترام اكثر الى حد ملحوظ .

ــ انتظر لحظة يا سيدي . سأسأل فتاة البدالة . لن اجعلك تنتظر طويلا يا سيدي .

ــ اشكــــرك .

ثم التفت الرجل وهو يبتعد مسرعا وقــال :

ــ هل تفضلت بالجلوس يــا سيدي ؟

ــ اشكــــرك .

كانت الكراسي وثيرة مريحة ، كتلك التي يراها عادة في صالات الفنادق. وكان في الاصيص الذي يحتوي على سعف النخيل بالقرب من الكرسي كثيــر من اعقاب السكاير ملقاة فيه . واخذ يراقب ، وهو في مجلســه ، المصعد وهو يهبط ، والرجل العجوز ذا الشارب الابيض والفتاة الصغيرة التي ترتـــدي الفراء اللذين خرجا منه . وكانا يسيران برشاقة واتزان غير متكلفين ، لعلهما كانا بسبب عدم حاجتهما الى التفكير في النقود . ولم يكن سورم يشعـــــر بالحسد في تأمله لهما ، كان يشعر تجاههما بالمودة ، كأنهما ملكه . وشعر بأنــه لم يكن هناك اي حاجز يقوم بينهما وبينه، على العكس ، فقد خامره احساس غريب بالامتياز عليهما . واخذت الفتاة ذراع الرجل العجوز وضغطت عليها. فأخذ سورم يفكر : هي اما عشيقته او ابنته ، او ربما حفيدته . وما انفـك ينظر اليهما بشيء من المودة فيما كانايمرانبه ويخرجان من الباب الدوارة . ثم حول اهتمامه الى صورته في المرآة المقابلة له . وانتابه شعور طفيـــــف بالدهشة لانه لم يشعر بالغيرة من الطريقة التي كان يعيش بها تــــن . وراح يتأمل في ذلك الشعور ، وادرك انه يستند الى ايمانه بنفســه وثقته بقواه اللذين يكمنان في نفسه ولا يخرجان الى عقله الواعي الا نادرا . وابتسم لهذا الشعور في نفســه وقال بصوت خافت : اوهام السعور بالعظمة ، واعراض واضحـــة لمرض البارانويا ؟ يجب وضع المريض سورم تحت المراقبة .

وعــاد الرجل وقــال :

ــ لدي بعض اسماء الذين اتصلوا تلفونيا ويطلبون الاتصال بهم .

ــ اشكرك . لا شيء اخر ؟ لم يات احد ليسأل عنه ؟

ــ يسأل عنه ؟ كلا يا سيدي . لم ، يا سيدي ، هل انه يتوقعقدوماحد؟

ــ اعتقد ذلك . لا يهم علىكلحال. اعطني الاسماء . سيتصل بــي هذا المساء من سويسرا .

ــ بالتأكيد ، يا سيدي ، تقوم الفتاة باستنساخها الان . لن تتأخر كثيرا.

ــ شكــــرا .

واجتاز الغرفة ووقف امام المرآة لينظر الى نفسه عن كثب . كـــــان الشريطان الجلديان اللذان يحيطان بطرفي كمي سترته يبرزان من تحت ردني المعطف . وكان سرواله الرمادي الخشن يتدلى كزوج من الاكياس ، وكـانت

حافة احد الجزئين مقلوبة الى الاسفل . وقال فى نفسه يجب ان اقتني المزيد من السراويل وان احلق شعري . ابدو فى حالة يرثى لها .

وفى التاكسي ، اخذ يتأمل قصاصتي الورق اللتين كتب فى اول كل منهما « نداءات تلفونية » . كانت النداءات مكتوبة بخط أنيق بقلم حبر جاف، وكانت عناوينها تبدأ منذ يوم الجمعة . « ارجو الاتصال تلفونيا بالمستر بومونت قبل العاشرة من مساء هذا اليوم » . « لن يتمكن المستر دينيس من العشاء مع المستر نـن يوم الاربعاء » . وراح يقراها جميعاثم طوى الورقتين ووضعهما فى محفظته . ولم يضف ذلك شيئا جديدا الى معلوماته عن نـن . بل انه صار موضع اهتمامه وفضوله اكثر فاكثر .

وعند مروره بدائرة بريد نوتنغ هيل كيت تذكر البرقية ، فنقر على الزجاجة وطلب من السائق الوقوف عند دائرة البريد الاخرى . ونسي ما طلب منه نـن ان يذكره فى البرقية ، وبعد ان فكر فى الامر قرر ان يكتب فى البرقية : لم يسأل عنك احد ، وذيله بتوقيعه : جيرارد .

وسأل السائق :

ــ ما هو الرقم يا سيدي ؟

ــ هل هذا المكان كاننغ بليس ؟

ــ نعـم .

ــ ارجو السير حتى نهاية الشارع وانتظرني هناك . لن اتاخر اكثر من عشر دقائق .

ــ نهاية الشارع ؟ حسنـا .

ولاحظ دهشة السائق ، وكاد ان يشرح له الامر ، ولكنه غضب لارتباكه الشديد ، وقال فى نفسه ان ذلك لم يكن من شان هذا الرجل على اية حال . وترجل من السيارة وهو يقول :

ــ بعد ذلك سأعود الى كامدن تاون .

ــ سأبقي العداد مفتوحا ، يا سيدي .

ــ افعل ما شئت .

كان المسكن رقم ٢٣ فى منتصف المسافة بين راسي الشارع . كان بيتا عاليا من الطراز الفكتوري امامه عدد من الدرجات تقود الى الباب الامامي . وعندما ضغط على الزر الذي كانت تحته رقعة كتب عليها « فانيت » ، تكلم صوت رجالي من خلف نافذة مستديرة ذات شبكة سلكية فوق لوحة الازرار :

ــ هلو . مـن القادم ؟

فاجاب سودم موجها كلامه باتجاه النافذة :

ـ اسمي سورم . طلب مني اوستن نـن القدوم .
ـ أوه . نعـم .
وفتح الباب بقرقعة ، وقـال الصوت :
ـ الباب الثاني عـلى يمينـك .
ودخل سورم الرواق الذي كان رديء الاضاءة ، واغلق الباب خلفه .
كتب على الباب بحروف بيضاء من البلاستيك : جيرالد فانيت .وعندما طرق الباب هتف الصوت :
ـ ادخـل .
كان الرجل يهم بالنهوض من كرسي مريح عندما دخل سورم . وكان اقصر من سورم بست بوصات . كان مرتديا قميصا اخضر متهدلا وملفعـة حريرية . وكان سرواله الصوفي مكويا مثل حد السكين .
ـ حسنا ، يسرني ان اتعرف عليك ! انت مستر سورم . اتصل بـي اوستن قبـل ساعة . هل لك في شيء تشربه ؟
كان صوته حادا ذا نبرة عالية . وقال سورم بتردد ، وهو يفكر فـي التاكسي الذي ينتظره :
ـ اشكرك عـلى اللطف .
ـ هل انت على عجل ؟ قال اوستن انك قد تمكثهنا ساعة او ساعتين. هل هنـاك تاكسي ينتظرك ؟
كان سورم على وشك أن يجيب بالايجاب . ولكنه تذكر تأكيد نـن عـلى سرية القضية . فقال بسرعة :
ـ كلا . لست عـلى عجل .
ـ عظيم . فاجلس اذن . اخشى انتكون الغرفة في حـالة تعسة . استيقظت اليوم متاخرا ، فقد اقمنا حفلة ليلة امس . ماذا تشرب ؟ وسكي ام جن ام مارتيني ؟ ليس لدي لسوء الحظ غير هذه الانواع ما عدا بعض النبيذ.
ـ جن ومارتيني اذن ، رجـاء .
ـ مركـز ام مخفف ؟
وكانت حرارة الغرفة خانقة ، كانت هنالك مدفاتان تشتعلان . كـانت الغرفة التي تجمع بين غرفتي النوم والجلوس واسعة مريحة . وكـان بساط الغرفة ذا لون بني صرف فاتح ، يبدو نظيفا جدا . لم يكن في الغرفة ما يشير الى قيام حفلة او عدم الترتيبالذي يقترن بالنهوض المتاخر . وتناول سورم قدح الجن والمارتيني الايطالي ، وجلس على السرير . اما فانيت فتمدد على قطعة من الاثاث تجمع بين الكرسي ذي المساند والديوان وكانت ذاتانحناءات

تناسب الجسم . وابتسم لسورم وهو يرفع القدح ، ثم رشف الشراب كأنه يشرب نخب سر مشترك بينهما . وقال :

ــ اقول ، ليس من عادة اوستن ان يبعث اصدقاءه للتعرف علي . انت صديق جديد نوعا ما ، صحيح ؟

فقـــال سورم ؟

ــ تقريبـــــا .

وكشر فانيت عن ابتسـامة واخذ رشفة اخرى من الويسكي ، كأنه يعني ان حذقه لا يحتاج الى اسئلة اخرى . وقال برقــة :

ــ اني التقي بجميع اصدقاء اوستن عاجلا او آجلا . اين التقيت به ؟ في « البلالايكا » ؟

ــ كلا . ما هي البلالايكا ؟

ــ اه ، اذن ، انت لم تلتق به منذ مدة طويلة ! سترى البلالايكا قريبا ، ولا ريب . اوه ، هي .. على كل حال ، ... انها نـــاد .

وابتسم من فوق قدحه . وقال سورم :

ــ جيد ، اتمنى ان اقصد المكان يوما .

ــ ينبغي ان تذهب هناك غدا . الاربعاء ليلة عظيمة . اشهر من يقلــــد النساء في العـــالم ! يـــا الهي !

نطق عبارته هذه بلهجة عامية خلال انفه ، وهو يحرك يده من الرسغ .

فقـــــــال سورم :

ــ سأطلب من أوستن الذهاب ، اذا عاد .

ــ هل تتوقـــع عودته ؟

ــ لست متأكـــــدا .

ورمقته عينان زرقاوان بنظرة نافذة فترة قصيرة ثم انخفضتا خجلا ، وقـــال فـــانيت :

ــ طيب ، اذا رغبت في الذهاب ، واذا لم يرجع اوستن ، استطيع انـــا ان اذهب بـــك .

ــ اشكرك جدا ، ولكني استطيع ان اراه في وقت اخر .

ــ هذا ما تعتقده انت ! هل تظن انهم يقومون به في كل اسبوع ؟ عليهم ان يتدبروا الامر اولا ، ثم يبثون كلمة السر فيما بينهم ، لكي لا تسمع الشرطة وتداهمهم . الا تفهم ، يا عزيزي ؟ ارجو الا يزعجك ان ادعوك عزيزي ، فالكلمة لا تعني شيئا مطلقا ... فاذا رغبت في مشاهدة العرض ، ساكون مسرورا ...

فاخرج سورم حشرجة واومأ براسه دون أن يربط نفسه بموعد . وراح

فانيت يحدق في قدحه ونظراته ترنو :
ــ هل اوستن في سويسرا وحده ؟
ــ حسب ما اعلم نعم . لماذا ؟
ــ اوه ، ارجو الا اكون متطفلا. ولكنه كان قد وضع عينيه على اكلــة صغيرة شهية في البلالايكا يوم الجمعة .
فقــال سورم :
ــ يــوم الجمعــة .
ــ اجل . . . لماذا ؟ كان يوم الجمعة ؟ نعم ، اذكر ذلك .
وقال سورم شارحا :
ــ كنت معه مساء الجمعة . ولكنه تركني قبل منتصف الليل .
ــ اوه ، كان ذلك بعد منتصف الليل بوقت ليس بالقصير . كــانت نظراته شاردة . . . هل لك في سيكارة ؟
ــ كلا شكرا . قل لي ، هل البيت لك ؟
ــ نعم ، لماذا ؟ هل تبحث عن غرفة ؟
وللمرة الثانية كانت نظرته خجولة ذات معنى . وانهى سورم قــدح المــارتيني . وقــال :
ــ لقد انتقلت قبل ايام قليلة الى غرفة جديدة في كامدن تاون . ولكـن بيتك يبدو مهيبا ، بكل هــذه التسهيلات .
ــ اشكرك . انك لتمس وترا حساسا . اني اعتز بهذا البيت . ــلدي منزلان اخران في هاينيت واسلنغتن ولكن قلبي متعلق بـ « ٢٣ كانغبليس ». المزيــد من الشراب ؟
ــ كــلا ، شكرا . ينبغي أن ابدأ بالعمل .
وعرف سورم بغريزته ان قدحا من الشراب يعني ساعة اخرى من الحديث.
ــ كلا . انك على حق . فلن تستطيع بعدئذ أن تقوم بدراساتك .
ودوى ازيز جرس في الغرفة ، جعل سورم يقفز . فالتقط فانيــت سماعة صغيرة كانت بالقرب من الكرسي وضغط على زر . وقال بوقاحة :
ــ اغرب عني . لدي زائر .
وابتسم لسورم ، وضغط على الزر ثانية . وشكا صوت قائلا :
ــ لا اريد ان انتزعك من الفراش . أريد فرانكي .
ــ انه غير موجود . لقد خرج منذ ساعات .
وسأل الصوت الصادر من السماعة :
ــ متى ؟

ـ متى ؟ لا تسألني . انا لست امه . خرج منذ ساعات . هل تريـد الدخول لتشرب معنا ؟

ـ كلا ، شكرا ! ليس بعد ما حدث ! عليه ان يقابل هذا المخرج حالا . الا تعلم . . . ؟

ـ نعم . جرب الشقة رقم ٧ ـ في ديلي .

ـ اوه ، ايها النغل الاخرق . لم لم تقل لي ذلك ؟

واعاد فانيت السماعة وقال :

ـ ما انفع هذه الاشياء ! انها توفر التعب على قدمي الشائختين . فكيف بالنسبة للشخص الذي يسكن الطابق العلوي . . . . اين كنا ؟

ـ كنت تقول شيئا عن دراساتي . لم افهم قصدك تماما . .

ـ اوه ، نعم . قال لي اوستن ان اتركك في غرفته لتقوم بدراسة أو شيء اخر .

ـ سوف لن امكث طويلا هناك . هناك شيء اريد أن ابحث عنه .

ـ اوه ، لسوء الحظ . كنت اود لو تبقى معي وقت الغداء .

ـ كلا ، يجب أن اعود .

وقام على قدميه ليؤكد عزمه على الرحيل . ورفع فانيت نفسه من الكرسي المنحني وهو يبدي الاسف ، وقال :

ـ حسنا ، ما دمت ملزما بالذهاب .

وخشي سورم أن يكون قد جرح احساس الرجل ، ولكن الابتسامة الودية التي نطقت بها اسارير فانيت وهو يفتح الباب طمأنته ، حيث قال :

ـ اود ان اراك ثانية . واذا كنت تريد غرفة . . .

وتقدم سورم عبر القاعة وفتح الباب الامامي . فسأل سورم :

ـ وماذا عن شقة سورم ؟ فقال فانيت :

ـ انها في السرداب .

ولمح سورم بريقا من السرور في عيني فانيت ، وادرك ان فانيت كـان يدفعه الفضول لمعرفة هل ان سورم زار المكان قبلا . وتبعه سورم خارجا الى الشارع وخلال الباب الخارجي الى سياج البيت . واطل سورم بنظره الـى نهاية الشارع فوجد التاكسي لم يزل ينتظر . وقال فانيت :

ـ ان الشقة قائمة بذاتها لا يمكنك دخولها من البيت .

ـ ارى ذلك .

وفتح فانيت الباب الامامي . وهاجمت انفيهما على الفور رائحة عطرية فتعرف عليها سورم في الحال : كانت عطر المتسوكو الـــذي شمه في معرض

دياغيليف .

ــ تفضل بالدخول . الباب على يسارك .

ــ كانت الغرفة تسبح في ظلام كثيف . فاخذ سورم يتلمس حوله بحثا عن زر الضياء . واستضاء مصباح وردي فاتح ، كشف عن غرفة تشبه غرفة فانيت ، للنوم والجلوس . وكانت رائحة التبغ الحاد تملأ الهواء . وجال سورم ببصره في زوايا الغرفة فلم يعثر على الملابس . فوضع الكيس الجلدي على الطاولة . وقال فانيت :

ــ ذلك هو المكان . هنالك غرفة اخرى تدخلها من هنا . سأتركك الان، وتأكد من انك اوصدت الباب عندما تغادر . متع نفسك .

ــ اشكرك .

ومد فانيت يديه ، وقال برقة تكاد تكون توسلا :

ــ اذا كنت ترغب في قدح اخر ، ولقمة من الطعام ، فتعال الى غرفتي بعد ان تغادر هذه .

فقال سورم بشعور من عدم الارتياح :

ــ اشكرك . ولكن لا اظنني قادما هذه المرة . ربما في يوم اخر ...

ــ وداعا .... انا لا اعرف حتى اسمك الاول .

ــ جيرارد .

ــ انه يشبه اسمي ــ جيرالد ! آه ، حسنا ، وداعا يا جيرارد !

ــ وداعا وشكرا للشراب .

ــ زرني مرة اخرى .

وانغلق الباب الامامي بضجيج . واجتاز سورم الغرفة حالا وفتح الباب الاخرى . واشتدت فجاة رائحة عطر المتسوكو . وفتح المصباح ، فاشتعلت اربعة مصابيح جدارية ملأت الغرفة بوهج ازرق .

كانت اصغر من الغرفة الاولى . وكانت الجدران تكاد تكون مخفية تماما خلف ستائر من القطيفة تمتد من الارضية الى السقف . كانت الستائر سوداء ، اما البساط والديوان فكان لونهما احمر وشعر فجاة بالامتنان لان فانيت تركه لوحده ، فقد ازاح ذلك عنه عبء التعليق على الغرفة . وجلس على الديوان وطفق يجيل ناظريه حوله . كان جو الغرفة يسحره ويقرفه في نفس الوقت . ورفع نظره الى السقف فالفاه مطليا باللون الازرق الداكن . ونهض ليتفرس عن كثب في الصورة التي كانت على الجدار بين كل ستارة واخرى . كانت هناك لوحتان لفوغان ، تبدوان كالاصل او كنسخة حاذقة . وعلى جانبي هاتين اللوحتين كانت هناك اربع صور

خليعة تحمل تواقيع او عناوين بالصينية او اليابانية . كانت تلوح هـذه الصور مرسومة بفرشاة دقيقة مغموسة بالحبر الصيني ، وتبين رجلا عملاقا عاري الجسد ، ذا عضو تناسلي كبير نسبيا ، ينزل من عوامة على ساحل البحر ليقابل جمهورا من الغيد هرعن متضاحكات لاستقباله . وكانت الصورة الاخرى تظهر نفس الرجل يغادر الجزيرة ، كسيرا ذابلا ، بينما النساء يمزقن شعورهن ويندبن . اما الصورتان الاخريان فتظهران نفس الرجل وهو يقوم بحركات رياضية عنيفة : في الاولى يحطم وعاء نحاسيا بعضوه الضخم ، وفي الثانية يستوقف عصابة من قطاع الطرق باستعماله عضوه هراوة . ولاحظ ان الصور الاربعة تحمل في الزاوية السفلى اليسرى الحرفين الصغيرين : أ. غ.

وفتح باب المكتبة الزجاجي ، فوجد الرف الاسفل مخصصا لمؤلفات الماركيز دي ساد . وسحب الجزء المعنون (مائة وعشرون يوما في سدوم) . فوجد ان الصفحة الاولى لا تحمل اسم الناشر . اما الرفوف الاخرى فكانت تحتوي على مجلدات بالفرنسية والالمانية مجلدة كلها باغلفة زرقاء عليها حروف فضية ، ونسخ من مطبوعات محدودة لمؤلفات بترونيوس وابوليوس وسافو ، وكلها تعج بالصور . اما الرف الاعلى فكان يحتوي على كتب في الطب وعلم النفس من مؤلفات بلوخ وستيكل وكرافت ــ ايبنغ وهرشفيلد . وكانت الكتب الفرنسية والالمانية تلوح معظمها لمؤلفي القرن التاسع عشر الرومانسيين . وفتح مجلداً للمؤلف لوترِيامون ، كان يعلوه غبار كثيف وبعض صفحاته غير مقطوعة .

وعاد الى الغرفة الاخرى واخذ يتفحص ابوابها . كانت احداهاالدولاب الملابس ، والاخرى تؤدي الى مطبخ واسع كان كل شيء فيه يلوح جديدا ، رغم انه بعد ان نظر اليه عن قرب ادرك من الغبار المستقر عليه ان احدا لم يستخدمه منذ زمن بعيد . وعلى الجانبالاخر من المطبخ ، كانت غرفة الحمام ، التي كان عبير المتسوكو فيها طاغيا ، كان العبير ينبعث من حوض الحمام حيث كانت فيه شظايا قنينة كبيرة . وفتح صنبور الماء ، فتدفق بعد قليل ماء حار ، فانتشرت حوله سحب من البخار المعطر . واستنتج من حجم شظايا القنينة انها كانت تسع اكثر من نصف لتر .

وتناهى اليه من مكان ما فوق رأسه صوت تلفون ، فتذكر السبب الذي جاء من اجله الى غرفة نن . فاغلق صنبور الماء وعاد الى غرفة النوم .

ولاول وهلة ، لم يعثر على ما يدله علىالملابس التي ذكرها نن . فحاول ان يفتش عنها خلف الستائر ، فوجدها في الحال . كانت ملقاة قرب المدفأة

لتي كانت مسدودة بلوحة خشبية سوداء . كان في اعلى الكومة زوج من جوارب نسائية . كانت الكومة ، كما لاح له ، عدة نسائية كاملة . فادهشه ذلك ، حيث كان يتوقع ان تكون هذه ملابس نن الخاصة .

وفتح الحقيبة الجلدية وحاول ان يدس الملابس كلها فيها . ولكنها كانت كومة ضخمة ، كان عليه ان يطويها واحدة واحدة ويضعها في الحقيبة . كانت الملابس تتألف من معطف المطر ذي بطانة ممزقة ، وتنورة زرقاء رثة . وكان الجورب من النايلون الجيد ولكن بقية الملابس الداخلية كانت على ما يظهر غير جديدة . وكان هنالك زوج من الاحذية من الجوخ الاسود ، وقد كسر كعب احدهما وفقد . فحزم الاحذية هذه في قمة الكومة واطبق الحقيبة .

وضايقه ان يتذكر التاكسي الذي ينتظره ، فلم يكن يرغب في مغادرة الشقة فورا . فخرج اخيرا ، وطلب من صاحب التاكسي الانصراف قائلا له ان عليه ان يتأخر اكثر . واحس بالندم وهو يرى السيارة تبتعد ، ولكن الندم سرعان ما تحول الى شعور بالانبساط والارتياح عندما اغلق الباب الامامية خلفه . واورثته احاسيسه الثائرة شعوراً بان هنالك شيئا يعوم في احشائه .

وعندما دخل غرفة الجلوس اشعل النار الكهربائية ، وجثا على ركبتيه ليدفىء نفسه قليلا . ثم توجه الى الدولاب وفتحه فوجده يحتوي على صف من قناني المشروبات اكثرها مملوء او حتى النصف . واخرج الزجاجات ، الواحدة تلو الاخرى ، وهو يحس انه سيقضي النهار كله هنا ، ثم اخذ يشمها . واستطاع ان يميز بعضها ، غير ان معظمها لم يكن قد سمع بها ، او انه رآها فقط منظومة على الرفوف في البارات . ووجد في دولاب اخر رفا صطف عليه الاقداح ، فتناول عدداً منها وصفها على الطاولة واخذ يسكب قليلا من الخمر في كل منها . وسحب كرسيا بالقرب من الدولاب ومضى يذوق كلا منها على التوالي — كافالدوس ، شارتريز ، بينيدكتاين ، شراب الانيسون ، ماراشين ، الاش . كان بعضها حسن المذاق مما جعله يصب المزيد منها . وادرك بعد عشر دقائق ان السكر اخذ يداعبه . وكانت هنالك زجاجات لم يذقها بعد ، ولكنه قرر ان يدعها الى ما بعد قليل . واخذت الحرارة تنتشر في جو الغرفة فخلع سترته والقى بها على احد الكراسي . وقال بصوت عال : ايها النغل المحظوظ ، يا اوستن . ثم عاد الى الغرفة الاولى وابهجته برودتها النسبية .

وسحب الستائر فوجدها تتحرك على عجلات صغيرة ، ويمكن عند الحاجة ان تغطي جدران الغرفة بأكملها . وسحبها كلها وجمعها في زوايا الغرفة ، فلم تتغير هيئة الجدار كثيرا ، لانه كان مطليا بالسواد ايضا . وكانت هنالك في الزاوية باب مطلية باللون الاسود ايضا . وكان فراغ الشباك مسدودا ايضا مثل المدفاة بلوحة خشبية ، فكان يبدو من الجانب الاخر من الغرفة كأنه استمرار للجدار .

وكانت هناك لوحتان زيتيتان معلقتان على احد جدران الغرفة الذي كان يغطى باجمعه بالستائر . كانت الصورة الاولى لرجل في ملابس السهرة يسير في شارع مزدحم ويقود خنزيرا مربوطا بشريط ازرق ، وفي وسط جبينه عين كبيرة . اما الثانية فكانت لرجل يرتدي قميصا وهو مستلق على ظهره تحت شجرة تفاح في ضوء القمر . كانت الشجرة وفاكهتها مرسومة بالوان غامقة خضراء وحمراء وزرقاء ، كانت ضبابية شاعرية لا تنسجم والانسان الاصفر الراقد تحت الشجرة . وقد كتب عنوانا الصورتين باصباغ الزيت في اسفل الصورة الاولى باللغة الفرنسية « الغراميات الصفراء » ، والثانية بالانكليزية « صورة ذاتية في ضوء القمر » . وكانت كلتا الصورتين تحملان توقيع « غلاسب » ومؤرختان في عام ١٩٤٨ .

كان الباب الاخر يقود الى حجرة صغيرة ، كان جدارها الخلفي مغطى برفوف الكتب . وفتح الضياء ليلقي نظرة عليها فوجدها تافهة . كان هناك الكثير من المؤلفات في الادب الانكليزي ، ومجلدات اخرى حسبها سورم من كتب نن المدرسية . كانت هناك ايضا كتب للاطفال ، واخرج سورم واحدا منها لا على التعيين ــ «كتاب قصص للاطفال» فوجده يحمل توقيع اوستن نن ١٩٣٥ ، داخل الغلاف . ووجد نسخة مختصرة من كتاب (الغصن الذهبي) لفريزر قد اعطيت هدية مدرسية له في عام ١٩٤٠ ، ويبدو ان قارىء الكتاب كان قد قراه باكمله حيث انه كان يحمل اشارات بقلم الرصاص . وقد انفتح الكتاب من تلقائه في احدى الصفحات في بدايته بينما كان سورم يتصفحه ، واقترب من الضياء ليقرا الجزء المؤشر بالحبر الاحمر :

« أن فكرة الانسان الاله ، أو الانسان الذي وهب القوى الالهية الخارقة للطبيعة ، ترجع في جوهرها الى مرحلة مبكرة من التاريخ الديني حيث ما زال الالهة والبشر ينظر اليهم باعتبارهم من صنف واحد . وقبل أن تفصل بينهما هوة شاسعة ، انفتحت بينهما بعد مراحل من التفكير

المتـــأخر » .

وحمل الكتاب معه الى غرفة النوم ، وجلس على الديوان ليقرأ فيه. واحس بوجود نن يهيمن عليه بصورة غريبة . ورفع راسه بهزة عنيفـــة كأنه يتوقع ان يرى نن واقفا في عتبة الباب ينظر اليه ، ثم قال بصـوت عال : انا الامس واليوم والغد ، واني املك القدرة على ان اولد ثانية. ولطف صوته من التوتر الذي كان يحس به ، ولكنه خلف وراءه شيئـا من الاضطراب الذي حيره وشعر وكأن شيئا كريها يوشك ان يقع ، شعور من يفيـــق اثر كابوس . ثم وقع بصره على الحقيبة الجلدية بالقرب من المدفأة. وشعر ان الاضطراب كان مقترنا بمنظر الملابس النسائية التي حزمها قبل قليل. وعندما حاول ان يحلل هذا الشعور تذكر ان اوستن قد طلب منه ان يعيد الى مكانه اي كتاب مفتوح يجده مبعثرا. ولكنه لم يتذكر انه رأى كتابا كهذا . واقلقه ذلك لسبب يجهله . وذهب الى الغرفة الاخرى ونظر حوله فلـــم يجد شيئا . وذهب الى غرفة النوم وسحب جميع الستائر والقى نظـــرة بين الديوان والجدار . واخيرا ، رفع حافة غطاء الديوان . ونظـــر فـــي المجال الضيق بينه وبين الارض ، فعثر على كتاب مفتوح ، ملقى على وجهه على البساط . كان عنوان الكتاب : (الاجرام ، ظروفه ووسائله) . وقلب الكتاب فرأى صورة فوتوغرافية لامرأة مذبوحة من حنجرتها ، وقـــد كتب تحتها : لاحظ الجروح على يديها المتسببة اثناء الدفاع عن النفس . فألقى الكتاب على السرير ، واحس بدوار ، وذهب الى المطبخ .

وهناك في المطبخ اصلح ضوء النهار من حالته النفسية ففتح صنبور المـاء ، وراح يحدق في الماء المنساب ، فشعر بالارتياح . لقد شعر بـــان الغرفة التي تركها لم تكن طاهرة ، واحس بالنفور منها . كانت هـــذه هي المرة الاولى التي يرى فيها صورة لموت العنف ، واحس وكأنها افســـدت الهواء الذي كان يستنشقه باشمئزاز ظاهر . وشعر وكأنه اكتشف جثـــة مقطعة الاوصال في دولاب نن .

وما لبث يقنع نفسه بانه مـــن السخف ان يشعر بالاشمئزاز وانـــه لا يحق له ان يصدمه منظر العنف . وبعد لأي ، عاد الى غرفة النوم وحمل نفسه على التقاط الكتاب ثانية . فلم يكن للصورة الاثر الاول الذي احدثته فيـــه . وجلس على السرير وهو يفتعل الشجاعة وراح يتطلع في الكتاب. كان كتابا مدرسيا معززا بالوثائق الجيدة لاستعمال الشرطة الامريكيـــة . كان يحتوي على فصل كامل عن السيارات المسروقة وفيه صور فوتوغرافية عن الاثار التي تتركها اطارات عجلات السيارات على الطين . وكان الفصل

الاخر يعالج موضوع طبع الاصابع واثار الاقدام . وكانت الفصول الاخيرة من الكتاب تلك التي تعالج اسباب الوفاة والتعرف على الجثث ، هي التي تحتوي على صور العنف . والفى سورم نفسه يقلب صفحات الكتاب وقد استبد به توتر وكأنه كان يتهيأ لتلقي ضربة على جسده . وحمل نفسه على قراءة الشروح المكتوبة تحت الصور قبل ان ينظر الى الصور نفسها . وبعد ان فرغ من تصفحه الكتاب أعاده الى الرف العلوي ، ليضعه بين الكتب التي تبحث في الطب العدلي . وراح سورم ، وهو يقف على الديوان ويسند الى الجدار ليحفظ توازنه ، يفتح بعض هذه الكتب ويلقي نظرات اليها . لم تعد تصدمه الصور ، ولكنه ظل يشعر بثقل في معدته ناجم عن الاشمئزاز الدائم . وعندما خفض نظره الى الرف الذي يليه والذي يحتوي على مؤلفات مالارميه ونرفال ودي ليل ادام وشوبنهاور ، اخذ يحس بتخطيه عالم الواقع . ولاح له أن هؤلاء الاشخاص لم يعرفوا شيئا عن حقيقة الموت عندما كتبوا ، وان تلك الصور قد ابرزت بطريقة ما هراء انغماس دي ساد وبودلير بالخطيئة .

واحس وهو في موقفه على السرير بعتمة في مشاعره كانقطاع الفلم السينمائي فجاة . وبقي لحظة ، وقد غمره احساس بعبث وجوده . لقد عادت رؤيا التشتت التي هبطت عليه يوم الاحد الفائت اثناء الليل . احس وكأنه يراقب شيئا لا قوة له عليه ، فارعبه هذا الاحساس . وجلس على الديوان . واخذ هذا الشعور بالزوال . فحاول أن يعيده وهو يشعر بقوة بان عليه أن يواجهه وان يطغي عليه ويتفحصه . ولكن الشعور كان قد اختفى تماما .

وتنبه سورم الى برودة الغرفة . كان جالسا يحدق في الفراغ مقطب الجبين ، وهو يحاول أن يحلل الخوف . كان ذلك عسيرا عليه ، ولكنه كان واثقا بان لهذا الخوف علاقة بتمييزه الذاتي . وانشأ يتأمل في الكلمات التي طافت في ذهنه وهو يقف على الديوان : العبث . الوجود الذي يفرض نفسه فرضا . وقال بصوت عال : ذلك لانه من الممكن ان اكون اي شخص او أي شيء ، او ان لا اكون ابدأ . ولكني اذا لم اكن ... انا . انا اكون . انها تعني الشيء نفسه .

وراح يتمشى في الغرفة ، وهو يفكر بصوت عال ، كانه يتحدث . كانت اشياء خداعة . انا . يخصني . ان الانا الشرعية لا تعترف بشيء يخصها . كل شيء غريب عنها ، حتى الوجود . يجب أن اتخلى عن الوجود ايضا . لاني اذا كنت موجودا ، معناه اني وقعت في الفخ .

وبزغت في ذهنه فكرة جديدة:المحدودية . انا لا اريد الحدود . ان الحدود هي الغريبة عني . الكون ، المسافة ، الزمن ، الكينونة ــ يجب الا يكون هناك شيء محدود . انا الله . انا الامس واليوم . انا الالــه (طــم) صانع السماء ، خالق الاشياء الموجودة . ولو لم اكنه ، فالحياة لا معنى لها.

وتناول مجلدا في الطب العدلي ، واخذ يحدق في صورة رجل قتل بحادث قطار . وعجزت الصورة عن اثارة رؤيا التشتت ثانية . وشعر بان صورة الموت في الكتاب لم تعد تمثل الواقع . انها ، مثل بودلير ودي‌ساد، لم تزل بعيدة عن الواقع بدرجتين .

وبعد ان غسل اقداح الشراب وجففها ، خرج واتجه نحو بدايـــة شارع كينسنغتن وركب قطار النفق . وجعله الجمهور المتدفق في ساعة الغداء يحس بالسرور . لقد انهكه الصمت والاحساس بالحيرة .

* * *

وفتحت المراة الاسكوتلاندية الباب ، ولما وقع بصرها عليه تجهــم وجهها . وقال سورم على عجل :

ــ انه ينتظرني .

ــ كان ينتظرك . وقد حان وقت راحته الان .

واغضبه سلوكها ، ولكنه كظم غيظه وقال بأدب :

ــ آسف ساعود في يوم آخر .

فترددت ، وعادت وفتحت الباب :

ــ ادخل ، وسأرى حالته .

وقال بهدوء :

ــ شكـرا لـك .

لقد جعل صوته منخفضا لئلا يسمعه مونسيل ، فلم تكن له رغبــة في ان يراه في تلك اللحظة . وتوجهت المراة الى الطابق الثـاني دون ان تكلف نفسها ادخاله الى غرفة الجلوس . وسره انها لم تسرف في الكلام . وعندما اقترب من الباب الزجاجي سمع لغطا من الجانب الاخر . فظــل واقفا في الرواق المظلم ، مستندا الى حاجز السلم وظهرت المراة في اعلى السلم ، واشارت اليه ان يصعد .

ــ انه لا يستطيع ان يمنحك اكثر من بضع دقائق . الان وقت نومه، فلم ينل شيئا من النوم طول النهار . فقال سورم يعدها :

ــ سوف لا اطيل البقاء .

وحالما لامست خياشيمه رائحة المادة المعقمة الباهتة في الرواق تذكر حديثه مع الاب في اليوم السابق ، واخذ يساوره شعور بالتوقع عندما كان يقترب من الباب . ولكن هذا الشعور اختفى تماما عندما رأى القسيس ووجهه القبيح بشكل غريب القابع فوق سترة المنامة ، وبدلا من ذلك ، احس بذلك الشعور الخافت بالخيبة الذي انتابه عند لقائه به لاول مرة .

كان الاب كاراثرز يجلس على كرسي مريح قرب المدفأة . وكان نصفه الاسفل ملفعا بلحاف وغطاء صوفي .

— تعال اجلس . كيف حالك ؟

ووضع سورم معطف المطر على السرير وجلس على الكرسي الاخر.

— اني بخير ، ايها الاب . اني اتوقع عودة اوستن اما اليوم أو غدا .

— طيب ، هل كتب اليك ؟

— اتصل بي تلفونيا مرتين منذ امس .

واخرج القسيس من فمه حشرجة وثبت نظره في سورم . وادرك سورم ما يدور في ذهنه ، وقال :

— لم تكن مجرد نداءات للسؤال عني . يلوح ان لديه شيئا يشغل فكره . هل يميل اوستن دائما الى الشعور بالاضطراب بدون مبرر ، ايها الاب ؟

— كيف ؟

— حسنا ... انه غريب الاطوار يميل الى كتمان افعاله . ويتصرف وكأنه يفعل شيئا في الخفاء . اشعر بالقلق عليه ..

— لم الحظ ذلك عليه قط . ما هي الغرابة في افعاله ؟

وقص سورم قصة النداءات التلفونية مختتما اياها بوصف للشقة . ولاحظ وهو يتحدث ان القس كان يصغي بكل جوارحه. وسأل القس اخيرا:

— اريد ان اعرف بالضبط السبب الذي يدفعك لتفضي الي بكل ذلك.

واضطرب سورم للسؤال . واجاب عليه بعد ان فكر في كلماته بعناية قائلا على مهل :

— ان أوستن ليسحرني ، ولكني لا اعرف تماما سبب ذلك . و... على كل حال فاني اميل اليه . واضح ؟

كادت لهجته ان تكون متحدية ، لانه لم يستطع ان يفكر بطريقة اخرى لالقائها . وابتسم القس ، وضاع القبح بين ثنيات الابتسامة الخيرة التي اشرقت في وجهه . وقال:

— فهمت .

ـ وبالاضافة لذلك ... شقته تلك ... جعلتني اشعر اني ازددت معرفة به . ولذا اريد ان ازداد معرفة به .

واغمض القس عينيه . واخذ يتحدث وقد ادار وجهه نحو المدفأة ، كأنــه يحــدث نفسه .

ـ ما حدثتني عنه بشأن الشقة لم يسبق لي أن علمته ، وان الآمــر جاء مفاجأة لي الى حد ما . ولكن ، على اي حال ، قد لا يكون هنالك داع للدهشة هذه . كما انها ربما توضح السبب في انقطاع اوستن عن المجيء الي . الرومانتيكية ملاذ غير مؤتمن ، ولكنه ليس ذا خطورة ، ولن يمكــث فيــه احــد طويلا .

وقــاطعه سورم :

ـ هل تعتقد انه سيعود الى حظيرة الكنيسة الكاثوليكية في الاخير؟

ـ ما اظن ذلك امرا غير محتمل .

وطفق سورم يتأمل في كلمات القس ، وهو يحملق في النار . وبقيــت العينان المزروعتان في وجه هذا الرجل المقعــد الشاحــب مغمضتيــن . وقـــال ســورم :

ـ الرومانتيكية ... فهمت ما تعنيه . فهــذا يفسر وجود مؤلفــات دي‌ليل ادام وهويزمان وغيرهما . ولكن ما قولك في صور الاجـــرام ؟ ودى ساد ؟

ـ لقد وضعت انت الجواب على سؤالك . دى ساد ــ رومانتيكي اخر . ان الصور السادية ...

ـ لا اعلم اذا كانت الصور سادية ام لا . كانت كريهة فقط .

ـ بالنسبة للشخص الذي تحركه الميول السادية ، الاشياء الكريهــة تولد لــه اللذة .

ـ هل لاوستن هذه الميول السادية ، ايها الاب ؟

اطلق سورم السؤال بسرعة ومن دون تفكير . وسرعان ما خطر له انه تمادى في نقاشه . وفتح القس عينيه واخذ ينظر اليــه ، وقـــال بصــوت هــادىء :

ـ فلنقل اذن ان اوستن له ... شيء من هذه الميول .

فقــال اوستن بصلافــة :

ـ اسمع ايها الاب . اذا كنت تظن اني اتحدث فيما لا يعنيني فقــل لي ذلك . فلا اريد ان اتطفل .

فقال القس مبتسما :

ـ لم اكن اعرف شيئا عنك يوم امس . واليوم ، انك تعرف الكثير عن اوستن ، وانا اعرفك أكثر قليلا من قبل ، واعتقد انه يمكننا ان نتحدث الان بصراحة .

وانبسطت اسارير سورم ، فقد اشعره زوال الغموض بالارتياح . فانفرج وجهه عن ابتسامة عريضة وقال :

ـ اشكرك ، ايها الاب . انك لرقيق . فكما ترى ، اني احس فعلا بشيء من المسؤولية الموقتة تجاه اوستن . وقد شعرت اني تأثرت عندما قال بأني الشخص الوحيد الذي يثق به .

ـ تماما .

ـ ولكني لم افهم شيئا من الامر على الاطلاق . فمثلا ، ملابس النساء هذه ...

ـ اين هي الان ؟

وقال سورم وقد ارتسم الامتعاض على وجهه فجأة :

ـ تركتها في الطابق الاسفل ، في الرواق .

ـ لا يهم ، فهي في مأمن تماما .

وعبس سورم وهو يتفرس في راحة يده . وقال مترددا :

ـ ايها الاب ، دعني اخبرك بما يدور في ذهني ، فاذا تبين لك انه مجرد هراء فلا تتردد في ان تخبرني بذلك .

ـ طيب .

ـ اسمع ، يبدو الامر كذلك ... صباح امس ، حاول اثنان من رجال الشرطة التحقيق مع رجل عجوز يسكن في البيت الذي اقيم فيه ... حول جرائم القتل التي وقعت في القطاع الشرقي من لندن . واني لواثق الان من انه لم يكن لدى الشرطة سبب خاص لهذا التحقيق ـ لم يكن لديهم ما يحدو بهم للارتياب فيه . كان مجرد انسان عجوز مخبول ، وربما كان يوما ما متهما بجنحة جنسية ، ولا شك انه واحد من العشرات الذين حققت معهم الشرطة . والان يطلب الي اوستن ان اخرج الملابس النسائية هذه من شقته . ولنفرض انه يتوقع ان يحقق معه الشرطة ؟ ولنفرض انهم على علم بميوله السادية الا يبدو ذلك معقولا ؟

وقال القسيس :

ـ لا اخالك تظن جادا ان لنن علاقة بهذه الجرائم ؟

ـ يا للسماء ! كلا مطلقا ! بالطبع لا . ولكن الشرطة لن تدع بابا الا وتطرقه ، الست على صواب ؟ وهذه الملابس تخص امرأة . فما رأيك ؟

ـ هذا ممكن ... هذا ممكن . ولكن ذلك لا يفسر الكتمان الـــذي يحيط اوستن الامر به .

ـ لم لا ؟ محتمل جدا . على اي حال ، من المحتمل ان نن نفســه يخشى شيئا من الشرطة . على كل ، رجل مثله وله هذه الانحرافـــات يحتمل ان يحدث بعض المتاعب للشرطة . كما يحتمل الا تكون الشرطة مــا يخشاه اوستن ، الا يجوز ان احدا يستغل معلوماته عن اوستن فيهـــدده ليبتز امـــوالــه ...

وتوقف عن الكلام ــ لقد احس ان الاسترسال في هذا التفـــكير لا يؤدي الى شيء . ورفع القس نظره الى وجهه ثم اخفضه ثانية :

ـ قد تكون على صواب . بيد ان افضل طريقة لمعرفة حقيقة الامــر هي ان ننتظر الى حين يعود أوستن ، ونستفسر منه . فليس من المستبعد مطلقا ان الشرطة قد تحقق معه حول جرائم ويتشبال ــ بالطبع اذا تبيــن ان القاتل منحرف جنسيا . فاذا كان القاتل ذا نوازع سادية فالشرطـــة لا تتحرج ان تلقي شباكها في كل مكان . وليس لديهم حيلة اخرى ...

ـ ماذا تعني ، ايها الاب .

ـ تحدث الجرائم الاعتيادية بان يكون للقاتل دافع ، فالامر لا يتعدى محاولة اكتشاف ذلك الدافع . اما في الجرائم الجنسية ، فما لم يضبط الجاني متلبسا في الجريمة ، فليس للشرطة طريق يبدأون السير فيـــه . كنت في دوسلدورف عندما وقعت جرائم كورتن ، وقد بلغ عدد المشبوهين الذين حققت معهم الشرطة خلال سنوات ثلاث ما يزيد على مئات الالوف. فليس من العجيب أو غير المحتمل ان يكون أوستن من بين من تريـــد الشرطة التحقيق معهم .

وقال سورم مبتسما :

ـ او التحقيق معي ... او اي شخص اخر .

ـ بالضبط .

ونهض سورم وقال :

ـ أسمع ايها الاب ، لن اطيل معك أكثر من هذا ، فاني اعلم انالوقت وقت راحتك . وشكرا للاستماع الي . كان علي أن اتحدث الى شخص ما عن ذلك والا كنت انفجرت .

ـ حسنا فعلت بمجيئك الي . ولكني ارجو ان تزورني يوما لتتحدث عـــن نفســـك .

ـ اشكرك ، ايها الاب .

ـ هنالك شيء اخر . لدي صديق ـ طبيب الماني ـ يعمـــل فـي سكوتلانديارد . فاذا تحدثت الى اوستن وشعرت بانه يحتاج الى مساعدة فاجعله يتصل بي . قد يستطيع الدكتور شاين ان يوفر علينا بعض المتاعب.

ـ شكرا ، ايها الاب . سأفعل ذلك .

والتقط معطفه ثم فتح الباب . وفيما هو يفتح الباب تــذكر سؤالا نسي ان يوجهه :

ـ وبالمناسبة ، ايها الاب ، هل تعرف رساما يدعى غلاسب ؟

ـ نعـم ...

ـ لدى اوستن بعض صوره معلقة على الجدران . كم يبلغ من العمر؟

ـ لــ... لست متأكدا . حوالي السادسة والعشرين .

ـ السادسة والعشرين ؟ يجب أن يكون فنانا موهوبا . اثنتان مـــن الصور مؤرختان في عام ١٩٤٨ ، ويعني ذلك انه كان في السابعـة عشرة عندمـــا رسمهما .

ـ انه موهوب جدا ـ او بالاحرى كان موهوبا . وهو فقير الحــال جدا ، وقد ادخل كذلك مستشفى الامراض العقلية مرتين . ربما سيقدمك اوستن اليــه .

ـ هل تعرف اين يسكن ؟

ـ كلا مع الاسف . لم التق به منذ سنوات . ربما تجد عنوانـــــه لدى الاب راكوسي . سيقدمك اليه اوستن بالتأكيد .

ـ هل هو كاثوليكي ؟

ـ نعـم ...

وفتحت الباب وهو واقف هناك ويده على المزلاج . واطلت المــرأة الاسكوتلاندية .

ـ حان وقت راحتك ايها الاب .

فقـــال سورم :

ـ ساحاول المجيء قريبا ، ان استطعت ، ايها الاب . وداعا .

ـ وداعــا .

والتقى في الصالة بالقسيس الهنغاري وقال :

ـ المعذرة . يقول الاب كاراثرز انك ربما تعرف عنوان رسام يــدعى غــلاسب .

ـ نعم . اتريـده ؟

ـ ان لم يضايقك ذلك ، رجـاء ؟

ـ انتظر لحظة . سأجده لك .

ودخل القسيس غرفة تجاور غرفة الانتظار ، وخرج بعد قليل حاملا دفتـر مـلاحظات :

ـ العنوان : ١٢ شارع داروارد .

فسجله سورم في دفتر العناوين وسأل :

ـ اين يقع الشارع ؟

ـ في القطاع الشرقي ، وايتشابل .

ـ هل تعرف اسمه الاول ؟

وبدت الدهشة في وجه القسيس :

ـ انك لا تعرفه ؟

ـ كلا ، ولكني رايت بعض لوحاته . وظننت انني قد استطيع لقاءه في يوم من الايـام .

ـ آه . ولكنك لن تجده حسن العشر . اسمه الاول اوليفر . ليـس من اليسير الحديث معه .

ودفع سورم الدفتر الى جيبه :

ـ اشكرك ايها الاب . ربما ابعث اليه برسالة . طاب مساؤك .

ولما خرج ، راح يبحث بصورة لا شعورية عن دراجته حتى تذكر انه قدم بقطار النفق . وسار باتجاه محطة (تشانسري لين) والحقيبة الجلدية تتأرجح في يده . لقد تيقن أن غلاسب هو الذي رسم تلك اللوحات ، فقد كانت تحمل الحروف ا.غ. ـ اي اوليفر غلاسب . ولكن ذلك بحد ذاتـه لا يعني شيئا . انه مجرد شظية واحدة من هذا اللغز الذي يحيط بنن .

لقد اكثر من التفكير في نن حتى اصبح وجود نن شيئا خيـاليا . وراح يتأمل : انني اميل الى السلبية ـ تلك هي المشكلة . انني سلبي،وقد اوليت اهتمامي بنن لانه ايجابي . انا كالبركة الراكدة ، اما نن فهو الحجر الذي حرك الزبد المستقر على سطحها .

وسار باتجاه كينغسواي ، وقد استفحل القلق والكآبة اللذان اسراه . وادرك ان بعض السبب يرجـع الى انه لم يتناول شيئا منذ الفطـور . كما ان مفعول المشروبات التي تناولها اخذ يتلاشى .

وكاد يأخذه النوم وهو جالس في قطار النفق ، ومسح بمنديلـه الدموع التي سالت من عينيه ثم فتح فاه متثائبا .

ـ متعب . تلك هي المشكلة . سآكل ثم انام عندما..اوه . يا للعنة.

وتذكر كارولين ، وتذكر ان عليه ان يلتقي بها بعد ساعتين . واحس

بالاكتئاب . وخطر له ان يتصل بها تلفونيا ليعتذر لها عن اللقيا ، وشعر ان هذه الفكرة اتعس من فكرة الذهاب الى ساحة ليستر في الساعة السادسة . واخيرا ، نزل من القطار في كامدن تاون ودخل حانوتا للملابس الجاهزة ليبتاع له سروالا .

* * *

وما كاد يمضي معها ربع ساعة حتى أدرك انه يميل اليها ، وان هذه الامسية ستكون ممتعة . ورفعا الكلفة فيما بينهما ، وشعر انها تعامله بصورة طبيعية ، كأنها تخرج معه للمرة العاشرة لا المرة الاولى . كانت تعامله دون تقيد ، كصديق قديم . كان في طريقتها ما يذكره بسلوك نن .

كان المطعم في الطابق السفلي على شارع (كينغس رود) ، والدخول اليه يكون خلال مقهى . وحالما دخلت هتفت بعض الاصوات تناديها ، وهب من مكانه شاب ذو لحية يرتدي معطفا سميكا واحاطها بذراعيه وقبلها وهو يصرخ :

ــ الو ، يا حبيبتي ، ما اسعدني بلقياك .

وقدمته الى سورم قائلة : هذا فرانك ، الشخص الذي يقوم بدور فرلين في المسرحية التي نمثلها .

كان هذا الشاب ذا وجه منتفخ لا يبدو عليه النضوج ، وكانت لحيته قليلة الشعر حريرية الشكل . ولم يستطع سورم ان يتصور شخصا اقل شبها بفرلين . وقال الشاب ، بلهجة عامية :

ــ كيف حالك ، ايها الشريك ؟ ارجو الا تكون جئت باحثا عن المتاعب، فليست معي غير ست رصاصات ! قهوة لكليكما ؟

فقالت كارولين :

ــ جئنا لنتناول الطعام في الطابق الاسفل . قد نراك فيما بعد .

ــ تعالا الى الحفلة . ستقام في المحل الذي سقطت فيه القنبلة امام مدرسة التمثيل . واجلبا معكما زجاجة شراب .

فقالت :

ــ ربما .

وشقا طريقهما بين جموع الفتيان والفتيات المزدحمين عند طاولة البار والمقاعد العالية التي تحاذي الجدران . وسمع سورم احدهم يقول :

ــ ها هي ملكة جمال بيدابل لعام ١٩٥٨ .

كان الطابع الاسفل منقسما الى جزئين بواسطة ستارة مشبكة ، وكان مضاء بمصابيح منضدية مصنوعة من قناني شراب الكيانتي . وعندما خف

اليهما الخادم ذو البشرة الزيتونية توقع سورم انه سيدعو كارولين باسمها الاول ، ولكنه قال فقط :

ـ طاولة لاثنين ، يا سيدي ؟

كانت قائمة الطعام كبيرة الحجم ، تكاد تكون بحجم صفحة من صفحات الجرائد :

ـ بعض الإصناف تكلف غاليا جدا .

ـ لا تكترثي ، فقد سطوت هذا الصباح على خزانة نقودي .

وراحت تتفحص القائمة وسالته اخيرا :

ـ هل تعجبك القواقع ؟

واعترف لها بانه لم يذق طعمها في حياته .

ـ هيا اذن لنطلب منها . وهل تشتهي الثوم ؟

ـ اموت فيه .

ـ حسنا . فلتكن خنازير ونطلب اثني عشر لكل منا .

وعندما وصلت اطباق القواقع اخذت تعلمه كيفية استعمال الملقط ، والحت عليه ان يشرب الزبد المنصهر من القوقعة نفسها بعد ان ينتزع منها قطعة الحلزون السوداء الطرية وياكلها . وطلبا بعد ذلك المزيد من الجبن والليمون واتبعاهما بزجاجة نبيذ ابيض . وبدأ سورم يشعر بالاسترخاء واللامبالاة . واعترف لها :

ـ اني لم اكن اتطلع بشوق الى هذه الامسية مطلقا .

ـ كلا . لم لا ؟

ـ كنت قلقا اخشى الا ينسجم كلانا مع الاخر . هل تعلمين امرا ؟ اني لم اخرج مع فتاة خلال السنين الخمس الاخيرة .

ـ يا للسماء ! ماذا كنت تفعل ؟ كنت تلبس مسوح الرهبنة ؟

ـ كلا قضيتها في غرفتي على الغالب ، او احيانا في غرفة المطالعة في المتحف البريطاني .

ـ ولكن لماذا ؟ فانت لست خجولا ..

ـ لا . كنت ابحث عن شيء ما ... اذا فهمت قصدي ؟

وسألته ضاحكة : تبحث عن اي شيء ؟

ووصلت اطباق الدجاج المشوي ، فمنحته وقتا ليفكر في جواب . وقال اخيرا :

ـ الشيء الذي كان رامبو يبحث عنه : رؤيا .

فقالت على الفور :

ـ كنت احاول قراءة كتاب عنه ولكنه مليء بالنصوص الفرنسية .
لقد كان يحاول ان يتلف حواسه ، او ان يفعل شيئا من هذا القبيل ، أليس كذلك ؟
ـ نعم .
ـ هل حاولت ذلك انت ؟
ـ كلا . حاولت تطبيق نظام معين . ولكن لم يحدث شيء .
ـ وماذا تعتزم محاولته الان ؟
ـ من المضحك ، انا الان اقرب من السابق الى الرؤيا . هل تعرفين ما معنى كلمة العامل المساعد ؟
ـ كلا .
ـ هو الشيء الذي يسبب تفاعلا كيماويا دون ان يطرأ عليه تحول . فيمكنك تحضير غاز حامض الكبريتيك بتسخين الاوكسجين وثاني أوكسيد الكاربون . ولكن يجب تسخين هذه المواد على الاسبست ذي البلاتين ، والا لن يحدث شيء ، غير أن الاسبست لا يتحول . اما انا ، فكانت في داخلي عناصر كثيرة لم تمتزج ، كانت لدي اكداس المعلومات التي لم تكن تعني اي شيء بالنسبة لي . ومنذ ان التقيت بنن يوم الجمعة الماضي ، بدأت اشعر أني اعيش للمرة الاولى منذ سنين عديدة .
فمطت شفتيها وقالت :
ـ وانا ، أليس لي مكان في اطارك ؟
ـ بالطبع . لو لم التق باوستن لما تعرفت بك ، أليس ذلك صحيحا ؟
ـ كيف تعرفت باوستن ؟
وسرد لها القصة اثناء ما كان يأكل ، وكان لما يزال يحدثها بعد ان انهيا الطعام واخذا يرقيان السلم الى الطابق الارضي لتناول القهوة . ولما بلغا منتصف السلم توقفت والتفتت اليه وهمست :
ـ اتعلم ، اني ثملة قليلا .
ومالت الى الخلف قليلا ، فوضع يده حول خصرها ليسندها . فوضعت يديها على يديه وشدت عليهما ثم ارخت قبضتها . ولكنه كان يشعر بالشبع والنعاس الشديدين فلم تثره هذه الحركة ، ولكنها زادت من شعوره بالارتياح والاستقرار معها .
وفيما هما يحتسيان القهوة سألته فجأة :
ـ هل تعتقد أن جيرترود جذابة ؟

فحدق في الفنجان بصلابة وقال بلهجة ناقد فني :
ــ اجل ... انها جذابة .
فقالت بلهجة ايحائية :
ــ ولكنها ليست من طرازك .
ــ لا ... ليس هذا . ولكنها البساطة التي تنظر بها الى الاشياء . انها تحيرني .
ــ تحيرك ؟ ماذا بحق السماء يحيرك فيها ؟
ــ هي اما ان تكون مخادعة بارعة او بدائية في بساطة عقليتها الى درجة لا استطيع ان اميزها . وتذكري ، يمكنني ان أفهم كيف يكون الانسان مسيحيا يؤمن بالكتاب المقدس ويعتقد ان الكتاب المقدس هو بداية الاشياء ونهايتها . ولكن إنطباعي عنها انها ليست من ذوي هذا النوع من الذهن . انها تبدو وكانها قرات مؤلفات فرجينيا وولف واخلت ترعى الادباء الشباب المحليين .
ــ انها تفعل ذلك !
ــ نعم ... اظنها تفعل ذلك . هل تعرفين شيئا عن حياتها قبل ان تأتي لتسكن في همبستيد ؟
ــ كلا ..لا تتحدث امي عنها ابدا . ولكن افلتت منها بعض العبارات يوما ظانة اني لم اكن اصغي . كان هنالك رجل في حياتها .
ــ وماذا حدث ؟
ــ لست ادري ، في الواقع . لم هذا الاهتمام ، هل ترسم الخطط لاقتناصها ؟
ــ انت التي اثرت موضوعها !
ــ اظن ذلك . على كل حال ، اظن انها ترسم الخطط لك .
ــ غفرانك رباه ، تعنين ...
ــ تعلم ، انها وحيدة هناك ، وذلك ما يجعلني اذهب احيانا لأمكث بصحبتها بعض الليالي . واعتقد انها تتمنى لو اكثرت من زياراتك لها .
ــ اليس لها اصدقاء مقربون اخرون ؟
ــ كلا . كان يزورها في وقت ما احد الرسامين ، ولكنه انقطع ..
ــ تعنين كان لهما علاقة ؟
ــ اوه ، كلا . كان عمره يعادل نصف عمرها . شاب يدعى غلاسب .
ــ اوليفر غلاسب ؟
ــ نعم ، لماذا ؟

ـ سمعت عنه . اعتقد انه صديق لاوستن .
ـ نعم ، واعتقد أن اوستن اخذه معه اليها لاول وهلة .
ـ ولماذا انقطع عن الذهاب اليها ؟ هل تعلمين ؟
ـ نعم . اصيب بانهيار عصبي فدخل مستشفى للامراض العقلية . انها لم تتحدث عنه كثيرا ، ولكنهما ، على ما اظن تخاصما ايضا .
وانهيا احتساء القهوة . وقال سورم :
ـ هل نغـادر ؟
وانزلقت نازلة عن المقعد والتقطت قفازيها . وسألها :
ـ اين تودين الذهاب الان ؟ العودة الى سوهو لاحتساء بعض الشراب ؟
ـ لا يهمني . اين ترغب انت في الذهاب ؟
ـ فلنمش على كل حال . لقد افرطت في الاكل .
كانت الليلة باردة ، ساكنة الرياح . وكانت السمـاء لا نجوم فيهـا . وسألتـه :
ـ هل يضيرك زيارة اثنتين من صديقاتي ؟ انهما يسكنان في عوامة على قنـاة (تشيسي) .
ـ كيف نصل الى هناك ؟
ـ مسيرة عشرة دقـائق .
ـ هل نشتري بعض الشراب لنأخذه معنا ؟
ـ فكرة طيبة . لا اعتقد ان لديهما شيئا من الشراب . انهما ممثلتان ، ولكنهما عاطلتان في الوقت الحاضر .
وابتاعا زجاجة من النبيذ الابيض من احد مخازن المشروبات وسارا عبر المجلس البلدي . وعلى بعد مائة ياردة شاهدا وهج نار .
ـ تلك هي الحفلة التي تحدث عنها قراتكي . لا نريـد أن نذهـب ، اليـس كذلـك ؟
ـ انا لا ارغب .
كانت النار قد اقيمت على قطعة من الارض الخربة التي كانت تنعزل عن الشارع بجدار واطيء . وكانت الارض نفسها تنخفض عن مستوى الشارع بحوالي عشرة اقدام . وكان الطلبة يزدحمون في المكان واكثرهم يمسـك بيده بزجاجة او بقدح . وراح لفيف منهم يسحب جذع شجرة ليلقي بـه في النار . كان كبيرا لا يمكن وضعه مستلقيا على النار فصار كالجسر يمر وسطها ، ويستند من طرفه بفروعه .
ـ لنمر بالمكان لحظة واحدة ، يا جيرارد ؟

وجر سورم خطاه متبرما وهي تتجه الى حافة الشارع . كانــت الارض تنحدر تدريجيا الى البقعة التي اقيم فيها الاحتفــــال . وسال والريــــب يساوره :

ــ هل تعرفين الكثير منهم ؟

ــ قليلا . ولكنا لا نريد ان نختلط بهم . لندفيء ايدينا قليلا ونرحل .

وكان على مقربة منهم راديو يدوي يعزف موسيقى راقصة ، ولكن لم يكن هناك من يحاول الرقص . واستلقى على العشب في الجوانب المظلمــة قرب الجدار الفتيان والفتيات ، اثنين اثنين . ولكن اكثرهم احاط النــار بدائرة واسعة . كانت النار شديدة الحرارة لا مجال للوقوف قريبا منها . وقد استطاع سورم ان يميز في وسط اللهيب اريكة بالية وبقايا باب . وفيما هما يقفان ، قفز احدهم على جذع الشجرة المنتصب فوق النار وقفز بحركة غير رشيقة الى الجانب الاخر واثار عاصفة من الشرر الاحمر . وانطلق عدد من الطلبة يهتفون له بطريقة عصبية . فاستدار الشاب وقفــز الى الجانب الاول وهو يفتح ذراعيه في الهواء ويزعق اثناء القفز . فقال سورم باشمئزاز:

ــ احمق ملعــون !

ــ اسمه ايفور فينر . كنت اخرج معــه .

وكظم سورم كلمات الغضب التي كادت ان تنطلق وادار راسه وهــــز كتفيه . فتعلقت بذراعه وقالت :

ــ لنذهــب .

وعندما بلغا مستوى الشارع قال وقد اكتابت اساريره :

ــ هذا الضجيج يجعلني احس اني في الخمسين من العمر . انــــي امقــت الطلاب .

ــ لا بأس بهــم .

ــ كل على انفراده ربما . ولكنهم بمجموعهم يثيرون الاشمئزاز .

وبعد مسيرة قصيرة سمعا رنين اجراس بعيدة . واذا بعربة حريــق تمر امامهما وتقف امام المكان . فقالت كارولين :

ــ جاؤوا لاطفاء الحريق ــ هيا نتفرج .

ولما عادا الى بقعة الارض وجداها خالية من الطلاب ، وقد تجمهروا خلف الجدار وهم ينظرون الى النار . ووقف سورم وكارولين في نهايــة الجدار وهما يراقبان عمود الماء الابيض الذي كان يئز اثناء مروره بالعشــب الى النار . وفي الحال ، صعدت سحب البخار وخبت السنــة اللهيــب . واصطدم الماء بجذع شجرة وتركها تتارجح فوق العشب . وسرت زمجــرة

بين الطلاب ، وصاح احدهم :

ــ يا مفسدي المرح ، ايها الاوغاد .

وانطفأت النار ، ولم يستغرق ذلك ثلاث دقائق .

وعندما شرعا في السير ثانية ، احس سورم بالخجل من الامتعاض الذي شعر به قبل لحظات ، لا لانه تعاطف مع الطلاب ولكنه احتج بصورة تلقائية على فكرة قيام السلطة بانهاء احتفال . ونظرت الى وجهه أثناء مرورها تحت مصباح من مصابيح الشارع وسألت :

ــ ما الذي ازعجك ، يا جيرارد ؟

فضحك وقد احس فجأة انه كان مقطب الجبين .

ــ لا يزعجني شيء . ولكن اعتقد ان لا سبيل الى ارضائي .

ــ ماذا تعني ؟

ــ كرهت هؤلاء الطلاب لظهورهم بمظهر جماعة قذرة غير منتظمة من المراهقين . وهذا يجعل مني مؤمنا بالسلطة . ولكني بنفس الوقت أكره السلطات عندما تقف بملابسها الرسمية وتصدر الاوامر . ولهذا فانا فوضوي اي اني فوضوي يؤمن بالسلطة !

واتجها نحو (تشين دوك) . كان النسيم المقبل من النهر باردا . فقلبت ياقتها ومالت برأسها على ذراعه . واجتازا الشارع الى الجدار المطل على النهر وتوقفا للتحديق في الماء . وكانت الاضواء المنبعثة من جسر البرت تتمايل فى الظلام الداكن . وشعر انها كانت تنظر اليه . ومال اليها وطبع قبلة على شفتيها الباردتين واحس بارنبة انفها كالثلج على وجهه . وقالت :

ــ لا يهمني ما تكون .

ــ لا داعي للاهتمام . فانت لست مضطرة للعيش بالطريقة التي اعيش فيها .

وقالت بعناد :

ــ لا يهمني مطلقا ان اضطررت للعيش معك .

وقبلها ثانية وراح يتساءل ، وهو يقبلها ، كم قبلة طبعت على هذه الشفاه في الظلام ، وكم من الرجال . وامسك عن المضي في تفكيره هذا ، ولكنه لم يستطع أن يمنع شعوره بالنفور منها .

وعبرا الجسر الذي كان يؤدي الى مرفأ صغير ، كان يخرج منه ممر خشبي ضيق الى البيوت العوامة الراسية . وقال :

ــ يحسن بي ان اتقدمك . الليل اشد سوادا من قبعتك . أي عوامة منها ؟

ـ الثالثـة .
ـ وماذا نفعل ان لم نجدهما ؟
ـ اما أن ننتظرهما ، او نعود الى البيت .
وعندما وصل الى حافة العوامة الثالثة وجد الشبابيك مظلمة .
ـ يبدو انهما في الخارج . ماذا نفعل الان ؟
ـ لنذهب الى سطح العوامة ، لعل البا بـمفتوح ؟
واجتازا طرف العوامة الى السطح وساعدها فى العبور . وسألت :
ـ هل لديك عـود ثقـاب ؟
فوجد علبة الثقاب واشعل عودا . وسحب مزلاج الباب فاذا به يفتح.
ـ شكرا لله ! يمكننا الدخول على كل حال .
وتبعها بشيء من الفضول . وفتحا نورا كهربائيا كشف عـن مطبـخ صغير مع اسطوانتين للغاز بالقرب من الموقد الغازي . فهتفت :
ـ هل هنا احد ؟ وووو ! باربارا ! مادلين !
ولمح فتاحة قناني تتدلى من كلابة على الجدار .
ـ يمكننا أن نتناول بعض الشراب على كل حال :
ومزق الغلاف الرصاصي وفتح الزجاجة . لم يعثر علـى الاقـداح ، ولكنه وجد كوبين خزفيين على الرف . وقالت كارولين :
ـ هيا ادخل هنـا .
كانت غرفة صغيرة للنوم والجلوس تحتوي على سرير عريض واحـد وكرسـي كبير . ولم تتجاوز مساحة الغرفة ستة اقدام .
ـ هذه غرفة باربارا . اما غرفة مادلين فمجاورة ، ولكنها اصغر مـن هــذه .
ـ ايـن يتناولان الطعـام ؟
ـ فـي المطبـخ ؟
ـ واين يستقبـلان الضيوف ؟
ـ هنالك غرفة اخرى هناك ، ولكنهما يصبغانها فى الوقت الحاضر .
وناولها كوبا مليئا الى منتصفه بالنبيذ ، وسألت :
ـ اي نخب نشرب ؟ نخبنـا ؟
ـ نخبنـا .
والتقت نظراتهما عندما اخفضا قدحيهما ، فرفعت وجهـا متهيئـة لقبلته . وذاق طعم الخمر على شفتيها . وكانا ما يزالان ممسكين بالقدحين. وقـالـت :

ـ ماذا تقول العمة جيرترود لو راتنا الان ؟
ـ اخـاف ان افكـر .
وقذف بمعطفه على الكرسي وجلس على السرير .
ـ هل تظنين ان باربارا سوف تنزعج لجلوسي على السرير ؟
ـ كلا ابدا . ازحف قليـلا .
ـ وحـــذاءاي ؟
ـ اخلعهمـا .
وفك شريـط حذاءيه ونزعهما ، وزحف نحو الحائط . فاستلقت حـالا الى جنبه واغلقت عينيها .
ـ الا تريديـن شرابـك ؟
ـ بعد قليل .
وانحنى فوقها وجعل شفتيه تتجول على وجهها الطري الذي لم يـزل بارعا . وقالت بنعومـة :
ـ مـا اجمـل ذلـك !
ولمست باطراف اصابعها مؤخرة رقبته ، ومدت لسانها بين شفتيه . فاعتـدل واخذ يتنفس عميقـا .
ـ علينا ان نتوقف ، اتعلمين ؟
ـ صحيــح ؟
ـ اجل . قبـل ان يكون من المستحيل !
ففتحت عينيها وابتسمت له :
ـ لا يضيرني ان تكون عشيقي .
ـ ولكن هذا العرض لا اخلاقي جـدا !
ـ كلا ابـدا . فانت الاول .
ـ ومع هذا فهو لا اخلاقي ! على كل حال ، انت اصغر من ان يكون لك عشيـــق .
ـ هذا سخف . فلست صغيرة . كاد ان يكون لي عشيق في العـام المـاضـي .
ـ ومـاذا حـدث ؟
ـ طلب مني ان اذهب معه فى نهاية الاسبوع الى برايتون . ووافقت .
ـ وهل ذهبـت ؟
ـ كلا . فقد اصبت بالتهاب الحنجرة قبل يوم فلزمت الفراش .
ـ طريقة رائعة للسلوك ! لقد صعقت !

فاعتدلت في جلستها ومدت يدها الى كوبها .

ــ هــل انت جــاد ؟

فقــال باهتمــام .

ــ هل كان ذلك الاخرق الذي كان يقفز فوق النــار ؟

ــ ايفور ! يا الهي ! كلا . هل اضطجع مع هذا الانسان ! كلا ، كان هذا ممثلا ، في الخامسة والثلاثين من العمر طلق مرتين . ولقد جننت به ثلاثة اسابيع ، حسبت اني لا استطيع الحياة بدونه .

ــ ولــم يحدث اي شيء ؟

ــ كلا . تخاصمنا بعد عطلة الاسبوع تلك . ثم اضطر الى الرحيل ، فقد انتقلت فرقته الى ليفربول . وكان ما كان .

وشرب بقية الشراب ، وشرع يضحك .

ــ مــــاذا يضحكك ؟

ــ لا شيء . مجرد المقارنة بينك وبين عمتك .

فقالت بلهجــة مؤكــدة .

ــ حــاشا أن اكون مثلهــا !

ــ لــن تكونــي مثلهــا .

ووضعت الكوب على الطاولة وتركت راسها يسقط على الوسادة ومدت شفتيها لسورم كي يقبلها . وقال :

ــ لا . ليس من المعقول . لقد ارتفع ضغط الدم والرغبة لان انــزع عنــك ملابسك .

ــ لا يمكنك ذلك . ليس هنا ، فقد تعود باربارا .

ــ لنقفــل البــاب ؟

ــ لا يمكنك ذلك . لا يمكن غلق البــاب .

ــ كيــف علمت ؟

ــ باربارا هي التي اخبرتني . عندما كان صديقها معها كان عليهما ان يضعا الكرسي خلــف البــاب .

ــ هل تعترض باربارا لو عادت ووجدتنا في سريرها ؟

ــ كلا . انها واسعة الصدر . على كل حال ، يمكننا سماع وقــع اقدامها من بعيد . فيمكنك الجلوس على ذلك الكرسي وتبدو محترما .

وقبلها ثانية ، ولم يبذل جهدا ليكبت التهيج الذي بدأ يرتفع فيه . وفتحت شفتها السفلى عند التقبيل لكي يتذوق داخله الندى الاملس . وبعد دقائق قليلة رفع وجهه عنها واعتدل في جلسته فسألت :

ــ مـــاذا حـــدث ؟

ــ لا يمكنني التمادي . اذا استمرينا على ذلك فسانفجر . هــل انت واثقة انها قد تعود قريبـــا ؟

ــ لست ادري . لا أدري متى تعود .

واخذ يلبس حذائيـــه .

ــ لنذهب الان . سنترك لهما الشراب كهدية .

ــ ايــن تريـــد ان تذهب ؟

ــ الى اي مكان . العودة الى سوهو . يمكننا ان نتناول قدحا مــن الشراب . ما تزال الساعة العاشرة .

ونهضت على قدميها الحافيتين الا من الجوارب . وكان عليـــه ان ينحني ليصل الى راسها . كان يحس بقلق وهو يقبلها . وادرك ان ذلك لن يجدي شيئا فى تلك اللحظة . وان اي اتصال اخر معها يحتم عليه أن يضبط عواطفه . وبدا له كانها احست بذلك ، فافلتت منه برفق . وقالت :

ــ حسنـــا ، لنذهـــب .

* * *

بعد أن تركها في محطة نوتنهام كورت رود أحس بالانبساط والرضى . وراح يتطلع من خلال زجاج نافذة الباص عند مروره بشارع (كوج) واطلق العنان لتفكيره ليتأمل فى هذه الفتاة وسرعة رضوخها . لم يكن ليخشى الوقوع فى غرامها ، فذلك امر بعيد الاحتمال . لقد افتتن بها وحسب . كانـــت ساذجة جدا . وكانت عملياتها الذهنية اوضح من ان تدعه ياخذها علـى ماخذ الجد . ولم تتسم علاقتهما بعنصر الغموض او الانتشاء ، كمـــا لم تعطه الفرصة لاي شكل من اشكال الجهاد من اجلها فقد جعلته يرى ، ومن دون اية مقدمات ، انه يثيرها وانها على استعداد لان تتدله فى غرامه اذا لم يكن لديه اي مانع . ولم يكن لديه اي مانع ، واطربته فكرة أن يكون عشيقها . كـــان الامر ابسط من صفقة تجارية .

واخذ يتثاءب ، ويمسح عينيه النديتين بمنديله . ونهضت الفتـــاة التي تجلس امامه في الباص وتركت كلبهـــا الابيض الصغـــير ينزل الى الارض . كانت حسنة الشكل انيقة اللباس . والقى اليها بنظرة ثـــم ادار وجهه عنها وسره عدم الاكتراث الذي شعر به . وطاف في ذهنه انه يكاد لا يستطيع التحرر من الرغبة الجنسية ، فبمجرد التفكير في المراة فـــي اي ساعة من ساعات الليل والنهار ، يعكر عليه استقراره ويثير فيـــــه الاستياء الذي تورثه الشهوة التي لا تجد اداة التنفيس عنها .

وعاد اليه الشعور الذي احس به ذلك الصباح بينما كـان يراقب الفتاة التي خرجت من المصعد : شعور بالاطمئنان والقوة ، وانعـدام الشعور بالغيرة انعداما تاما . كان يستطيع التفكير في نن بموضوعية تامة ، ليس لانه يعتبر مزايا نن طارئة او آنية ، بل على العكس ، فهنالك احساس يثيره نن هو ان المال والترف امران لا مفر منهما . بيد ان هذا بحد ذاتـه لا يثير الغيرة . كان في خياله يتصور ان نن يمثل الوجود المادي ، الاحساس المباشر بالحياة الطبيعية . وان المحيط الطبيعي الذي يمكن لنن ان يعيش فيه هو يخت نظيف في البحر المتوسط ، أو اشعة الشمس البيضاء فـي انعكاسها على الجليد بالقرب من تروندهايم ، والصخور الناتئة من ضفـة النهر في (غالوى) حيث يصطادون سمك السلمون . واستجاب سـورم لهذه الافكار كما أستجاب لكارولين ، ولكنه شعر ان هنالك شيئا خلف هذه الافكار يضيق عليه . في حياة الانسان الطبيعية عبث متأصل كـان يلقي الرعب في نفسه .

واحس بالبرد عندما نزل من الباص في شارع (برنس أوف ويلز) واخذ يرتعش وتتشنج عضلات كتفيه ، فمشى مسرعا عبر الطريق . لقد اختفى الانبساط واخذ يحس بتوجس لا يجد مبررا له . وقد بدأ هـذا التوجس يتبلور عندما ترك شارع (كنتش تاون) ورأى سيارة من نـوع جاكوار تقف خارج البيت .

وبحث على الطاولة الموجودة في الصالة عن رسائل او نـداءات تلفونية . ووجد قصاصة من غلاف رسالة كتب عليه : المستر سورم ، لقد اتصل المستر نن تلفونيا . كانت الرسالة موقعة بالحرف : ك.

ورأى الضياء المنبعث أسفل باب غرفته قبل ان يدخل . كـانت الغرفة تختنق بالدخان . وقال :

— هلو ، أوستن . كم طال انتظارك ؟

الفصـــــل السادس

وقال نن :

ـ كنت على وشك الرحيل . خامرني الظن انك ستقضي ليلتــــك خــارجا . كيف حــالك ؟

ـ بخير . هل تناولت طعاما ؟

ـ منذ ساعات . وكنت اشرب ايضا . خذ شيئا من البراندي .

واشار الى قدح على الطاولة . كان يجلس على الكرسي الكبير ويمد قدميه على كرسي خشبي على الطرف الثاني من السجادة . كانت النــار الغازية تشتعل بدرجة منخفضة . وجلس سورم على الكــرسي المقابــــل وسكب قليلا من البراندي في قدح . وقال :

ـ من الجميل ان اراك . متى دخلت ؟

ـ في الساعة الخامسة . حاولت ان اتصل بك حال عودتي ولكنك كنت غـــادرت .

ـ كان سورم خلال الايام الاربعة التي مرت منذ ان غادر نن ، قــد نسي الكثير من الاشياء عن نن . نسي أن الصوت المهذب المفتعل كــــان يخدش اعصابه وان وجهه الذي تبدو عليه اثار الجدري كان يقرفه . كان نن الذي يجلس في مواجهة سورم تلك اللحظة يختلف تمام الاختلاف عن نن الذي كان سورم يفكر فيه في الباص . وقال سورم :

ـ كنت مع كارولين دينبيغ ـ ابنة اخ العمة جيرترود .

ـ من ؟ آه ، جيرترود . كارولين ! لا اظنني رأيتها منــــذ ان كنت صبيا . ولكنها في الثالثة عشرة من العمر ، اليس كذلك ؟

ـ كلا ، انها في السابعة عشرة .

ـ اوه . هل وقعت في طريق سورم ؟

ـ لست ادري .
وقال نن ، متأوها :
ـ اعتقد ذلك ـ مثلها مثلنا جميعا . هل ستضطجع معها ؟
ونظر اليه سورم بدقة : كان وجهه هادئا تشوبه السخرية .
ـ المسألة تعتمد ... قد أفعل .
وبرزت السخرية بصورة واضحة .
ـ وهل يمتعك ذلك ؟
فقـال سورم :
ـ اثرت نقطة جيدة . قد لا استمتع . اوه ، ولكني قد اظفـر بالاحساس المثير . ولكن ماذا ستؤول اليه الامور ... لا ادري أن كنـت مستعدا لتحمل النتائج .
وسكب نن المزيد من البراندي في قدحه .
ـ حسنا ، لنترك كارولين . لقد حصلت على الملابس ، كما ارى .
ـ اجل . هل بحثت عنها ؟
ـ نعم . اشكرك جدا . هل لقيت صعوبة في الحصول عليها ؟
ـ كلا ابدا . تعرفت على فانيت . وحاول اقناعي بان ابقى معـه للغداء . ولكني لم ابق .
ـ ذلك متوقع منه . ان لهذا الشخص فضول باندورا .
ـ ثم امضيت ساعة في شقتك . اوه ، وقد جربت بعض انـواع مشروبـاتـك .
ـ حسنا فعلت . كان ينبغي علي ان اخبرك بان تمتع نفسك .
ـ والقيت نظرة على كتبك . قضيت ساعتين مثيرتين هناك .
واحنى نن كتفيه ، وَوتر ذراعيه ثم مدهما واخذ يتثاءب .
ـ اني اشعر بالامتنان لك يا جيرارد .
وغطس نن في كرسيه كأنه تلقى ضربة على رأسه ، وظلت عينـاه تحدقان في سورم بهدوء تأملي وقال :
ـ اعتقد انك متشوق لمعرفة هذا الامر الغامض ؟
فهز سورم كتفيه .
ـ ليس تمامـا .
وهبط عليه احساس غريب ، كأنهما انجرفا في عملية ابطاء مفـاجيء في الزمن ، كأنهما يستطيعان الجلوس والتحديق في وجه كل منهما ساعات او اياما دون ان تدفعهما الحاجة للاسراع . ولم يكن هذا الشعور من اثر

الشراب كليا . وقال نن بصوت خافت :

ــ انك لانسان كريم ، يا جيرارد .

ــ كلا ابــدا .

ــ هل تعني انك غير مكترث بشقتي ؟ وعن النداءات التلفونية ؟

وراح سورم يتأمل وقال :

ــ لا . لا اعني ذلك، ولكني متشوق الىمعرفتك انت معرفة افضل.

وابتسم نن له . وادرك سورم ان نن كان تعبا مكتئبا . كان الاجهاد يلوح في عينيه ، فلم تشارك بقية وجهه في الابتسامة .

ــ ما الذي يشوقك الى معرفتي ؟

ــ احب ... احب كوننا نعيش . يلوح ذلك قولا مبتذلا ، ولكنــه صحيح لا اتخلى قط عن التساؤل لماذا انا على قيد الحياة ، ولا انقطع عن القلق في احتمال وجود خطأ هناك ... ولكن مهما كانت الحياة ، فــاني احبها . غير ان المشكلة هي اني اصاب بالملل . اني افرط في التفكيــر بالحياة ، واذا واتاني الحظ ، تعيد الي بعض الاشياء الاحساس بانني سعيد لاني أعيش : سنفونية لموتسارت ، قطعة سجق حارة في صمونة ، رائحــة الاسيتون . انها تثير فضولي للحياة ، انها تعطيني معنى جديدا لكــونــي اعيش . واحيانا يخلق هذا الشعور كتاب ما . اما الاشخاص فلــن يولــدوا هذا الاحساس . اعتقد احيانا ان الناس اكثر الاشياء افتقارا الى اثــارة الاهتمام في العالم كله . انهم يعكسون الانحدار الذي احمله معي اينمــا ذهبت . على كل ، فانك احد الناس القلائل الذين التقيت بهم ممن يثيرون اهتمامي . هنالك اشياء كثيرة احسها فيك تقلقني بعض الشيء ــ انك انسان غريب الاطوار ، انسان متعصب ، انسان شاذ .

ولاحظ الدهشة المفاجئة التي استولت عليه حين نطق بكلمة «شاذ». ولكنه لم يحفل بها . اذ كان على ثقة بما يعنيه . غير انه قلق للاجهــاد الذي كان يبدو على نن ، فقدكان يحس به طول الوقت . وفيما هو يتكلم رفــع نن غطاء الزجاجة واخذ يصب بعناية ما تبقى من البرانــدي فــي قدحيهما . ولاحت عيناه منطفئتين وهو يدفع بالقدح نحو سورم . وقال:

ــ لقد دعوتني متعصبا شاذا . هل تعرف بالضبط طبيعة شذوذي؟

واسرعت نبضات قلب سورم ، وثبت نظره في وجه اوستن ، ليخفي اضطرابه ، واحس بالحرارة تسري في رقبته ووجنتيه :

ــ كلا ، ولكن يمكنني الحدس .

ــ لا داعي للحدس ، سأخبرك انا . انني سادي .

واحس سورم بقلبه يخفق بعنف وخشي ان يطفر من بين ضلوعه . وقال وقد سيطر على نبرة صوته :

ـ كيف ؟ وافرغ نن قدحه وحدق فيه :

ـ انك تعرف ما هو السادي ؟

ـ اجـل .

ـ فـابتسم نـن :

ـ اشك في انك تعرف . ماذا تعتقد ؟

ـ الشخص الذي ... يستمتع بالالم .

لقد ادرك سورم ان صوته سيرتعش ان هو غامر بجملة اطـول . كانت اذناه تتوقدان حرارة .

ـ اجل ، يا جيرارد . ذلك هو السادي ، ولكن ليس هذا وحسب. هذا مجرد تعريف قاموسي له ، انه لا يدخل في الحساب اشياء كثيـرة اخرى ، كالتوتر الذي يسبقه والخوف الذي يليه .

ولم يجتهد سورم للسيطرة على انفعاله الذي كاد ان يخنقه ، ولكنه ارتخى وهو يجلس على كرسيه وراح يتصـور صوت نـن ينبعث مـن غرامافون . وقال الصوت :

ـ ان الخوف لا يتوقف ابدا . انك تشعر كالبساط الذي سقطت عليه قطعة من الفحم المتأجج ـ مجرد فجوة حيث يجب ان يكون القلب ، فجوة محترقة الحواشي . ان الجنس يفترض فيه ان يكون الرغبة الطبيعية في الجسد ، ولكن ماذا يحدث فيه عندما يكون تراكما لحالات من التوتـر لا سبيل الى ادراك كنهها ؟ وانك اذ تحس بها لا يمكنك تعريفها ، وعندمـا تنتهي ، تشعر بالخلو ، ولكنك لم تزل غير قادر على تعريفها .

وما لبث سورم ان احس بتحسن ، وقال :

ـ ارجو ان تغفر لي جهلي ، ولكن ما الذي يمنعك من ارضاء حاجاتك؟ لا بد وان هناك اناسا ... على كل ، يفعلون ذلك على سبيل المهنة .

ـ انك لا تفهم يا جيرارد . هنالك اناس كهؤلاء ، هذا صحيـح ولكن ... لا استطيع التوضيح . اترى ما اعنيه ؟ اذا احسست بالرغبـة الجنسية فانك موقن نوعا ما بانك ستجد المراة التي تريد ان تأخذ ما يمكنك ان تمنحه ، بيد ان الحالة في السادية هي ... انها تريد ان تاخذ مـا لا يريد ان يمنحه الاخر . وان اراد ان يمنحه ، فليس الشيء نفسه .

وقال سورم ليناقض قول نن :

ـ ولكني افهم تماما . اني كثيرا ما احس بالشيء نفسـه . فليس

هنالك ما يمزق نفسي اكثر من امراة تريد مني مغازلتها ، وحتى لو تضورت من الجوع الجنسي لستة اشهر لقتلني الغثيان اذا دلفت الى نفس الفراش الذي تضطجع فيه امراة مغرمة بالجنس . واذا لبثت ستة شهور في محاولة لاغواء فتاة ، واذا سمعتها وهي تئن قائلة : « خذني ، بالله عليك » بنصف دقيقة قبل ان اتهيأ لاخذها ، لفقدت رغبتي فيها على الفور . فان اكون قادرا على مغازلتها . اليس هذا الشعور الشيء نفسه؟

ــ ليس تماما . انك تريد شريكة سلبية جدا ، ان من المحتمل ان هناك ملايين الفتيات اللواتي يرغبن أن يكن سلبيات .

فقال سورم مكشرا عن ضحكة :

ــ اتمنى أن اجدهن .

وطافت في ذهنه وهو يتفوه بهذه العبارة المس كوينسي وكارولين رغامره احساس باللذة وقد مرت بخاطره ذكرى تلك الامسية .

ولم يبتسم نن ، بل قال بصبر :

ــ مهما يكن من امر ، فهن موجودات .

وقاطعه سورم :

ــ انظر يا اوستن ، ألست تبالغ في الامر ؟ يمكن لكل انسان ان يعيش بـ ... حاجاته ... على كل حال ، دون ان يعذب نفسه . لقد تعرفت ببعض ممن ينزعون الى الجنس المشابه ، وكانوا يجعلون من امرهم مأساة وقضوا وقتهم بأكمله يتحدثون عن الاضطهاد والخيبة . وقد عرفت ايضا بعض الشواذ منهم ، وقد صنعوا من مشكلتهم امرا عظيما وكانوا يستمتعون بكونهم من الشواذ . الا يحدث الشيء نفسه بالنسبة لك ؟ ان الامر ليس الاستسلام الى سلوكك الشاذ فحسب ؟

ــ ليست هذه هي المشكلة . المشكلة هي أن تجعل المجتمع يقر هذا الامر .

ومد نن يده الى زجاجة ، فوجدها فارغة ، فترك يده تسقط ، كأنها متعبة . وقال بلهجة غير مألوفة بصورة واضحة :

ــ هل قرات مؤلفات دي‌ساد ، يا جيرارد ؟

ــ كلا ، بعض النصوص المبتورة فقط ، على كل حال .

ــ كان دي‌ساد محقا فيما قاله عن الساديين . لا يجد السادي تعبيرا تاما لنفسه الا ان يكون طاغية شرقيا . هل تفهم ؟ فليس هناك منح واخذ، وانما الاخذ فقط .

ــ شيء سيء جدا بالنسبة لضحيته ، على ما اعتقد .

ـ اجل ، ولكن على المرء ان يكون قاسي القلب في هذا الامر .
ـ الست قاسي القلب ؟
ـ لست قاسيـا عـادة .
فقال سورم مبتسمـا :
ـ فاستخدم اذن فشلك هذا في الخلق . ذلك هو العلاج الكلاسيكي .
فاعتدل نن على كرسيه وقال فجأة :
ـ اسمع ، هيا نذهب لنبحث عن المزيد من الشراب .
ـ هل ترغب في المزيد فعـلا ؟
فقال نن بصوت فاتـر :
ـ لن اتمكن من النوم هذه الليلة ان لم اشرب . اريد ان اتحدث اليك .
ـ حسنا ، اين تريد ان تذهب ؟
ـ يمكننا الذهاب الى شقتي او الى ناد اعرفـه .
فهز سورم كتفيه ونهض . ولم يعد يشعر بالنعاس .
ـ طيب . ايهما تفضل .
ووضع نن يده على كتف سورم وهما يجتازان الغرفة الى الباب . وقال:
ـ انك تحتملني جيدا ، يا جيرارد .
ـ كـلا ابـدا .

كانت الريح باردة منعشة وهي تعبث بوجهه وهو في سيارة «الجاكوار» المفتوحة . كان الشارع هادئا ، ولم يشاهدا احدا على طول شارع (الباني ستريت) . واخذ يفتش عن الصلة بينه وبين فكرة القسوة . وكان مـن العسير ان يجد مثل هذه الصلة فقد لاح وجهه في نور مصابيح الشـارع شاحبا مضنى ، لا يتصف بالشهوانية بصورة خاصة .

ولم يلتقيا باحد في الممر المؤدي الى الشقق . وكانت الغرفة التي عليها العنوان « البواب » خالية . وارسل سورم نظره صوب الكرسي الذي كان قد اقتعده صباح ذلك اليوم ، وكان من الصعب عليه أن يدرك ان ذلك كان قبل اقل من خمس عشرة ساعة . كان يلوح له كأن اياما عديدة مضت منـذ ان راى ذلك الرجل العجوز ذا الشارب الابيض والفتاة التي كانت ترتـدي الفراء وهما يخرجان من المصعد .

ـ هل انت تعب ، يا جيرارد ؟
والفى نفسه يتثاءب .
ـ كلا . كـلا مطلقـا .

وتوقف المصعد عند الطابق الثالث . كان البلاط الابيض المرمري الذي

يغطي ارض الرواق وجدرانه يكسب الرواق مظهر المستشفى . وكان نن يسبق سورم وهو يعبث بحزمة مفاتيح. وتوقف عند باب داكن مؤطر وادخل المفتاح . ووجد سورم نفسه يفضل الشقة التي تقع تحت الارض في كانبغ بليس ، حيث كان الجو فيها اقل برودة .

ــ بعدك يا جيرارد .

وانارت المكان مصابيح نهارية وكشفت عن غرفة واسعة وثيرة الاثاث تبدد الاحساس بالكآبة . وكان اثاثها يجتمع بين لونين : الخشبي الفاتح والازرق السماوي . كان سقفها والبساط المفروش على ارضها من لون واحد هو الازرق السماوي وكان اثنان من الجدران من اللون الاسمر الفاتح . اما الجداران الاخران ، فكانت تغطيهما رفوف الكتب التي كان لها نفس اللون ، وكان الاثاث اكثره من الجلد الازرق . وكان الجزء من الجدار الذي يعلو الموقد مغطى بلوحة كبيرة لمايكلانجلو هي « الله يخلق آدم » وقال سورم :

ــ يا الهي ! ما افخم المكان ! انك لسعيد حقا !

ــ انه ليس لي . انه لوالدتي ، ولكنها لا تسكن فيه ابدا . هلا جلست .

واجتاز نن الغرفة في الحال الى دولاب المشروبات وفتحه . وقال :

ــ ماذا تشرب ؟ نفس الشيء مرة اخرى ، ام تفضل شيئا من النبيذ ؟

وفيما هو يتكلم صب من البراندي في قدح ثم ابتلع نن جرعة كبيرة . وقال سورم :

ــ بل افضل النبيذ ، اذا كان لديك شيء منه .

كان يجيل بصره في خزانة الكتب القريبة من الباب . كان يبدو انها لا تحتوي على غير الكتب الفلسفية . كانت هنالك طبعة لمؤلفات شليغسل بعشرة اجزاء ، ومجلدات لكنت وفيختة وشيلنغ باللغة الالمانية . وكان الرف الذي يعلو هذه الكتب يحتوي على صف من الكتب المجلدة التي تحمل كلها نفس العنوان : كريل . وتناول سورم الجزء الاول منها ، فوجده يبحث في الرياضيات . واقبل نن من المطبخ وهو يحمل زجاجة من نبيذ الراين .

ــ اخشى الا يكون باردا . فالثلاجة مطفاة .

ــ هل هذه الكتب جميعها لك ؟

ــ اجل . ورثتها عن عمي . اشياء ساحرة .

وناول سورم قدح شراب كبيرا مليئا بالنبيذ الذي يلوح بلون التبن . ووضع الزجاجة على الطاولة قرب الاريكة ، وهو يقول :

ــ هيا اشرب .

وصب المزيد من البراندي في قدحه وتكوم على احد الكراسي ، وهو

يبدو كدمية محشوة بنشارة الخشب ، لا حياة فيها .

ــ اجلس ، يا جيرارد . ساريك كتبي في المرة القادمة عندما تزورني .

وجلس سورم على الأريكة واخذ يرشف الشراب . ولكي يتجنب ضرورة فتح موضوع للكلام تناول رشفة اخرى من قدحه .

وقال نن :

ــ جيرارد ، افرض اني رحلت الى امريكا الجنوبية او اي مكان آخر فهل ترافقني ؟

فنظر اليه سورم وقال بحذر :

ــ هل انت جاد ؟

ــ تماما . اود الذهاب الى بلد اخر ــ الى مكان اخر استطيع ان ابدأ الحياة فيه من جديد .

ــ لماذا ؟

ــ لانني ... لانني متعب .

ــ ينبغي الا تكثر من التجوال. لم لا تحاول انتستاجر غرفة فيالقطاع الشرقي ــ وايتشابل ، مثلا ــ ولا تخبر احدا بمحل اقامتك ؟

وبدا شيء في ابتسامة نن مما احدث توترا في نفسه . وقال نن :

ــ وايتشابل ؟

ــ اوه . كلا ، لقد نسيت امر جرائم القتل هناك .

واخذ نن يحدق في وجهه مدة استغرقت ثلاثين ثانية كانه يحاول ان يذكره بسؤال ما . وقال اخيرا :

ــ بالضبط .

ومضى سورم يتساءل في نفسه ما مقدار ما يستطيع ان يشربه نن من البراندي دون ان يفقد قابليته على الكلام المتزن . فلم تبد على نن حتى ذلك الوقت علامات السكر رغم ان حركاته وكلماته كانت قد اضحت بطيئة بليدة كمن اضناه اجهاد هائل . اما سورم فلم يشعر الا بقليل من تأثير الشراب ، ولم تكن له الرغبة في اتمام قدحه ، كان طعم الشراب على لسانه كعصير الليمون والماء . وقال نن :

ــ اريد الهرب في الحال ، بعيدا عن المدن . انها تقرفني ...

ولم يقل سورم شيئا . لم يستطع ان يفكر بحجة لا تدحضها ولا تفندها الحقائق . وقال في نفسه : انها مشكلته .

ــ اخبرني يا جيرارد ، الم تشعر يوما بانك لا تهدف الى شيء ؟ كانك لا تقدر ان تختار طريقا تعمل فيه لانك لا تعدو ان تكون طفاوة ؟

ـ نعم . ولكن ليس لمدة طويلة مع هذا .

فقال نن ، كأنه لم ينتبه لجواب سورم :

ـ انا اشعر بذلك . اتعلم ، عندما كنت في اوكسفورد كان لي صديق يدعى نيكل باركر . صبي رائع . اذكى انسان صادقته في حياتي . لاعب ممتاز للكريكيت ، ومتخصص في الدراسات الكلاسيكية ، وعالم في الرياضيات . كان احسن من يلم بجميع الالعاب الرياضية ، في كلية بيليول ، ولكنه لم يكن من هؤلاء اللاعبين الفارغة ادمغتهم . وقد حصل على جائزة في الشعر الاغريقي . وكنت اقسم بان حياة بديعة تنتظره ـ يلوح كمن خلق ليصنع شيئاً عظيما . ولكن الغبي سقط من فرسه يوما ، ودق عنقه . لم يمت ، ولكنه نصف مشلول الان . شيء مضحك . يجعلك تشعر ان الاشياء لا تسير على ما يرام .

فقال سورم :

ـ هل تعلم ما هي مشكلتك يا اوستن ؟ انك تحس اكثر مما ينبغي بانعدام قيمتك .

واوقف نن قدح البراندي الذي كان يهم باحتسائه ، واخذ يحملق فى سورم والدهشة في اساريره :

ـ لقد اصبت كبد الحقيقة . الشعور بلا قيمتي . بالضبط . اتعلم كان عندنا في بيليول قس يتحدث عن ذلك ... يقول لنا ان الاناس الذين لا يخدمون الله لن يجدوا طريقتهم في الحياة .

وافرغ قدحه ، وبدا كأنه سرح في التأمل . وقال اخيراً :

ـ انك محق فيما قلته عن اللاقيمة . واذا كان هنالك على الارض نفل لا قيمة له فهو انا . كنت شكسا مريض الاعصاب خلال طفولتي ، وقد زججت نفسي فى كثير من المتاعب طوال ايام صباي . كنت دائما احطم سيارتي او اقتحم بها جدار حديقة احدهم . ولا بد ان يتبادر الى ذهنك انه اذا كانت هناك اية عدالة على الارض فيجب ان اقتل انا لا ان يصاب انسان مثل نيكل .

شعر سورم بالحراجة تجاه اتهامات نن لنفسه . فلم يكن فى موقف يمكن به أن يردها عنه . وقال بتردد :

ـ على كل حال ، لك القابلية على الخلق ، فانك تؤلف الكتب .

فقال نن ساخرا :

ـ الكتب ! لا قيمة لكتبي حسب اي مقياس فني ، واني اعلم ذلك ، كما تعلمه انت .

ـ وماذا يهم ؟ انا لا اقول انها عديمة القيمة ، ولكن لنفرض انها كذلك ،

فماذا يهم ؟ انت لم تزل حرا ، يمكنك ان تؤلف الكتب الجيدة .
ـ هل استطيـع ذلــك ؟
ـ لم لا ؟ كثير من الكتاب بداوا من هذا الشعور باللاقيمة .. بودليـر ودوستويفسكي ...
فقـــال نن بصوت خـافت :
ـ بودلير . كل شيء في العالم يفوح بالجريمة ...
وعندما حملق سورم فيه والحيرة في عينيه ، قال فجاة :
ـ لا تكترث لكلماتي . انني متعب قليلا وثمل .
وايدت عيناه قوله وقد استقر نظره على سورم : كانت عيناه خاويتين لا حياة فيهما. كان يبدو عليه انه يجهد ارادته ،فلاحت فيهما مسحة من البشر.
ـ وانك على ما يرام ، السـت كذلك يا جيرارد؟ انك متزن ، عاقل،سوي؟
وارتاب سورم في ان نن يخفي نكتة بين كلماته . فقال في حذر :
ـ كلا ، انا لست متزنا . انني مجرد شخص راكد.
ـ اوه ، كفى ! لنترك هذا الكلام !
فقال سورم ، وهو يكشر عن ابتسامة :
ـ راكد ، كئيب ، جائع جنسيا .
ـ ينبغي الا تكون جائعا جنسيا ، على كل حال . انا واثق ان كاروليـن ستشعر بالامتنان ، او تلك الفتاة المكتنزة التي فتحت الباب لي .
ولاحظ سورم حدة صوتــــه .
ـ بالطبع . ولكنني قد لا اجد متعة في ذلك . اتعلم ، كان لدينا تعبيـر عن ذلك عندما كنت اخدم في القوة الجوية الملكية ، كنا ندعو العمل الجنسي : « نبذر حبوب الشوفان » ، فهذا التعبير يمثل الموقف تماما ـ العمل الجنسي المباشر ـ الدغدغة ثم ايلاج العضو .
ليس هذا ما يدعى بالجنس . الجنس هو شيء معاكس لكل ذلك . انه معاكس لهذا الشعور باللاقيمة واللاجدوى . انه شعور طاغ بالقوة والامان . انه الاختفاء التام للشعور بانك شيء عادي . انه ايمان غامض بانه لا شيء يهم، بان كل شيء هو جميــل .
فقــــال نــن باهتمام :
ـ هل يعني كل ذلك بالنسبة لك حقا ؟
ـ احيـــــانا .
ـ انـك سعيد الحظ اذن .
ـ ربمـا . ربما لست الوحيد المحظوظ . كل انسان يمكنه ان يكــون

محظوظـا لو عرف ذلـــك .

ــ بضمنهم الساديون ومختلو الاعصاب الذين لا يرجى منهم شيء .

ــ نعم . اتعلم ، تقول انك تشعر غالبا بان لا قيمة لك . وهذا ما اشعر به انا احيانا . ولكني اعلم باني لست كذلك في الاساس . عندما كنت صغيرا ، كان والداي يقولان دائما انني ولدت سعيد الحظ . وما يضحك في الامر هـــو اني شعرت دائما باني محظوظ ، في الاساس . . .

ــ اذن فقد كنت سعيد الحظ فعلا ، يا جيرارد . اما انا فلم اكن . لقد مررت بطفولة مقيتة . كان والدي يضايقني ، وكانت والدتي تهيمن علـــــي كالدجاجة التي تجثم على بيضها . لقد خنقتني بكل معنى الكلمة . كـــانت مشاعري الكبرى في الطفولة هي الخجل والتستر . هذا ما كانت عليه طفولتي فمـــا رايك في ذلـــك ؟

ــ افهم ذلك . كنت كثيرا ما امر بمشاعرك هذه . كل الاطفال يفعلون ذلك ، الا اذا كنت تقضي جل اوقاتك في احلام اليقظة . انه مجرد الشعـــور بالانعدام التام للهدف لدى الطفل . انك لا تبدأ بامتلاك ذاتك الا عندما تكون في سن المراهقة . وهذا الاحساس بالغاية ، الذي يستحوذ عليك ، هو اعظم مـــا يمكن أن يقع للانسان .

فقـــال نـــن :

ــ على شرط الا تكون متمرغا الى اذنيك في لجة من الانفعالات .

ــ الق بها بعيدا . اخنقها . لقد فعلت ذلك انا . وعلى كل حال، فهنالك لحظات تهبط عليك تكون لديك بصيرة تنفذ بها الى اعماق نفسك ، فتعوض بذلك عن كل شيء .

ــ هذا مـــا يحدث لك انت ، ربمـــا .

ــ اجل . اتعلم ان المصريين جميعهم كانوا يعتقدون انهم انحدروا مـــن الالهة ؟ هذا هو الشعـــور الذي اقصده . لان المصريين كـــانوا يعتقدون ان الانسان هو ضرب من ضروب الالهة ــ اله في المنفى . اما بالنسبة للكنيسة المسيحية فالانسان روح خالدة ، متوازنة بين الجنة والنار . وفي العصــــــر الحاضر ، الانسان هو مجرد عضو اجتماعي له واجبات تجاه الاخرين . ان قيمة البشر تتناقص باطراد . هذه وظيفتنا انا وانت يا اوستن ــ نحن الكتـــاب والشعراء . يمكننا ان نحارب هذا التضخم . وظيفتنا هي ان نرفع من كرامة الانسان ، ان نعود بها الى القيمة التي وضعها المصريون .

واخذ يشعر بالسعادة والحماس وهو يتكلم ، وبالامتنان لنـــن لانه اطلق في نفسه هذا الشعور بالثقة . كان نـــن يصغي والاهتمام باد في محياه ، ولكــــن

الاستجابة لم تكن تبدو في وجهه . وتخيله سورم وهو ينظر اليه كأن هنالك حرقا في داخله ، كثغرة يحدثها حرق في البساط . انه يشبه ذلك بالضبط . لقد احترق شيء داخل نن . لقد حرق الاثم والاجهاد قابليته على الاستجابة . ومهما سيتكلم سورم فلن يستطيع أن يلقى الاستجابة ، ليس هنالك ما يستجيب له نن . فتوقف سورم عن الكلام واخذ يحدق فيه وهو يحس بلا جدوى المزيد من الكلام . وقال اخيرا :

ــ اتعلم يا اوستن،اود لو تستطيع انتخبرني ماذا يقلقك الىهذا الحد؟

ــ لا شيء . لا شيء لا تعرف عنه شيئا .

ــ لا افهم ما تعنيه . ما فائدة تعذيب الضمير ؟ أن كنت فعلت شيئا فلا تبدد وقتك في الندم . وان كنت لا تستطيع ان تتحمل فعلتك فانسها ، اطردها من ذهنك . وابدا بداية جديدة .

واعتدل نن في جلسته على الكرسي . وادرك سورم ما كلفه ذلك من الجهد . وابتسم لسورم ابتسامة تعبى .

ــ اسمع يا جيرارد . لننس الامر . لا يمكنني ان اشرح لك . ولكني سأشرحه لك يوما ما . لا يذهبن بذهنك ان الامر سر غامض . ولكن ارجو الا نتحدث عنه الان .

وقال سورم :

ــ اوستن ، سأتركك الان . تبدو شديد التعب .

ــ اجل ، سأتناول جرعة منومة قوية . هل يضيرك الا أوصلك الى البيت بسيارتي .

ــ لا بالطبع .

ــ سأطلب تاكسي لك .

ــ كلا !

ــ نعم ، وباصرار .

ــ لا تكن أحمق . اني استمتع بالمشي .

وعندما عاد من المرحاض بعد دقائق قليلة ، كان نن يضع سماعة التلفون في مكانها وقال : سيصل التاكسي بعد دقائق قليلة . سيكون على حسابي ؛ فلا تدفع له شيئا .

وتثاءب ، وتمطى ثم نظر الى نفسه في المرآة وهو يقول :

ــ شعر نسائي واسنان الليث . اشبه احد الوحوش في لوحة«الوحي» . لم خلقت بهذا القبح ؟

وجلس سورم والتقط قدح الشراب .

ــ انك معتوه حقا يا أوستن .

فمد نــن يده ولمس شعر سورم قليلا . وقال :

ــ عزيزي جيــرارد .

والتقط سماعة التلفون ثانية واخذ يصغي بضع لحظات . ثم قال :

ــ هلو ، البواب الليلي يتكلم ؟ المستر غريغوري ؟ اه ، المستر نـــــن يتكلم . هل تظن انه يمكنك أن تضع سيارتي فى الكراج ؟ هي فى الخارج الان ؟ كلا ، سأرسل المفتاح مع صديق لي بعد دقائق قليلة . اشكرك . طاب مساؤك .

وقـــال سورم .

ــ وبالمناسبة يا اوستن . هل يمكنك أن تحدثني عن اولفر غلاسب ؟

فاشعل سيكارة وقـال :

ــ ماذا تريد أن تعرف ؟

ــ من هو ؟ يبدو انسانا موهوبا .

ــ هل اطلعت على اعمــاله ؟

ــ اللوحات التي في شقتك فقط .

ــ قد تميل اليه . ولكنه اكبر مخاصم فى لندن . انه قليل الصبر .

ــ هل له . . . بعض الصفات الخاصة ؟

ــ انه ليس شاذا جنسيا ، اذا كان هذا ما تعنيه . لم احقق يوما عـــن حياته الجنسية . كان قد دخل مستشفيات الامراض العقلية ــ يميل الـــى الى الانطلاق والثورة ويلقي بالاشياء . وهو دائم التفكير فى الالم . كـــانت كلمة « الالم » الكلمة المفضلة لديه ــ على الاقل ، عندما تعرفت به . ثـــم تخاصمنا . لم استطع احتمال سرعة انفعاله . كان يحاول فى ذلك الوقت ان يعيش حياة متقشفة ــ ينام على حديد السرير . . . . الخ .

ورن جرس التلفون . فقال نــن :

ــ جــاء التاكسي .

* * *

ولما عاد الى غرفته التقط قنينة البراندي والاقداح وصعد بها الــى المطبخ . كان المطبخ يتضوع برائحة الفواكه العبقة ، لقد كان على المنضدة وعاء يحتوي عـــلى التفاح .

واحس بتعب جسمي ، وبانفعال غريب مع ذلك ، فقد اوحى له الحديث مع نــن بالرغبة فى التغيير . وطفق يفكر ، بثقة تامة مفاجئة : لقد اضعــت سنوات خمسا ، وانا مقبور فى الغرفة . لقد كان العالم مفعما بالحياة . اما انـــا ، فلم افعل شيئا .

مسكين انت يا اوستن ! انت وميولك السادية ، شارد الذهن ، شهواني ، لا يشغلك الا الاشخاص والامكنة . اني اكثر حرية منه ، ومع هذا فقد سلكت خلال الاعوام الخمسة كانني سجين . لماذا ؟

وفتح نافذة المطبخ واطل منها. كان هواء الليل نقيا . واحس بالانتعاش بالحياة ، والثلاثة ملايين الذين يقطنون فى لندن ، والروائح التي تستقبله فى
بالحياة ، والثلاثة ملايين الذين يقطنون فى لندن ، والروائح التي تستقبله في غرف البيوت العليا وفى الاسواق .

وسمع وهو فى موقفه ذاك بابا يغلق . فاستدار وراح يسترق السمع . كانت غرفة الرجل الفرنسي . ربما سيجيء كاليه الى المطبخ . ولم يستسغ فكرة التحدث فهبط السلم بهدوء ودلف الى غرفته .

وبدلا من أن يفتح الضياء اجتاز غرفته وفتح النافذة وتسلق سلم الحريق . وجلس هناك واخذ يحدق فى الظلام الذي كان يبدده نور خافت صادر من المصابيح ومن اضواء النيون على دار السينما . ولمع ضياء فوق راسه ، كان فى المطبخ . فرفع نظره ورأى طيف كاليه يمر على الزجاج . فغبط نفسه على فراسته ، ولكن الضياء ازعجه فقد جعله يشعر كأنه يتجنب كاليه. وبعد لحظة من التفكير ارتقى سلم الحريق الى الشرفة التي تقع امام غرفة الرجل العجوز . كان ذلك فى اعلى سلم الحريق ، فمن تلك النقطة كان هناك سلم حديدي يكمل المسافة الى السطح . واخذ سورم يهز السلم ليتاكد من قوته قبل أن يمسك بالقضبان ويتسلقه . وكان السلم ينحني فوق سور سطح البناية مؤديا الى السطح .

كان السور يرتفع قدما واحدا وكان يحيط بجانبين فقط من سطح العمارة ، الشمالي والشرقي . اما في الجانب الغربي ، فكان يفصل ميزاب بين البلاطات فى الطوابق الخمسة من السطح الى الارض الخربة التي تقع بين البيت والكنيسة . كان النسيم باردا ، فمشى الى فوق زاوية السطح ليحفظ نفسه منه ، وجلس على البلاطات بحذر وقدماه تستندان الى السور . ونظر صوب كامدن تاون ، كانت اضواء مصنع البلاستيك الذي يعمل طوال الليل تنير السماء . وكان ما يزال يحس بالانتشاء ، ولكنه تحلل الى شعور بالهدوء والقوة . وعندما تناهى اليه صوت سيارة لوري ضخمة تمر فى شارع كنتش تاون رود اخذ سورم يسبق اللوري بذهنه خلال منطقتي وينستون وبارنيت ، نحو الشمال. كان يسيطر على افكاره بوضوح وتدبر. كانت المشاعر التي تسوقها تلوح كانها تجري ثابتة اكيدة . كانت تجري نحو مظهر من مظاهر الامتنان ، الخشوع والتأكيد كانت تبدو كانها كاتدرائية، اكبر كاتدرائية عرفها،

رمز المجهول . واخذ يفكر : لقد استغرق ذلك خمس سنوات ، رؤيا تجمع المعرفة كلها ، وتتضمن الانجازات البشرية فى الخيال والشجاعة . ليست رؤيا المتصوفين ، بل رؤيا الفلاسفة ، المتحررين من التفاهة والعجلة . انا الاله الذي يسكن العين ، ولقد اتيت لامنح الحق والحقيقة الى (رع) ولكن كم مرة ؟ ست مرات خلال خمسة اعوام .والان يستثيرني انسان سادي شاذ جنسيا وفتاة متدلهة . لقد نجح نـن حيث فشل افلوطين .

واخذ يضحك ، وظهره يهتز على البلاطات،وقدماه على الحاجز.وادرك انه يحس ببرد شديد . وود لو جلب معه معطفه .

لا يمكنني ان اكون من اليوغا . لا املك الصبر الكافي . او انني احتاج الى مناخ اكثر دفئا . الحياة المركزة . دير فى جبال هملايا . وراح رجل عجوز يحدق فى الفجر ، وقد حفرت قوة ارادته خطوطا فى وجهه ، غير آبه للوادي الذي يهبط خمسة الاف قدم ، اشعياء ، او مايكلانجلو ، ويمسك بقبضته المشددة ارادة العالم ، الى ما وراء المأساة . خط من الضياء لا يكاد يتميز يحاذي الافق الشرقي .

ـ اتغير . اتغير . الى مـاذا ؟

وطافت فى خاطره صورة كارولين ، واحس بشيء من النفور لبرهة وجيزة . هذا الشيء اللامرئي ، تلك المغامرة الخيالية ـ هذه الاشياء بالذات ما لم تكن تمثلها كارولين . مثلها مثل كي ، الفتاة التي تعرف عليها في مدرسة (سليد) للفن ، انها تسيء الى المثالية . ذلك الجسد الدافيء المتليء ضراوة ، والرغبة فى ان تغتصب . كان شبقها الحيواني يبدد التوتر ، كالسلك الارضي الذي يقود الشحنة الكهربائية ليبددها في الارض .

ان اتغير . ولكن ليس تغيرا جسميا ، بل التركيز المستديم فى الخيال الذي لا يحتاج الى رمز الكاتدرائية لابقائه واستعادته . ايزويل غودي ، زوجة الفلاح ذات الثدي الكبير ، تتنزى عرقا وتتلوى ازاء الظلام المجرد الذي يداخلها،والافرازات الدافئة التي تنساب لتعين شرا لا شكل له علىالدخول. للهروب من بلادة الحياة فى مزرعة اسكتلاندية فى وضح النهار ، مصيدة الزمن ، رمز اللامرئي . اللامرئي هو كل ما لا يمكنك رؤيته فى تلك اللحظة . الى ان يتمطى الوعي ليضم بين جوانحه كل المكان والتاريخ . اوزيريس يطلق غمامة عاصفة فى جسد السماء ، فيتحرر هو ، وحوروس يزداد قوة يوما بعد يوم . لم مصيدة الزمن هذه ؟ لم هذا السياج ؟ قيود غير مرئية ، قيود غير موجودة . البشر يحبون الخيول معصوبةالعيون .

لقد نفذ البرد خلال سترته وسرواله ، فأحس بالعري . فأخذ يمد

ويمط ـ باطرافه ، ونفخ فى كفيه المكورتين . وجعلت برودة حديد السلم الخدر يسري فى اصابعه ثم اخفض نفسه من فوق سياج السطح، واخذ يبحث بقدميه عن درجات السلم . واخذ يحس بالخوف ، وهو ينزل ، من الخدر فى اصابعه ، وهو يعلم ان عليه أن يقفز الى الحافة الكونكريتية . وشعر بالارتياح عندما لمست قدماه الحافة الحديدية .

وعندما فتح الضياء الفى يديه وقد اسودتا من التراب ، وكانت عـــلى خديه لطخة من الخام ، حيث لمسه بيده . وذهب الى المطبخ ووجد اناء الماء مملوءا الى نصفــه بالماء الساخن .

وبعد ان اغتسل ، وقت ساعته لتوقظه فى الثامنة . كانت الساعة انذاك تشير الى الثالثة والنصف صباحا . وسيطر عليه النوم حالما اغمض عينيه .

الفصـــل السابـــع

كان المغيب شاحبا في شهر كانون الاول هذا ، وقد جعله يتصبب عرقا وهو يقود دراجته في شارع ليدنهول ستريت . كان الشارع يعج بالسيارات ، وكان يعلم انه اذا سار بدراجته بين صف السيارات الواقفة من شدة الزحام وبين الرصيف يطير صواب سواق السيارات ، وقد لذ له ان يطير صوابهم . فكان يشعر وهو يقود دراجته بان كل واحد من هؤلاء السواق عـدو لدود لشخصـــه .

لقد اورثه نشاطه الذهني في الليلة الماضية شعورا بالتجدد فلم يزعجه ازدحام المرور . وعندما نزلت امراة ما من الرصيف وصارت امامه فاضطرته الى الوقوف فجأة ، ابتسم لها فقط وهز راسه عتابا . وخمن انها اجنبيـــة لانها كانت تلتفت عند العبور يسرة بدلا من يمنـــة .

كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة والنصف قليلا عندما توقف عنـــد شارع الدفيت هاي ستريت . واسند دراجته الى جدار مطعم ليونس كورنر هاوس واقفل عجلتها الخلفية . كان المطعم الذي يخدم فيه الزبون نفســـه خاويا من الرواد تقريبا . وطلب قدحا من الشاي وقطعتين من الخبزالمحمص وجلس الى طاولة قريبة من النافذة . وكانت هناك امراة في متوسط العمـــر ترتدي رداء ورديا تجمع الاكواب الملوثة من الموائد . ورد على ابتسامتها وشعر وهو يفعل ذلك كأنه يتوقع شيئا ، كالنقاهة من مرض . المطعم كله يعج بروائح طعامه ، والعامل الذي يجلس مقـــابلا لـــه يقرأ الجريـــدة ، والمرور المزدحم فـــي الشارع خـــارجا ــ كلهـا مست اوتـــار الحنين والذكريـــات فـــي نفسه . شعر كأنه استيقظ من نوم طويل . واخرج دفتره ذا الغلاف الجلدي وانبرى يكتب:«واتشابل»الاول من كانون الاول.انياقوم بدور فاوستمعاصر. سجين في غرفتي ، افكر اكثر مما ينبغي . ودخـل اوستن مفيستوفيليس ،

وهو يبرم نهايتي شاربيه ... ولكن من هي غريتشن ؟ »

فانقطع عن الكتابة ، وهو يفكر ان كارولين او جرترود قد تريان الدفتر. كان على وشك ان يطنب في شرح السؤال ، ولكنه بدلا من ذلك كتب: «اوستن، مثل مفيستوفيليس ، يبيعني الحب او الحياة . اما موقفي من الصفقة فلم يزل غامضا . »

وعلى الجانب المقابل من الشارع بدأ صندوق موسيقى بالعزف . كان صوته معدنيا ، كل نغمة فيه تدندن كعلبة من القصدير الصدىء ملقاة من ارتفاع . واثارت في نفسه ذكريات تشبه ما اثاره احساسه باللون والرائحة . وافلتت هذه الذكريات من ذهنه فترة وجيزة ثم عادت : مكتب في المدينة ، رائحة دفاتر الحسابات ، ورائحة التبغ الفرنسي الذي كان يستعمله ذلك الموظف الاسكوتلاندي المخاصم الذي كان يقطن في ساوثيند .

كان اخر مرة سمع بها هذا اللحن « قلبي يتفتح لصوتك » هو في امسية يوم من ايام الخميس منذ خمس سنوات ، عندما ترك العمل في الدائرة دون ان يعطي انذارا بذلك، وقد طوى بعناية تامة رسالة محاميه ووضعها في محفظة . ثم خرج الى زحمة المرور ونور الشمس في منطقة بيشوب غيت ، ولم تزل تسيطر عليه نشوة الانطلاق من القيود .

وادهشه ان يستعيد تلك الذكرى بكل دقائقها والاحاسيس التي اثارتها، حتى لقد اعادت اليه الاحساس برائحة دخان السيارات في تلك الامسية الحارة ، والرطوبة في مدخل الدائرة حيث كان يضع دراجته . وخطر له لبعض الوقت أن يتمشى الى هاوس ديتش ليلقي نظرة الى بناية دائرته ثانية ، ولكنه ابعد الفكرة اذ تذكر ما تراكم في نفسه من الضجر والاحتقار الذاتي وقد قضى اكثر من سنة هناك .

وتلاشى على الفور شعوره بالرضا والاستقرار . لقد تذكر ذلك الكاتب الاسكوتلاندي بوجنتيه الورديتين وشاربه الاشقر الذي يشبه حزمة من القش . واثارت الذكرى في نفسه الخجل والغضب. كان هذا الاسكوتلاندي يضمر كرها عنيفا للساميين ، وكان يسمي منطقتي همبستيد وكولدرز جرين مستعمرتين يهوديتين . وكانت مناقشاته مع سورم تنتهي دائما بان يعلن كل منهما ازدراءه للاخر ، وتترك في نفسه شعورا بالتفاهة . كانت هذه المناقشات وعلاقة عاطفية فاشلة مع فتاة في نفس المكتب كل ما علق في ذهن سورم من ذكرياته عن العام الذي قضاه في تلك الدائرة . كان اسم الفتاة مارلين ، كانت مكتنزة الجسم ، ليست ذات جاذبية متميزة، وكانت قد جاءت من مدينة ستيبن غرين . وكانت تميل الى ارتداء ملابس

تكاد تكون شفافة مع اقل ما يمكن من الملابس الداخلية تحتها . وكانت اذا انحنت على درج الملفات تتراءى خطوط لباسها الداخلي من خلال ردائها ، وكان الكتبة الثلاثة يختلسون النظر حتى تعتدل ثانية . ودعاها اخيرا ان يخرج معها ليذهبا الى المسرح ثم ليشربا شيئا بعدئذ . وقد علم فيما بعد ، من نفس تلك الليلة ، وهما في حديقة فيكتوريا ، انه لم يكن يرغب في امتلاكها ، وان ما حسبه رغبة جنسية تجاهها لم تكن الا وهما اورثه اياه الضجر والتلميحات الجنسية التي تدور اثناء الحديث في الدائرة . وربما اعتقدت الفتاة انه بدافع من الشهامة عاد وانزل طرف تنورتها برفق بعد ان رفعته له . واحس بالفرح ، وبعد ثلاثة ايام ، عندما ترك الدائرة دون ان يراها ، ثم شعر بالاحتقار لنفسه لانه احس بالفرح .

وولدت هذه الذكرى في نفسه شعورا بالقلق والخجل . فانهى قطعة الخبز المحمص ثم خرج .

ومضى على الرصيف وهو يدفع دراجته الى جنبه الى ان وصل الى شارع مدلسيكس ، ثم امتطى الدراجة وقادها على مهل صوب بيشوبس فيت . وصرف عن ذهنه تلك الذكريات وراح يتعمد التفكير في كارولين وجرترود ، فسرعان ما تحسنت حالته النفسية . وعندما صار في شارع وايدغيت جعل يحدق باهتمام في امراة حبلى كانت تدفع عربة صغيرة مهلهلة محملة بالغسيل واحس بانطلاق توتره الداخلي الذي يولده اللون والرائحة . وبتجدد في توقد عواطفه . واستدار نحو سوق سبيتالفيلد وترجل ، فقد كان من المستحيل السير بالدراجة بين الحشود المزدحمة بين سيارات اللوري الواقفة وبناية السوق . ورأى على الفور رجلا يرتدي قميصا يقذف بشبكة مليئة بالملفوف من اعلى اللوري وكادت تصيب رأس سورم قيد شعرة . فكشر الرجل وصاح : خذ حذرك ! فكشر سورم بدوره ثم توقف لحظة يتفادى عربة موسوقة باكياس البطاطا . كان الدفء الذي يحس به في داخله ، كشعور بالسكر ، ولكن من دون القيود التي يفرضها السكر .

وفي زاوية شارع برشفيلد ، توقف ليلقي نظرة على خارطة لندن التي يحملها في حقيبة دراجته . كان خط المترو في شارع كومرشيال كالسيل المتدفق الذي لا ينقطع ، يملأ الهواء بالضجيج وبرائحة الدخان .

* * *

كان رصيف شارع داروارد يكاد لا يزيد على القدمين عرضا . وكانت السقوف واعتاب النوافذ وحافة الرصيف ، كلها تسير في خطوط متوازية

بالنسبة للناظر من احدى نهايتي الشارع . كان الشارع مقفرا .

وتوقف امام الباب الذي يحمل الرقم ١٢ وكان الدهان البني على الباب الامامي قد تحول بمفعول الجو الى حراشف .

وظل في موقفه امام النافذة يأمل ان يسمع حركة في الداخل قد تبدد تردده .. واذ هو يهم بطرق الباب ، تذكر تعليق نن عن غلاسب وما حذره منه ذلك القسيس الهنغاري . واخذ يحاول ان يفكر في الكلمات التي سيقدم بها نفسه . واخيرا ، نقر على الباب بقوة ، ولبث ينتظر .

وفتحت نافذة فوق راسه . فرجع الى الخلف لينظر ، وهو يأمل ان يجد غلاسب . كانت نافذة البيت المجاور . وسألته امرأة :

ـ هل تبحث عن المسز غرينبرغ ام النزيل ؟

فقال سورم :

ـ رجل يدعى غلاسب .

واحس بالحراجة ، كأن سرا مخجلا قد انكشف للشارع كله .

فقالت المرأة :

ـ النزيل اذن . لن يطول غيابه . انه يخرج في هذا الوقت عادة لتناول الفطور . ولا اعلم الى اي مطعم يذهب .

ـ لا يهم ، سأعود فيما بعد .

وانغلق الباب ثانية بقوة . وجذبت انتباهه ستائر البيت المقابل كأن احدهم كان يراقبه . وعاد ممتطيا دراجته وهو يشعر بالغضب من نفسه ومن تلك المرأة التي تسكن البيت المجاور لتدخلها فيما لا يعنيها . فقد جعله تصرفها يشعر كأنه متطفل .

وترجل عن دراجته في نهاية الشارع واسندها الى الجدار تحت لافتة كتب عليها (ممنوع الدخول) . غير ان فكرة البحث عن غلاسب في المطاعم المحلية لم ترق له . ونظر الى ساعته وقرر ان يتمشى في تلك المنطقة . لقد مضى وقت طويل منذ ان تمشى في وايتشابل ، وهو يفكر في جرائم ماك السفاك . والان وهو يحس بقابلية على تقبل الأشياء لذت له فكرة الذهاب . فوضع القفل في الدراجة بعد ان لف السلسلة مرتين حول العجلة .

وكان ينتصب مقابل نهاية شارع داروارد هيكل لبناية مسرح تحطمت عوارضه واسودت جدرانه . فوقف هناك ، واخذ يجيل بصره فيه وهو وهو يحس برغبة في تسلق الحاجز الخشبي الذي كان يحيط بالطابق الاسفل ، وشق طريقه بين الالواح الارضية البالية ، ليشم رائحة الرطوبة

والعفن المنبعثة من اكوام الانقاض . لقد كان ما يحسه يكاد يكون حاجة جسمية . ولقد اذهله ذلك . كانت هنالك امور تجري في اعماقه من العسير عليه ان يعيها ، كان اعصابه تفككت ثم عادت وارتبطت في نظام اخر فولدت لديه شهوات جديدة واحاسيس جديدة . ثم استدار وسار في شارع فالانس رود مبتعدا عن الشارع العام . وشق طريقه عبر الارض التي كانت موضع وقوع القنبلة وهو يحذر الا يطأ اطواق البراميل الصدئة . ورأى على الجانب الثاني من الشارع مبنى مدرسة يلوح مقفرا مثل ذلك المسرح المهدم . وقد كتب على جدران المدرسة بحروف كبيرة : النقابة ستتخلص من الحمر . وعلى طرفي هذه العبارة دائرة في داخلها رمز للصاعقة . ثم عبر الشارع المحاذي للمدرسة الى قطعة اخرى من الارض الخربة تحفها بيوت خاوية وبقايا جدران مهدمة ، وتوقف هناك لحظة ليطل خلال فتحة لا شباك فيها لاحدى البنايات المتفطرة . كانت الارضية مغطاة بالركام والجرائد القديمة التي قضمتها الجرذان وكان هناك مشد صدر وردي ممزق . وكان هناك سلم لم تمسه القنابل يلتف حول الجدار المقابل . وفيما هو ينظر رأى جرذا يركض من تحت الجرائد ويختفي في جحر في لوحة قريبة . لقد ذكر له احدهم هذا البيت قبلا : ففي عام ١٩٤٣ ، وجدت جثة ملاح فنلندي ملقاة في الطابق العلوي عندما كان بعض الأطفال يلعبون لعبة « الاستغماية » لقد سرقوه وتركوه ليموت بعد ان هشموا راسه بآجرة مدلاة بجورب نسائي حريري .

كان البيت المجاور ما يزال مسكونا . كان بابه الامامي مفتوحا،تنبعث منه رائحة السجق المقلي.وكانت امام الباب عربة صغيرة يرقد فيها طفل.

وراح سورم يطوف الشوارع القذرة ، دون ما هدف . وفي شارع هانبري ستريت بدت له الشقق الجديدة وساحات لعب الاطفال ناشزة المظهر . وتوقف ثانية خارج دكان الحلاق في البناء رقم ٢٩ . كانت ثالثة جرائم جاك السفاك قد وقعت في الساحة الواقعة خلف الدكان . وقد رأى مرة صورة للمحل التقطت بعد حادثة القتل مباشرة . فرأى البقعة لم تتغير على الاطلاق خلال السبعين سنة التي مرت عليها . ورفع الحلاق بصره من زبون كان يقوم بحلاقته . بينما كان سورم يقف عند الباب . وهتف الحلاق :

ـ هلو . لم ارك منذ مدة طويلة .

فقال سورم : كيف حالك ؟

ـ بخير . الا تأتي للحلاقة هذه الايام ؟

ـ لا اسكن هذه الاصقاع الان .

وفي نهاية شارع هانبري ستريت السفلى نفسه يواجسه سوق سبيتالفيلدس ثانية . وعندما مر بكنيسة رين ، راى رجلا يخرج من المراحيض العامة ، ثم التفت الرجل وتمتم :

ـ هل تترفق علي بقدح شاي ؟

ومد سورم يده الى جيبه ، وقد لوي بنظره بعيدا لكي لا يرى القطرة التي تتدلى في طرف انف الرجل . وتناول الرجل بيديه اليابستين المغضنتين قطع النقود ، ثم تلفت حوله لئلا يلمحه احد رجال الشرطة . واستقرت يد الرجل على ذراع سورم . فلم يدرك سورم مراد الرجل فاخذ ينظر في عينيه الزرقاوين النديتين . كان الرجل يتمتم بكلمات غير مفهومة ويشير الى قدميه اللتين ينتعل فيهما حذاء باليا . فافترض سورم ان الرجل يطلب المزيد من المال ، فاخذ يفتش في جيبه عن قطع صغيرة اخرى ـ واستوقفته كلمات الرجل : ... وقد عشت هنا ما يقرب من السبعين سنة .

ـ سبعين سنة ؟

ـ نعم ، سبعين سنة تقريبا .. عشت هنا .

ثم مسح انفه بكم معطفه فاختفت القطرة. فحلت محلها قطرة اخرى على الفور . فادار سورم راسه . كان المعطف طويلا جدا وكان طرفه يمس الارض . وقال سورم بادب :

ـ انك لا تبدو مسنا الى هذا الحد .

ـ بلى . عمري ثلاث وسبعون سنة ، قضيت كل يوم منها بالعمل .

وادرك سورم ان الرجل لم يكن ثملا ، وانما كان يتحدث ليبدد وحدته او ربما امتنانا لقطعة النقود . ولم تكد كلماته تتميز . وقال سورم:

ـ لا بد وانك كنت حيا في ايام جرائم جاك السفاك ؟

ـ من ؟ جاك السفاك ؟ نعم . ويمكنني ان اقول لك شيئا عنه. كانت اخر جريمة اقترفها هناك ..

ـ ميلرز كورت !

ـ اجل . هناك ، قبل بناء السوق في البقعة ، كانت تدعى انذاك شارع دورسيت ستريت . اعلم ذلك لاني كنت أبيع الصحف هناك .

فقال سورم بدهشة :

ـ كم كنت تبلغ من العمر انذاك ؟

ـ كم كان عمري ؟ دعني افكر ...

وركز الرجل بصره بعينيه النديتين . وسقطت القطرة الشفافة من انفه الى الرصيف . وقال اخيرا :

ــ كنت في العاشرة .

فأخذ سورم يحسب بسرعة . المدة بين سنة ١٨٨٨ و ١٩٥٦ ــ ثمانية وستين سنة . وقال :

ــ وتقول انك في الثالثة والسبعين ؟

ــ اجل . الثالثة والسبعين وسابلغ الرابعة والسبعين فيشهر نيسان القادم . كنت آخذ الصحف صباح كل يوم الى ميلرز كورت . وفي صبيحة يوم من الايام وجدت هناك جمهورا محتشدا من الناس امام الباب . فقال لي احد رجال الشرطة : انها لن تريد الصحف بعد اليوم يا بني . لا تات بالصحف بعد اليوم . تلك هي الطريقة التي علمت بها كيف قتلت . كان القاتل جاك السفاك . فنظر سورم الى ساعته وقال :

ــ امر مدهش ! طيب ، يجب ان ارحل الان . وداعا . .

ورفع الرجل يده محييا وهو يهم بالسير . واتجه سورم نحو شارع فورنيير وهو يفكر : اما ان تكون سنه اكبر مما يعتقد بخمس سنوات، او يكذب . واخذ يسرع الخطى ، متخذا اقصر الطرق ليعود الى حيث خلف دراجته .

وفك القفل عن العجلة ، وحل السلسلة ، وراح يشتم عندما تلوثت اصابعه بالزيت من اعواد العجلة . ومسحها بمنديله ثم مشى وهو يدفع بالدراجة في شارع داروارد ستريت . وكان الشارع ذا ممر واحد يقود الى النقطة التي يتفرع فيها.وكان أحد رجال الشرطة يقف فيركنالشارع.

وقبل أن يتقدم اكثر من مائة يارد في شارع داروارد ستريت اخذ يرقب المراة العجوز التي اقبلت نحوه من الطرف الاخر من الشارع . كانت تحمل قطعة من الخبز تحت ذراعها وترتدي ثوبا من الصوف الارجواني الذي يشبه الكيس . وتوقفت وادخلت المفتاح في الباب . فوضع قدمه اليمنى على قضيب القدم في الدراجة فانطلقت به مسافة بضعة امتار اوصلته الى المراة ، فوقف خلفها بينما هي تفتح الباب وقال : المعذرة . .

فدخلت البيت دون أن تلتفت اليه . فظنها صماء ، فمد يده ولمس كتفها ، فالتفتت اليه والفزع يلوح في وجهها . فقال بصوت عال :

ــ لطفا . هل يسكن المستر غلاسب هنا ؟

وحدجته المراة بنظرة ساهمة من عينيها المتعبتين اللتين احمرت

زواياهما ، فكرر السؤال . فالتفتت ولوحت بيدها نحو السلم بحركة تدل على اللامبالاة المطلقة وقالت :

ـ نعم . هنا ، اصعد .

فارتسم على وجهه الشك ، وهو ينظر الى الغرفة المظلمة التي تفوح منها رائحة القدم واثاث العصر الفكتوري . فصاح : فوق ؟

ولكنها كانت قد أستدارت واجتازت الغرفة ، تاركة اياه وحده ليغلق الباب خلفه . ولما وصلت الجانب الاخر من الغرفة قالت من فوق كتفها :

ـ ربما تجـده نـائمـا .

وارتقى سورم السلم بحذر ، مائلا بجسمه الى الامـام متحسسا بيديه الالواح الخشبية العارية التي يغطي القماش المشمع بعض اجزائها وتعثر وهو يصل اعلى السلم ، فاطلق شتيمة بصوت خافت . كان المكـان يسبح في الظلام ، ويفوح برائحة زيت البارافين الشديدة . وبينمـا هو واقف هناك ، يتطلع في الظلام ، فتح باب على يمناه وقال صوت رجل :

ـ هلو ، مـن هنـا ؟

فقـال سورم :

ـ المستر غلاسب ؟

ـ نعـم .

كان الصوت يتميز بشيء من لكنة يوركشاير .

ـ اسمي جيرارد سورم . رايت لوحاتك امس وقـد رغبت فـي التعـرف بـك .

ـ هل انت رسام .

ـ كـلا ، كـاتب .

وقال الصوت بسماجة :

ـ الافضل ان تدخل ـ فليس لدي وقت طويل .

ـ لن اطيل مكوثي ..

وشعر بالارتباك قليلا ، فلم يكن على استعداد ليقف وجها لوجه مع غلاسب على هذه الصورة المفاجئة . كان يود لو منح بضع لحظات ليقـرر ما سيقوله . كما ان لهجة غلاسب دلت على ان المقابلة ستكون قصيرة . وقـال غلاسب :

ـ تفضل بالجلوس .

كانت الغرفة واسعة ، يلوح انها كانت في الاصل تتالف من غرفتيـن هدم الجدار الذي يفصل بينهما فصارت غرفة واحدة . كانت بشكـل

حرف « ل » غير منتظم ، ولها بابان كل على طرف من طرفيها . كان اثاثها الوحيد سريرا قديم الطراز له قضبان نحاسية ومقعد وطاولة صغيرة. كانت هنالك الواح كثيرة تستند الى الجدران . وكان امام النافذة منصة للرسم من النوع الذي يستعمل في المدارس وعليها لوحة اخرى. وجلس سورم على المقعد بالقرب من النافذة ، في وضع يستطيع منه ان يرى الغرفة كلها . وكانت هناك بالقرب من المقعد مدفأة نفطية تشتعل ، فوضع سورم يديه بصورة تلقائية لتدفئتها . وقال غلاسب :

ـ حسنا ، ماذا يمكنني تأديته لك ؟

كانت لهجته غليظة يبدو عليها الانفعال . كان واقفا بالقرب من السرير يستند الى حافته : كان رجلا بارز العظام ، كث الشعر ، لم يحلق ذقنه . وكان ثوبه الازرق قد تصلب لكثرة بقع الصبغ عليه .

وقال سورم معتذرا :

ـ انظر . انا اعلم اني تطفلت وجئت لتقديم نفسي اليك بهذا الشكل. فاذا كنت تعتقد اني أضيع وقتك فلا تتردد في أن تخبرني بذلك، وسأغادر.

فبدت الدهشة على غلاسب ، ولكنه لم يحس بضعف في موقفه ، وقال بصوت اجش :

ـ كيف لي أن اعرف هل انك تضيع وقتي قبل ان اعرف ماذا تريد؟

ـ لا أريد شيئا غير مجرد الرغبة في لقائك . رايت اثنتين من لوحاتك يوم امس واعجبت بهما .

فقال غلاسب ، بلهجة ساخرة :

ـ يظهر انك مشغول جدا ، تذهب لزيارة كل رسام تعجبك صوره.

فرفض ان يحمل هذه اللهجة على محمل الاستياء وقال :

ـ انك مخطىء في التعبير ، أن المسألة ليست مسألة « اعجاب » فقط . اعتقد ان الصور غريبة جدا .

وظل وجه غلاسب خاليا من دلائل البشر ، وان ارتسم شيء في محياه ، فانما هو قليل من الاستياء . وقال :

ـ هل لي ان اسألك اين رايتها ؟

ـ في شقة تخص اوستن نن . .

ـ أوه ، انك اذن صديق لاوستن ؟

وبدت لهجة السخرية واضحة لا لبس فيها هذه المرة .

ـ نعم .

ـ واحد من حماة الفن ، ان جاز التعبير ؟

فقال سورم بصوت حازم : كلا . وهو يحاول ان يكظم ثورتــــه . واردف :

ـ انا لا اشتري الصور ، لا يسمح ايرادي بذلك . اردت ان اتعرف بـك فقـط .

وحاول ان يجعل صوته طبيعيا ، وهو يتهيأ لينهض ويترك الغرفة . لقد اخذت لهجة غلاسب تثير اشمئزازه ، وقد غضب عـلى نفسه لانـــه وضعها في موضع المتطفل على غلاسب .

والتقط غلاسب من الارض كوزا عليه خطوط زرقاء وبيضاء واخــذ يرتشف منه . ثم جلس على حافة السرير وقال :

ـ طيب ، ساكون صريحا معك . انا اسكن هذا المكان لاني لا اريـد مقابلة الناس . وكذلك ، بالطبع ، لانه رخيص ، ولكن السبب هو بالدرجة الاولى لاني لا ارغب في الناس كثيرا ..

ـ لمــاذا ؟

ـ لم لا احب الناس ؟ لنفس السبب الذي اكره من اجله رائحــــة شراب الروم او الشاي الصيني ، على ما اعتقد .

كان سورم يحاول جاهداً ان يكون عنه فكرة . كان في نبرة غلاسب شيء من الاستهجان المكتوم مما جعل سورم يعتقد بانه مريض بداء العظمة والشيء الوحيد الذي كبح رغبته في ترك الغرفة هو انه كره ان يشعــــر بالاندحار التام . وحاول ان يقوم بمجهود اخر . واصطنع البشاشــــة وقــال مبتسمــا :

ـ في الحقيقة ، كان اوستن والاب راكوسي كلاهما ينصحاني بــالا آتي لزيارتــك .

ـ لمــاذا ؟

ـ يبدو ان انطباعهما عنك هو انك انسان فظ .

فزمجر غلاسب ورشف جرعة اخرى من الكوز . فنهض سورم وقال:

ـ حسـنا ، لك مطلق الحق ان تظل لوحدك . ولذا ساتركك .

كان غلاسب يحدق في الكوز الذي كان يضمه بين كلتـا يديـه فـي حضنه . ولم يتحرك . وقال :

ـ لم اردت مقابلتي ؟

واحس سورم ثانية بضعف اسبابه ، وقال :

ـ ظننت انه قد يمكنك ان تخبرني بشيء عن اوستن .

فرفع غلاسب بصره اليه ، وقال وهو يكشر بابتسامة :

ـ لماذا ، هل تريد ابتزاز امواله بالتحايل عليه ؟
ـ كــلا .
ـ هل انت شاذ جنسيا ؟
ـ كــلا .
ـ فلمــاذا اذن ؟

لم يعد غلاسب يتخذ سلوكا معاديا بشكل صارخ ، كان يبدو حياديا غير مبال واحس سورم بانه اثار فضول غلاسب . فقال بتعقل :

ـ اصغ . انك تتعمد في تعقيد الامور بالنسبة لي ، اليس كذلك ؟ كل ما في الامر هو ان صورك اعجبتني فاردت لقاءك . وكذلك علمت انك من اصدقاء اوستن . واني مهتم باوستن ايضا . فاذا كنت تكره مقابلــة الاخرين ، واذا كنت لا تشعر بالميل الى الحديث عن اوستن ، فقــل لي ذلــك ، وساخرج .

فنظر اليه غلاسب . كانت تعابير وجهه تأملية جامدة ، كالتعابيــر التي تظهر على وجه شخص على وشك ان يشتري بضاعة يريد ان يقلــل من قيمتها . ومد يده وتناول لوحة الالوان من الطاولة واخذ ينظفهــا بسكين مائدة . وقال دون أن يرفع راسه :

ـ ليس لدي الكثير عن اوستن . لم آكن على معرفة تامة به ابدا ، ولم اعجب به يوما . فلماذا يثير اهتمامك اذا لم تكن منحرفا ؟
ـ لنفس السبب الذي يثير اهتمامي فيك .
ـ ما هي الصفات التي اشترك فيها مع اوستن ؟

واحس سورم بالحاجة ليقول شيئا مقنعا ، ولكنه لم يهتد الى شيء. فقذف باول ما خطر في ذهنه من الكلمات :

ـ اعتقد من لوحاتك ... هناك نوع من التعصب .

فادرك على الفور انه أصاب ما كان يريد قوله . فقال غلاسب :

ـ وتظن أن اوستن متعصب ايضا؟ انه لم يترك لدي هذا الانطباع قط .
ـ من الصعب ان اشرح . لست اعرفه جيدا ، ولكني اتوجس ذلك.
ـ ولم يثير ذلك اهتمامك ؟
ـ من الصعب أن اشرح هذا ايضا . كنت دائما مولعا بفكرة الحيــاة وحيدا . وكنت افكر في دخول احد الاديرة ..

فقاطعه غلاسب قــائلا :

ـ انت لست كاثوليكيا ؟
ـ كــلا .

ـ فلم لم تمض في فكرة الدير هذه ؟

ـ لم ار في ذلك جدوى . وفضلا عن ذلك . فلم اكن واثقا مـن أني سأستمتع بكوني راهبا . واشك في ان اهداف مجتمع الرهبان هي نـفس الاهداف التي ابغيهـا .

ـ وما هي اهدافك ؟

ونظر سورم اليه واحس بالارتياح للاهتمام السافر الذي يبديـه غـلاسب . وقـال :

ـ لا ادري ... اعتقد اني اردت ان ارى الرؤى .

فنهض غلاسب ، وقـال :

ـ وماذا حـدث ؟

ـ لم يحدث ما يدعو الى الاهتمام . امضيت عاما واحدا في قـراءة افلاطون والقديس فرانسيس دي‌سال وغيرهما ... ولكني شعرت بـاني افتقد شيئا ما ، بدات احس ان خيالي قد مات ، واخذت اشعر باني في حاجة الى الجنس والى الاجتماع بالناس . فكونت لي بعض الاصدقـاء وارتبطت بعلاقات مع فتاتين لفترة قصيرة . فلم يساعدني ذلك كثـيرا ، لاني لم اكن ارغب في هذه الامور ايضا . فاخذت افكر باني فقدت كل‌رغبة في البقـاء حيا . وشعرت باني مللت الكتب ، ومللت الناس ...

فقـال غلاسب :

ـ اني اعلم بهذا الشعور .

واخذ يعصر انبوبة الاصباغ على لوحة الالوان . واخرج الفرشاة من قارورة المربى التي كانت على عتبة الشباك ، واخذ يرسم . وقال بهدوء :

ـ مررت بكل هذه الحالات . هنالك علاج واحد ... هو العمل .

ـ فكرة لا باس بها اذا كنت تعرف ما تريد ان تفعل . اما انا فلـم اكـن اعرف .

ـ تقول لم تكن تعرف ، فهل تعرف الان ؟

ـ على كل ... نعم . التقيت باوستن منذ اسبوع ـ بل اقل من اسبوع . واني احس بالاسف له في كثير من النواحي . انه يشبهـني ايضا ، ولكـن ... لا استطيع ان اوضح . ولكن فجاة ، اخذت احس ان شيئا مهما صار يحدث في نفسي ـ شيئا كضياء النهار ينساب في .

فقـال غلاسب :

ـ ولماذا تخصص اوستن ؟ اعتقد ان هذا هو ما تسمونه ، انتـم السادة الادباء ، الهوة بعد الذروة !

فقال سودم :
ـ لست أعرف . بل انه ليلوح لي انه يشبهني تماما بصورة غريبة..
فأجابه غلاسب :ـ
ـ حقـــا ؟
وكان صوته ينم عن شكه في الامر :
ـ اجل . ترى هل اتيح لك أن تزور شقته في كوينس غيت ؟
ـ لم أكن اعرف ان له شقة في كوينس غيت ؟
ـ لقد ذهبت اليها بالامس وادهشتني . لقد لاحت وكأنها من نسيج خيال ادجار الان بو ، ستائر القطيفة السوداء ، ودولاب المسكرات،ومؤلفات دي‌ساد ومازوك ، ولوحاتك ...
فقال غلاسب بدهشة :
ـ آه ، لقد رأيتها هنالك اذن ، حسنا ...
كان يبتسم حين استمر على الرسم واضاف :
ـ تلك ناحية جديدة من شخصية اوستن : غلاسب ودي‌ساد ، هه؟ اللوحتان اللتان اشتراهما مني ..
ـ لديه ايضا لوحات يابانية مطبوعة وموقعة بتوقيع ا.غ.
ـ انها كورية وقد استنسختها من مجموعة في المتحف البريطاني.
وطفق يرسم بصمت فترة من الزمن ، ثم تراجع الى‌الخلف لينظر الى ما رسم . وقال دون أن ينظر الى سودم :
ـ مهما يكن الامر فلست اجد شيئا مشتركا بين ذوقيكما ...
ـ كلا . ولكن .... هنالك تشابها في الهدف ، ما عدا ...
ـ مـــا عدا مـــاذا ؟
ـ انني لاتساءل احيانا هل ان الامر لا يعدو أن يكون الرغبـــة فـــي الاقدام على المغامرة . انا لا اشاركه اذواقه ، ولكني اشاركه الرغبة فـــي الاقدام على التجارب . يبدو ان الامر جيد بحد ذاته ...
ـ تعني ملاحقة الاولاد الصغار ؟
ـ كلا لم اكن افكر في ذلك . كنت افكر في السادية .
وتوقف غلاسب عن الرسم واخذ يحدق في وجهه :
ـ هل هو سادي ؟ لم اكن اعرف ذلك .
ـ الم تكن تعرف ؟ ظننت انك تعرفه جيدا .
فقال غلاسب ، وهو يستأنف الرسم :
ـ كلا . ليست لي معرفة جيدة به مطلقا ، كمـــا يظهـــر . كيـــف

اكتشفت ذلـك ؟

ــ قال لي ذلك بنفسه . والاب كاراثرز يعرف ذلك عنه ايضا .

ــ ما هي الافعال التي يقوم بها ؟

وظهرت لهجة يوركشاير في كلام غلاسب فجأة بشكل صارخ . وكان يلوح عليه انه ركز اهتمامه في اللوحة . وقال سورم :

ــ لا اعلم . ليست اشياء خاصة ، على ما اعتقد . ربما يستخـــدم الضرب مع اصدقائه الاولاد .

وفي الغرفة المجاورة ، بدأ البخار ينبثق من ابريق ماء كان على الموقد الغازي ، واخذ الماء يبقبق ويفيض على ارضية الغرفة المكسوة بالالـــواح العارية . فذهب سورم ورفع الابريق . وقال غلاسب :

ــ هل لك في قدح من الشاي ؟

ــ نعم ، شكرا ،

وضع غلاسب لوحة الالوان على الطاولة واعاد الفراشي الى قارورة المربى .

ــ ما لا يمكنني فهمه هي فكرتك ان لك شبها باوستـــن . فمـــن حديثك الي لا يبدو ان لديكما اشياء مشتركة .

ــ كلا ؟ اعتقد ان أوجه الشبه بيننا كثيرة . فكـلانا غـير راض ، وكلانا مولعان بالتجارب ، بيد انه تمادى في تجاربه اكثر مما يمكنني حـتى ان احلـم بـه .

كان غلاسب يغسل ابريق شاي من الالمنيوم على المغسلة في الغرفة الثانيــة . وقـــال :

ــ لا ؟ تعني انك تريد ان تستخدم الضرب مع صديقاتك الفتيات ؟

فقال سورم ضاحكا :

ــ كلا ، انا واثق اني لا اضربهن . . . على كل . . .

ــ ولم اردت مقابلتي ؟ هل تصورتني واحدا من . . .

ــ واحـــدا ممن ؟

ــ من هؤلاء الذين يصلحون للتجربة عليهم ؟

ــ ظننت انه ربما تكون واحدا منهم .

فقال غلاسب مبتسما :

ــ ولنفرض انك مصيب في ظنك ، فماذا بعد ذلك ؟

فقـــال سورم :

ــ لا شيء بعد ذلك . ربما . .

وتناول كوب الشاي ووضع فيه بضع ملاعق من السكر . ولاحـظ

ان غلاسب عندما يبتسم تتقلص جبهته وترتعش بحركات تلوح لا ارادية عصبية . ورأى غلاسب ان سورم لاحظ ذلك ، فقال سورم ليبعد اهتمامه عن ذلك :

ـ لك يدان واسعتان ، تشبهان يدي اوستن .

وضع غلاسب السكر في الشاي واخذ يحركه . كانت يداه كبيرتين قبيحتين ، مفاصل اصابعهما بارزة . كانتا تلوحان سوداوين قليلا ، وقد ارتسمت عليهما شبكة من الالوان من بقايا الاصباغ التي اخترقت المسامات. وقال بالفرنسية :

ـ يدا تروبمان .

ـ من ؟

ـ تروبمان . الا تعرف شيئا عنه ؟ جانباتيست تروبمان ، القاتل بالجملة .

ـ كلا . من كان ضحيته ؟

ـ عائلة كاملة ، تتالف من ثمانية اشخاص .

ـ لاي سبب بالله ؟

ـ المال . لقد حصل على بضع مئات من الفرنكات من هذه الصفقة. كانت يداه ضخمتين . ولهذا لا يزال الناس يسمون الايدي الكبيرة « يدا تروبمان » في بعض انحاء فرنسا . واعتقد ان افراد اسرته تميزوا بهذه الصفة. لهم اكبر مما يحتاجونه من الايدي .

ـ هل كان ساديا ؟

ـ لا اعتقد ذلك . كان ينزع جنسيا الى الجنس المشابه ، وبه هوس لجمع المال .

كان الشاي مركزا حارا . ووقف غلاسب على عتبة النافذة وظل يرسم . وساله سورم :

ـ هل تهتم باخبار جرائم القتل ؟

ـ احيانا .

ـ متى ؟

فاجاب غلاسب ، وقد ظهرت على وجهه ابتسامة غريبة :

ـ الجريمة تسري في عروق عائلتنا .. بطريقة ما .

فقال سورم مبتسما :

ـ هل انحدرت من عائلة من اللصوص ؟

ـ ليس تماما .

وابتسم بدوره لسورم وهو يشرب الشاي . وارتعشت جبهتـــــه ثانية . واردف قائلا :

ــ بقدر معرفتي بالامر ، فان علاقتنا بالجرائم كانت دائما غير مباشرة. كانت احدى عماتي اخر ضحية لجاك السفاك . وقد تناولت والدتي الطعام يومـا مع لاندرو في باريس . وكان جدي الاكبر على معرفة بتشارلي بيس.

ــ هل كانت والدتك تعلم ان الشخص هو لاندرو ؟

ــ كلا . لم تكن تعرف شيئا عنه . قال لها انه كان مهندسا اسمـه كوشيه وحاول ان يدعوها لقضاء عطلة الاسبوع معه . وتعرفت على صورته بعد عدة اشهر عندما القى القبض عليه . قالت ان تصرفاته كانت عـــلى احسن ما يكون عليه التصرف ...

ــ مـــدهش !

ــ بعض الناس تجذبهم الجريمة ، وهناك اخرون يجذبون الجريمة . كانت عائلتي من النوع الثاني . ويمكنك ملاحظة ذلك . فحـــالمـا جئـت للاستقرار في وايتشابل بدأت فيها موجة من الاجرام . ذلك من تقاليـــد العـــائـــلة .

ودقق سورم النظر فيه ، واستشعر الجد في كلامه . واحس لاول مرة بشيء من التوتر في نظرة غلاسب ، وظهرت ايضا في ارتعـــــاشة جبهتـــه . سأل :

ــ هل انت جاد فيما تقوله عن العمة التي راحت ضحية جاك السفاك؟

ــ اجل . كانت اخر ضحاياه .

ــ هل كانت تلك المراة التي قتلت في غرفتها في ميلرز كورت ؟

ــ كلا . كانت هناك جريمة اخرى : امراة قتلت تحت مصباح الشارع في كاسل آلي ، كانت هذه العمة الكبرى سالي مكنزي . لا اعرف الكثيـر عن هذه العمة سوى انها كانت على ما يبدو لا تتمتع بحب العائلة .

ــ لم اسمع ابدا بتلك الجريمة .

ــ وراح سورم يتساءل هل أن القصة كلها من نسيج خيال غلاسب. وقـــال مبتسما :

ــ يبدو انك انحدرت من عائلة من الضحايا .

ــ صحيح ، كلهم ضحايا . مازوكيون دون علم منهم ، ما عداي ، اذ اني مازوكي بارادتي .

ــ أصحيح انك مازوكي ؟

وابتسم غلاسب للدهشة التي ارتسمت في عيني سورم وقال :

ـ ليس بالمعنى الذي يمثله اوستن . انني لا اميل الى ذلك .

وحرك سورم مقعده الى قرب الجدار ليسند ظهره اليه وهو يرقب غلاسب . كان غلاسب يرسم بضربات تلوح مرتجة مشددة ، وهو يبدي تركيزا شديدا على اوحته . وبدا لسورم كأنه لاعب سيف . وقال سورم:

ـ لا أريد أن اطيل الحديث ، فقد يؤخرك ذلك عن اعمالك

فقال غلاسب :

ـ لا يهم .

وظل سورم يراقبه بضع دقائق ، وقال :

ـ الا يضيرك ان القي نظرة على بعض لوحاتك ؟

وشعر بالتردد باديا في وجه غلاسب ثانية . وكان على وشك ان يقول لغلاسب : لا حاجة لذلك ... ولكن غلاسب قال :

ـ تفضل . ولكن لا تعلق شيئا بصددها .

ـ حسنا .

وذهب سورم الى الغرفة الثانية واخذ ينظر الى اللوحات المسندة على الجدران . وكان اول ما لفت نظره في هذه الصور الوانها التي كانت اكثر خشونة من تلك اللوحات التي رآها في شقة نن . لقد اختفت الالوان الزرقاء والخضراء وجو الاحلام الذي كان يحمل اثر شاغال . الخطوط في هذه الصور خشنة عنيفة ، كانت تبرز الاثر الناشز الذي تحدثه الالوان الاساسية المستعملة مباشرة دون مزجها . كانت اكثر الصور دراسات لمناظر طبيعية : اشجار ، باقة من ازهار السوسن ، جدار نما عليه العشب. وكانت هنالك لوحة تبين سياجا حديديا ومصباح الشارع ، وقد رسمت اللوحة دون اي اثر رومانسي او حتى المحاولة لاظهار جو المنظر . كانت اللوحات تغطي احد جدران الغرفة بكامله .

وكانت على جانب الموقد ، في رف داخلي عريض . لوحة هائلة الحجم ، غير تامة . كانت اكبر من اي شيء اخر في الغرفة باربع مرات ، حيث كان ارتفاعها ستة اقدام وعرضها اربعة اقدام . وقد ظنها سورم لاول وهلة صورة لصلب المسيح . كانت تبين رجلا مشدودا الى صليب بالمسامير يتدلى من نافذة مفتوحة . وكان الصليب يبدو معلقا بسلاسل عديدة ، كما كانت تظهر مكبرة خلال النافذة . وكانت احدى يدي الرجل المثبتة بمسمار تتدلى الى جنبه .

وكبح سورم رغبته في الاستفسار عما تمثله اللوحة . فتراجع الى الوراء واخذ يحدق فيها . وفيما هو يقف هناك ، سمع غلاسب يترك لوحته

ويخرج من الغرفـة .

كانت صورة الرجل المصلوب معلقة عاليا على الجدار . وكان تحتها ، في الرف الداخلي عدد من اللوحات تستند الواحدة على الاخرى . وكانت اللوحة الامامية تبين وجها كبيرا لصبي يرتسم الرعب في محياه ، وكـان خلف راسه ، في اعلى الزاوية اليسرى ، دولاب فيه ثلاثة ادراج مفتوحـة ويتدلى من الدرج العلوي ما يبدو من الملابس الداخلية النسائية الورديـة اللون . وكانت تبرز من خلف راس الصبي يد عارية ، كأنها لشخص مستلق على الارض وجهه الى الاسفل . وسحب سورم اللوحة الى الامام واخـذ ينظر الى اللوحة التي خلفها . وكانت هذه تبدو من لوحات غلاسب الاولى. كانت صورة جميلة رقيقة لفتاة عارية تبدو في العاشرة من العمر وكانت تقف امام الموقد وهي تمسك بكلتا يديها منديلا تمده ليجف . كانت نحيفة الذراعين والساقين ، وكان جسدها ينم عن نقص في الغذاء ، ولكن غلاسب نجح في الاستفادة من هذه النحافة فمزجها مع وهج الموقـد البرتقـالي وظلال الغرفـة الزرقـاء لينقل هذا الاحساس بالرفق والحنين . لقـد وجد سورم هذه اللوحة مؤثرة الى حد غريب ، وقد طاب له ان يخـرج الصورة من بين الصور الاخرى ويضعها حيث يمكنه دراستها بدقة اكثر. وقبل أن يهم بذلك ، سمع صوت الماء المتدفق من حوض الماء في مرحاض شقة مجاورة . وسحب هذه الصورة ، وراح يطل الى الصورة التي خلفها. كانت لوحة لحياة جامدة اخرى ناشزة الالوان منكسرة الخطوط . وتـرك الصور تستند الى الجدار القريب من المغسلة . وجاء غلاسب الى الغرفـة الاخـرى وقـال :

ـ حسنـا ؟

ـ انك غيرت طريقتك بالتأكيد ، أليس كذلك ؟

ـ آمل فى ذلك . هل تعجبك هذه الصور ؟

ـ تعجبني جدا. انها تترك اثارا عنيفة. يجب ان تضع صورك في معرض.

ـ لا أريد ازعاج نفسي . انهم جميعهم اوغاد . يجب ان تستخـدم نفوذك وتزلفك ليتسنى لك ذلك .

واقبل غلاسب ووقف بجانب سورم ، فقال سورم ، وهو يشير الـى الرجل المصلوب :

ـ مـا هـذه ؟

ـ هذه صورة ماثيو لوفات . قضية محاولة الانتحار القديمة .

ـ متـى ؟

ــ أوه ، لا اعلم متى بالضبط . كان ماثيو صانع احذية فى جنيف فى زُمن ما فى القرن الثامن عشر ، وقد اصيب بهوس الموت على الصليب كالمسيح . فقام بثلاث محاولات ، انتهت كلها بالفشل . وفى المرة الثالثة ثبت بكرة فى غرفة نومه التي تطل على السوق وعلق الصليب بطريقة يمكن ان يتدلى فيها خارج النافذة . وكانت مشكلته الرئيسية هي كيف يثبت المسامير فى اطرافه . لقد كان فى امكانه ان يدق المسامير فى قدميه واحدى يديه ، ولكنه احتار فى اليد الاخرى . واخيراً اهتدي الى حل تلك المشكلة بأن عمل ثقبا فى الصليب ثم غرز المسمار فى يده اولا . ثم امسك مطرقة باليد التي غرز فيها المسمار ودق بواسطتها المسامير فى قدميه واحدى يديه . وبعد ان فعل ذلك فك البكرة فانطلق الصليب خارج النافذة ليتدلى فوق السوق . ولكن لسوء حظه اكان فى تلك اللحظة اضعف من ان يستطيع أن يدخل يده التي فيها المسمار بالثقب الذي عمله على الصليب ، وهكذا بقي معلقا على هذه الصورة .

واشار غلاسب الى الصورة حيث كان الرجل يتدلى كانه بتروشكا (١) منفوخ . وقال سورم :

ــ هل مات ؟

ــ كلا . انزلوه فعاش حتى ناهز الثمانين . ولم يقم بهذه المحاولة بعد ذلك .

ــ هل ستنتهي اللوحة ؟

ــ نعم . عندما يكون لدي وقت .

ــ وما رايك فى هذه ؟

واشار سورم الى الصورة التي تبين راس الصبي . فقال غلاسب وهو يهز كتفه :

ــ انها لا تعجبني . انها صورة هايرنز ، القاتل فى شيكاغو .

ــ لم اسمع به ابدا . من كان هذا ؟

ــ صبي فى السابعة عشرة من العمر . كان يتسلل خلال النوافذ ليسرق ملابس النساء الداخلية ، فاذا استوقفته احداهن كان يقتلها . وقد كتب بأحمر الشفاه على الجدار بالقرب من احدى ضحاياه بالله عليكم القوا القبض علي قبل أن اقتل ثانية .

فكشر سورم وقال :

ــ الا تعتقد انه موضوع فظيع للوحة زيتية ، الا تعتقد انه موضوع يوحي بالاحاسيس المريضة ؟

ــ بالطبع . ان الحالة نفسها مريضة .

(١) بتروشكا : دمية ، بطل رقصة باليه لسترافنسكي . ــ المترجم ــ

واستدار وعاد الى الغرفة الاخرى ، وقال سورم :

ــ وما رايك فى الصور الاخرى خلف هذه ؟ هل لي ان اراها ؟

فالتفت غلاسب وقال بلهجة حادة :

ــ لا . الافضل الا تراها ، فهي لا تعجبني .

فتبعه سورم الى الغرفة ، وكان قدح شايه ما يزال على المقعد ، لـــم ينهه بعد . فشربه جرعة واحدة . واحس انه لم يعد فى استطاعته التعبيـــر عن اعجابه بلوحات غلاسب ، فقد وضع غلاسب نفسه فى موضع يبدو فيـــه بوضوح انه لا يكترث للوم أو المديح . وقال سورم اخيرا :

ــ اشكرك للسماح لي بان انظر الى صورك .

ــ لا شيء .

ولم يكن سورم يدري ماذا يضيف من الكلمات ، فاجال بصره فى الغرفة ، فاستوقفته صورة لفان غوخ معلقة فوق سريره . لقد كانت معلقة فى موضع لم يكن فى امكانه ان يراها من مكانه على المقعد .

ــ هل انت معجب بفان غوخ ؟

فقـــال غلاسب :

ــ نعـــم .

ثم التفت ثانية الى الصورة ، كانت اضاءتها رديئة ، فقد كانت معلقة على نفس الجدار الذي فيه الشباك ، مقابل الباب .

وقـــال غلاسب :

ــ تلك هي فكرتي عن اللوحة الزيتية العظيمة .

ــ ما الذي يجعلك تعتقد ذلك ؟

ــ السبب عينه الذي اعتبر من اجله لوحتي ماتيو لوفات ووليم هايرنز فاشلتين . هذه اللوحة هي اكثر من لوحة زيتية فحسب ــ انها مأساة فـــان غوخ يرقب مأساته . فى حين أن صوري تتطلب منك ان تعرف كل تفاصيـــل قصتي لوفات وهايرنز لتعي ما تعبر عنه الصورة ... صوري هي صـــور ادبية . بينما تعبر تلك اللوحة عن نفسها . انك لا تحتاج الى ان تعرف ان فان غوخ قطع احدى اذنيه . فعنوان الصورة يكفي : صورة ذاتية ، الرجـــل ذو الاذن المبتورة . هذا ما ينبغي أن يكون عليه الرسم ، وهذا ما يجعل رسومـــي حقيرة . هل رأيت صورة كوربيير يقود خنزيراً على شريط ؟ لقد اعجب بها اوستـــن . علمت انها ستعجبه ...

فقاطعه سورم بقوله :

ـ لا اتفق معك . اعتقد انك تقسو على نفسك . أن صورتك لكوربيير عظيمة الاثر حتى اذا لم يسمع المرء بكوربيير ، والشيء عينه ينطبق على لوفات وهايرتز . . .

وقاطعه غلاسب قبل أن يستطيع المضي في كلامه :

ـ اشكرك . يسرني انها اعجبتك . . .

فقرر سورم أن يترك الموضوع .

فقال غلاسب بصورة ميكانيكية : لا شيء .

فاتجه سورم نحو الباب وقال :

ـ لم لا تأتي معي لتناول الطعام ؟ لتكون لدي فرصة الحديث معك .

وكان واثقا وهو يتكلم من ان غلاسب سيجيب بالرفض ، ولكن غلاسب قال :

ـ شكرا ، اود ذلك . اين تسكن ؟

ـ في كامدن تاون . تبدل القطار في موركيت . هل يمكنك المجيء هذا الاسبوع ؟

ـ اظن ذلك .

ـ في اي يوم نحن ؟ . . . الاربعاء . غدا او الجمعة يروقان لي .

وتوقف غلاسب عن الرسم . وقال بعد فترة من الصمت :

ـ طيب ، لا بأس . اي يوم ؟

ـ الجمعة ؟ سأعطيك عنواني .

وجلس على السرير ليكتب العنوان ، ثم رسم مخططا ليبين الطريق من محطة نفق كنتش تاون الى مسكنه . ثم اقتطع الورقة من دفتر الملاحظات وتركها على الوسادة ، ثم تأمل قليلا وعاد وكتب رقم التلفون .

ـ تعال في حوالي الساعة السادسة ، اذا ناسبك ذلك . اذن ؟

فقال غلاسب دون أن يرفع نظره عن اللوحة :

ـ حسنا .

كان السلم غارقا في ظلام كثيف ، فاخذ يتحسس طريقه بحذر . وكانت رائحة زيت البارافين حادة عند السلم ، واكتشف سبب ذلك عندما وطأ فوق بركة من الزيت المنسكب على اللوحات الخشبية وكاد أن ينزلق من السلم .

* * *

وهز الرجل ذو البذلة الرسمية الذي كان يقف في باب غرفة المطالعة راسه وابتسم عندما مر به سورم . وفك سورم ياقته وفتح سترته : لقد شعر بالحر من جراء الياقة . كانت تسير امامه امرأة ترتدي بذلة سباحة من الطراز الفكتوري . ودفعت الباب ودخلت ، فرجع الباب اليه بعنف

فصده بقدمـــه .

وابتسم له الرجل ذو البذلة الرمادية وذو النظرة الجادة الذي يقـــف في نافذة الاستعلامات ، وقــال :

ــ مرحبا بك . لم أرك منذ زمن .

ــ اهلا روني . كيف تسير الاحوال ؟

والقت المراة بنظرة حادة من فوق كتفها كانها ارتابت في انهما كانـــــا يتحدثان عنها . وتبعها سورم بنظره وقال معلقا :

ــ يبدو ان هذه الفاجرة قذرة المزاج . كادت ان تهشمني بالباب .

ــ نعم ، كانت على هذه الحال منذ يومين . تخاصم معها احدهم قبــل ايام لانها احتلت منضدتين فضربته بمظلتها . ومنذ ذلك اليوم اعلنتها حربـا عــلى الجميع .

فقال سورم متضاحكا :

ــ كم اتمنى لو رايت المشهد !

ــ اين كنت هـــذه الايام ؟

ــ اوه ، كنت انتقل من مسكني ، واشياء اخرى مختلفة . ولكن انظر ، يا روني ، هل يمكنك اسداء العون لي ؟ اريد الرجوع الى كتب تبحث في السادية .

ــ الا تعتقد انك تقوم بطفرة من علم الالوهيات التصوفي ؟

فقــال سورم محترسا :

ــ انها مجرد فكرة للقصة التي اكتبها ، خطر لي ان ادخل فيها شخصية ساديـــة .

ــ اه ، طيب ، هنالك الكتب المعروفة ــ كرافت ايبنغ ، وستيكل وغيرهما ، فمــا رايــك فيها ؟

ــ هذه كتب اولية ، ولا بد أن هناك مؤلفين اخرين عديدين .

ــ اجل . ولكن كثيرا من البحوث عن هذا الموضوع مكتوب بلغـــات اجنبية وتجده في مجلات طبية . عليك أن تلقي نظرة على المصادر الوحيدة في احد الكتب الرئيسية في الموضوع ــ كتب بلوخ او غيره ... انظر في قائمة المواضيع تحت عنوان « علم النفس » هل تريدني ان انظر لك ؟

ــ نعم ارجوك . ان هذه القوائم تربكني . انا ذاهب للبحث عن كرسي .

ووضع معطف المطر على ظهر الكرسي وترك كتابين للمراجع على الطاولة لئلا يحتلها شخص اخر . وفي المرحاض الذي يقع في الطابق الاسفل غســل يديه ووجهه بالماء الساخن وعاد الى غرفة المطالعة وهو يحس بالانتعاش . لم ير احدا في نافذة الاستعلامات ولكنه شاهد على طاولته كومة من كتب المراجع

فيها قصاصات من الورق تبين الصفحات التي يجب البحث فيها . وقضى ربع ساعة اخرى يبحث عن عناوين الكتب فى قوائم اسماء المؤلفين ويهيىء بطاقات الاستعارة لها . ثم ناولها للموظف واخذ معطفه وخرج من المتحف البريطاني . واخذ يحس بالجوع ثانية .

وفى احدى حانات شارع تشيرنك كروس تناول قطعة ساندويتش من لحم البقر وشرب زجاجة من البيرة . كانت الساعة لم تتعد الواحدة الا ربعا . ولم يكن يتوقع وصول كتبه قبل الساعة الثانية . وامضى الساعة التالية يتمشى بين دكاكين الكتب المستعملة واخيرا اقتنى الجزء الاول من « العالم ارادة وفكرة » . كانت نسخة قديمة تمزق غلافها بشدة . واحس بالسرور فى نفسه وهو يسير عائدا الى المتحف . كان بحاجة الى الكتاب منذ سنين ، ولكن اسعار النسخ الجديدة منه كانت تمنعه من شرائها .

كانت الكتب قد وصلت عندما عاد . وكانت غرفة المطالعة شديدة الزحام الان وقد انتهت فترة الغداء . كان جوها حارا خانقا بصورة اشد من قبل . فخلع معطفه وسترته واستقر فى مجلسه واخذ ينظر فى الكتب التي كانت تؤلف حاجزا بين طاولته وطاولة شخص اخر كان يجلس الى يمينه.

وبعد مضي وقت ما اخذ الدفء يشيع النعاس فى نفسه . فدفع عنه مجلدا عن حوادث القتل فى دوسيلدورف وراح يمطي ذراعيه وساقيه . وقرر ان يذهب الى المرحاض ليغسل وجهه مرة اخرى .

وحالما انتصب واقفا راى نن . كان يخطو نحو الطاولة الوسطى وهو يحمل مجموعة من الكتب . فظل سورم واقفا يرقبه يدفع بكومة الكتب على الطاولة الى ناظر المكتبة . وفى تلك اللحظة ، وكانه شعر بنظرة سورم ، التفت براسه . .فابتسم فى الحال ولوح بيده ، ولوح سورم له بدوره وتقدم نحوه .

— جيرارد ! ماذا كنت تفعل بحق السماء ؟

— اقـــرا .

— ما اعجب الامر ! منذ متى وانت هنا ؟

— منذ الثانية عشرة والنصف .

— انا ايضا كنت منذ ذلك الوقت . ما اجمل ان اراك . هل انت على استعداد لمغادرة القاعة ؟ لنذهب ونشرب الشاي .

كان سورم على وشك الموافقة ولكنه تذكر الكتب . فاذا اعادها اثناء وجود نن ، فليس هناك شك فى ان نن سيقرا عناوينها . ولم يكن يرغب فى ان يعلم نن شيئا عن فضوله الجديد . وقال :

— لا . . . لا استطيع الان . اريد ان اتم كتابي .

ـ مـا هو كتابـك ؟
ـ حياة القديسة تيريزا دي ليزييه ، اريد ان اتم الكتاب هذا اليوم .
اسمع ، لم لا تتقابل بعد نصف ساعة في محل ما ؟
ـ آسف علي أن اذهب لمقابلة احد الناشرين قبل الساعة الخامسة . ماذا ستفعـل الليلة ؟
ـ لا شيء .
ـ أذن فيمكنني المجيء اليك في حوالى الساعة السابعة؟يمكننا بعدئذ ان نذهب فنشرب .
ـ حسنـا . هـذا رائع .
وعاد الى كتبه وقد خامره احساس بالذنب . هنالك شيء طفولي يحيط بنن . وقد زاد من شعوره بالذنب الطريقة التلقائية التي اخذ بها سورم . لقد افتتن سورم بطريقة نـن هذه واعجب بها . واستبعد ان تكون بسبـب الميل الجنسي الشاذ فقط . ووجد انه من العسير عليه أن يمضي في قـراءة ذلك الكتاب عن كورتن دون شعور ، لا منطقي بالطبع ، بانه يخون نـن . وظل يقرأ مدة ربع ساعة اخرى ثم اعاد الكتب الى ناظر المكتبة . وطوى بطاقـات المطالعة ووضعها في محفظته . وفيما هو يخرج من غرفة المطالعة قال لـه المشرف على المكتبـة :
ـ امغادر انت يا جيرارد ؟
ـ اهلا يا روني . شكرا للمصادر .
ـ هل وجدت الكتب التي كنت تبحث عنها ؟
فقـال بعبوس :
ـ نعم شكرا . ولكني وجدتها فظيعة .
ـ لا يدهشني ذلك . اما تزال عازما على ادخال شخصية سادية في قصتـك ؟
ـ اظن ذلك . ولكني لا اعتقد اني ساجعلها على شاكلة واحد من هؤلاء. فيبدو ان جميعهم يفتقرون الى الانسانية .
ومشى بدراجته في الشارع القبطي وهو يطل في محلات شرب الشـاي اثناء مروره بها لعله يرى نـن . واخيرا ، اسند الدراجة الى شباك مطعـم لاينس كورنر هاوس واطل بنظره في الداخل . واحس لسبب من الاسبـاب بالامتعاض من نفسه ، فقد أورثته مقابلته مع نـن شعورا بالتوقع . وبدت له فكرة العودة الى مسكنه أشبه بالانتكاسة . واتجه نـحو شارع بلومزبري ستريت ومضى يتخيل غرفته ويستحضر جوها ومظهرها كيما يقرر هل هـو

يرغب فعلا بالعودة اليها . وقرر على الفور انه لم يكن راغبا . ثم تذكر دعوة المس كوينسي لزيارتها . كانت الساعة تشير الى النصف بعد الثالثة ولـم يزل الوقت مناسبا لمشاركتها الشاي . وفي محطة كامدن تاون اجتاز اضواء المرور بدلا من الاستدارة الى اليمين باتجاه كنتش تاون . وعندما بلغ منتصف الطريق الى هافرستوك هيل ترجل من الدراجة وراح يدفعها ، واحس بحرارة شديدة ، وضايقه المرور ، فلم يرهق نفسه بركوب الدراجة صاعدا الطريق .

وفي زاوية فيل اوف هيلت اخذ يرسل بصره محدقا خلف الفتاة التي كانت تبتعد عنه صاعدة التل . لقد احس فيها شيئا مالوفا . فامتطى دراجتـــــه وتبعها . وقبل ان يصل على بعد عشر ياردات منها تيقن من هويتها . فهتف :

ـ هلو ، كارولين !

فالتفتت كارولين وصاحت :

ـ هلو ، جيرارد ! ماذا تفعل هنا ؟

ـ انا ذاهب فى زيارة لجيرترود .

ـ انها ليست فى البيت . كنت هناك توا .

ـ وماذا تفعلين انت هنــا ؟

ـ جئت لامضي ليلتي هنا . وقد طلبت اجازة هذا المساء . تبـــدو شديـد الحرارة .

كان يلهث بشدة . واسند الدراجة الى حافة الرصيف .

ـ اجل . اكاد اموت من الحرارة . الى اين تذهبين ؟

ـ لتناول قدح من الشاي فى المقهى . هل يمكنك التسلق ؟

ـ قليـــلا ، لمــاذا ؟

ـ تسلق اذن من فوق الباب الخلفي لبيت العمة جيرترود وانظر اذا كانت قد وضعت المفتاح الاخر هناك . فهي تضعه عـــادة فى سقيفة ادوات الحديقــــة .

ـ حسنا لنذهب ونلقي نظرة .

وتناول يدها وهما يمشيان نحو فيل اوف هيلت ، ولكنها سحبتها على الفور :

ـ ينبغي الا تفعل ذلك . ربما تاتي العمة خلفنا بسيارة .

ـ هل يهم ذلـــك ؟

ـ ليس بالنسبة لي . ولكن لا حاجة بها ان تعرف اكثر مما ينبغي .

ونظر اليها وقد ادهشته صلابة نبرتها وتعقلها . فارسلت له قبلـــة بشفتيها وهي تبتسم :

واسند دراجته الى جدار الدار . واشارت الى سياج خشبي عـــال

فيـــه بوابــــة .

ـ هل يمكنك تسلقه ؟

ـ اظــن ذلــك .

واسند الدراجة الى السياج ووقف على عارضة الدراجة . فاستطاع ان يفرج ساقيه ويعبر من فوق البوابة ويتسلق نازلا الجانب الاخر من البوابة . فصــاحت :

ـ هل باب السقيفة مقفـــل ؟

فتحسس البــاب وقـــال :

ـ كـــــلا .

ـ طيب . افتحـــه اذن .

ورفع مزلاج الباب وفتحه لها . فدخلت السقيفة وخرجت بعد لحظة وهي تحمل المفتاح . واجال طرفه في ارجاء الحديقة ، كان يراها لاول مرة في ضوء النهار . كانت هنالك اسيجة من النبات وممر مبلط بالاسمنت يمر عبر ساحة الحشيش باتجاه اشجار التفاح في الجانب الاخر ، وكانت في وسط كل ساحة قطع مستديرة مزروعة بالازهار . وقال :

ـ الا تكترث ؟ اعني ، الا يزعجها أن ندخل بهذه الطريقة ؟

ـ كلا ابدا . انها تتوقع مجيئي على اية حال . هيا ادخل .

وفتحت الباب الخلفي . وقال :

ـ ما اسعد حظها ان تمتلك مثل هذا البيت .

ـ لم لا تطلب يدها ؟ فربما تنتقل انت ايضا الى هذا البيت .

ـ لا تكوني حمقــــاء .

وخلع معطف المطر وعلقه في اسفل السلم . اما هي فقد اخذت تمــــلأ الابريق بالماء لتضعه على الموقد الغازي . وقالت :

ـ انا لست حمقاء . لو كنت رجلا لفعلت ذلك .

واقبل سورم الى خلفها واحاط خصرها بذراعيه .

ـ اتمنى لو تسكن انت هنا .

والقت براسها الى الوراء وجعلته يقبل فمها . وترك يديه تستقران على جسدها لتتحسس تسطح فخذيها وكلابات جواربها . وقالت :

ـ اوه يكفي ! يجب ان نسلك بتعقل .

ـ لمــــاذا ؟

ـ ربمـــا تأتي العمــة .

ـ طيــــب

وافترق عنها وهو يشعر بتوتر فى معدته من جراء الدفء الذي ولـده الاحتكاك بها . وقالت بصوت ناعم :
ــ انا لا اريدك ان تكف .
وخلع سترته ، وقد احس فجأة بالتعب . وقــال :
ــ سأذهب لاغتسل . احس اني قذر .
وفى الحمام خلع بلوزه الصوفي وقميصه واخذ يغسل صدره ورقبتــه بالماء الدافيء . ثم اتكأ على الحائط واخذ يتثاءب بعمق . وسمع صوت كارولين تتحرك فى الغرفة المجاورة . وكان قميصه مبللا بالعرق . فدسه فى بنطلونه واخذ يمشط شعره وبدأ يشعر بتحسن . وكان قد غسل وجهه بأسفنجــة تكاد تكون جافة . ونظر الى نفسه فى المرآة ، فوجد انه بحاجة الى حلاقة ذقنه .
وانفتح باب غرفة نومها . فقال :
ــ مــاذا تفعلين ؟
ــ اغيــر مــلابسي .
ــ هـــل استطيع الدخول ؟
كانت ترتدي بذلة قطنية مزينة بالازهار . فوقف خلفها بينما هي تسرح شعرها وهي جالسة امام المرآة .
ــ هل تحتفظين بملابسك هنــا ؟
ــ بعضها . واكثرها قديمة .
ــ لا يبدو هذا قديما .
ومال فوقها وجعل يمر بشفتيه على اذنها . وقال :
ــ كان يجب ان ادخل قبل بضع دقائق .
وابتسمت له فى المرآة ثم وقفت . وحاول ان يضع ذراعيه حول خصرها ولكنهــا دفعتهما .
ــ لا . يجــب ان ننزل .
ــ لمــــاذا ؟
ــ قــــد تأتي العمــة .
ــ يمكننــا سماع السيــارة .
ــ والابريق اخذ يغلي .
وادارها ومن ثم جذبها نحوه . لم تكن تلبس حذاء ، فكان عليه أن ينحني ليقبلها . فاحاطت رقبته بكلتا ذراعيها . وكان لو اعتدل بموقفه لتعلقت على ارتفاع ست بوصات عن الارض . واحس بدفء شفتها السفلى التي كانت قد مدتها ، ثم احس بشفتيها ترتخيان فتفترقان . وكان جسدها مائلا الـــى

الخلف بين ذراعيه ، وقـــال :
ـ انـك قصيرة جـدا .
فقالت ضاحكة :
ـ انـك طويـل جدا .
وضغط على خصرها وشد به نحوه ورفعها عن الارض .
ـ ستتصلب رقبتي لو بقيت منحنيا على هذه الشاكلة !
وحملها خطوتين الى الوراء ثم اخفضها الى السرير ، فلمست ركبتاها من الخلف حافة السرير فجعلت جسدها يسقط على السرير . وقالت بلهجة حزينـــــة :
ـ يجب ان تسلك بتعقل . ربمـا تأتي .
فرفع ساقيها ودفع بهما على الفراش ورقد بجانبها وقبلها ثانيـة . وشعر بنفس حالة الهيجان والتوتر التي احس بها في الليلة الماضية ، ومر بـه احساس بالتكرار ثم اكتشف بصورة غريزية انها لم تكن متهيجة مثله ، فقبلها بعنف اكثر وهو يدعك ثديها الايسر باليد الاخرى . وما عادت تقاومه ودمته يغطيها الى منتصفها بجسده . فلما توقف عن تقبيلها قالت :
ـ انك لجريء حقا . يجب الا ...
وطمس كلماتها بقبلة وشعر بها تتوتر تحت ثقله ـ ثم استرخى واضطجع بجانبها ، ووجهه على الوسادة . فقالت بتوسل :
ـ لسنا في المكان المناسب . يجب أن آتي لزيارتك . لا نفع هنا .
فقـــال :
ـ طيـــب .
وادهشته البحة في صوته . فسعل لينظف حنجرته واخذ ينظر فـي وجهها . كانت ذقنها محمرة، فتذكر انه لم يحلق وجهه،كانت تضطجع وحدها على ذراعها الايمن ولم تكن تحاول ان تتحرك بالرغم من انه لم يكن ممسكـــا بها . وكانت حافة تنورتها العريضة مفروشة خلفها على الفراش . فـــدس ذراعه الايسر تحت رقبتها وسحبها نحوه مرة اخرى . وتمكنت من ان تحس بتهيجه . وشعر بدقات قلبها بينما كان يقبلها . ثم ضغط بيده اليمنى على فخذها من الخلف ثم حركها الى ردفها واخذ يتحسس نعومة لباسها الداخلي باطراف انامله وقـالت :
ـ ليس الان ارجوك ، يا جيرارد ...
وانتبها في وقت واحد الى صوت سيارة . وقال مزمجرا :
ـ يا لله . ما اتعس الحظ !

فجلست على حافة السرير وانزلت رداءها . واطلت في المرآة واخذت تعدل شعرها باناملها . ونظرت الى وجهه الذي يعبر عن الضراوة والكـآبة وانحنت لتقبله .

ـ هيا ، انهض . يجب ان اسوي الفراش .

فدحرج نفسه على مضض وهو يدمدم . وقالت ضاحكة :

ـ يكفي عبوسا واذهب لتهيئة الشاي .

وسمعا صوت باب سيارة يغلق . وقال :

ـ لا استطيع.انا مستعد لاغتصاب اول فتاة التقي بها.حتىجيرترود.

ـ سيكون من دواعي سرورها على ما اظن !

وركضت خارجة من غرفة النوم وهبطت السلم . اما هو فقد دخـل الحمام وجلس على حافة مقعد المرحاض وهو يحدق في قدميه . وما لبث ان خفت الهيجان الذي كان يحس به في كتفيه وفخذيه . وسمع صوت مفتـاح يولج في الباب الامامي ثم الباب يفتح .

وهتف صوت كارولين :

ـ هـلو ، ايتها العمـة .

فقالت المس كوينسي :

ـ هلو ، ايتها العزيزة ، كيف دخلت ؟

ـ استطاع جيرارد ان يجلب مفتاح الباب الخلفي .

ـ جيـرارد . . . ؟

وتقهقرت اصواتهما الى المطبخ.ونظر الى نفسه فيالمرآة، وسرح شعره واراد ان يخلق سببا لوجوده في الطابق العلوي فسحب سلسلة المرحاض ، ثم تأكد من هندامه وخرج نازلا .

كانت كارولين وحدها في المطبخ تسكب الماء في وعاء الشاي . وعندمـا رمقها بنظرة تساؤل ، اشارت الى الباب . فذهب الى الغرفة الاخرى فوجـد المس كوينسي تخرج عددا من الكتب من حقيبة يدها وتنضدها في المكتبة . وقالت بلهجة مشرقة :

ـ هلو جيرارد . ماذا جاء بك الى هنا ؟

ـ كنت آمل في مشاركتك شرب الشاي .

ـ هل هناك امر هام ؟

ـ كلا . . . كنت في المتحف البريطاني هذا المساء ، وتعبت من القراءة فخطر لي أن آتي لزيارتك .

ـ جميل منك . كان يجب ان تتصل بي تلفونيا . كم مضى عليك هنا .

ـ خمس دقائق فقط . التقيت بكارولين في نهاية الشارع . . .
فابتسمت له .
ـ على كل ، يجب ان تاتي في امسية اخرى . هل تبقى للعشاءهذهالليلة.
ـ ومـاذا عن اجتماعك ؟
ـ لا داعي للمجيء اذا لم ترغب . يمكنك ان تذهب مع كارولين في نزهة في منطقة « هيث » . ينتهي الاجتماع في التاسعة .
ـ كلا . اود ذلك ولكني على موعد مع اوستن . . . على كل حال ، ليس لدينا الكثير مما نقوله لبعضنا ، اليس كذلك ؟
فقـالت بصوت مرح :
ـ كلا . اعتقد انك على حق .
وضعت يدها على ذراعه وعصرتها وهي تمر به وتبتسم . وراح يتساءل ما الذي جعلها بهذا المزاج اللطيف . وجعله ذلك الشعور الطفيف بـالذنب حول كارولين يشعر انه كان سعيد الحظ الى حد غريب مهما تكن الاسباب .
وعندما سمعها تتحدث الى كارولين في المطبخ احس بالفرح لانه سيرى اوستن فيما بعد . فلم يكن لديه عذر للبقاء . لقد كان يشعر وهو مع المرأتين معا في نفس الغرفة باحساس من الانقسام الذاتي يستنزفه ، وكـان يحس بأنه يقع ضحية .

الفصـــل الثـــامن

ــ بالله عليك ! يكفينا ما شربناه من الوسكي ! ستتورم عينـاي قبـل الوصول الـى النادي .

فقـــال نـــن :

ــ اشرب ما في استطاعتك .

وناول سورم قدحا مليئا الى منتصفه بالوسكي . وقال نـن :

ــ والان . حان وقت الطعام . لنر ما عندنا في الثلاجة .

ــ هل تسمح لي بالقاء نظرة على مطبخك ؟

ــ تفضـــل .

وتبع نـن خارج الغرفة وظل واقفا في باب المطبخ يرقبه وهو يخـرج الطعام من الثلاجة ويصفه على عربة صغيرة . وقـال :

ــ ما اوسع مطبخك ! ويكفي لتجزئته الى اربع مطابخ .

ــ كان لعمي ، وكان عمي يميل الى اقامة حفلات العشاء الكبيرة التـي تستلزم عددا من الطباخين . انه في الواقع اوسع مما احتاج ، ولكن يعجبني ان يكون هناك مجال واسع اثناء الطبخ .

وكان الانطباع الذي يتركه المطبخ هو انه كان في الاصل معرضا لادوات المطبخ او انه نقل مباشرة من «معرض البيت المثالي» . كانت رفوف الاطباق الزجاجية والخزفية وقدور القلي المصطفة وحتى الطاولة الخشبية الكبيرة التي تتوسط الغرفة كانت كلها تدل على ان المطبخ لم يستعمل ابدا . وكان في المصطبة المطلية باللون الابيض القريبة من المدفأة الغازية عدد مـــن الازرار الكهربائية مثبتة على حافتها . وكانت الاشكال المرسومة على الجدران باللونين الاصفر والابيض تتكرر نفسها على الرخام في ارضية الغرفة . وقال سورم :

ـ الا تلتقي ابدا بالفتيات اللواتي يحاولن الزواج بك للاستمتاع بهـذا المطبـــخ ؟

حدث ذلك فعلا . ولكن منذ مدة طويلة . ولذا لا ادع الفتيات يرينـه بعد . هل يعجبك الهليون ؟

ـ لا اعتقد اني ذقته في حياتي .

ـ حقا ؟ اذن فابدأ بـــه .

ـ ما هو راي جيرترود في هذا المكان ؟

ـ تاتي احيانا وتستعمل هذا المطبخ ، عندما تريد ان تهيء طعاما غريبا. فهناك اجهزة توقيت كهربائية لكل شيء . . . خـذ !

ودفـع العربة فجاة دفعة جعلتها تنطلق نحو سورم. فقال سورم ضاحكا:

ـ مخبـــول !

وامسك بها قبل ان ترتطم بالجدار . كانت تحمل صحنا عليه اعـواد الهليون وفرخ دجاج بارد انتزع احد فخذيه . وكان هناك ايضا وعاء زجاجي فيه سلطة ميونيز تبدو جامدة من البرودة . وقال سورم :

ـ ماذا كنت ستفعل لو لم استطع مسكها ؟

ـ لكنت ذهبت بك الى احد المطاعم . هلا دفعت العربة هناك ؟ اني اضع الزبد على الخبز . وباشر بالاكل ، ستجد الصحون وغير ذلـــك تحت . وساجلب انا السلطـــة .

وفي غرفة الطعام انتزع سورم جناح الفرخ واخذ يقطعه الى شرائـــح عديدة وترك الفخذ لاوستن . وملأ صحنه بالهليون ثم تناول بالملعقة قليلا من الميونيز الجامد ووضعه على جانب الصحن . ثم اسند احد الكتب علـــى الوسائد واخذ يطالع . وسمع في المطبخ صوت فلينة تنطلق من زجاجة .

واقبل نـن اليه بينما كان يقرأ وكوم شيئا من السلطة في صحنـــه . وقـــال نـن :

ـ وجدت بعض الشمبانيا .

ـ حسنا . ولكن لم يزل لدي قدح الوسكي ذاك .

ـ اشربه فيما بعـــد .

وتوقف سورم عن القراءة عندما ترنح الصحن وكاد يسقط من عـلى ركبتيه . وقـــال نـن :

ـ انتظر . ساحضر لك صينية .

وبعد ان اجال بصره حوله قليلا ، قال :

ـ لا اجد واحدة . استعمل هذا .

وسحب كتابا كبير الحجم رقيقا من المكتبة وناوله لسورم . فسأل سورم :
ـ مـــا هذا الكتاب ؟
وفتحه فوجد اوراقا موسيقية كتبت بقلم الرصاص وقد رسمت رموز غريبة الشكل بيـن السطـور .
ـ هل يمكنك معرفته ؟
ـ كلا . فلا استطيع قراءة الرموز الموسيقية .
ـ انها ليست مجرد نوطة موسيقية . انها النسخة الخطية الاصليـــة لـ « طقوس الربيع » لنجنسكي . وهذه الرموز المضحكة هي نوطة الرقص التي استنبطها هو . هذا خطه في أعلى الصفحة .
ـ اين حصلت عليــــه ؟
ـ من احـــد بائعي التحف .
واستأنف سورم تناول الطعام . وترك المخطوط مفتوحا على الوسائـد بقربــه . فقال نن مبتسما :
ـ الا تستطيع الاكل دون النظر اليــه ؟
ـ انه احساس غريب ... ان تعلم انه كتب كل ذلك بيده .
ـ هذه الكلمات المكتوبة بالحبر الاخضر على الغلاف هي بخط سترافنسكي .
ـ صحيــــح ؟
ـ لاحظ ، لا تأكل عود الهليون بأكمله !
ـ اليس المفروض ذلـــك ؟
ـ كـلا . كل الى الجزء الصلب . مثلي .
ـ آه ، بهــــذا الشكل . شكرا .
ومد يده ليتناول قدح الشمبانيا . وقال :
ـ لنشرب نخب فاسلاف .
وافرغ القدح جرعة واحدة . وانساب في اعماقه احساس بالـــدفء والبهجة كتيار كهربائي ضئيل . واعـــاد نـــن الكلمات :
ـ نخب فاسلاف نجنسكي .
ثم شرب الكأس . وقال سورم :
ـ اعتقد انه من اللطيف ان يكون المرء غنيا .
فعبس نـــن :
ـ افضل من ان يكون المرء معدما . ولكن الغنى لا يضمن لك شيئا .
ـ كـــلا ؟
وضحك وهو يحس انه ينبغي عليه ان يعبر عن السرور الذي يشعر به .

وقـــال نـــن بفضول :
ــ لمـــــــاذا تضحك ؟
ــ كنت جـــائعا .
ولكنه لم يخبر نـــن بالسبب الحقيقي لضحكه : ذلك انه احس فجـأة بانه على وفاق مع وجوده ، في وسعه ان يزن وجوده ، وان يلخصه ، ولايشعر بغير الامتنان . لقد كان يسره ان ينقل هذا الاحساس الـى نـــن ، لشعوره بالامتنان له لانه كان السبب في تبصره في أعماق نفســه ، ولكن مجرد نقلـــــه بالكلمات لم يكن ليعني شيئا . ونهض سورم وصب المزيد من الشمبانيا في كــلا القدحين . وقال :
ــ يدهشني انك شديد الحماس لنجنسكي . انك لــم تره يرقص .
فهز سورم كتفيــه :
ــ ليس ذلك . هنالك شيء اخر ... الاستقلال . نوع من الحيويـــة المجـــــردة .
ــ ويدهشني انك لا تفضل عليه شخصا مثـ ل.د.هـ. لورنس الـــــذي يعبر عن ذلك بوضوح اكثـــــر .
ــ كلا . لا يمكنني التعلق بلورنس . انه بالنسبة الي يمثل ما كـــــان يمثله نجنسكي ولكن بطريقة مخففة محلولة . انه دائما يولد لدي الشعور بانه يكترث كثيرا للاشخاص . انهم يشاكسونه وهو لا يحبهم كثيرا . على كل حال ، فقد كان مخطئا في كل ما قاله عن الجنس .
ــ اظن اني لا اتفق معك . اني لشديد الاعجاب بــه .
ــ طيب . لندع النقاش حوله . قل لي ، ما هو سبب هيام جيرترودبك؟
ــ لست أدري . يعرف واحدنا الاخر منذ مدة طويلـــة ...
وابتلع آخر لقمة من فخذ الدجاجة ووضع العظمة بعناية على جـانب الصحن وقال ، وكلماته في غير محلها بصورة واضحة :
ــ يسرني أن امورك تسير على ما يرام مع جيرترود .
ــ انها رائعة ، ولكن ما يزعجني هو انغماسها في الدين .
ــ لا تدع ذلك يزعجك . انها تميل اليك .
ــ هل تعتقد انه كانت لها اية تجربة مع الرجال ؟
ــ قليلا جدا ، ربما . لماذا ؟ هل تجدها جذابة ؟
فقـــال سورم معترفـــا :
ــ انها النوع الذي يعجبني . رشيقة . جميلة القوام .
ــ ولكن ارجوك الا تضطجع معها . فان ذلك سيجلب لها الضرر .

ـ لمـــاذا ؟

ـ لانها تحمل كل الامور على محمل الجد واذا كانت بحاجة الى رجـــل وهي في هذا العمر المتأخر ، فينبغي لها الزواج .

فقـــال سورم باكتئاب :

ـ اقول انك على حق .

وندم لانه فتح الموضوع ، فانه لم يكن على يقين من نفسه فيما اذا كان جادا في علاقته مع جيرترود كوينسي . وبدا له الحديث عنها سابقا لاوانـــه .

وقـــال نـــن ، كأنه قرا افكار سورم :

ـ لا تغتم ! فلست ارتاب في نواياك تجاه جيرترود . على كل حال ، أنها كبيرة السن بالنسبة لك . وليس هذا سبب رغبتك في زيارتها ، اليس كذلك؟

ونظر سورم اليه باهتمام :

ـ كلا . ليس هذا . ماذا تعتقد انت ان يكون السبب ؟

ـ شيئا يتعلق بمعتقداتها . لا يمكنك الاستنتاج هل انها غير مخلصـــة في معتقداتها .

ـ تخمين لا بأس به ! ولكن الامر لا يتعلق بجيرترود فقط . . . انـــه يتعلق بي . اريد ان اعرف النقاط التي اختلف فيها معها . اتعلم . . . يجب ان يصيبني انهيار عصبي او يجب أن تجري عملية غسل ذهنية او شيء اخر قبل أن استمرىء ذلك الهراء عن ان الكتاب المقدس هو المرجع الاخير عن كل شيء . . . لا يمكنني فهم ذلك ابدا . اعني . . . هل نشأت على هذا الاعتقاد؟ هل ذلك هو السبب ؟ فهي تبدو على جانب من الذكاء في النواحي الاخرى . هل تفهم ما اعنيه ؟ لو أنها وضعت على راسها شعرا مستعارا وادعت انهـــا مدام دي بومبادور لما حيرني امرها . . . فيمكنني أن اتصور شخصا في رأسه افكار غريبة . ولكنها تبدو تامة الاتزان . انها ليست من طراز اوليفـــــر غلاسب . . .

ـ أوليفر ؟ هل تعرف اوليفر ؟

وتوقف سورم ، واحس ، لفترة قصيرة ، كأنه افشى سرا . ثم استعاد حالته وقال :

ـ نعم . ذهبت بالامس لزيارته .

وبدت الدهشة واضحة في وجه نـــن :

ـ لم زرته ، باللـــه ؟

ـ كان ما أخبرتني به عنه اثار فضولي . ثم اني اعجبت برسومه . وقد اعطاني الاب راكوسي عنوانـــه .

ونظر اليـه نـن باهتمام :
ـ انك لغريب الاطوار حقا ! لم لم تخبرني بذلك ؟
ـ نويت ان اخبرك . فليس فى الامر سر .
ـ وعــم تحدثتما ؟
ـ لم نتحدث كثيرا . وظننت انه سيكون فظا قبل كل شيء . وزمجر كـالكلب .
ـ هذا ما يتصف بـه اوليفر !
ـ ثم تحدثنا عن ... اوه ، الدين والتقشف ، واخيرا عن القتل ...
ـ هذا ما يتصف بـه اوليفر ايضا !
ـ لماذا ؟ هل الحديث عن القتل من المواضيع المفضلة لديه ؟
ـ اجل . انه من مواضيعه المفضلة .
ـ يدهشني ذلك . لمـاذا ؟
ـ لا اعلم . انه دائم التفكير في الالم والعذاب . انه يدع هذه الافكـار تقوده الى الشرود احيانا . وهو يتأمل فى هذه الامور اكثر مما ينبغي . عندما التقيت به لاول وهلة ، كانت لديه نظرية ما ... دعني افكر ... اجل .. كان يعتقد ان الحياة انما هي استعداد للعذاب الابدي . وقد هيأ كل تفاصيل هذه النظرية . يعمل الجسد على صد الالم ، ولكننا مع هذا نتألم طـول الوقت . وعندما نتحرر من الجسد لا يوجد هناك ما يصد الالم ... فيبقـى الالم الابدي . وقد استنتج من تلك الفكرة أن على الانسان ان يعوض نفسـه للعذاب دائما..على سبيل التمرين للعذاب الابدي. واعتقد انه كان يرتدي دائما قميصا مطعما بالمسامير .
ـ حقا ؟ لم اتوقـع ذلك .
ـ ولكنه لا يبدو ان يكون مخبولا ،اوليفر هذا . اعتقد ان له قـدرة على التنبوء حقـا .
ـ هل انت جاد فى قولك ؟
ـ تماما . اتعرف انه من عائلة ارلندية ؟
ـ ظننته من يوركشاير ؟
ـ من لانكشاير . ايرلندي من ليفربول . لا اعتقد انه زار ارلندة يوما . وقد اخبرني احدهم مرة ـ اعتقد أنه الاب كاراثرز ـ بأن جدة اوليفر كـانت امراة معروفة تجمع بين عمل السحر والقداسة فى كاونتي كلير ... انهـا تقوم بالتنبوء والوساطة وغير ذلك . وتظهر هذه الاعراض على اوليفر احيانا.
ـ كيـف ؟

ـ عدني الا تخبره بذلـــــك .

ـ اعــــدك .

ـ طيب . لقد اضطرب نومه مرة واخذ يرى الكوابيس . فأخبر صاحبة البيت في صبيحة احد الايام ان شخصا يدعى توماس سيموت قتــلا في ذلــك الليلة . فظنت صاحبة البيت انه مصاب بخبل . وفي تلك الليلة نصب كمين لرجل يدعى توماس فعلا وحاول اللصوص سرقة محفظة نقوده ، ولكــــن ضربتهم كانت قاسية جدا فقضت عليه . وقد راى اوليفر الحادث في حلمــه كمــا وقع بالضبــــط .

واحس سورم ان شعره ينتصب على جلدة راسه . وقال :

ـ يــــا الهي !

ـ ولم يستطع اوليفر الرقاد في الليلة التالية ـ فقد الحت عليه الاحلام . ولحسن الحظ ، فقد ارسلته صاحبة البيت لمراجعة طبيب فارسله الطبيب بدوره الى طبيب نفساني . وهيأ له الاب كاراثرز المـــال ليدخل مستشفى الامراض العقلية فترة من الزمن . فشفي بعد ذلك . ولكن حلمه بحادثـــة القتل قبل وقوعها ما يزال حقيقة واقعة .

ـ هل انت متأكد من انه حلم بالحادث قبل وقوعه ؟ اقصد ، هل هناك دليـــل على ذلـــك ؟ هل حاول الاتصال بالشرطة مثلا ؟

ـ لا اظن ذلك ، حسب ما اعلم . ماذا كان يمكنه ان يفعل ؟ ان كلابهــام كومون منطقة واسعة وهناك الاف من الناس في لندن يحملون اسم توماس .

ـ من قال لك ذلك ؟ اوليفر نفســه ؟

ـ كلا . الاب كاراثرز .

ووزع آخر ما بقي من الشمبانيا على القدحين . وقال :

ـ والان ، ما رأيك في فاكهة ؟ هل تريد خوخا ام بوظة ؟

ـ لا اريد شيئا ، شكرا . كان الطعام لذيذا .

ـ لم تنه قــدح الوسكي .

ـ لم ابـــدا بــه بعد !

ونظر نـــن الـى ساعته .

ـ النصف بعد العاشرة . الوقت لم يزل مبكرا للذهاب الى البلالايكا . يجب ان لا نكون هناك قبل الساعة الحادية عشرة والنصف . هل يضيرك ان افرغ من بعض النداءات التلفونيــة ؟

ـ كلا ابدا . اخشى ان اكون في طريقك ؟

ـ كلا ، سأذهب لأستخدم تلفون غرفة النوم . انظر ، اشرب قليلا مــن

الوسكي ان اردت . لن اتأخر ...

وغاب في غرفة النوم . وتثاءب سورم ثم تمطى . كان يحس بقليل من السكر . وانتظر حتى سمع رنين جرس التلفون عندما رفع نـن السماعة من قاعدتها وسكب كمية كبيرة من قدح الوسكي في القنينة . كان ينتظر هـذه الفرصة منذ ان صبه له نـن . ثم جلس ثانية وامسك بالقدح الذي كـان لا يحتوي اكثر من ربع بوصة من الكحول واحس كأنه في حلم غريب،كأنه لا جسد له ، وراح يتصفح مخطوط نجنسكي .

* * *

وفتح عينيه عندما اجتازت السيارة شارع ايجوير رود ، ثم اغلقهمـا ثانية . وقـال نـن :

ــ هل تتذكر سقراط في محاورة « المأدبة » ؟ عندما زحف جميـع السكيرين المتمترسين تحت الطاولة ، ظل متيقظا يتحدث عن المأساة . كـان نيتشه يمقته ، غير انه كان يحمل صفات السوبرمان . هل جرفك النوم ؟

ــ كـلا .

ــ لا تنـم . هـا قد وصلنا .

ونشطت حيوية نـن في الساعة الاخيرة . وبالرغم من اصرار سورم على الا يشرب المزيد من الخمر فقد قبل قدح وسكي آخر واخذ يصغي الـى نـن وهو يتحدث عن ابيه . وشعر سورم انه ازداد سكرا ، فقد اخذت متـاعب نهاره تظهر فيه . وقد ساعد هواء الليل على انعاشه .

وتوقفت السيارة في شارع ضيق ووقفت بين بوابات احد المصانع وصف من البيوت القذرة . ومد سورم يده الى قبضة الباب . وقال نـن :

ــ انتظر ، سأرجع بالسيارة الى تلك الارض الخالية .

ولمح نـن شظايا الزجاج المهشم تعكس ضياء السيارة الخلفي ، وصعدت السيارة الرصيف برجة . وتناهت اليهما سعلات البخار الصادرة من قطار يسيـر ببطء . واغلق سورم الباب ونزل مترنحا . فامسك نـن بمرفقه :

ــ سر باعتدال ، ايها الصبي ! الى الامام !

فرفع سورم عصاه الى مستوى كتفه وهو يؤشر .

ــ كم يبعد المكـان ؟

ــ مسيرة عشر دقائق . انها ستوقظك . هيا ، ايها الصبي !

فقال سورم مكشرا عن اسنانه :

ــ انك تناديني كأني كلب الزاسي .

ــ لم اكن اقصد ذلك . هل سبق ان ذهبت الى ماخور ؟

ـ هل نحن ذاهبان الى ماخور ؟
ـ تقريبا . لا تقلق ، انهم قوم مهذبون .
ـ هل ذاك الذي يقف هناك رجل ؟
ـ يبـــدو كذلـــك .
كان الرجل مستلقيا على الرصيف وراسه في مجرى القاذورات . كـان ساكنا بلا حراك ، ولكنه تململ عندما اجتازا الشارع باتجاهه . وقال نـــن مخاطبـــا الرجـــل :
ـ هـل انت بخير ؟
ووخز عجزه بعصاه . فقال الرجل بصوت غليظ غير واضح :
ـ يا حبيبي . اذهبوا عني بالله عليكم .
ـ لقد اغلقت الحانات . حان وقت عودتك الى البيت .
ورفع الرجل جسده وجلس على ركبتيه وراح يزحف على الرصيف . وجلس بعنف فارتطم راسه بالجدار . وقال :
ـ يا حبيبي . اذهبوا عني . للنوم .
فقـــال نـــن :
ـ سمعـــا وطاعـــة .
وداس نـــن على ساقي الرجل الممتدتين ، وقال :
ـ فرجيل يقود دانتي الى الدائرة الثانية .
ثم اردف بالايطالية : حيث تصمت الشمس . ثم اتم عبارتهبالانكليزية : حيث تغلق الشمس مصيدتها .
فقال سورم ضاحكا :
ـ ليس فرجيل وانما مفيستوفيليس .
ـ ما اجمل الافكار التي في راسك ! اود ان ارتدي الملابس الداخليـــة الحمـــــــراء .
وسال الرجل الذي يقف خلف الباب : اعضاء ؟
فاجـــاب نـــن :
ـ انـا عضو .
ـ هل تحمل بطاقتـــك ؟
ـ ما هذا اللغو ، يا سام . الا تعرفني ؟
ـ اسف ، لا يسمح بالدخول بعد منتصف الليل بدون بطاقة .
ـ لم احمل بطاقة في حياتي .
ومال نن الى الامام وهمس شيئا في اذن الرجل . واستقرت نظـرة

الرجل على المحفظة التي نقر نسن عليها بعصاه . ثم التفت الى سورم ، وقال :
ــ هل هو على ما يرام ؟
ــ بالطبع . اكثر وعيا مني .
عشرة شلنات لكل منكما . العضو وضيفه . وقعا السجل رجاء .
كان السلم ضيقا . وتذكر سورم محلات شرب القهوة العديدة في سوهر وتشلسي . ورأى لافتة على الباب كتب عليها : نادي بلالايكا : للاعضاء فقط . وكانت هنالك صور آلة البانجو تحت الكتابة .
كان اول ما وقع بصر سورم عليه هو قاعة واسعة تزدحم بالرجال والنساء . وكانت الاضواء مغلفة بالاوراق الوردية . وكان يقف على ارضية عالية اربعة من الزنوج يعزفون على الاتهم موسيقى مرتجة غليظة تؤذي الاعصاب ، وهرع لاستقبالهما رجل طويل القامة يرتدي سترة العشاء. وقال:
ــ طاب مساؤك يا مستر نسن . كيف حالك ؟
ــ بخير ، أشكرك ، يا متزي . الليلة رواد كثيرون .
ــ اه ، نعم . كانت الليلة مزدحمة . هذه طاولتك يا سيدي .
وتقدمهما عبر حلبة الرقص الى مائدة في زاوية القاعة . وسحب نسن المائدة لسورم قائلا :
ــ اجلس انت في الداخل ، يا جيرارد .
وسأل الرجل :
ــ ماذا تطلبان !
ــ شامبانيا ، كما اعتقد . الا تعتقد ذلك يا جيرارد ؟
فقال سورم :
ــ اي شيء .
كان يفضل الصودا فقط ، ولكنه لم يشأ ان يطلب .
ــ شامبانيا ، ارجوك يا متزي .
وبينما كان نن يوجه الطلب ، سنحت الفرصة لسورم ان يجيل بصره . لم ير شيئا يستوقف نظره في الصالة او في الأشخاص الذين كانوا يرقصون . ولم يكن يلوح على احد منهم السكر . وكان على مقربة منه رجل يرتدي بذلة مسائية يقبل فتاة دافعا براسها الى الجدار . وكانت احدى يديه، التي غطى جزء منها غطاء المائدة ، مستقرة على فخذها . ثم تخلصت منه وقالت بصورت رجالي غليظ :
ــ ابتعد عني ، هيه ؟
واشاح سورم بعينيه بسرعة ، فوجد نسن يرمقه باستمتاع .

ـ كيف تجد المكان ، يا جيرارد ؟
ـ لم ار شيئا بعـــد .
ـ اسمع ، يا جيرارد . لم لا نهرب ؟ بعيدا عن انكلترا ؟ نذهب الـــى بلـــد آخر .
ـ لقد اقترحت علي ذلك تلك الليلة .
ـ صحيح ؟ وماذا كان جوابك ؟
ـ لا اتذكر . ولكن الخطة غير عملية .
ـ لمـــــاذا ؟
ـ لاسباب عديدة . قبل كل شيء ، لا املك النقود .
ـ اعرف ذلك ! ولم اكن اتوقع انك ستنفق شيئا !
ـ هذا ما يجعل المسألة اصعب !
ـ لمـــاذا ؟
ـ اوه ... لا يمكنني ان آخذ نقودك . وثانيا ، لا اريد ان اضيع وقتـــي مطوفا حول العالم . افضل البقاء في لندن للعمل .
ـ يمكننا العمل على ظهر السفينة . هنالك متسع من الوقت . يمكننا الذهاب الى الهند ...
ـ قلت لي اميركا الجنوبية في ذلك اليوم !
ـ كلا ، الهند . لنذهب الى الهند . اتعلم ، يا جيرارد ، ارغب في الالتحاق بدير للبوذيين فترة من الزمن ... يمكنك العمل هناك !
ـ افضل البقاء في لندن .
ـ ولكن لم ؟ لقد اعترفت لي قبلا بانك مللت لندن .
ـ كنت مللتها . هذا صحيح .
ـ الا زلت تشعر بالملل ؟
ـ ذلك هو الغريب في الأمر يا اوستن . منذ ان التقيت بك اخـــذت اشعر احسن من قبل ... اخذت احس بوجود غاية .
ـ ولكن الملل سيصيبك ثانية عندما ارحل الى الهند !
ـ انـــك لا تفهم .
ـ طيب اشرح الامر لي ...
واخذ سورم يجتهد للتغلب على سكره . كانت افكاره واضحة ، ولكنه احس بالمجهود الذي ينبغي عليه ان يبذله ليعبر عن هذه الافكار دون ان تترنح في فمـــه الكلمـــات .
ـ الا ترى ، يا اوستن ، ان الامر هكذا . قبل ان التقي بك ، كنت اشعر

... كلا ، ليس ذلك ما اعنيه . ما اعنيه هو ... كنت احس باللاهدفية . تلاحظ ؟ كنت اعيش من يوم لاخر ... لماذا ؟ لانني كنت حيا ، وما دمت حيا فمن الايسر ان تعيش من ان تفعل اي شيء اخر . ولم يكن الامر كذلك دائما . فكما تعلم ، عندما كنت اعمل كنت اعتقد بان رغبتي الوحيدة في الحياة هي ان اكون حرا ، ان اكون حرا في عملي وفي فعل ما اريده . وكنت اقضي الامسيات احيانا بقراءة كتاب او الاستماع الى موسيقى سمفونية وعندما يحين موعد النوم كنت اشعر بالانفعال و ... اشعر باني واثق تماما مما اريد عمله في حياتي الى حد لا يمكنني فيه النوم ، مجرد انني لا استطيع النوم . واعتقدت باني لو لم اكن مضطرا للعمل طوال اليوم لاستطعت ان افعل كل ما ارغب في فعله . هل تفهم ؟ كنت استطعت ان اقرأ الكتب وان استمع تلك السمفونيات في الساعة العاشرة صباحا فأشعر بالسعادة وتنتابني تلك الانفعالات قبل ان ينتصف النهار ، وبعدئذ يمكنني التفرغ للكتابة كالمجنون بقية النهار ، ما دام الوحي موجودا . هذا ما اعتقدت اني كنت سأفعله ...

ــ ولكن الامر لم يكن كذلك ، صحيح ؟

ــ كلا ، لم يكن كذلك . لقد اخبرتك كيف كان الامر . لقد بلغت مرحلة اعيش فيها كالحيوان ــ مجرد الاكل والنوم وشعور بالازدراء لنفسي يلتصق بي كالسخام . كنت اعلم بانه لو كان لدي المال الكافي لانفقت ايامي كلها اقتني الكتب والاسطوانات ــ او ربما مثلك اذهب الى باريس لسماع محاضرة لسارتر، او اذهب الى ميلان لاسمع غناء ماريا كالاس .

فتمتم اوستن :

ــ انت مرهف الحس ايها الولد العزيز .

ــ حسنا ، يكفينا ذلك . اعتقد اني نسيت كيف اعيش . لقد انزلقت الى هاوية القذارة والضجر ، هذا كل ما في الامر . ومنذ ان التقيت بك بدا ذلك الشعور القديم بوجود غاية يعود الي . اوه ، ولكنه ليس شعورا واضح المعالم . انه مجرد شعور بالانفعال والحماسة كأنك على وشك ان تكتشف شيئا . ولكنه شعور صادق . لقد كنت انت الذي حركت هذا الشعور ، غير انه لا يمسك من الناحية الشخصية .

ــ اوه ، بهذا الشكل ...

ــ لا تأخذ المسألة مأخذا شخصيا . سيؤلمني كثيرا ان تغادر ...

فقال نن وقد اكفهر وجهه :

ــ احترس . في يوم من الايام سيسعدك ان تهرب من لمحات الغائية هذه .

ــ لماذا ؟

وبدا على نن انه صحا فجاة من السكر ــ وراح يحدق في غطاء المائدة . وقــــال :

ــ الامر يعتمد على مقدار ما تنفقه للحصول عليها . . . ماذا حدث لــك؟ تبــــدو شاحبا .

ــ احس بجيشان ومرض . اعتقد ان الحر هو السبب .

ــ هل آتي لك بدواء ؟ خذ حبة من الانفوستورا . اني اتناول قرصــا منها كلما احس بالغثيان .

ــ كلا شكرا ، اعتقد من الافضل ان اخرج الى الهواء الطلق . . .

ــ هنالك باب بالقرب من غرفة التواليت ، تخرج الى الساحة الخلفية. يمكنــك الجلوس هنــاك .

فقــــال سورم :

ــ شكـــرا .

وتوقف الرقص ، ونهض سورم آملا ان يجد طريقه الى الباب دون ان يعيقه احد . ولكن لسوء الحظ ابتدات الموسيقى بالعزف ثانية على الفور . وقــــال نــن :

ــ اسمع يا جيرارد . اذا كنت تشعر بجيشان في معدتك فاصعد سلــم الحريق الى الباب الثاني الى اليســار ، فتجد حماما هناك .

ــ شكرا ، يــــا اوستن .

وشق طريقه بين الراقصين الى الباب ، وهو يحس بالعرق يتصبب على وجهه . كان الهواء الليلي باردا ، وشعر بتحسن وهو في الساحة . واخـــذ يحس كأن مخلوقا حيا مسطحا ، مخلوقا له ساقان ، راح ينقلب على قفاه في اعمـــاق معدتـــه .

كانت الساحة تسبح في ظلام دامس عندما خرج . ورأى سلم الحريــق فجلس على الدرجة الاولى ، فسمع حركة وهمسا في ركن بعيد من اركـــان الساحة . ولكن حالته لم تكن تسمح له حتى بأن يكترث وهو يضع خده عــلى قضيب الحديــد البارد .

ومر قطار على الجانب الاخر من الجدار وصفر ونفث البخار فجفـــل سورم ، وسقطت على وجهه بضع قطرات من الماء . وكانت السماء صافيــة مليئة بالنجوم . وتناهى اليه من الداخل صوت الموسيقى ، متعبة غير مترابطة.

وتقدم اليه احدهم عبر الساحة . وسمع صوتا رجاليا :

ــ اسمع ، الا تخرج من هنا ، بالله عليك ؟

واقترب الوجه منه ، كان زفيره يفوح بالتبغ والثوم . كان اكثر مما

يمكنه ان يتحمله . فقفز على قدميه وادار ظهره الى الرجل حالما لامست انفه تلك الروائح . كانت معدته تجيش ، فشد براسه على الحائط وهو يحس فى فمه بطعم الشمبانيا والوسكي والهليون فى وقت واحد . وانتابته حالة من عدم التصديق ، ودهش كيف امكنه ازدراد هذه الاشياء كلها ، اشياء تبدو كلها كريهة برمتها ، اشياء لا يمكنه ان يتخيل انه سيجدها لذيذة الطعم فى اي وقت . وطغى عليه كذلك الشعور بغبائه ، فكيف يشرب الشمبانيا في الوقت الذي لا رغبة له في شربها . وسمع وقع اقدام الرجل عائدا عبر الساحة . وهو يقول :

ــ اوه ، يا للمسيح ! انه مريض ، لنخرج .

وسمع اصوات اقدام تمشي . وقال صوت رجالي اخر :

ــ لنذهب الى محل اخر .

وخرجا من الباب. وشعر بالمقت يتأجج فى صدره لهذين الرجلين لوجودهما هناك ، واحس بالارتياح الشديد عندما غادرا .

وعاد مترنحا الى سلم الحريق وجلس هنالك ثانية ، مبتهجا للبرودة التي كانت تنفذ خلال ملابسه . ولكن معدته ظلت تتقلب وهو يحاول ان يتناساها . وبصق ثم مسح بيديه العرق من وجهه . وعرف ان الجيشان سيرتفع فى معدته ثانية ، وتمنى لو استطاع ان يتقيأ كل مافى معدته مرة واحدة، وادرك مدى تمرد معدته على كمية الكحول التي تناولها . وعندما احس مرة اخرى بالغثيان نهض واستند الى القضيب الحديدي واحس بموجات من الحرارة ترتفع من معدته كالحمى . وظل واقفا بضع دقائق وهو يسعل محاولا ان يهدىء نفسه ، وهو يفكر : لن افعل ذلك ثانية ، لن افعل ذلك ثانية ، لن افعل ذلك ثانية . واحس بالدموع باردة على اهدابه . واخيرا ، اقتعد السلم مرة اخرى ، وشعر بالعرق يبرد فى رقبته وعلى بطنه . وسمع صوتا فى الدهليز وخشى ان ياتي احد الى الساحة . ولم يات احد ، ولكن مجرد الفكرة اقلقته . ونهض ، محاولا ان يتذكر تعليمات نن بشأن الوصول الى الحمام . كان الباب الذي فى نهاية المنعطف الاول من السلم مقفلا ، فارتقى السلم ببطء الى المنعطف الثاني متوقفا مرة لينظر الى السكة الحديدية التي كان باستطاعته ان يراها الان . كان الباب مفتوحا ، فدلف منه الى رواق مضاء . وكان باب الحمام مفتوحا ايضا . فدخل وجلس على قرص المرحاض واتكأ على انبوب الماء . واحس بالرغبة فى الجلوس على هذه الصورة بقية الليل . كانت الحرارة ما تزال تتدفق من معدته وكانت غرفة الحمام تتضوع برائحة الورد، ولكنه احس بالنفور منها . وجعلت ارتعاشات معدته انفاسه تتشنج وجلس هناك حوالي ربع الساعة ، لا يرغب فى التحرك ، وهو يحدق فى خطوط الدهان

الثلاثة المتوازية على وجه حوض الحمام المطلي بالميناء المتفطر . وعاد الجيشان الى معدته فجثا على الارض واخذ يتقيا في المرحاض فلا يخرج شيء سوى كميات قليلة من سائل مر كان يبصقها على رسوم الازهار الزرقاء التي كانت تزين الجزء الداخلي من المرحاض . وراح يفكر : يا الهي ، ماذا فعلت بمعدتي فيكون هذا جزاؤها لي ؟ واخذ يحس بألم في ركبتيه فسحب قطعة من حصير الحمام ذات نتوءات مطاطية ووضعها تحت ركبتيه . وعندما تلاشى الجيشان سحب سلسلة المرحاض وتمدد على الارض مسندا راسه على حصير الحمام. وسمع احدا يحاول فتح باب الحمام ثم يذهب في سبيله وظل راقدا بلا حراك مدة عشر دقائق اخرى فكادت ان تاخذه غفوة .

وصاح صوت نـن :

ــ جيرارد . هـل انت هنا ؟

ــ نعـم .

ــ هـل تحس بخيـر ؟

فكشر وقـال :

ــ كـلا .

ــ هـل ادخل ؟

فجر نفسه جرا ونهض واقفا وهو يتمنى لو يذهب نن عنه ، وفتح الباب. فدخـل نـن :

ــ هـل انت بخير ؟

فقال سورم بصوت غليظ :

ــ تقيأت ثلاث مرات . واتوقع ان اتقيأ ثلاث مرات اخرى .

وجلس على حافة حوض الحمام .

ــ هل تريدني ان اوصلك الى البيت ؟

ــ كل ما اريده هو ان ابقى هنا. فترة قصيرة .

ــ مسكين يا جيرارد ! انا آسف تبدو مريضا .

ففكر سورم وهو يتميز غيظا : تعليق سخيف . وقال لنـن :

ــ ارجو ان تتركني لوحدي قليلا .

ــ حسنا . انظر ، لدي فكرة . سأعود بعد قليل . اغلق الباب .

ومال سورم الى الامام واغلق الباب خلفه . وجلس على الارض ثانية ودفن وجهه بين يديه . ولاحظ ان يديه قذرتان ، ربما بسبب التراب الذي علق بهما من سلم الانقاذ ، وادرك انه قد لوث وجهه به . ولم يحس بالرغبة في النهوض والتأكد من ذلك بالنظر الى المرآة . كانت الغرفة باردة،

وكان تيار الهواء يدخل الغرفة من تحت الباب . وسره ذلك . كان يخشى ان يحس بالغثيان مرة اخرى ، فقد تململت معدته كأنها تهدده عندما مرت بخاطره عرضا ذكرى الطعام .

وهتـــف نـــن :

ــ انـــا نـــن . هــل ادخل ؟

وفتح الباب مرة اخرى فلمح وجهه لمحة خاطفة في مرآة للحلاقة . كان يبدو كعامل منجم للفحم . كانت الدموع قد اختطت الاخاديد من بين القذارة.

ــ اسمع يا جيرارد . لقد رتبت لك النوم هنا ، فلديهم غرفة للنوم . هل يمكنك الصعود اليها الان ؟

ــ يحسن بي أن اغسل وجهي .

ــ لا تهتم . هنالك طشت للغسيل في غرفتك . تعال .

وتبعه سورم ليصعدا السلم . وقـــال :

ــ ما كان ينبغي أن تزعج نفسك . سأكون بخير بعـد نصف ساعة . ويمكنني العودة الى البيت .

ــ لا حاجة لذلك . لقد رتبنا كل شيء .

والتفت نـــن وقال بصوت خافت :

ــ انا باق ايضا ، على كل حال .

ولم يجب سورم ، كان يفكر : ارجو الا يكون قريبا مني .

واضاف نـــن وكأنه احس بهواجس سورم :

ــ سأمكث في الغرفة التي تقع تحت غرفتك . فاضرب عــلى الارض ان احتجت شيئـــا .

واحس سورم فجاة بالخجل من الشعور بالكراهية الذي اخـــــذ يصيبـــه ، وقـــال :

ــ اشكـــرك .

* * *

وكانت الحال افضل في الظلام . وسكنت نوبة الغثيان بعد نصف ساعة وتركته في حالة من الارتياح التام . كان صمتا غريبا ، مزيجا من التعب والقوة. لقد سره أن يرقد هناك على السرير المعد لشخصين وتصل الى سمعه نتـف من الانغام الموسيقية ، نحاسية بعيدة . كانت هنالك نافذة في السقف فوق رأسه ولكنه لم يستطع ان يتبين النجوم خلالها من جراء الغبار المستقر على زجاجها . وبالرغم من التعب فلم يزل يحس بالقوة الداخلية التي لازمــــه

الاحساس بها طوال النهار . كما اصابه شعور بالانقطاع ، كان جميع ما حدث له في الماضي لم يحدث في الحقيقة . وراح يتأمل : عنوان جـــيد للكتاب : « الاشياء لا تحدث » . واحس بأن حتى ادراكه بأنه سيموت لم يحرك فيـه شيئا ، فهو موقن بانه لن يقع شيء نهائي لا سبيل الى تغييره . وعندما خطر نـن بباله احس بالرثاء له ، وفكر : نـن مشتبك اكثر مما ينبغي . انه سوف لن يكون حرا . انه لا يدرك أن الاشياء لا تحدث ، وانه ليس هناك شخص هو هو في الحقيقة ، وان الانسان هو الله في صندوق .

وكانت اغطية الفراش رقيقة خفيفة ، ولكنه لم يشعر بالبرد . ثم غاب عن وعيه قليلا ولكنه استيقظ ثانية وهو يحس انه من العبث ان ينام فيبـدد شعوره باليقين . ولكن النوم داهمه بعد لحظات قليلة على كل حال ، ورأى نن في حلمه : كان نن يقف على سطح احد البيوت في باركلي سكوير وهو يصرخ مثل بتروشكا في السماء الليلية . واستيقظ فجاة ، وصورة نـن امامه ، كأنه موجود في الغرفة . لم يكن هناك احد . رأى نـن في حلمه يقف على السطـح يلوح بذراعيه ، وهو يصرخ بشيء في وجه السماء ، وعلى الارض تقـــف الجماهير وهي تراقب تلك القامة السوداء المتمردة وكان الكثير منهم يصيـح به ويحثه على القفز . ولكن نـن لا يقفز . كان سورم واثقا من ذلك وادخل وثوقه هذا السرور في نفسه . وكان سورم يقف في فناء الدار ، فهرع مرتقيـا السلم العاري ليصل قبل أن يلقي نـن بنفسه وهو يحس بانفعال مبهـــج ، لتيقنه من ان نورا من النبوءة سينبثق فوق مدينة لندن من اسلنغتون الـى ماريلبون ، ومن بريمروزهيل الى سنت جونس وود ، ويتدلى فوق حدائق كنسنغتن كالشمس الحمراء . ان نن لن يقفز . انه سيظل واقفا هناك ، اوستن ، فاسلاف ، بتروشكا ، على سطوح المنازل . ولكنه لم يكن في بيـت خــــال . كان في ماخور وهو يضطجع في احدى غرفه العليا . وكان اوستن معه .

كان يقف بالقرب من الشباك ، وهو يحدق من خلاله ، وكان ذلـــك الجسد الكبير العاري يبدو ، في نور الفسق ، كتمثال مرمري . كان الكتفـان عريضين ، ملفوفي العضل ، مثل كتفي راقص .

ولم يستطع سورم ان يرى عينيه . كانتا عينين صخريتين ، ليستـــا مغلقتين لتبدوا ساكنتين في دكنة الفجر ، ولم تكن كعيني القسيس الرمادية في وجه تمثال حجري قبيح . وعندما اغلق سورم عينيه رأى الراقص وجسده الكبير يتحرك دونما مجهود في الهواء ، يتحرك ببطء ، يتحرك دون أن يلقـى مقاومة ، ثم يعود الى الارض ، صامتا كالطيف . كانت معالمه واضحة جـدا . كان الوجه نحيفا عضليا ، ينحني اليه ، وقد ضفرت بخصلات شعره مسبحـة

من اوراق الورد ، كان وجه حيوان أسطوري ، وكانت عينا هـــذا الحيوان البنية تبتسم له ، متخطية حدود الخير والشر .

بارداً كان نور الفستق على السطوح الرمرية ، اكثر اتصالا بالواقع مـــن موسيقى الجاز . انك ستفقدينني يا عزيزتي . اروقة زجاجية تقود الى حيث لا يعلم أحد . .

ثم تلك القفزة ، اعنف من هطول نور الشمس على الجليد ، الى مـا وراء السرير ، عائمة من دون ضجيج ، الى الامام ، من خلال النافذة المفتوحة .

واضطرمت الانفعالات في صدره كالنار . ذلك اللون الرمادي ، السواد الدموي في النور الفضي ، بدأ يتحول الى لون احمر اخذ يصبغ الفجر الذي راح يتنفس فوق سطوح بادنغتن . حانت الخاتمة . والقيت بوردة من احدى النوافذ المفتوحة ، فراحت تتلوى فوق سطوح لندن التي تململت متيقظة،ثم سقطت ، وقد تفتحت اوراقها ، في نهر التايمس الملوث باللون الرمادي .

واراد ان يطلقها صرخة ، بكل ما في صدمة الذهول الذي اصابه من عنف : اذن ، فهـــذا مـــن تكون !

كان على يقين لم يسبق له مثيل من ان الشبه تام .

وعندما استيقظ كان ما يزال يحس بالسرور والدهشة اللذين ولدهما هذا الاكتشاف ، ولكنهما تلاشيا فيما هو يجيل بصره في الغرفة المضيئة . وقال بصوت عـال : فاسلاف .

القســم الثــاني

الفصل الاول

واحس بالغرفة باردة ، تلوح وكانها مهجورة . واشعل موقد الغاز تحت ابريق الماء ، واستلقى على السرير مغلق العينين . كانت الساعة تشير الى الربع بعد السابعة لقد استغرق ساعة وبعض الساعة ليقطع المسافة مشيا من بادنفتون . كان يحس بالضعف والتعب ، وباطمئنان غريب . وتساءل هل سيجد نن الرسالة التي تركها له على الوسادة ، فلم ير احدا عندما كان يغادر البيت .

كان الراديو مفتوحا في الغرفة التي تحته . وسمع صوت رجل يهتف . ماذا فعلت بزر ماكنة الحلاقة الكهربائية ؟ وكانت السماء تلوح خارج النافذة داكنة بالغيوم وبلون الفجر . كان يستيقظ مبكرا لاول مرة منذ شهور ، وقد صاحب هذا الاحساس شعور بالانتعاش وراح يتخيل في ذهنه خادمات مايل ايندرود وهن ينتظرن سيارات الباص ويتصور رجالا بملابس العمل يحملون علب طعام الغداء . وانخفضت سحب المطر كالدخان .

وهيأ الشاي وجلس على السرير ليحتسيه وقد غطى ركبتيه بالغطاء . كانت الغرفة قارسة البرد ، بالرغم من اشتعال الموقد الغازي . وظل يقرا الى ان وصل سمعه اشارة الوقت مشيرة الى الثامنة من الراديو في الغرفة السفلى .

والتقى بالفتاة الالمانية عندما عاد من الحمام . وقالت :
ـ هنالك رسالة لك على المنضدة .
ـ اوه ، شكرا .
كانت الكلمات مكتوبة على الغلاف بخط انيق غير مألوف ، ولكنه عرف العنوان في اعلى الورقة . وكانت الرسالة مطبوعة على الالة الكاتبة كما يلي :
هنالك شيء اريد ان احدثك عنه . هل يمكنك الاتصال بي تلفونيا عندما تستلم الرسالة ، رجاء ؟ جيرترود كوينسي .
ومر به نزيل الطابق الاول وكان يحمل حقيبة يدوية ، فاحتك به وقال متضايقا : عفوا . فتحرك سورم بصورة تلقائية وهو يحدق في السطرين المكتوبين على الالة الكاتبة ، وهو يعبس ويجتهد في تخمين ما كانت تبغيه المس كوينسي . واخرج من جيبه حفنة من قطع النقود الصغيرة وانتقى اربعة بنسات . وعندما رن التلفون خامره تردد مفاجيء لتبكيره في المخابرة . وقال صوت نسائي :
ـ هلو ؟
ـ جيرترود ؟
ـ من المتكلم ؟
ـ جيرارد سوم .
ـ هلو ، جيرارد ! كارولين تتكلم .
ـ اهلا ، يا عزيزتي . ماذا تفعلين هناك .
ـ اتناول الفطور في هذه اللحظة .
ـ اين عمتك ؟
ـ في الحديقة . ابق على الخط ساناديها . . .
ـ انتظري . لا تذهبي . متى اراك ؟
ـ الامر يتعلق بك .
ـ هل يمكننا اللقاء غدا مساء .
ـ انا . . . . ها قد جاءت العمة جيرترود .
وسمعها تقول : انه جيرارد ، ايتها العمة . وقال صوت المس كوينسي
ـ هلو جيرارد .
ـ استلمت رسالتك توا .
ـ نعم . اشكرك على المخابرة . متى يمكنك المجيء الينا ؟
كان صوتها طبيعيا كصوت سكرتيرة تهيء موعدا .
ـ متى تشائين . . . الى حد ما .

ـ هل يمكنك المجيء عند الغداء ؟
ـ اظن ذلك ، هل الامر مهم ؟
ـ ساشرحه عندما اراك .
ـ حسنا . ساراك اذن . وبالمناسبة . . .
ـ نعم ؟
ـ هل سيكون معنا احد ؟
ـ كلا .
ـ اه . . . حسنا ، ساراك فيما بعد . وداعا

واعاد السماعة الى محلها وهو يشعر انه في موقف احمق . واخذت بعض الشكوك تساوره في ان يكون سبب الدعوة هو للاجتماع باحد زملائها ممن ينتمون الى شهود يهوه .

ومرت بجواره الفتاة ، وهي تحمل ملء ذراعيها اغطية .
وقالت :
ـ اراك بكرت في النهوض هذا اليوم .
ـ اريد أن اصلح حياتي ـ حياة نظيفة ، صحية .

واغلق باب غرفته خلفه واستلقى على السرير . واحس فجأة بالتعب . ولم تسره فكرة تناول الغداء مع المس كوينسي ، كما لم ترق له فكرة زيارة اوليفر غلاسب له وتناول العشاء معه . لان عليه ان يبتاع بعض الطعام والشراب ، وان يذهب الى البنك ، أو ان يكنس غرفته ويرتبها .

وبينما هو غارق في هذه الافكار ، جرفه النوم .

وعندما استيقظ ، كانت الساعة تشير الى النصف بعد الثانية عشرة . وظل لحظة لا يعي الوقت ولا يدري ماذا كان يفعل هناك . وعندما تذكر موعد الغداء مع المس كوينسي لم يشعر بالرغبة في ترك الفراش . واخيرا ، جلس على حافة السرير ومر باصابعه خلال شعره وكانت النار الغازية ما زالت مشتعلة ، والغرفة خانقة الهواء . واستوقف نظره ، وهو في مجلسه ذاك ، شيء أبيض تحت عقب الباب . فاجتاز الغرفة وهو يمشي متثاقلا كالمثل والتقطه ، ووجد علبة سكاير ممزقة كتب على ظهرها : لقد اتصلت المس دينبيغ تلفونيا ، وستأتي مساء غد .

وفي الحمام غطس وجهه في طاس فيه ماء بارد واخذ يتمخط بعنف ليحس بالنقاء في رأسه ثم تعرى الى خصره واخذ يتغسل. ثم ابدل قميصه وسرواله وخرج مسرعا من البيت . كانت الساعة تشير الى الواحدة الا خمس دقائق . وشعر بخفة وكانه قد نهض توا من رقدة ستة اسابيع في مستشفى.

وكره ضوء النهار وصخب المرور. واحس كأن شيئا في اعماقه يتكرر فيصبح كرة متوترة . وفي البنك سحب خمسة باونات ، ولكن بعد ان نبهه الصراف بانه نسي توقيع الصك .

وقرع جرس الباب على المس كوينسي بضربة عنيفة بابهامه ، وهو يحس دون مبرر بانها اغتصبت وقته . وحالما وقع بصره عليها تلاشى توتره . واشرق وجهها بابتسامة فرحة وقالت :

ــ هلو ، جيرارد . لقد اتصلت توا بمسكنك لاتحقق الا تكون نسيت الموعد .

ــ انني شديد الاسف . رحت في غفوة ولم استيقظ الا قبل نصف ساعة .

ــ لا يهم . اخلع معطفك . هل جئت على دراجتك ؟ هيا اجلس . قدح شيري ؟

ــ كلا ، شكرا . اعتقد من الافضل ان استغني عن الشراب اليوم .

ــ لماذا ؟

ــ احس بالضعف . بقيت مستيقظا يوم امس حتى ساعة متاخرة .

ــ مع اوستن ؟

ــ نعم .

وراح يتساءل في نفسه عن معنى نظرتها التي حدجته بها . وقالت :

ــ طيب ، اجلس على كل حال . ساحضر لك بعض الحساء .

كان الراديو يذيع حفلة موسيقية . واغلق عينيه ليصغي الى احدى كونسرتات موزارت ، وتمنى لو كان في تلك اللحظة في بيته مستلقيا في الفراش . وتذكر كارولين . ولكن فكرة مجيئها الى بيته لم توح له بالسرور. انها ذكرته فقط بان عليه ان يبدل اغطية الفراش ، ويعني هذا بالنسبة له الذهاب على دراجته الى احد محلات غسيل الملابس . ثم انتقل تفكيره الى نن ، والحلم الذي راه في الليلة السابقة . وبدا له ذلك الحلم لا معنى له . وشعر بالامتعاض منهم جميعا ، المس كوينسي ، واوستن ، وكارولين ، وغلاسب . واخذ يفكر ، وهو مغلق العينين : مالي ولهؤلاء المجانين ؟

وصاحب هذا الشعور بالكراهية حنين الى العزلة ورغبة غامضة في حياة اكثر تركيزا .

ــ حساء ؟

ــ شكرا . الا تاكلين انت ؟

ــ بعد قليل ، فقد تناولت حسائي . هل تريد صينية ؟

ـ لا شكراً ، سأجلس الى المائدة .

واثارت فيه اول ملعقة من حساء الطماطة شعوراً حاداً باللذة كـاد ان يدفعه للضحك وانبسطت معدته بامتنان ، وغمره احساس بالطمأنينة الداخلية مر عليه كالنسيم ، كأن سراً ومض بـه فاكتشفه . وسألت المس كوينسي :

ـ الا يضيرك ان تأتي لتناول الطعام في المطبخ ؟ بعد أن تنهي حساءك بالطبـع .

ـ شكراً .

كان المطبخ دافئاً ، والشبابيك معتمة من تكثف البخار على زجاجهـا وكانت الموسيقى ما تزال مسموعة من مكبر للصوت موضوع فوق المائدة .

ـ ارجو أن تعجبك « الكلاوي » ؟ انها فطيرة كلاوي .

وابتلع اول لقمة فاستلذ بها . وقال :

ـ متى تخبريني عن سبب استدعائك لي ؟

ـ فيما بعـد .

ونظر اليها ، وهو يحس في صوتها تسرعاً ولده القلق المكبوت . وقال :

ـ لا بأس .

ومضت تأكل دون أن ترفع نظرها . كان رداؤها يتلـوى حسب انحناءات جسمها ويثير فيه الانطباع بان وجهها كان اكبر سناً من جسدها . ورفعت نظرها فجأة وبلغته وهو يحدق فيها .

وقالت بلهجة ناقدة : ـ لا تبدو بصحة جيـدة .

ـ اشعر بخير .

كانت على حق ، فقد كان ما زال يحس بالاعياء والرغبة في أن يغلـق عينيه ويتخلص من ضرورة تركيز اهتمامه .

ـ اين كنت في الليلة الماضية ؟

ـ في احد النوادي الليلية ...

ـ اي نـاد ؟

ـ مجرد احد النوادي الليلية .

ـ ينبغي الا تدع اوستن يجرك الى النوادي .

ـ كـلا .

ـ انه يعاني من حالة من الضجر الدائم . عليك ان تدرك ذلك .

ـ احسبك على حق .

واعلن المذيع بان الجزء الاخير من البرنامج سيكـون السمفونيـة

الخامسة لبروكوفييف . فقال سورم :

ـ جيد . انها سمفونيتي المفضلة . هل يمكن رفع الصوت في السماعة؟

كان يريد عذرا لانهاء وجبته دون كلام . ومدت المس كوينسي يدها طائعة ورفعت الصوت ثم مضت تأكل دون أن تنبس بكلمة . وومض في نفسه حب مفاجيء لهذه المراة ، وهو ينظر اليها وقد لوت وجهها جانبا ، واحس بانه من اليسير له أن يؤلمها .

وبعد ان انهى الاكل ، قالت : فواكه ؟

ـ لا شكرا . لقد شبعت ، واستمتعت بالطعام .

ـ طيب .

وحاول أن يصوغ عبارة يمدح بها مقدرتها على الطبخ ، ولكنه ما لبث ان تخلى عن المحاولة . وخيل اليه بشيء من الكآبة ، وهو يرقبهـا تملأ الابريق بالشاي ، بان جودة طبخها قد منحتها حق القاء محاضرة عليه . كما اضحى من المستحيل ، بعد مثل هذه الوجبة ، ان يرفض حضـور اجتماع واحد على الاقل من اجتماعا تاشهود يهوة . وتوصل اخيرا الى أن هذا هو ما تريد ان تتحدث به معه .

ـ اتريد سماع الموسيقى في الغرفة الاخرى؟ ساجلب القهوة بعد قليل .

وعندما جاءت بعد عشرين دقيقة الفته نائما بالقـرب مـن المدفـأة الكهربائية . كان الراديو يذيع حديثا لاحدهم عن البستنة ، فاستيقظ حالما اغلقت الراديو . فوصل اليهما صوت المطر ينقر زجاج النوافذ . كـانت الرياح ترشق المطر على دفعات . وقال والندم في نبرته :

ـ اني ضيف عديم النفع ، اكاد لا استطيع البقاء يقظا .

ووضع في قهوته السكر الذي تناوله من اناء كانت تمسكه بيدها .

ـ ماذا حدث الليلة الماضية ؟

ـ اوه ، شربت اكثر مما يجب ... فاصبت بالغثيان .

ـ هذا كل ما في الامر ؟

وحدجها بنظرة من الدهشة .

ـ نعم ، فماذا تظنين ؟

ـ لا أعلـم .

لم يكن بوسعه أن يرى وجهها بوضوح من حيث كانت تجلس . كان نور امسيات شهر كانون الاول الباهتة يملأ الغرفة ظلالا . وظل يرقبها ، ينتظر ان تبدأ الكلام . كان من العسير عليه الا يبقي نظراته خفيضة . وطال الصمت . وسأل اخيرا :

ـ الا يهمك ان اوجه اليك بعض الاسئلة الصريحة ؟
ـ كلا . هيا اسألي .
كان يحس بترددها اكثر مما يراه . وخامره شيء مـن الشك ومض في رأسه :
ـ ما مدى معرفتك بنن ؟
فقال بامانة :
ـ لست أدري . لماذا ؟
واخذت تحرك قهوتها بسرعة واضطراب . وحدقت في وجهه . وقال:
ـ ماذا ينبغي علي في اعتقادك ان أعرفه عن اوستن ؟
وعندما تكلمت اخذت انفاسها تلهث قليلا . شعر كانها كانت تنظـر الى اسفل من علو شاهق ادخل الرعب في نفسها .
ـ هل تعلم ... لم لم يحاول اوستن أن يتزوج ؟
واعتدل في جلسته على الكرسي ، وقد اتسع الشك فـي راسـه فاستحال الى دهشة وعدم تصديق . فاجاب على عجل :
ـ اعتقد انه لا يميل الى الفتيات .
وراح يراقبها وقد تيقظ تماما وهو يتوقع ماذاكان على وشك ان يحدث بينهما ، ولا يحس برغبة في معاونتها . اراد ان يرى كيف ستدبر الحديث، وسألت ، بعد صمت :
ـ هل تفهمني ؟
ـ لست واثقا . ما هو سؤالك ؟
ـ انا .. من الصعب بالنسبة لي ...
ـ طيب لم لا تدخلين في صميم الموضوع مباشرة ؟ من كان يحدثك مؤخرا عن اوستن ؟
ـ يجب الا تذكر ذلك له .
ـ كـلا .
ـ حسنا ... الاخ روبنز .
ـ بالله ماذا يعرف عنه ؟
ولاح عليها السرور وقد عادت تتحدث عن بعض الاشياء الملموسة .
ـ كان عليه ان يقوم باعمال اجتماعية كثيرة ـ يذهب من بيت الـى بيت . وعندما التقى باوستن لاول وهلة ـ منذ اسبوعين ـ ظن انـه رآه قبلا . ولم يخبرني بذلك في اول الامر ، ولكنه راح يجري التحقيق ...
ـ نعم .

ـ ... فاكتشف ان اوستن معروف لدى جماعات معينة .. معروفة لدى الشرطـة .

ـ مجرميـن ؟

ـ اوه ، كـلا !

ونفد صبر سورم ، فاطلقها صريحة :

ـ تعنين من الشواذ جنسيـا ؟

فقالت بصوت واهن : ـ نعم .

فقال سورم بجفاء :

ـ يبدو ان زميلك الاخ روبنز ثرثار سخيف .

ـ اوه ، كلا . اعتقد بانه ينبغي علي ان ...

تلاشت بقية الكلمات في شفتيها . كان المجهود الذي بذلته للتحدث في هذه المسالة قد جعل صوتها يرتعش بصورة ملحوظة . وسالت اخيرا :

ـ هل ذلك صحيح اذن ؟

ـ نعـم .

ـ وكنت تعلم بذلك طول الوقت .

ـ اكثر الوقت . وهل في ذلك ضير ؟

كانت تنظر اليه نظرة ثابتة ، واستطاع ان يرى في وجهها خليطا من المشاعر تحاول جاهدة ان تجد تعبيرا لها وقال :

ـ دعيني اجب على السؤال الذي يقوم في ذهنك . انا لست منحرفا جنسيـا .

فقالت وقد احمرت وجنتاها :

ـ كنت اعلم بذلـك .

ـ صحيح ؟ كيـف ؟

ـ انا ... انت ...

واخذ يتساءل فجاة هل كانت تشعر بالنظرات التاملية التي كـان يختلسها في تقاطيع جسمها . ومضت تتكلم،وفي صوتها نبرة من الياس:

ـ ربما لم اكن اعلم ، ولكني افترضت ذلك فقط .

وتلاشى موقفه العدائي منها ازاء حيرتها هذه . وشعر بالميل الى ان يطوقها بذراعيه . وقـال :

ـ اسمعي . لا داعي للانفعال في موضوع كهذا . كنت اعرف ذلـك عن اوستن منذ التقيت به ، ولكن الامر لم يقلقني،انه من شانه فقط . اني اميل اليه لانه ... على كل حال ، فكلانا مولعان بالتأليف ، ولدينا اشيـاء

مشتركة كثيرة . و . . . هو شخص لطيف المعشر .
ــ ولكن . . . الا تعتقد ان للامر اهميته فعلا ؟
ــ تعنين ، هل ان الامر في اعتقادي ضرب من الاثم ؟ كــلا ، ليس كذلك بالذات . اني سعيد لاني لست نزاعا جنسيا الى الجنس المشابه ، ولكن المسالة على كل حال مسالة ذوق . واني لاعلم بان هذا النوع من الانحراف الجنسي لدى بعض الناس انما هو وليد التفاهة المجردة ، غير ان هناك من يبدو انه ولد ليكون كذلك . . .
. وكان اثناء حديثه يتذكر القلق الذي احس به اخر مرة زار فيها المس كوينسي ، والضيق الذي انتابه امام ثقتها بنفسها. ولقد انهارت هذه الثقة الان ، ولم يشعر بانه افضل حالا لذلك . لقد انعكست الاية بينهما انعكاسا تــامــا .
ــ هل هناك اناس ولدوا على هذه الصورة ؟
ــ بالطبع ! الم تعلمي بذلك ؟
ــ كلا ، انا . . . لم التق باحد من هؤلاء قبلا . هل تظن أن اوستن كــان دائما هكــذا ؟
ــ من المحتمل جدا . لست على معرفة تامة به . كيف كانت طفولته؟ هل كان الطفل المفضل لدى امه ؟
ــ اوه ، نعم . كانت تدلله كثيرا . لماذا ؟
ــ اوه ، لذلك علاقة بالامر .
ومضى يتحدث ، وهو يحاول ان يكون موضوعيا بقدر المستطــاع عن الاحصاءات حول الشذوذ الجنسي هذا وعوامل تأثير الطفولة فيه وعن الغدد الجنسية ، وهو يحاول ان يرى وجهها في النور الخافت . وظلت تصغي اليه دون مقاطعة . وعندما توقف لينتظرها تتحدث ، قالت فجأة :
ــ الا يمكن شفاؤه ؟
ــ لا اعلم . لقد فات الاوان . ومن المحتمل انه لا يريــد أن يشفى منه . وبالاضافة لذلك ، قد لا تكون هذه مشكلة نن الحقيقية ، فانه راض بها ، وهناك شيء يقلقه .
ــ مــاذا تظن يقلقــه ؟
ــ لست ادري . كثير من المنحرفين جنسيا يحيون حياة عادية .وقد يعيش الواحد منهم مع صديق له من نفس الجنس ويستقر معه كأي زوجين.
ــ الا يلاحظ الناس ذلك ؟
ــ احيانا . ولكن لا غرابة عادة في رجلين يشتركان في شقة .

ـ هل تعتقد ان اوستن يشعر بانه اثم ؟
ـ كلا . ولكن هنالك شيئا يجعله عصبيا مضطربا . لا اعلم ما هو. شيء ما يعذبه . ومهما يكن هذا الشيء فانه يقوده الى حالة كحالة الذئب الوحيد . لا اعتقد انه سيستطيع يوما ان يعيش مع احد .

فقالت بدهشة :

ـ امل الا يعيش مع احد ! فماذا سيظن والده بذلك ؟

فقال مبتسما :

ـ هذا سؤال اخر لا يمكنني الاجابة عليه . يمكنني فقط ان اقول لك ما يقوله اي طبيب او نفساني ـ ان المسالة ليست بالضرورة مسالة فساد خلقي .

فقالت بتردد :

ـ ان الكتاب المقدس يحرم ذلك ...

ـ بلا شك . الكتا بالمقدس يحرم الزنى واشياء اخرى كثيرة يقترفها الناس دائما .

ـ هذا لا يعني انهم على حق !

ـ كلا . انك على حق . لا يجعلهم محقين . ولكن الرجال والنساء يمكنهم الزواج وجعل علاقتهم امرا مشروعا . اما المنحرفون جنسيا فلا يمكنهم ذلك . فما العمل اذن ؟

وجلست وراحت تحملق في قضبان المدفأة المحمرة . وكان الصوت الوحيد الذي يسمع في الغرفة صوت وقع قطرات المطر . وارسل سورم طرفه الى الحديقة ، وكان من حيث يجلس يمكنه ان يرى دراجته وهي ملفعة بغطائها الاصفر . وبدت الحديقة ، تحت السماء الميتة ، وقد انتشرت عليها الاوراق الذابلة ، بدت مخيفة كانها ارض مجهولة . غير ان الظلام والمطر اثارا فيه احساسا بالراحة . وراح يتأمل ، وهو ينظر الى المس كوينسي ، هل في امكانه ان يقبلها ، لمجرد ان يرى كيف سيكون رد فعلها ، واثارت فيه الانطباع بانها تواجه مشكلة لا سبيل الى السيطرة عليها ، وبانه لم يعد هنالك بعد ما يثير دهشتها . وسألت :

ـ الا يمكننا اقناعه بمراجعة طبيب نفساني ؟ لمجرد احتمال ان ينجع العلاج ؟

ـ فى الإمكان المحاولة .

ـ لا ادري هل يشك فيه ابواه ؟ ولكن لا ، لا يمكنهما ...

ـ قد يشكان .

وكانت كأنها تتحدث الى نفسها . وكان يجيب لمجرد رغبته في مجاملتها.
وقـــالت :

ــ كان دائما طفلا غريب الاطوار . كان يميل الى القسوة .

فسأل سورم باهتمـام :

ــ صحيح ؟ كيف ؟

ــ ليس قسوة حقيقية ، وانما دافعا لها فقط ...

ــ كيـــف ؟

ــ دفع مرة ابن البستاني من سطح الزريبة فسقط الطفـــل وكسرت ساقــه . وكان يكره الدمى الى حد غريب .

ــ هــل كان يقسو غالبا ؟

ــ ليس غالبا ، كـلا . وانما كان له نوع من ... الجانب المظلم فـــي نفسيته . كانت تصيبه حالات يظل فيها اياما عبوسا مقطبا ويرفض ايـــة محاولة لاخراجه منها . ولم يكن يسعه قط الاحتفاظ باللعب اكثر من بضع ساعات ــ كان يكسرها . ولم يكن على ما يرام مع بقية الاطفال لانه كان احيانا يؤذيهم او يحطم لعبهم . كان يكره الاطفال مثل كرهه للدمى .

ــ لمن كانت تعود الـــدمى ؟

ــ لاية فتاة . فقد هشم في احدى المرات دمية جميلة لابنة عمه جين . كانت دمية كبيرة جاءوا بها من النمسا . هشمها بمطرقة . وقد كسر جميــع الدمى التي كانت عندي ...

فسأل سورم مبتسما :

ــ كنت تلعبين بالدمى ؟

ــ ليس في ذلك الوقت . ولكن كان لدي بعضها وكنت احتفظ بها فـــي دولاب قديم . فوجدها اوستن ومزقها اربا .

ــ يلوح اوستن كطفـل جانح .

ــ كلا ، ابدا . لم يكن دائما بهذا الشكل . كان يحدث ذلك احيانـــا ــ كأن الشيطان يدخل فيه . وعندما كان ذلك يحدث ، كان يبدو وكأنــه شخص اخــر .

ــ وما هو سبب تحطيمه الدمى في اعتقادك ؟

ــ لا اعلم . انه سريع الملل ، وعندما ينتابه الضجر تحدوه الرغبة في فعل شيء عنيف . ومن السهل عليه ان يطلب منك أن تحزم امتعتك وتذهب معــه في رحلة الى الطرف الاخر من العالم .

ــ لقد طلب مني ذلـــك فعلا !

ــ وبماذا اجبتـــه ؟
ــ رفضت ، فلدي امور اخرى افعلها .
ــ طيب ، لا بد وانك صارم معه ، ويمكنك لهذا ان تؤثر فيه ... اذا لم يدعـك تقتفي خطـــاه .
ــ لا يمكنه أن يقودني الى ابعد مما اريد أن اذهب !
وبدت كأنها استشعرت في كلماته تهديدا لها . وسألت بتشكك :
ــ الا تظن انه من الافضل التوقف عن اللقاء به ؟
ــ وماذا افعل بدلا من ذلك ؟ آتي لالتقي بك ؟
وقال عبارته هذه ليستفزها مازحا ، ولكنها ، لدهشته اجابتهبرزانة :
ــ يمكنـــك ان اردت .
وحدق فيها، محاولا جهده أن يرىالتعبير الذي ارتسم فيوجهها . وقال:
ــ يسرني ذلـــك .
ــ ولكن ما الذي ستفعله بشأن اوستن ؟
ــ لا افهمك . ليس هناك ما يمكننا عمله . على كل حال ، ينبغي علـي ان ارحـــل الان .
ــ في هـــذه اللحظة ؟ ولكن المطر لم يزل يهطل .
ــ كنت اريد ... ان استحم . اشعر كأني حزمة من القش . وعلي ان اهيء طعام العشاء فيما بعد لاحد الاصدقاء . فأرجو المعذرة .
ونهض وترك الغرفة .
وعندما خرج من غرفة التواليت ، نادته :
ــ بالمناسبة يــا جيرارد ؟
ــ لم لا تأخذ حماما هنـــا ؟
ــ كلا ، أشكرك ...
واحس لسبب ما ان اقتراحها احرجه .
ــ هل من السهل لك ان تأخذ حماما في محل سكناك ؟ هل يتوفر المـاء الحـــار دائمـــا ؟
ــ هناك مرجل غازي ــ اضع فيه شلنا و ...
وعندما تذكر الحمام ، وبابه ذا الزجاج البني ، والحوض العميق العتيق الذي يمتلىء بالماء ببطء لا متناه من مرجل الماء ذي المزاج المتقلب، اخذ يشعر بان اقتراح المس كوينسي لا يخلو من الصواب . وقـــالت :
ــ يبدو ان حمامك مزعج الى حد مضحك . ما اسهل الامر هنـــا .
ــ الا يضايقك ابدا أن استحم هنـــا ؟

ـ كــلا ابــدا .

ـ حسنا ـ في هذه الحالة ، شكرا . . .

وراح يتخيل وهو يخلع ملابسه ان جيرترود كوينسي قد اضحت خليلته، وانه يسكن معها الان . ووجد لسبب يجهله ان من اليسير عليه ان يتخيل صورة كهذه . ما عدا بالطبع وجود كارولين . . . لقد كانت كارولين حجــر العثرة . وطفق يتأمل في الامر فيما هو يسترخي بحذر في الماء الدافيء . خمس سنين من الامتناع عن الجنس وقليل من الضجر والمحاولة غيــر الموفقــة ليجني ثمار انعزاله . ثم فجاة يجد نفسه مشتبكا مع اناس كثيرين ، ومــع امراتين يمكن ان يتخذ منهما خليلتين . لقد منحته كارولين نفسها بصراحة عجيبة ـ من الاشياء التي لا يتخيلها الشخص تحدث الا في احلام اليقظة ، فاذا ما حدثت ، فمن المستحيل مقاومتها . ومع ذلك ، كانت جيرترود افضل الاثنتين من نواح عديدة . كانت تنطوي على تحد اقوى .

وتناول بعض المساحيق المستعملة في الحمام من بين صف العلب عــلى عتبة النافذة . كانت تنبعث منها رائحة الليمون . وعندما اعاد العلبة الــى موضعها تناهى اليه صوت غناء . وراح يستمع باهتمام فادرك انه صــوت المس كوينسي . وتوقفت بعد لحظة . وظل جالسا ، مرهفا اذنيه ليميــز صوتها من خلال ضجيج الماء الذي يعود ليملأ حوض الماء الحار . كان مــن العسير عليه ان يتصور المس كوينسي تغني لنفسها ، وخصوصا بعد الحديث الــذي جرى بينهما .

وفيما هو يجفف جسده ، سمعها تتنقل في الغرفة المجاورة . كانت تلك الغرفة التي تنام فيها كارولين . واخذ يمشط شعره وهو يترنم في لحــن من سمفونية بروكرفييف . ومضى يتساءل كيف يتوصل الى معرفة جيرترود كوينسي معرفــة افضل .

وفتح الباب ووضع قدمه على ارضية الغرفة . وسمع حركتها في الغرفة التي تقع عند نهاية الرواق . فراح يمشي صوبها ، وهو يطأ الارض بهــدوء علــى البساط السميــك .

فقالت : اوه ، لقــد افزعتني !

ـ آســف .

ـ كيــف تشعر الان ؟

ـ عظيــم . افضل كثيــرا .

وانتهت من نشر الغطاء ثم تسويته . وفيما هي تلتفت امسك بها مــن خصرها ورفعها عن الارض ودار بها دورة حول نفسه قبل ان يعيدها ثانيــة

عـلى الارض . وقـال :

ـ ينبغي ان اغتسل مرارا اكثـر .

وأثاره لمس جسدها . اما هي فقد توردت وجنتاها . وقالت :

ـ يسرني انك تشعر بتحسن .

ورأى من الصعب عليه ألا يمد يده اليها ثانية . وقبل أن يعتزم ان يكرر العملية ، خرجت من الغرفة وهي تقـول :

ـ تعال . يجب الا تكون هنا .

ـ لـم لا ؟

ـ لانهـا غرفة نومي .

ـ ليس هـذا سببـا معقولا .

فقـالت :

ـ لن يروق ذلك للاخرين .

وتبعها هابطا السلم . وقال :

ـ لن يعلم الناس بذلك . كما انه ليس من شانهم ، على اية حال .

ـ من المحتمـل الا .

وسبقته الى المطبخ . واخذ سورم يحس كأنه يلاحقها ، فامسك عـن تتبعها وذهب بدلا من ذلك الى غرفة الجلوس . وجلس هناك وحاول أن يقرأ الصحيفة ، على حين كانت افكاره تقوده باستمرار الى الاحساس الذي يثيره فيه لمسها والى عدم مقاومتها محاولته . وجعلته شكوكه يحس بالقلق ، ومـا لبث ان شعر بالامتعاض من نفسه . وبعد هنيهة ، فتحت الكوة بين المطبخ وغرفة الجلوس وسألت :

ـ اترغب في قدح من الشاي قبل مغادرتك ؟

ـ اه . . . شكرا . ماذا تفعلين الان ؟

ـ اغسل الصحون .

ـ هل تريدين مساعدة .

ـ كلا . شكرا . أنهيت كل شيء تقريبا .

وذهب الى المطبخ فالفاها تقف الى المغسلة وقد ارتدت صدرية مـن البلاستيك . وقـالت :

ـ ما كان ينبغي لك ان تأتي .

ـ لا ؟

وقف خلفها واحاطها بذراعيه من الوراء ، وقـال :

ـ اردت ان آتي . وبعد تلك الوجبة الفاخرة . . .

ــ توقــــف ، يا جيرارد !
ولم تبد اية محاولة لازاحة يديه . فاخفض رأسه حتى استقر ذقنــه علـــى قمـــة رأسها .
ــ هـــل تعارضيني ؟
ــ بالطبع اعارض . توقف ، ارجوك .
فخلى سبيلها وتناول منشفة صغيرة .
ــ هل يغضبك ان يلمسك احد ؟
ــ كلا . . . ولكنه عمل لا معنى له ، اليس كذلك ؟
لم تكن لهجتها مشجعة ، ولكنه كان قد اتخذ قرارا. وقال بلهجة مرحة :
ــ أوه ، لا اعلم . ولكن ينبغي ان أعترف باني استمتع بــه .
ــ لا تكــن سخيفا .
ــ سخيــف ، لمــــاذا ؟
ــ ينبغي ألا تغازلني لمجرد دعوتك للغداء معي .
وتناول اخر شوكة منها واخذ يجففها .
ــ انبئيني ، يا جيرترود . . . شهود يهوه هؤلاء الذين يزورونك . . . الا يغازلونك ابدا ؟ اعني الرجال منهم ، بالطبع .
ــ اكثرهم متزوجون .
ــ هممممم . وكيف الحال مع أصدقائك الفنانين .
ــ اي فنـــــانين ؟
ــ اخبرني أوستن بان لك اصدقاء متأدبين كثيرين .
فنظرت اليــــه بدهشة :
ــ لست افهم عم تتحدث . اعرف واحدا أو اثنين ممن يسكنـــون في همبستيد ــ ضابط متقاعد ، ومراجع لدى احد الناشرين .
وارتاب سورم في انها تحاول أن تتعمد في جعل الحديث لا يتركز فـــي موضوع معين . وكان ابريق الماء قد اخذ يغلي ، فبدأ تهيئة الشاي. وقال:
ــ وهل تعارضين في ان يغازلك احد ؟
ــ لا تكــن سخيفـــا .
ــ ليس هذا بجواب .
فابتدرته بقولها فجأة :
ــ كلا، لايهمني . ولكنه لا معنى له ، اليس كذلك ؟
ــ لا اعلـــم .
كان يجلس على حافة الطاولة . وعندما استدارت حاول ان يمسك بها

مرة اخرى . ولكنها لوت نفسها بعيدا ودفعت ذراعيه .

ـ كفى ، يا جيرارد ! في الواقع لا أدري ما الذي يدفعك الى هذا السلوك.

فقـــال ضاحكـــا :

ـ منذ نصف ساعة كنت تظنينني اميل الى الجنس المشابه جنسيا!

ـ كلا لم اظن ذلك ! لم اظن ذلك لحظة واحدة .

ـ طيب . ما دمت واثقا منـــك .

وصبت الحليب من القنينة الى الاناء بحركة من يدها تنم عن الغيـــظ. فتدفق الحليب وارتطم بحافة الاناء وانسكب الى الصينية . وقالت :

ـ أوه ، جيرارد ، حقا !

كان يهم أن يقول : «الخطأ خطأك» عندما التفت اليه فجأة . ولدهشته وجد الدموع تكاد تطفر من عينيها . وقالت :

ـ كفى ارجـــوك !

ـ طيب . . . انا آسف . لم اكن ابغي ازعاجك .

وبدأ يشك في انها تستمتع في دخيلة نفسها بمحاولاته لمغازلتها . ولكـن كآبتها أذهلته . فاستدار ومضى الى الغرفة الاخرى والقى بنفسه على الاريكة. لم يكن موقفها يخلو من الفوائد . فقد حطم على الاقل تلك الشكليات التـي اضجرته في المرة الماضية . والتقط الصحيفة وحاول التركيز . كــان المقــال الذي انبرى يقرأه يفيد بأن الناس يستخدمون من عضلات الوجه عنـــــد التعبيس ثلاثة اضعاف ما يستخدمونه عند الابتسام ، ولهذا فيخزن الانسان طاقته عند الابتسام . فطوى الصحيفة وقذف بها الى الكرسي المقابل ومضى يعبث في قضبان النار ويتساءل ماذا سيقول لها عندما تعود . وتأخرت كثيرا في احضار الشاي . وطفق يتساءل هل تريده أن يغادر المنزل دون أن يراها. ودخلت بعد لحظة وهي تدفع عربة صغيرة .

ـ آسفة للتأخر .

فقال بصورة تلقائيـــة :

ـ لـــــم تتأخري .

ومضى يرقبها تصب الشاي دون أن يتكلم . وعندما ناولته الكوب قال :

ـ في الحقيقة اني لا افهمك .

فوضعت السكر في كوبها دون أن ترفع نظرها اليه . وقالت :

ـ لا افهمك انت .

ـ هل تستفظعين حقا ان يلمسك احد .

ـ بالطبع لا ! ولكن ان الامر مجرد . . . انه من السخف ان نبدأ بالتصرف عـــلى هـــذا الوجه .

وقال ، وقد اعتزم الا يتعاون معها فى الأجابة :
ــ على اي وجــــه ؟
ــ افضل ان نتحدث .. كما فعلنا فى الليلة السابقة ... عن اشيــــاء معقولــــة .
فقـــال بتعقل :
ــ انا يعجبني الحديث معك ايضا .
فلنستمر كما كنا !
ــ ولكني ارغب فى ان المسك . يلذ لي ذلــك .
وشعر بترددها .. فحاول ان يستخلص ما امكنه من الفائدة مــن هذا الحديث ، فمال اليها وقال مبتسما :
ــ وحتى في تلك الليلة ، عندما كنا نتحدث . ظللت افكر كم من الملذ ان احيط خصرك بذراعي .
واخفضت عينيها الى الكوب .
ــ ولــــكن لم ؟
ــ لاني اراك جــــذابة جــدا .
ونظرت فى وجهه بجد ، وقد اختفى الضجر من عينيها . وقالت :
ــ ولكنه امر سخيف ، يا جيرارد !
ــ لمــــاذا ؟
ــ لانــه ... مــــا جدواه ؟
فهز كتفيه وقـــال : ــ لست ادري .
ــ لا جدوى فيه . لا شيء البتة . اود ان اكون صديقتك ولكنك اصغر مني اعوامــا كثيرة ...
وقرر فجاة ان يتمادى فى المسالة :
ــ هل تريدين مني ان انقطع عن المجيء هنا ؟
ــ لا ، بالطبع ، لا اريد ذلك ! يعجبني ان اتحدث اليك . اعتقـــد ... اعتقد بانك شخص جاد وانك تبحث عن شيء ... واود ان اساعدك فـــي العثور عليه . لانني اكبر منك سنا و ... لانني مررت انا نفسي بهـــــذه المرحلة ... واستطيع فعلا ان اعاونك ... ولكننا يجب ان نكون جـــادين فى ذلــــك .
فقال وهو يهز بكتفيه :
ــ ففي هذه الحالة ، لم يعد هنالك ما نتحدث عنه .
ــ لمـــــاذا ؟

وانهى قدح الشاي . وشعر بان الحادثة قد بلغت خاتمتها الطبيعية ، وبانه لم يعد هنالك مبرر للاستمرار فى الحديث . فقال بلهجة صريحةجازمة :

ـ كنت وحيدا منذ خمس سنين ، ويمكنني أن امضي فى وحدتي خمس سنين اخرى ، او خمسين سنة اخرى اذا كان لابد من ذلك . انا لا احتاج الى العون ، ولم احتج اليه قط . واني ارغب فى أن التقي بك ، ولكنك اذا شرعت ترسمين الخطوط وتضعين الحدود ، فالافضل ان استغني عن الامر كله .

وضع الكوب على الصينية . فسألت :

ـ المزيد مـــن الشـاي ؟

فنظر الى ساعته وقـال :

ـ كلا ، شكرا . يجدر بي ان ارحل .

فقالت بهدوء :

ـ يجب الا نتخـــاصم .

ـ حسنـــــا .

ولم يكترث لشعوره بأن علاقتهما قد بلغت خاتمتها . وقالت :

ـ تناول قدحا اخر من الشاي .

ـ حسنـــا .

فصبت الشاي وناولته اياه . فشربه بصمت . وبدات تتكلم ، بلهجة متـــرددة :

ـ اعلم انك كنت وحيدا . وانا لا اريد ان ... احاول ان اتدخل لقـد اعتدت انت الى شعورك بان عليك ان تخوض المعركة وحيـدا حتى اصبحت تشك فى الاخرين . لقد صممت اذنيك عنهم . ولكني أعلم بأنك لست فـــي الحقيقة بهذه الصلابة ... اعلم بأنك مفعم بالاحاسيس ... وربما تخشى ان يؤذيـك احد ...

وجعله ميلها لاستعمال تعابير مثل « تبحث عـــن شيء » و « تخوض المعركة » ان ينتفض فى داخله وان يزيد من ضجره . وراح يتساءل هل كانت تنظر الى محاولاته للتغزل بها على انها عملية معقدة يدافع بها عن نفســـه ضدها . وقاطعها بقوله :

ـ ان رغبتي في مجانبة جماعتك من شهود يهوه ليست لاني اخاف الاذى انه الخوف من ان اصاب بالسأم .

وظل لحظة يتساءل هل تمادى في كلامه . ولكن لم تبد على وجههـا دلائل التأثر . وقالت بلهجة عاقلة :

ـ لم اسع في ان اجعلك تقابل واحدا منهم ، أليس كذلك ؟

ـ صحيح جدا .
ونهض وقال :
ـ يجب أن اغادر الان .
كان الاضطراب باديا في وجهها وهي تنظر اليه ، واستشف من سورم انها كانت تحاول ان تقيس مقدار امتعاضه منها . وقالت بتردد :
ـ انك لتفهم ، هه ؟
ـ اجل ، افهم .
ـ ولن تخبر اوستن ؟..
ـ كـلا .
وتبعته وهو يخرج الى الصالة . واحكم ازرار معطف المطر ولـف الحزام حول خصره ثم انتزع غطاء الراس « البيرية » من جيبه . وهيمن عليهما الصمت ، الصمت الذي كانت تملؤه عادة كلمات الشكر والرد عليها والتفاهم الغامض على اللقاء مرة اخرى . وبدا له الموقف منطويا على مهزلة كبيرة ، غابت عن المس كوينسي تماما ، ولم يستطع ان يكبح ابتسامتـه . وقالت له وهو يفتح الباب : وداعا ، يا جيرارد .
ـ وداعـا .
والتفت اليها وامسك بها من خصرها وسحبها اليه . واحس بهـا تتصلب برهة بين يديه ثم ترتخي . ولوت بوجهها قليلا حتى تلمس شفتاه وجنتها . وظل ملصقا شفتيه بوجنتها لحظة واحدة وهـو يحس بـدفء الانتصار يتحرك فيه ، ثم خلى سبيلها . واستدار مبتعدا عنها وخرج من الباب دون أن يلتفت الى الوراء . وسار بحذر على العشب المبتـل كي لا يتزحلق فيفسد خاتمة الفصل .
وبينما كانت الدراجة تنحدر من تلقائها الى اسفل طريق ايست هيث احس بنشوة صرفة . وقال بصوت عال : ايتها الحمقاء،حان وقت نضوجك!

* * *

دقت ساعة الكنيسة معلنة الرابعة عندما كان يمر بمحطة نفق تشوك فارم . وذكره منظر حوانيت البقالين بانه لم يزل عليه ان يبتاع الطعـام للاسبب . واشترى نصف باون من لحم الخنزير القدد واربع علب مـن الخضراوات وكدسها في حقيبة الدراجة .
وعندما هم بركوب الدراجة ثانية وقع بصره على عنوان الصحيفـة المسائية في داخل المحطة . فرمى بعدد من قطع النقود في علبة النقـود وتناول واحدة منها . كان عنوان الصحيفة البارز يقول : « هل انتقـل

القاتل الى غرينتش » ؟

وشعر بالقلق يتحرك في احشائه ، فاتكأ على الجدار ومضى يقرأ .

« عثر على جثة امرأة شابة في مستودع للبضائع مهجور يقع بالقرب من طريق غرينتش صباح اليوم . وقد شخصت الجثة في وقت مبكر من هذا المساء من قبل زوجها واتضح انها دوريس اليزابث مار التي تبلغ من العمر خمسة وعشرين عاما وتسكن في شارع البحري في ديبتفورد . وقد افاد زوجها الى البوليس ، ويدعى ريجينالد مار ويبلغ من العمر ٢٦ عاما ويعمل ليلا في محل غسيل ديبتفورد ، بأن زوجته قد خرجت في الساعة العاشرة من الليلة الماضية لزيارة امها في وولويتش .. »

وانتقل بنظره الى اسفل العمود : « ان السؤال الذي يوجهه الى انفسهم القاطنون جنوب النهر هو : هل قرر مجرم وايتشابل الانتقال ؟ »

وشعر باحساس كريه الى حد قريب يوخزه ويثير فيه الاشمئزاز ، احس بحرارة وبشعور لزج في منطقة معدته .

وابتاع في محطة كنتش تاون الصحيفتين المسائيتين الاخريين ولفهما ودسهما في جيبه . وكان يصاحب هذا الشعور بالاشمئزاز ، بطريقة ما ، احساسه بالرضى كلما كان يفكر في المس كوينسي . واستعصى عليه فهم هذا الاحساس بالتطير الذي اورثته اياه قراءة الخبر .

ولما عاد الى غرفته ، جلس على السرير وطفق يقرأ بترو التقارير الثلاثة المنشورة عن حادثة القتل . وقد نشرت احدى الصحف مقالا مفصلا عن الحديث معززا بمخطط يبين موقع الجريمة ، وتساءل كاتب المقال كيف انحرفت المرأة عن الطريق المعتاد من ديبتفورد الى وولويتش ، وكان يميل الى الشك في ان يكون قاتل هذه المرأة هو نفسه مجرم وايتشابل .

كانت الساعة تشير الى الرابعة والدقيقة الثلاثين فقط . ولا يتوقع وصول غلاسب قبل ساعتين . وعندما اغلق عينيه ، طاف في مخيلته وجه المس كوينسي ذات الفم الناعم والعينين الفزعتين قليلا . كانت تلك النظرة هي ما تبدو عليه المرأة قبل ان تدرك النية التي تكمن وراء العنف الذي يظهره الرجل الذي اعتزم قتلها . وحاول جاهدا أن يبعد وجهها عن ذهنه والفاه يبزغ من جديد كلما اغلق عينيه . واهتز جسده رثاء لها وقرفا منها ، فمد يده الى المكتبة وتناول اول كتاب لمسته انامله ، فكان كتاب « الجيل ذو القصص السبع » تاليف ميرتن . وشرع يقرأ ، ولكنه وجد من العسير عليه أن يركز عليه . واخيرا ، وضع الكتاب على الأرض واغلق عينيه ثانية .

لم ير شيئا في اول الامر . كان نوما نقيا لم تتخلله الاخيلة . ولكنه ما لبث ان راى المنظر : في الظلام الباهت ، في مستودع البضائع ، كان هنالك حيوان يشبه السرطان ، شيء مسطح له اطراف ذات مخالب ، ولم يكن يحس بوجود اي شيء سوى هذا الحيوان الذي يشبه السرطان ، يتحرك بصمت في تلك العتمة ، يتحرك بطريقة غريبة ، مائلة ، ولكنه يتحرك نحو الهدف ، والهدف هو ذاته ، وقد امتلكه دافع ما ، وهذا الدافع هو ذاته ، هو تماسك ذاته التام برغبة واحدة ، بشهوة واحدة ، وبيقين واحد. لم يكن هذا انسانا ، كان ما يكمن في اعماق الانسان اذ هو ينتظر .

* * *

وسمع سورم طرقا على الباب في الطابق الاسفل بينما كان يقشر البطاطا . فهتف : هلو !

فاجابه صوت غلاسب : اه ، لقد قصدت المكان الصحيح ، اذن !

فقال سورم :

ـ طيب . اصعد . لقد بدات توا بتهيئة العشاء .

وارتقى غلاسب السلم بحذر ، واخفض راسه عندما وصل عطفة السلم . وانجز سورم تقطيع البطاطا الى شرائح والقى بها في السمن النباتي الذي كان يئز في القدر . وتناول غلاسب جريدة قديمة من الطاولة وطفق يمر بنظره على الصفحة الامامية دونما اهتمام . كان يجلس وقد مد قدميه الى الامام وكتفاه ملتصقان بالجدار . وكان وجهه كما كان عليه في اليوم السابق شاحبا غير حليق . ولاحظ سورم أن جوربيه كانا من لونين مختلفين . وقال :

ـ يظهر ان مجرم وايتشابل قد غير بقعة نشاطه ...

ـ ماذا ؟

ـ الم تقرأ الصحف ؟

ـ كلا ؟

ـ تصدى احدهم الى امراة في غرينتش وقتلها . ويظهر ان الشرطة يعتقدون انه الرجل نفسه ...

فقال غلاسب :

ـ غرينتش ؟ لا اصدق ذلك . لا يمكن ان يكون الرجل نفسه .

ـ لم لا ؟ ماذا يحدو بك الى الاعتقاد بانه ملازم لسبيتالفيلدز ؟

فهز غلاسب كتفيه :

ـ لا اعلم . ولكنه لازم تلك البقعة الى الان ، اليس كذلك ؟

ـ نعم ، ولكن هذا بالتاكيد سبب جيد ليجعله ينتقل. اذ ان وايتشابل سرعان ما ستصبح اكثر حرارة مما يمكنه احتماله . وماذا يدفعـك الى الاعتقاد بانه يريد ان يبقى هناك ؟ هل تعتقد انه يبحث عن شيء مـا فـي وايتشابـل ؟

فقـال غلاسب :

ـ والان ، كيف لي ان اعرف ؟ ان حدسك ليس افضل من حدسي. لقد سمعت اليوم احدهم يقول ان الفاشست فعلوا ذلك لارهاب اليهود .

ـ اين سمعت بهذا ؟

ـ شخص ما يقف على الرصيف . انه شيوعي .

ـ هل كانت احدى الضحايا من اليهود ؟

ـ لست ادري . لا اظن ذلك .

ـ ولكنك لا تظن ان قاتل غرينتش هو نفس الشخص ؟

فقال غلاسب وقد نفد صبره :

ـ اوه ،ارجو الا تسألني ! فلست ادري .

واحس سورم بان الامتعاض الذي بدأ على غلاسب لم يقصد بـه الاساءة . فكبح سورم وخزة الانزعاج التي ولدها غلاسب . وتوصل الى ان هذه الفظاظة الظاهرية في سلوك غلاسب انما هي وليدة حياة الوحدة مـدة طويلـة . وقـال :

ـ آمل ان يقبضوا على القاتل ، لنعرف من هو .

ورفع غلاسب نظره اليه ، وقال بلهجة ساخرة :

ـ اعتقد ان الكثيرين من الناس يشعرون بهذاالشعور .

ـ اي شعـور ؟

ـ يريدون ان يلقى القبض على القاتل ليرضوا فضولهم ، وليس لانـه يقتـل النساء .

فقـال سورم بجـد :

ـ انك لعلى حق . على كل حال ، كيف لاحدنا ان يقرن نفسهبالعاهرات اللواتي يقطن فيالقطاع الشرقي من لندن ؟ ربما يعتقد اكثر الناس ان القـاتل اجدر بالرثاء من ضحاياه . على الاقل انه يفعل ما في وسع اكثر الناسفعله. . .

ـ هل تعتقد ان اكثر الناس مجرمون ؟

ـ اجل . نحن لم نزل حيوانات ذات شهوات مفاجئة عنيفة . لا يمكنني ان احصي المرات التي امر فيها بامراة في الشارع فاتمنى لو استطعت ان انالها في الظـلام . الم تمر بمثل هذه الحالات ؟

ـ احسب ذلك . ولكن امر هذا القاتل اكثر من مجرد الاغتصاب . امـا

انا فاريد ان يمسك بالقاتل لانه مصدر رعب فى الجزء الذي اسكن فيه . فربما يجهز غدا على شخص لي معرفة به .

وبرزت لكنة غلاسب الشمالية بصورة اوضح . واثرت نبرته فى سورم بجديتهـــا . وقـــال :

ــ احسبك على حق . وهذا سبب اخر نأمل من اجله ان ينتقل الـى غرينـــتش .

ــ وما هو الاختلاف فى الامر ؟ اينما يتحرك ، تتدمر حياة اناس . عـلى الناس ان يموتوا لمجرد ان هناك انسانا له اسوأ من صفات الانسان ، حيوان قذر ، مخلوق لا يفكر الا بلذته ، معدوم الحس الاخلاقي .

كان غلاسب ثائرا حادا فى لهجته الى حد جعل سورم يقرر ان يغيـــر الموضوع . وسجل ملاحظة فى ذهنه أن يثير الموضوعثانية عندما يكـــون غلاسب فى حالة نفسية افضل . وقال :

ــ طيب . لنتأمل ان يلقى القبض عليه عاجلا . هل تعود الى الغرفة؟ تحتاج شرائح البطاطا هذه الى عشر دقائق اخرى .

وفتح زجاجة من النبيذ الاحمر وصب محتوياتها فى قدحين . وتلمظ غـــلاسب بشفتيه قائلا :

ــ هذا النبيذ من النوع الجيد . لطيف جدا . ما نوعه ؟

وتناول الزجاجة ونظر الى رقعة العنوان . وقال سورم :

ــ احب الشراب ، عندما يمكنني شراؤه .

ــ اوافقك على ذلك . اما انا فلم أستطع خلال السنين الخمس الماضية اقتنـــاء شيء سوى الشراب الاسباني الذي يشبه الماء العكر .

ــ ساتركك لحظة . تتصفح كتبي . وهناك بعض الاسطوانات اذا كنت تهوى الموسيقـــى .

وفتح الباب فاذا به يصطدم بكارولين التي كانت قد رفعت يدهـــا لتطرقـــه . وقـــال :

ــ هلو ، ايتها العزيزة ! لم اكن اتوقع مجيئك .

ــ لم آت للبقـــاء ، فـــلا تخف .

وصارت في داخل الغرفة ، وقال سورم :

ــ انكما لم تتعرفا على بعضكما، هاأ اوليفر غلاسب ، كارولين دينبغ. فقالت كـــارولين :

ــ اوه ، انت اوليفر غلاسب المعروف ! التقيت بك قبلا فى محل مـــا اليس كذلـــك ؟

كان غلاسب يحدق فيها ، وفى وجهه تعبير غريب كئيب . وقال :
ــ لا اعلم .
واتسعت لكنته فاصبحت متعمدة كلكنة ممثل هزلي من يوركشاير .
ووجد سورم وهو ينظر الى كارولين انه من المستحيل ان يتصور السببالذي يدفع غلاسب الى السخط . كانت مرتدية معطفا من الفراء له غطاء راس من الفراء ايضا يكاد يغطي وجهها . وكان وجهها الذي تحيط به خصلات من الشعر الاشقر ، يبدو ورديا مدورا كوجه دمية . وقال :
ــ هل لك فى قدح نبيذ ، ايتها العزيزة ؟
ــ اوه ، لا بــأس .
وازاحت غطاء الراس الى الخلف لتحتسي اول رشفة من النبيذ.كانت ترتدي قفازا اسود . وقــال سورم :
ــ يجب أن اذهب الى المطبخ لقلي بعض البطاطا . تعالي معي .
وعندما كانا لوحدهما فى المطبخ ، قالت :
ــ لا اظنه يميل الي كثيرا .
ــ اوه ، لست ادري . أنه خشن السلوك دائما . ولكنه لا باس بــه عندما يكون الانسان على معرفة وثيقة بــه .
ــ اليس الجــو حارا هنــا ؟
ــ اخلعي معطفــك .
ــ كلا ، يا عزيزي . انا فى طريقي الى التمرين وقد خطر لي أن امر بـك لاسلم عليك . لا يبدأ التمرين قبل الثامنة . اردت أن اتحقق من انك لستمع نساء اخريــات .
ــ مــن اين اقبلت ؟
ــ من عند العمة جيرترود . سأنام عندها الليلة .
ــ اوه ، نعم . كيــف حالهـــا ؟
ــ انها بخير . لماذا ارادت رؤيتك ؟
ــ حــول اوستــن .
ــ آه . نعـــم !
ــ لمــاذا ، ماذا ظننت . .؟
ــ أوه ، لا اعلم . انها تريد أن تزج بك بين شهود يهوه .
ــ كيـــف علمت ؟
ــ أوه ، أن الامر واضح ، ماذا ارادت أن تعرف عن اوستن ؟
ــ لقد اكتشفت انه منحرف جنسيا . واعتقد بانها كانت تريـــد ان

تعرف هل اني مثلـــه .

ـ ومـــاذا قلت لها ؟

ـ دفعت بها الى الفراش بعنف وجعلتها تعتقد بأني عنز مقنع .

ـ لا تكن سخيفا ! ماذا قلت لهـــا ؟

ـ اوه ، لا شيء . . حاولت فقط ان اقنعها بأن لا جدوى في القاءمحاضرة على اوستن عن قوانين النبي موسى . تلقت الامر بصورة حسنة عموما .

ـ اخبرني ما جرى بينكما بالتفصيل .

وحدثها عما جرى بينه وبين المس كوينسي عندما كان يغلي قطع لحم الخنزير المقدد ، وانهى قصته عند الحد الذي ذهب به ليستحم . وقـالت :

ـ كانت تبدو مشوشة عندما عدت الى البيت . وقلت ترى ماذا جرى!

ـ كم كـــانت الساعة ؟

ـ اوه ، حوالي الرابعـــة .

واخذ يهز قطع البطاطا في السلة السلكية فارتفعت القطع السمراء الـى الاعلى ، ثم غمرها مرة اخرى في السمن الذي كان يغلي وقال :

ـ هل تعلم جيرترود انك آتية الي ؟

ـ كلا . خامرني شعور بانها ستحس بالغيرة .

ـ لماذا ؟ هل تعتقدين انها تلاحقني ؟

ـ لا اظن ذلـــك .

ـ لم اذن ؟

ـ لانها اكتشفتك قبلي . واعتقد انهاتريدك أن تحضر اجتماعاتها الدينية.

ـ همممممم . . .

والقت بمعطفها على كرسي المطبخ . كانت ترتدي بدلة حمراء صرفة لها شريـط من الفراء حول الرقبة . فانحنى وقبلها واحس ببرودة شفتيهـــا اللتين انفرجتا حالا عن داخل فمهـا .

ـ ليس الان . لديك زائر فيغرفتك!

ـ لن يكون لدي زائر غدا ليلا .

ـ فعليك ان تنتظر الى الغد ، اذن ، ها ؟

ـ واحس برعشة من البهجة بصراحتها . وقال :

ـ يمكنك العودة فيما بعد هذه الليلة . . .

ـ لا استطيع . قد تساور العمة جيرترود الشكوك ، فينبغي علي بعـد ذلك ان اذهب الى البيت في ويمبلدون كل مساء . . .

واخذ غطاء القدر يهتز بقوة عندما كان يدفع به البخار . وتركها وهـو يحس بالاسف وعاد الى المطبخ . وقـالت :

ــ اتعلم ، لقد التقيت بهذا الرجل في محل مـا . . .

ــ ايــــن ؟

ــ لا اعلم . دعني اتذكر . سانت مارتنز . . . سانت مارتنز . . .

ــ ملوسة الرسم ؟

ــ كلا ، ا . . . انه شيء . . . آه تذكرته . في ساحة اللهو في طريـــق تشيرنك كروس . رأيته هناك .

ــ لا يبدو على أوليفر انه يرتاد مثل تلك المحلات !

ــ بلى ، كان هو . اني واثقة . كانت تصحبه فتاة صغيرة ، وقد اثـار شجاراً حول احدى الالات ــ لم تشتغل . كان يرتدي معطفا سميكا قذرا.

ــ كيف كانت الفتاة ؟

ــ لست ادري . لم الاحظها في الواقع . كانت فتاة صغيرة ــ في العاشرة او الحادية عشرة مثـلا .

ــ جميلـــــة ؟

ــ مـــاذا ، بهذه السن ! لا اخالك تظنه يميل الى فتيات بهذا السن ؟

ــ لست اظن ذلك . ولكني رأيت لوحة زيتية رسمها لفتـاة صغيرة ، ربمـــا تكون هي .

واستدار واطل الى أسفل الدرج ليتحقق هل يصل صوتهما الى غلاسب فاستبعد ذلك . وسالت :

ــ كم الساعة الآن ، يا جيرارد ؟

ــ السابعة والدقيقة العـــاشرة .

ــ ينبغي أن اذهب .

ــ الا ترغبين في شيء من العشاء ؟

ــ كـلا ، شكرا ، تناولت الشاي .

واخرج الصحون الدافئة من تحت الشبكـــــة الحديدية واستخدم سكين السمك ليضع عليها لحم الخنزير . ثم هز قطع البطاطا ليخلصها من السمن وافرغ البطاطا من السلة السلكية ووضعها على الصحون . وقـــالت كارولين مستحسنة عمله :

ــ مممم ! انك طباخ ماهر . اذا حدث وتزوجنا فستكون نافعا جدا .

وسالهـــــا :

ـ أتريدين الــــزواج ؟

ففركت كتفه براسها :

ـ لن ارفض الزواج بـك .

ـ مـاذا ! بعد معرفة اقل من اسبوع ؟

وعندما التفت ليواجهها احاطت رقبته بكلتا ذراعيها ، وقالت بصوت نـاعم كأنها تدافع عن نفسها :

ـ لا حاجة بي ان اكون على معرفة بك مدة طويلة . اني اعرفك الان جيدا .

ـ صحيح ؟ ماذا تعرفين عني ؟

ـ على كل ، انك لطيف المزاج ... وستحقق يوما ما نجاحا هائلا .

ـ هممم . لا اعرف شيئا عن لطف المزاج هذا .

وسحبت راسه اليها . وبعد أن قبلها قالت :

ـ هل افضي لك بشي ؟ قررت أن ارسم الخطة لان احظى بك منــذ اللحظة التي رأيتك فيها عند العمة جيرترود . ما كان ينبغي لي ان اقول لك ذلك .

ـ لـــم لا ؟

ـ يشعرك ذلك بانك ملاحــق .

ـ ولكني عفيف . (١)

ـ انا لا اقصد ذلك ، سخيف ! أعني قد يجعلك تشعر انك ملاحق .

ـ انــا فعلا ملاحق .

ـ صحيح انك كذلك ـ فهل يضيرك في شيء ؟

ـ كــلا مطلقا . انظري ، أيتها العزيزة ، يجب ان اذهب بالعشاء الـى اوليفر . فتعالي وتناولي شيئا من الشراب .

ـ كلا ، فلم اتم هذا بعد . وعلى كل حال ، لا اريد ان ادخل الغرفـــة مرة اخرى . لذا اقول لك وداعا الان . لا ترافقني الى الاسفل .

وعندما قبلها ، الصقت جسدها به ونفثت فيه الدفء . ولما خرجت استنشق الهواء بملء رئتيه واطلق زفرة طويلة . واحس بالم في صدره وظهره كانه تلقى ضربة بوسادة . وكان يحس بالشهوة تخفق وتخبو .

وكان غلاسب يجلس على السرير وهو يقرأ في أحد مجلدات « محاكمات بريطانية شهيرة » . وشرع ياكل بسرعة وشراهة . وبعد ان ابتلع لقمتيــن من الطعام قال بصوت غريب مبحوح :

ـ وااااه ! كنت احتضر من الجوع !

---

(١) هناك تشابه لفظي في اللغة الانكليزية بين كلمتي « ملاحق » و « عفيف »

فقال سورم مبتسما :

ـ عظيم .

كان سورم اكثر انصرافا الى التفكير في كارولين من رغبته في الكلام . وظلا يتناولان الطعام بصمت مدة عشر دقائق وملأ سورم القدحين للمـرة الثانية . ووضع غلاسب صحنه الفارغ على الارض وجذب انتباه سورم نحوه بزمجرة حيوانية قائلا :

ـ قلت انك لم تسمع باخر جريمة قتل ارتكبها جاك السفاك ؟

ـ صحيح .

ـ ولكنها مذكورة هنا .

وابتلع غلاسب ما تبقى من الطعام من فمه ، وسعل لينقي حنجرتـه واخذ يقرأ :

« في صبيحة يوم ١٨ تموز عام١٨٨٩ وجدت امراة مجهولة الهوية قتيلة في زقاق كاسل في وايتشابل وكانت الجروح التي اصيبت بها تشبه تلـك التي وجدت على جثث الضحايا السابقة وفيالساعة الثانية عشرة والربعمن الصباح الذي ارتكبت فيه الجريمة دخل الزقاق احد رجال الشرطة وتناول عشاء خفيفا تحت مصباح الشارع . وترك الزقاق في الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة والعشرين ليتحدث الى شرطي اخر من نفس النوبة .ولما عاد في الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخمسين وجدت امراة قتيلة تحـت مصباح الشارع حيث وقف سابقا . وكانت الارض تحت الجثة يابسـة بالرغم من أن ملابس المراة كانت مبتلة . فقد انهمر زخة من المطر في الساعـة الثانية عشرة والدقيقة الاربعين . وعليه فقد حدثت جريمة القتل هذه بين الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة والعشرين والساعة الثانية عشرة والدقيقة الاربعين ، عندما اخذ المطر بالهطول ... »

وقال سورم :

ـ لم اقرأ هذا قبلا . ما هو الكتاب ؟

ـ محاكمة جورج تشابمان .

ـ اه ، نعم وجدت الكتاب في الغرفة عندما انتقلت اليها يوم السبـت الماضي ، ولكن الا يذكر الكتاب فيما اذا عرفت المراة ؟

ـ نعم . كانت العمة سالي . سالي مكتنزي .

كانت قنينة الشراب تكاد ان تفرغ . وفتح سورم قنينة اخـرى . واسترخى غلاسب مستندا الى الجدار ، ومد ساقيه على الفراش وهـو يتثاءب . وقال :

ـ كانت وجبة شهية . انك سعيد الحظ ، يا جيرارد .
ـ لماذا ؟
ـ اوه ، لديك مال كاف لتفعل ما تشاء .
ـ وانت ؟
ـ كلا ، ابدا . ان دخلي اليسير ياتيني من تاجر حقير يمتص دمي حتى ينضب !
ـ هل ياخذ جميع لوحاتك ؟
ـ كلا . فقط تلك التي يستطيع بيعها . مثل مناظر في الشارع او مناظر طبيعية مزوقة .
ـ وتعتمد في معيشتك عليها . شيء عظيم .
ـ لا تدر ربحا يذكر .
ـ على كل حال ،كيف اكون انا سعيد الحظ ببضع مئات من الجنيهات سنويا ؟ الانسان السعيد الحظ هو فقط الانسان الذي له القابلية على الخلق. اما انا فقد تسمرت الى الكتاب نفسه منذ خمس سنين .
ـ لم لا تتمه ؟
ـ لا استطيع . ولكني مستمر في المحاولة . هناك شيء افتقد اليه .
ـ ما هو ؟
ـ اوه . . . الوحي ، على ما اعتقد .
ـ اهذا كل شيء ؟
ونظر سورم اليه . كان واضحا ان الطعام قد لطف من مزاج غلاسب الى حد كبير . وقال سورم :
ـ لا ، ليس هذا كل شيء . لدي مشاكل اخرى ايضا .
ـ مثلا ؟
فقال سورم مبتسما :
ـ لا ادري أذا شرحتها لك هل تفلت زمام نفسك .
فقال غلاسب :
ـ ايه ؟ انا ؟ ماذا تعني ؟
ـ اوه . . . اعني حالتك عندما كنت ابحث معك جرائم وايتشابل أول ما اتيت .
ـ اوه ، الامر يختلف هنا . . .
ـ لا يختلف كثيرا . لاني اجد بعض جوانب نفسي يعكسها ذلك القاتل. الا تلمسها انت ؟

ـ كلا . وعلى كل حال ، فما علاقة ذلك باكمال كتابك ؟

ـ طيب ساحاول ان اشرح .اني اسال نفسي : لم يقترف الانسان جريمة جنسية ؟ انا اعلم ان بعض السبب يعود الى محض الضعف . ولكن هذا لا يجيب على السؤال . وقد قرات قبل ايام ان سبعين في المائة من الجرائم الجنسية فى الولايات المتحدة يقترفها مراهقون . فما هو فى اعتقادك السبب ؟

فهز غلاسب كتفيه وقال :

ـ لان سيطرتهم على انفسهم اقل في تلك السن .

ـ ليس هذا فقط . لانهم يظنون بانهم سيحصلون على اكثر مما يحصلون عليه عادة . قرات مرة عن قضية شاب كان يسوق سيارة لوري ومر بفتاة في طريق مقفر . فاستدار بسيارته وصدم بها الفتاة ثم اغتصبها في مؤخرة سيارته . وبعد ذلك القى جثتها في بئر هناك ومن ثم نسف البئر بالديناميت . واخيرا القي القبض عليه وارسل الى الكرسي الكهربائي .

وتوقف سورم عن الكلام ليفسح المجال الى غلاسب ليبدي رأيه . ولما راى سورم ينظر اليه قال غلاسب :

ـ حسنا ، نال عقابه ، اليس كذلك ؟

ـ نعم ، ولكن ليس هذا ما يستوقفني . ان الذي اثر في هو حماقة العمل ، والتفريط بالانسان ، والموقف الذي يثير العطف . حاول ان تضع نفسك في محله ... هل تستطيع ؟

ـ اظن ذلك .

ـ افرض انه افلت بفعلته هذه . فما هو شعورك نحو فعلتك هذه ، وانت تعود بذاكرتك اليها ... حتى ولو كنت لا تخشى ان ينكشف امرك ؟ الا تشعر بالفراغ السخيف بين الدافع الذي حدا بك الى ارتكاب الجريمة وبين ما ظفرت به فعلا منها ؟ فقد راى هذا الانسان فتاة مغرية على قارعة الطريق . وفجاة ، احس بانها تمثل لديه كل ما فرضه عليه سن المراهقة من محرمات وضروب الفشل . فيحس بانه ينبغي عليه بالحاح ان يظفر بهذه الفتاة . اتذكر ، في الميثولوجيا الافريقية ، كيف ان الاله زيوس مضى يغتصب كل من يراها ـ وكيف حول نفسه الى اوزة ثم الى حمامة ثم الى ثور ؟ جعل شقيقته ديميتر تلد له ابنة ثم اغتصب تلك الابنة ايضا...اتفهم ما اعنيه ؟ لقد شعر هذا المراهق بذلك تماما ... شعر بان له ما للاله من امتيازات . انه يتمرد على قيوده فيستدير بسيارته ... ولكنه ليس الها ، وهو يعيش في دولة لها قوانين ، فتحكم عليه القوانين بالموت .

ـ كان غلاسب قد بدأ يبتسم بينما كان سورم يتكلم . ثم قاطعه بقوله:

ـ ولكنه ليس بالذكاء الذي تتصوره . هل تظن بان لديه اية فكرة عن زبوس وعن ليدا عندما استدار بسيارته ؟

ـ كلا ، ولكني احاول ان اصف مشاعره ، بالرغم من انه لا يستطيع التعبير عنهـا ...

ـ اعلم . ولكن ذلك غير صحيح . قد لا يعدو ان يكون هذا الشخص قرويا سمجا كالثور الهائج لا يفكر الا بعدد الفتيات اللواتي يمكنه ان يثقبهن خلف جدران المراقص في امسيات ايام السبت . وهو عندما يغتصب الفتاة ، لا يحس باية شفقة عليها لانه قتلها بسيارته . انه لا يشعر بذلك ، اذ لو كان يرغب فيها حقا لاستطاع بكل سهولة ان يتعرف عليها وان يغويها دون ان يلجأ الى قتلها . ان حياتها لا تعني شيئا بالنسبة له ، ولا مشاعر ذويهـا . انه يضع كل ذلك في كفة وشهوته العمياء في كفة اخرى ، ويدع شهوتـه تربح . فهل تشعر باي تعاطف معه بعد كل ذلك ؟

ـ اتفق معك ، انك على حق.ولكن مع ذلك ، ليست هذه هي الحقيقة كاملة . اصغ . في يوم من الايام كنت اقود دراجتي على الشارع المحاذي الى النهر فرايت فتاة بصحبة احد الجنود ينظران الى النهر . كان يومـا عاصف الرياح ، وفجأة اطارت الرياح رداءها فارتفع الى فوق راسها . واقول لـك، شعرت كانني تلقيت رفسة في معدتي . وظللت مدة اسابيع بعد ذلك ينتابني شيء يشبه الحمى كلما فكرت بالحادث .

فقاطعه غلاسب :

ـ يلوح شعورك هذا حرمانا جنسيا معتادا !

ـ اعلم . ولكن ما الذي كان سيشبعه ؟ لو كانت الفتاة لوحدها ،اظنني كنت تعرفت بها ،وكنت اقنعتها في الاخير ان اجرها الى الفراش . ولكـن ذلك وحده لن يرضي هذه الرغبة . انها اعنف جدا واكثر نزوعا للاشبـاع الآني من مجرد الرغبة في الانغماس في علاقة غرامية . انها حنين مفاجيء الى حرية أوسع بكثير مما نملك فعلا . انها بصيرة الى الحرية ـ ولذا فهـي رغبة جامحة . وفضلا عن ذلك ، فهي لا ترتبط بشيء في الشهوة الاعتيادية . كانت لي في يوم من الايام صديقة...عندما كنت أعيش في الطابق السفلي على مقربة من شارع ماريلبون . على كل ، التقيت بها في يوم من ايام الاحاد وضاجعتها اكثر مما كنت اتصور اني استطيع ـ حتى شعرت كانني خرقـة مبللة من شدة التعب . وانتابني شعور باني لن اتوق بعد الى المرأة طـوال

حياتي ، وباني قد افرغت كل ما في نفسي . ثم خرجت من الباب الامامي لاجلب قنينة الحليب ، ورأيت فتاة عابرة تمشي على الرصيف الى اعلى وهي ترتدي تنورة فضفاضة كانت تتارجح فتكشف عن ساقيها وفخذيها. واعلم، احسست بشوق لان اختطفها واركض بها راسا الى السرير . ولقد ادهشني ان ادرك باني لم استنزف بعد ما في نفسي من الرغبة . وانما استنزفت فقط رغبتي تجاه فتاة معينة . كانت شهوتي للنساء عامة لم تتأثر .

كان غلاسب مقطب الجبين . ولم يكن قد مس قدحه منذ ان مــلاه سورم ثانية . وقال :

ــ لست افهم ماذا تحاول أن تثبت . لا افهم ما تعنيه بالبصيــرة في الحرية .

ــ لا اتمكن من شرح المسألة بسهولة . انها شيء كهذا : ضرب مــن الرؤيا لحياة اكثر . تجعلك تحس كأن سلطات الاله قد سلبت منك . كأننــا نحن انفسنا الالهة ، كاننا حقا احرار ، ولكن دون أن يدرك هذا احد. ويعود الينا هذا الادراك مرارا خلال الجنس .

فتمتم غلاسب : د. هـ. لورنس وفصيلته .

ــ كلا ، ليس هذا وحسب . لا يعنينا من هذا مجرد الجماع الجنسي، لدي صديق يشتغل في الصحافة له ولع لا يكل كولع كازانوفا في ملاحــقة النساء واغوائهن . ولكنه لا يلذ له في الواقع مضاجعتهن . حيث ان هذاالجزء من العلاقة يضجره . انه يريد فقط ان يحس بالنصر ، أن يحس بمقدرته على مضاجعة النساء ان هو اراد ذلك . لايمكنني شرح هذا .. ولكني احس كاننا مدعوون لان نكون الهة ، كان حرية الالهة ينبغي أن تعود لنا وانها من حقنا الطبيعي ولكن شيئا جردنا منها .

فابتسم غلاسب وقال : لك ميزات الكاثوليك ، مع هذا .

ــ اشك في ذلك . انا اشعر فقط بان عبوديتنا الى الجنس هي مجــرد الحاجة لاعادة شيء كان من حقنا الطبيعي ان نمتلكه . انها حالة داخلية من التركيز الهائل . وفي هذه الحالة ان تكون بعد جرائم جنسية . انها حالــة من القوة الداخلية التي تجعل من الاخرين اشياء زائدة عن الحــاجة . ان حاجتنا للمراة هي حاجتنا لاعادة ذلك التركيز الداخلي لبرهة من الزمن ..

ومد غلاسب يده ليسكت سورم . فسأل سورم :

ــ ما الخبر ؟

فقال غلاسب :

ــ شخص يناديك .

ونهض سورم وذهب الى الباب ، فسمع صوت الفتاة يهتف :
ـ تلفون ! ايها المستر سورم .
فصاح : شكرا .
ونزل السلم مسرعا وهو يحس بالدفء الذي ياتي من الرضى الذي يولده الطعام والشراب . كانت سماعة التلفون على طاولة الصالة . وقال :
ـ هلو ؟
ـ جيرارد ؟ اوستن يتكلم .
ـ اهلا ، اوستن ! كيف حالك ؟
ـ بخير اشكرك جدا . ماذا تفعل الان ؟
ـ فرغت توا من تناول العشاء .
ـ الست مشغولا ؟
ـ بلى . اوليفر غلاسب معي .
ـ اوه . . .
واستشف سورم الخيبة في نبرة اوستن . وراح يتساءل هل تنطوي على كراهية نن لغلاسب وقال :
ـ ماذا هناك ؟
ـ لا شيء . متى يذهب ؟
ـ اوه ، خلال ساعتين . لقد وصل قبل قليل .
ـ اوه .
ـ لماذا ؟ هل اردت ان اتي لزيارتك ؟
ـ نعم ، في الواقع . الا يمكنك التخلص منه ؟
ـ كلا ، في الحقيقة ، الا اذا صرت فظا معه . وانك تعلم بانه سريع التاثر . هل الامر مهم .
ـ كلا . اود ان اراك فقط . هل يمكنك المجيء بعد ساعتين ؟
فقال سورم متأوها :
ـ كلا ، يا اوستن . اكاد اموت من التعب ، ولم استطع ان افتح عيني من التعب طوال اليوم . وعندما يذهب اريد ان انام .
ـ ولكني لن ابقيك طول الليل ، اعدك بذلك .
وكاد سورم ان يستسلم لالحاح نن ، ولكنه تذكر مشقة الذهاب الى شارع الباني واحس بيقين داخلي مفاجيء بانه لا يريد الذهاب ، فقال :
ـ ليس هذا . ولكني منهوك تماما . ولن تفيد مني شيئا اذا جئت.
فقال نن ولم يستطع ان يخفي امتعاضه : اوه ، حسنا !

ـ لنلتقي غدا أو في مرة اخرى .
ـ سأتصل بك ثانية .
وانقطع الخط ، فبقي سورم يصيخ السمع قليلا لايدري هل قطع الخط من البدالة . ثم اعاد السماعة الى مكانها وعاد الى غرفته . وقال :
ـ أوستن اتصل بي الان .
فقال غلاسب :
ـ نعم ، وماذا اراد ؟
ـ ليسأل عني فقط . بقينا حتى وقت متاخر من الليلة الماضية .
ـ هل اراد ان يراك الان ؟
ـ اقترح علي ذلك ، فقلت له باني لا استطيع .
كان غلاسب منحنيا على صندوق الاسطوانات . وقال :
ـ اعتقد بانك ستجد المستر نن شخصا شديد الالحاح قبل أن تتم .....
ـ نعم ؟
كان غلاسب جالسا عند نهاية السرير وقد نشر جميع الاسطوانات على غطاء الفراش . وقال :
ـ انه مثل بقية الضعفاء يستخدم اصدقاءه عكازات له .
ـ اتظنه ضعيفا ؟
ـ الا تظنه انت كذلك ؟
ـ لست .... واثقا .
فقال غلاسب :
ـ ستكتشف ذلك .
وانتقى احدى الاسطوانات وقال :
ـ الا اذا كنت تريده ان تتحدث ، فما رايك في سماع موزارت ؟
ـ بالتاكيد . المزيد من الشراب ؟
ـ كلا ، شكرا . ولكن بعد ذلك ، ان وافقت ، فنذهب الى اقرب حانة لارد لك بقليل من البرندي بعض الكرم الذي ابديته تجاهي ...
ـ لا داعي ان تفعل ذلك .
ـ ومع ذلك ، فاود ان افعل .
كان غلاسب قد اتخذ لهجة غريبة متحذلقة واسلوبا راقيا في الكلام ، فقال سورم ضاحكا :
ـ امر رائع بالنسبة لي .

ووضع الاسطوانة في الفرامافون ثم استرخى في كرسيه واغمض عينيه، وما لبثت حوادث الاربع وعشرين ساعة الماضية تدور في ذهنه فيما هو يصغي الى الموسيقى . وشعر كان الحوادث وقعت لشخص آخر .

* * *

كان الليل قارس البرد . واخذ وهو يخرج من محطة نفق كنتش تاون يشد القاعة حول رقبته ويحكم ازرار معطف المطر عند ذقنه . كان غلاسب ثملا تماما عندما دخل قطار النفق ولكنه رفض عرض سودم ان يرافقه الى مورغيت . وشعر بالدفء داخليا ، وبالتعب اللذ ، ولكنه لم يكن ثملا .

ولما بلغ منتصف السلم سمع رنين جرس التلفون . فاستدار وعاد نازلا . وانفتح باب الطابق السفلي ولكنه صاح :

ــ لا تتعبي نفسك ، يا كارلوته . سارد عليه انا .

ــ وقال الصوت :

ــ هل يمكنني الكلام مع المستر سودم ، رجاء ؟

ــ يتكلم !

ــ جيرارد ؟ لم اميز صوتك ! بيل يتكلم .

ــ هلو ، ايها الصبي . اين انت ؟

ــ جئت توا الى الجريدة لامضي الليلة . اننا سنعد تقريرا صحفيا عن حادثة القتل في غرينتش ، اتود المجيء ؟

ــ ما هو نوع التقرير ؟

ــ اوه ، انك تعرف هذه الاشياء .. نذهب للتجول مع شرطة العسس وناخذ الصور الفوتوغرافية . ايروق لك ذلك ؟

ــ والله .. لا ادري . كنت ساتي ولكني شديد النعاس . لم ادخل الفراش حتى الساعة الثامنة من صباح هذا اليوم .

ــ طيب ، لنترك الموضوع . لدينا مقعد خال في السيارة اذا اردت المجيء . هل تعرف المصور ، تيد بيلينكس ؟

ــ اوه ، نعم ، اسمع ، اشكرك جدا لعرضك هذا ، وساكون مسرورا لمصاحبتكم في اية ليلة اخرى .. ولكني في الواقع منهك القوى . ولكن اسمع ، يا بيل ، اذا حدث شيء مهم فاخبرني . فيسرني ان آتي الى هناك . غير اني شديد النعاس الان ..

ــ طيب ، ايها الصبي . لا تكترث . ساتصل بك في ليلة اخرى . ظننتك تريد المجيء . ساراك فيما بعد .

وفيما هو يخلع ملابسه احس بالاسف لتعبه الشديد . لقد كان يود

مصاحبة بين في اعداد التقرير . وخشي ان يحرم عليه التفكير في هـذا الموضوع النوم .

وحالما كان على السرير ، شعر انه احسن صنعا برفض الخروج، وراح يداعبه سيل من الدفء . ومضغ حبة « الكالين » ثم ابتلعها ليقي نفسه من اثار الشراب وضغط برأسه على الوسادة . وطافت في مخيلته صورة كارولين واثارت في نفسه احساسا باللذة نتيجة تذكره انه طلب منها قضاء الليلة معه وادراكه بانه حتى لو قبلت هي فسوف لن يكون في امكانه مضاجعتها . وكان الاحساس ايضا وليد الشعور بالتوقع .

واستيقظ وراح يحدق في الباب . وظل برهة من الزمن في حـيرة هل كانت ذروة احد الاحلام هي التي ايقظته بهذه المفاجاة . وفيما هو يصغي سمع همهمة . واطل خلال الظلام في ساعته المضيئة فوجدها تشير الـى السادسة . وانقلب على جنبه ودفن وجهه بين اغطية الفراش ، وبعد لحظة سمع صوت وقع اقدام على السلم . فرفع راسه ليصغي . وطرق احـد الباب عليه . فصاح : نعم ؟

وانفتح الباب قليلا ، وقال صوت رجالي :

ـ احدهم يطلبك على التلفون . انت المستر سورم ؟

ـ نعم . . اشكرك . يا الهي . . في هذه الساعة المبكرة ! انا اسف جدا.

ولبس الروب وخرج من الغرفة . كان الرجل يسبقه نازلا السلم ، وهو يقول :

ـ التلفون امام غرفتي . لقد ايقظني .

ـ انا في الحقيقة اسف جدا . . .

كان سورم يفكر مع نفسه : انه اوستن ابن الـــــــ !

ـ يقول الشخص ان الامر مستعجل . . .

وذهب نحو التلفون وهو يقول في نفسه:ساخبره بانهم سيطردونني اذا استمر على هذا النحو . . . الساعة السادسة . . . يا للاحمق .

واختطف سماعة التلفون وكبت الرغبة في ان يصرخ بها ، وضبط نفسه وقال : هلو ؟

ـ هلو جيرارد . بيل بين يتكلم .

ـ بيل ! ماذا تريد ؟

ـ طلبت مني ان اتصل بك اذا ما حـدث شيء . حادثـــتا قتل في وايتشابل . . .

وارتعد شعره كان تيارا كهربائيا سرى بجسده . وتدلت يده الـتي

تحمل السماعة الى جنبه لحظة ، وسمع صوت بين كأنه يصدر من بعيد .
ورفع السماعة بعد قليل وسمع بين يقول :

ـ . . . كان ذلك منذ ساعة . ولذا ، اذا اردت المجيء فتعال على الفور .

ـ اين ؟

ـ شارع مايتر .على اليسار من محطة اولدغيت . هنالك مقهى صغيرة على مسافة قليلة من المحطة . سأراك هناك .

فقال سورم :

ـ حسنا . .سآتيك باسرع ما يمكن .

واعاد السماعة وجلس على حافة الطاولة . ولم يكترث لبرودة الجو .
وبدا له كأن صوت دقات قلبه يصل الى كل نزلاء البيت .

الفصـــــل الثـــــاني

وبالرغم من ارتدائه القفاز ، احس بالخدر في يديه قبل ان يصل هولبورن. وخلع القفاز عن يده اليسرى وراح يقود دراجته ويده في جيب السروال يشد بها على تقعر فخذه . كانت شوارع المدينة مهجورة . لقد ايقظه البرد ، ولكنه كان يحس بانهاك داخلي يكاد أن يكون خمولا مترفا كأن عواطفه كلها تيــــار كهربائي اصيب بعطب . واحس بحرية غريبة . وقبل ان يصل نهاية شارع ليدنهول نسي سبب خروجه في هذا الصباح الباكر . واثار فيه منظر رجل عجوز ، يجلس القرفصاء في احد مواقف الباصات ، وقد تلفع بمعطفه، سيلا من الافكار عن مشاق الحياة البشرية وعن ميل الانسان لتعقيد هذه الحيــاة باتيان حركات لا فائدة منها . وعندما تخيل هذه الشوارع التي ستزدحم خلال ثلاث ساعات بحشود من الناس الذين لا يحركهم دافع اخر غير العمل اليومي، ولا يقودهم يقين عميق لمواجهة هذا الاضطراب ، شعر بالامتنان لصمت هذه الشوارع والصمت الداخلي الذي تسبب عن اعيائه الداخلي .

واستطــاع أن يميز بيــن واقفا الى جانب مدخل قطار النفق . كــــان يشعل سيكارة ويضرب بقدميه عى الارض ليدفئهما .

وصاح سورم :

ــ هلو ، بيـــل !

ــ هلو جيرارد ــ يسرني انك توفقت في المجيء .

واسند سورم دراجته الى الجدار وراح يبحث في الحقيبة عن السلسلة :

ــ حسبتك ستنتظر في المقهى ؟

ــ لقد خرجت منذ دقيقة فقط ، طلبا للهواء . هل ستترك دراجتك هنا؟

ــ اظن ذلك . ليس في الامر ضرر .

ـ طيب . هيا لنذهب ، اذن .
ـ اين يقع المحل ؟
ـ مايتر سكوير . على الجانب الاخر من هاوندسديتش .
ـ ماذا حدث ؟
ـ لا اعلم بعد . عثر على امراة اخرى . وقبل ذلك بنصف ساعة كانوا قد وجدوا امراة أخرى في شارع برنر اي في الجانب الاخر من الشارع التجاري .
ـ يبدو ان القاتل كان يحيي مهرجانا !
ـ سيخلق هذا الامر بعض المصاعب ، يا جيرارد . ستكون اكبر قضية بحث عن قاتل عرفتها انكلترا ، فلن تجروء الشرطة على أن تتركه يفلت الان .
ـ هل رايت الجثتين ؟
ـ القيت نظرة على الجثة التي وجدت في مايتر سكوير . اما الاخرى فقد نقلت .
ـ في اي ساعة وجدت ؟
ـ هذه الاخيرة ؟ منذ حوالي الساعة . كنا في طريقنا الى المكتب عندما وصلنا النبأ . ولقد خففنا مسرعين الى هذا المكان قبل ان يصل احد اخر .
ـ شكرا على مخابرتك لي .
ـ لا شيء . فأمور كهذه لها فائدتها بالنسبة لمؤلف مثلك . في الواقع ، هذه اول حادثة قتل اراها عن كثب . ولكن ، اتعلم يا جيرارد ، أن الامر في غاية الغرابة . لا بد انه قتل المراة في شارع برنر ثم جاء مباشرة الى هنا ليقترف جريمته الثانية خلال خمس عشرة دقيقة .
ـ هل اتصلت تلفونيا بمكتبك لتنقل اليهم القصة ؟
ـ بالطبع . تكاد ان نحصل على سبق صحفي . اول من يصل الى موقع الجريمة ؟ وقد اخذنا صورا وغيرها . . .
كان سورم مندفعا للكلام بصورة منفعلة ، فقد احتشدت في راسه عشرات الاسئلة تبغي كلها مخرجا في آن واحد . وقال :
ـ حدثني عن الجريمة بالتفصيل . قل لي ماذا وقع بالضبط .
ـ لا استطيع فنحن انفسنا لا نعرف القصة كاملة بعد .
ـ اقصد ـ حدثني ماذا حدث لك طوال الليل .
ـ انتظر لحظة . فنحن على وشك الوصول .
ـ كيف قتلت ؟
ـ الاخيرة ؟ ذبحت من حنجرتها . ولكن جثتها مثل بها تمثيلا فظيعا .
ـ كيف ؟

ـ اشبع وجهها طعنا وتمزيقا .
ـ يـــا للمسيـح !
وقال بين بعبارة قصيرة : جعلني المنظر اشعر بالغثيان .
ودلفا الى شارع ضيق ، ونظر سورم الى الرقعة التي كتب عليها اسم الشارع ، فقرأ : شارع ديوك . وقال بين :
ـ ايه ! بدأ الناس بالاحتشاد من الان .
ورأيا في نور الغسق الخافت اناسا متجمهرين على طوال الجزء الثاني من الشارع . وقال بين :
ـ يحسن بنا أن نذهب من الطريق الاخر . هنالك زقاق ضيق يؤدي الى الساحة من هذا الجانب .
وسأل سورم :
ـ مــاذا تظن سيحدث الان ؟ لا شك أن الامر سيثير الرعب العام .
ـ لا استطيع التكهن . واني لارتاب في ان الحكومة تريد أن تجعـل الصحف تنشر اخبار هذه الجرائم بعناوين بارزة لتصرف اهتمـام النـاس عن الموقــف الدولي .
ـ فكرة مثيرة ! انك تعتقـــد بان وزارة الخارجية هي وراء حوادث القتـــل هذه ؟
ـ لا يدهشني ذلك ! يقولون ان الوزارة مليئة بالمنحرفين الجنسيين ... ليس من النوع الذي يميل الى النساء ، على كل حال .
ثم استدارا ثانية تاركين شارع اولدغيت ودلفا في الشارع الذي كـان يسير باتجاه شارع ديوك . كان شارعا ضيقا وقد احتشد فيه الناس مـــن الرصيف الى الرصيف .
وقــال بيـن بيأس :
ـ اخشى انه لا يمكنك رؤية شيء . كان عليك ان ترافقني ليلة امس .
وشعر سورم بالخوف والانفعال يحركان احشاءه . كان الصمت مطبقا على الشارع ، وقد اثار فيه هذا الصمت جوا من التوتر والتوجس . وعندما اقتربا من الجموع ، وجد سورم انهم كانوا يتهامسون فيمـا بينهم باصوات خفيضة ، وقد تجمعوا كتلا كتلا . وكانت اكبر هذه الكتل جمعا من المصورين الفوتوغرافيين حاملين الات التصوير ذات المصابيح الوامضة . فاقترب بيـن منهـم وقــال :
ـ هل وقع شيء ، يا تيـد ؟
فاجاب رجل بدين قصير القامة احمر الوجه :

ـ هلو ! هل عدت ؟ كلا ـ لم يحدث شيء بعد .

كان الرجل يدفن يديه عميقا في جيوب معطفه الضخم . وكان يعقد حول عنقه لفافة صوفية ذات خطوط ملونة ، كتلك التي يلبسها طلاب المدارس .

ـ هل وصل ماكمردو ؟

ـ اجل . جاء منذ عشر دقائق . ذلك هو .

واشار برأسه الى الحبل الذي يفصل الساحة عن الشارع :

ـ هل اخذت صورة له .

ـ نعم . ولكنه استاء لذلك .

فقال احد المصورين :

ـ لقد آن له ان يعتاد على ذلك !

ثم بصق في مجرى الميـاه .

واقترب سورم من الحاجز ، ولم يكن من الصعب الوصول اليه ، فالحشد لم يكن متلاصقا . ولكنه لم ير ما يستحق المشاهدة . كان على يسار الساحة مستودع للبضائع عال يحمل اسم « كيرلي وتونج » . وكان المخرج الوحيد من هذه الساحة زقاقا ضيقا في طرف الزاوية اليمنى . وكان رجال الشرطة متجمهرين هناك ، وكان اثنان من الشرطة يجلسان القرفصاء على الرصيف ويقومان ببعض القياسات بواسطة شريط القياس . وقد استطاع سورم ان يرى ، من خلال سيقان الشرطة ، جثة القتيلة مغطاة بالقماش .

وكانت على احد جوانب الساحة البعيدة امرأة تولول ، لم تكن تصرخ ، ولكنها كانت تنتحب بصوت خشن . وبدا الاهتمام على الناس المحيطين بسورم . وقـال احدهم :

ـ هه ! هه هل تعرف عليها احدهم ؟

فاجابت امـرأة :

ـ كلا . لم يقترب من الجثة احد .

وانقطع العويل فجأة . واقترب بين من جيرارد وقال :

ـ هل فهمت ما حدث ، يا جيرارد ؟

ـ كلا . صدر الصوت من ذلك الزقاق .

وتقدم بين الى احد رجال الشرطة الذي كان يقف بجوار الحاجز وابرز هويته الصحفية وسأل :

ـ هل استطيع المرور ؟

ـ كـلا ، مع الاسف يا سيدي . لدي امر الا ادع احدا يمر حتى يصل الطبيب .

ـ نعم . وقد تأخر كثيرا .

ـ من الطبيب ؟ سيمبسن ؟

ـ لست أدري ، يا سيدي . كل ما اعلمه انه تأخر كثيرا .

وتقدم شرطي اخر من بين الجماعة التي تقف فى الزاوية . وسأله بين :

ـ هل لديك فكرة عن سبب التحجب ؟

وكان الشرطي عريفا فى متوسط العمر وقال بعدم اكتراث :

ـ مجرد امرأة اصيبت بنوبة هستيرية .

وشق احد الواقفين قرب الحاجز طريقه متدافعا بوقاحة وقال :

ـ واني لاعتقد ذلك ايضا.بالله ماذا تعملون ايها السادة لقاء ما تتقاضونه من اجور ؟ اريد ان اعرف .

وقالت امرأة بدينة كانت تضع شالا على رأسها :

ـ رويدك يا بيرت ، لا تكن قذر اللسان . انهم يفعلون ما في وسعهم .

فقال الرجل وقد تصلب برأيه :

ـ انا لست قذر اللسان . بصفتي مواطنا يدفع الضرائب لي الحق ان اعرف لماذا يقف الشرطة مكتوفي الايدي . اليس كذلك ؟

ولم يبد الامتعاض في وجه العريف .

وتقدم صحفي اخر شاقا طريقه خلف سورم . وسأل :

ـ هل تعرف من هي ، ايها العريف ؟

ـ كـلا .

ـ طيب ، لماذا يستمر قتل النساء ؟ هذا ما اريد معرفته .

ثم اشترك في النقاش رجل طويل القامة هزيل كان يقف وراء المـرأة ذات الشال . كان صوته عصبيا حادا . والتفت اليه العريف ببطء ، ثم هز كتفيه وقال :

ـ هذا ما نريد معرفته كلنا .

ثم استدار وراح يمشي لينضم الى جماعته . فصاح الرجل خلفه:

ـ فهذا ما تتقاضون اجوركم عليه ايها الحمقى ـ لمجرد اكتشاف السبب!

وهمس بين في اذن سورم :

ـ هنالك شعور شديد ضد الشرطة .

ـ لا يدهشني ذلـك .

واخذ بين يحاول التخلص من بين الحشد . وقال :

ـ هلم ، ليس هنالك ما يستحق المشاهدة .

وتقدم رجل ضخم الجثة له شارب اشقر ووقف خلف بين ولطمه

على كتفه . فقال بين :
ـ هلو ، توم ! وصلت الان فقط ؟
فقهقه الرجل الضخم وقال :
ـ ربما . كنت هنا قبل ان تنهض انت من النوم .
ـ انك لم تكن هنا ، اتعلم ! كنا اول من وصل الى محل الحادث . فقد كنا في وايتشابل عندما وصلنا النبأ .
ـ صحيح ؟ فاني أعتذر في هذه الحالة .
ـ لا تغتم ، ايها الصبي . سلني ما تشاء من الاسئلة . ولكني اتقاضى عنها اجرا طفيفا بالطبع .
والتفت بين الى سورم وقال :
ـ انك لم تتعرف بتوم موزلي ، اليس كذلك يا جيرارد ؟ توم ، أقدم لك جيرارد سورم .
ـ هل يشتغل للصحيفة ايضا ؟.
ـ كلا . جيرارد مؤلف ..
فقاطعه موزلي بقوله :
ـ بالمناسبة ، هل سمعت صراخ تلك المرأة ؟
ـ نعم ، ماذا كان السبب ؟
ـ اشاع احدهم بان الشرطة عثرت على قضيب حديدي ملطخ بالدماء، فصرخت المرأة : كنت اقف على بعد قليل منها. .جعلتشعر راسي ينتصب.
ـ هل وجدوا فعلا قضيبا ملوثا ؟
ـ كلا . كان الامر مجرد اشاعة .هل رأيت الجثة الاخرى ؟
ـ نعم . كنا هناك عندما وصلتنا انباء هذه الجريمة .
ـ هل صحيح ان راسها وجد مهشما ؟
ـ نعم . ولكن يبدو انه تلقى ضربة واحدة فقط .
ـ هممم ... لا يلوح ان صاحبنا هو الذي فعل ذلك ، هه ؟
ـ لست أدري . ربما اضطر الى ان يقطع جريمته .
وقـال سورم :
ـ ماذا حدث ؟
وقبل ان يستطيع بين الاجابة ، اخذ احدهم يصيح :
ـ افتحوا الطريق !
واقتربت عربة اسعاف من الحاجز . وراحت ومضات آلات التصوير تنطلق فتضيء الساحة برهة كأنها البرق . وقال بين :

ــ يظهر ان ستار وصل .

ــ مـن ؟

ــ الطبيب .

ونظر سورم باهتمام الى الرجل العريض المنكبين ذي الوجه الـذي يبدو لين الطبع كوجه مزارع . وكان يشق طريقه ليصل الى الساحـة . وتبعه بين فوراً وهو يمسك بسورم من كمه . فاوقفهما الشرطي واعـاد الحبل الى محله . فالتأم الجمع ثانية في كتلة متراصة في مدخل الساحة وقـال بين :

ــ اردت ان اجد مكانا لاراقب الامور من هنا .

ــ ماذا سيحدث الان ؟

ــ لا شيء . انهم سيرفعون الجثـة فقط . راقب وجـوه بعض هـؤلاء النـاس .

ونظر سورم حوله بحذر فوجد وجوها جامدة لا يبدو عليها التأثر . ولم يكن فيها شيء من التطلع والانفعال المريض الذي كان يتوقعه . وهمس:

ــ يبدون معبسي الوجوه .

واومأ بين براسه باقتضاب وهو يحدق عبر الساحة . وقد شكـل رجال الشرطة دائرة حول الجثة وقد جثا الطبيب الى جوارها . واجـرى فحصا مختصرا للجثة ثم املى شيئا الى فتاة كانت تسطر بعض الكلمـات على دفتر . ثم نهض الطبيب واشار الى رجال سيارة الاسعاف الذين كانوا يحملون صندوقا معدنيا رمادي اللون فوضعوه بالقرب من الجثة . ولكن سيقانهم حجبت الجثة عندما حملوها ، ولم ير سورم غير حافة تنـورة ممزقة كانت تجرجر على الارض عندما كانت الجثة ترتفع الى الصندوق . وبعد لحظة ، انغلق باب سيارة الاسعاف ، وتحركت السيارة . فـازاح الشرطي الحبل ثانية وهو يقول : افسحوا المجال !

وبدأ الحشد يتفرق . وخرج من مستودع البضائع على الجـانب الاخر من الساحة رجل عجوز يحمل سطلا وفرشاة . واخذ يرش المـاء على الرصيف حيث كانت الجثة ملقاة ثم يفركها بالفرشاة . وخرجتسيارة الاسعاف من الساحة ببطء . وسرت رعدة في ظهر سورم ارتعش لهـا . فاستدار ومر امام شباك حانوت صغير فواجهته ابتسامة فتاة في أعـلان لمعجون الاسنان . وطاف في ذهنه ، لبرهة وجيزة ، حدس لحالة القاتـل الذهنية ، فتمرد على التلميحات المجردة ، والوجوه المقطبة الازلية والرسوم الخشبية التي تطل من لوحات الاعلان التي تهيمن على عربات القطـار

والمستودعات التي تقع على جانب الطريق .
وقـــال بين :
ـ لنذهب ونتناول شيئا من الشاي .
فقال موزلي :
ـ فكرة طيبـة .
ـ اتاتي معنا ، يا جيرارد ؟
ـ اجل .
ـ يلوح عليك التعب .
ـ قليـلا .
وكان يتقدمهم رهط من المصورين . كانت السماء قد استنارت الان وتاخر سورم قليلا وراء الجماعتين ، اذ كان يتوق الى ان يركز عـــلى بصيرته التي طافت في ذهنه حتى تلاشت ، وهو يعلم انــه لا يستطيـــع التعبير عنها بالكلمات . كان جائعا ، وقرر ان يتناول شيئا في المقهى. كيف يتسنى لاية بصيرة ان تبقى بعد المد والجزر اللانهائيين اللذين يعتـــوران الدم ، وبعد تقلبات الفصول الجسدية ؟ لقد خسر المعركة مقدما .
وقـال بين :
ـ اجلس انت يا جيرارد . اما انا فذاهب لاحضار الشاي .
ـ اريد شيئا آكله ايضا .
ـ حسنا . سأجلب لك شيئا . سندويتش جبن ؟
وجلس سورم بجوار موزلي الى طاولة في أحد اركـــان المقهـى . واخذ المخبر يدون بعض الملاحظات بالكتابة المختزلة . وشغـل المصورون الطاولة التي تقع قرب النافذة . وشعر سورم بالتعب ، وقد ثبطت عزيمته فكرة العودة بدراجته الى كامدن تاون . ورفع موزلي بصره اليه فجأة :
ـ مـا رايك ؟
ـ فيم ؟
ـ الطريقة التي تصرف بها كل واحد من الناس ؟
ـ يبدو انهم جميعا كبحوا جماح عواطفهم ، هذا ما ينبغي أن اقوله.
ـ بالضبط . كبحوا جماح عواطفهم .
وجلس بين في مواجهتهما . وقال :
ـ الا يدهشكما ذلك ؟ هذه الجريمة ترفع العدد الى ست جـــرائم خلال اشهر قليلة . ان الناس ليتساءلون كم جريمة تنتظرهم .
ـ هل تعتقد ان التقصير هو من الشرطة ؟

ـ ماذا يمكنهم ان يفعلوا ؟ انهم لا يستطيعون سوى ان يتتبعـــوا الدلائل ويأملوا بانه سيقع في الفخ .

وقال موزلي :

ـ كما حدث في قضية كومنز .

فسأل سورم :

ـ ومـا هي تلك القضية ؟

ـ اثناء الحرب . كان كومنز مصابا بجنون الاجرام الجنسي . قتل اربع نساء ـ اكثرهن مومسات ـ في منطقة سوهو . واخيرا ، باغتـه احدهم حينما كان يخنق فتاة في مدخل احد البيوت في هايماركت . ففر هاربا وترك كمامته الغازية فاستطاعوا أن ينالوه . . . ولكن ما يلذ في الامر هو انه عندما فوجيء في قضيته الاخيرة هرب على الفور ووجد فتـاة اخرى في بادنغتن وحاول ان يقتلها ايضا . ولكنها تخلصت منه .

وقال بين :

ـ حدث ذلك قبل ان ابدأ انا بالعمل . على كل حال ، هل تعتقـدان ان هذا القاتل مصاب بجنون الاجرام الجنسي ؟

فهز موزلي كتفيه وقـال :

ـ انه مصاب بالجنون على كل حال .

واقبل سورم على سندويتش الجبن بشراهة ، ولما اتمها اجتاز الـى طاولة البار وطلب اخرى . وعندما عاد الى طاولته ، الفى بين يقول :

ـ . . . ووجد شخصا ينحني فوق الجثة . وصاح : هل وقع شيء؟ وقال الرجل : نعم ، اعتقد انها ميتة . اذهب واستدع احد رجال الشرطة، اسرع ! وعندما عاد الرجل بعد خمس دقائق وجد الشخص قد هرب ولم ير غير جثة المرأة .

فسأل سورم :

ـ ما الخبر ؟

ـ عن حادثة القتل الاولى في الليلة الماضية ؟

ـ هل يعتقدون أن ذلك الشخص كان هو القاتل ؟

ـ لست ادري . ولكن الامر يبدو محتملا .

وقال مـوزلي :

ـ سيكتشفون ذلك حالما يعرفون الوقت الذي فارقت فيه الحياة .

وسأل سورم :

ـ هل يستطيع الرجل أن يصف ذلك الشخص الذي طلب منـه

الذهاب لاستدعاء الشرطة ؟

ــ كلا . حدث ذلك في الظلام ، ويقول الرجل انه لم يقترب من الرجل اقل من عشرة ياردا ت. ولا يدهشني ان يكون ذلك الشخص هو القاتل !

ــ كيف قتلت ؟

ــ بضربة على رأسها . لا بد انها كانت ضربة شديدة سددت الى رأسها بقضيب ما .

ــ وهل وجدت الاخرى ذبيحة من حنجرتها ؟ انه يلجأ الى وسائل متنوعة بالتأكيد !

وسأل سورم :

ــ هل تظن ان القاتل هو نفسه الذي اقترف جريمة غرينتش ؟

وهز موزلي رأسه :

ــ أشك في ذلك . وانك تعرف الجرائم التي اقترفها هذا القاتل ، اليس كذلك ؟

فقاطعه بين :

ــ كأن القاتل مل عناوين الصحف التي تتساءل:هل توغل جنوب النهر؟

ــ بالضبط .

وشرب ثلاثتهم الشاي بصمت .

وقال موزلي اخيرا :

ــ ما لا يمكنني فهمه هو هذا . لا بد وان ملابسه تلوثت بالدماء بعد الجريمة الثانية . ولا بد وانه مر باحد الشرطة اثناء هروبه ، فقد كان ذلك المكان يزخر بهم . فكيف تم له ذلك ؟

فقال سورم :

ــ من المحتمل انه كانت لديه سيارة تقف قرب موقع الجريمة .

ــ ذلك خطر جدا . أن رجال الشرطة يسجلون ارقام جميع السيارات التي تقف في هذه الاصقاع ليلا .

فقال بين :

ــ لا يهمنا من يكون القاتل ، ولكنه اما ان يكون ذا شجاعة مذهلة او انه مجنون .

ــ مجنون ؟.

ــ ولكنه لا بد وان يبغي شيئا في وايتشابل ... اما ذلك ، او انه يسكن في هذه المنطقة . والا فلم يلتصق بهذه البقعة ؟

فقال موزلي :

ــ انه لا يبغي شيئا . كيف يبغي شيئا وهو لا يختار ضحاياه ، وانما يتناول كل من يعترض طريقه ؟ هل سمعت بفكرة الفوطة الجلدية ؟

ــ كلا . مـا هي ؟

ــ أوه . يعتقد الكثير من الناس انها رجل يدعي « الفوطة الجلدية » ولا يعلم احد من هو وماذا يفعل سوى انه رجـل اجنبـي يـرهب بعض الماهرات اللواتي يتجولن هنـا .

وسال بين :

ــ هل ذكرته في تقريرك ؟

ــ نعم . ولا اعتقد ان الامر سيتمخض عن شيء ، ولكني سمعـت اسمه يذكر عدة مرات هذا الصباح .

ــ وهل وجهت اية اسئلة ؟

ــ بالطبع . ولكني لم اتوفق . يبدو انه مجرد اسم .

فقـال بين :

ــ قد يكون من النافع تعقيب الاسم .

ــ هل سمعت قصة الخبراء الاجانب في الجرائم ؟ يقولون ان هنـاك عددا منهم يعملون في هذه القضية .

فقـال سورم :

ــ سمعت بذلك . يقال ان هناك خبيرا المانيا ... نسيت اسمه .

فقال موزلي :

ــ بالمناسبة ، هل قرات رسالة في صحيفة التايمس يوم امس ؟

ــ كـلا .

ــ من الممتع جدا ان تقراها فيلوح انه قد حدثت عدة جرائم قتل فى محل يدعى بوكوم في المانيا بعد الحرب ــ جرائم مثل هذه تماما . ويلـوح ان الرجل كتب رسالة الى الشرطة يخبرهم فيها بانه سوف يقتـل ست نساء اخريات ثم يتوقف . وتوقفت جرائم القتل حالا بعد رسالته .

ــ ولم يقبضوا عليه ابدا ؟

ــ كـلا .

فاطلق بين ضحكة ناعمة :

ــ سمعت بنظرية تقول ان القاتل تركي قتل عدة نساء في اسطنبول ينبغي ان يتفرغ فرع خاص من الامم المتحدة ليتعقب هذه القصص !

واتم سورم احتساء قدح الشاي ، وراح يحدق في فتات الخـبز

التي تركها في صحنه . كان يحاول أن يتخيل ما سيفعله لو انه التـــقى بالقاتل في احدى الليالي القائمة في وايتشابل . وراح يتخيله رجلا نحيفا فيمتوسط العمر ، اصلع الراس ، اصفر الشفاه ، له عيون المتعصبين .
وعندما طفق يتصور القاتل ، في تلك اللحظة ، في احدى نواحي لنـــدن، طليقا ، وربما يتناول الشاي مع امراة ما في احدى المقاهي ، او متشبثـا بالكلابة الجلدية المتدلاة وهو في قطار النفق ، احس بحركة خفية فيمعدته.
وتهض موزلي فجاة وقا ل:
ــ اوه ، طيب ، لنعد الى العمل ! هل تاتي يا بيل ؟
ــ كلا سأتناول قدحا اخر من الشاي اولا .
ونهض سورم وهو يدفع كرسيه الى الامام ليفسح المجال الى موزلي ليمر . وقال موزلي :
ــ شكرا ، ايها الرجل . حسنا ، وداعا . اذا ما وصلتك اية معلومات عن الفوطة الجلدية فاخبرني ...
فقال بين :
ــ سأفعل . ما عليك الا ان تعود الى مكتبك وتتناول قسطا كافيا من النوم ، واترك الامر الى بين .
وبينما كان موزلي خارجا ، ذهب بين نحو طاولة البار وهو يقول :
ــ قدحا أخر من الشاي يا جيرارد ؟
ــ ارجوك . دعني اقتنيهما .
ــ لا ! هذا جزء من مصاريف العمل .
واحضر قدحي الشاي السميكين ووضعهما على الطاولة التي كـــان يكسوها مطاط مخدش عكر اللون . وتمطى بين ثم تثاءب .
ــ يجب ان اعود لانام قليلا . كيف تشعر يا جيرارد ؟
ــ كالميت .
ــ هل انت نادم لاني اخرجتك من مخدعك باكرا ؟
ــ كلا . بل يسرني ذلك . كان شيئا ممتعا ..
ــ لماذا ؟
ــ كل ما يمنحك احساسا بالواقع شيء ممتع . فاني لم استطع ان ادرك لسبب من الاسباب ان هذه الجرائم حدثت فعلا . لم تعتقد ، يـــا بيل ، أن الانسان يقدم على فعلة كهذه ؟
ــ الامر يعتمد ، يعتمد على الشخص ومن يكون . فالأسباب تختلف اذا كان القاتل استاذا في جامعة او اذا كان بحارا سكيرا او مراهقا استبد

بـه الجنس ...

وقال سورم :

ـ لا يهمنا من يكون ، ولكنه الان حي في احد اطراف لندن ... وله اصدقاء ربما لا يرتابون فيه مطلقا ..

* * *

وفجأة ، بينما كان يمر بسوق سميثفيلد قرر ان يقوم بزيارة للاب كاراثرز . كان قراره عفويا ، لم يتخذ بدافع معين يمكنه تحديده .

وفتح القس الهنغاري الباب . كان سورم يتوقع ان الوقت الـذي اختاره للزيارة لم يكن مناسبا ، ولكن الاب راكوسي لم يبد ايـة دهشة . ولم يطل جلوسه لحظات معدودات في غرفة الانتظار الباردة الـتي تثير الكآبة حتى عاد الاب .

ـ يود الاب كاراثرز ان يراك الان .

ـ اشكرك . اسف لازعاجك .

ورد عليه القس بابتسامة حبيه .

كان الاب كاراثرز يقف بجوار المكتبة ، مرتديا روبا مطعما باللـون الاحمر . وكان يلوح وهو واقف صغير الحجم ، كأنه قزم . ولكنـه كـان يبدو احسن مما كان عليه في المرة السابقة .

ـ اه ، جيرارد . كيف حالك ؟

ـ بخير شكرا . تبدو احسن هذه المرة .

ـ بل اني احسن اليوم ... طيب ، ان الساعة مبكرة جدا للزيـارة نوعا ما . هل من امر خطير ؟

ـ ليس شيئا خاصا . ايها الاب .

ـ لـماذا ؟

ـ دعاني صديق لي يعمل صحفيا . اسمعت عن الجريمة المضاعفة ؟

ـ كـلا . ماذا حدث .

واقتعد الاب الكرسي الكبير ومد ساقيه باتجاه نار الفحم التي كانت تخنق الغرفة بحرارتها . وقال سورم :

ـ قتلت امراتان في الليلة الماضية ـ وقعت الجريمة الثانية بعـد الاولى بنصف ساعة .

ـ ولم ذهبت الى وايتشابل ؟

وادرك سورم ان السؤال كان في محله . وقا لوقد شعر بالاحراج:

ـ أوه ... لمجرد ان صديقي خطر له ان يدعوني لصاحبته ... فمن

الملذ بالنسبة لكاتب مثلي ...

كان سورم ، وهو يتفوه بهذه الكلمات ، يعلم بانه غير صادق في قوله ، وشعر ايضا بيقين غريب بان القسيس عرف ايضا انه غير صادق. بيد ان ذلك الوجه القبيح البالي لم يظهر ما ينم عن عدم التصديق . وقال القسيس فقط :

ـ تبدو متعبا .

ـ صحيـــــح .

وسمعا طرقا على الباب . فصاح القسيس : هلو ؟

فأطل رجل قصير القامة ابيض الشعر براسه من الباب . كانت عيناه تنتقلان بين الاب كاراثرز وسورم .

ـ صباح الخير يا لاري . اخشى ان اكون قاطعتكما ؟

كان صوته عميقا رنانا ، وكان ينطق بلهجة المانية واضحة . وقال القسيس:

ـ هلو ، فرانز . كلا ، انك لا تقاطعنا . تفضل بالدخول .

ودخل الرجل الالماني واغلق الباب خلفه بعناية. وامسك يدي القسيس بيديه وهزهما ببطء رزين ، سائلا :

ـ طيب ، وكيف حال صديقي اليوم ؟ انك تبدو احسن حالا .

ـ اشعر احسن هذا اليوم ، اشكرك يا فرانز ، دعني اقدم لك جيرارد سورم ـ البروفسور شتاين من دوسلدورف .

والتفت شتاين الى سورم وانحنى له قليلا . كان وجه الرجل العجوز الذي يفيض بالشوق عريضا واضح التقاطيع . كانت شفتاه التي تعلو ذقنه البارزة ، مستقيمة مزمومة . وكانت عيناه صلبتين صافيتين كأنهما الزجاج الازرق . وكانت خصلة الشعر الابيض التي بالاشتراك مع بقية تقاطيع وجهه تكسبه مظهر انسان ذي قوة عظيمة تلوح غير منسجمة مع جسمه القصير البدين.

وصافح سورم يد الرجل والفى نفسه ينحني قليلا رداً لتحيته . وقال شتاين:

ـ آمل الا اكون قد قطعت الحديث بينكما ؟

ـ كلا ، ابدا . اني اقوم بزيارة عرضية فقط .

ـ فقـــال شتايـن .

ـ كمـا افعل انـا ، اذن .

واطلق ابتسامة ساحرة لسورم وشرع يصارع معطفه ليخلعه عنه ، ولما اخذ يعاونه في خلعه قال :

ـ الجو هنا حـار الى حد فظيع يا لاري . انا واثق ان الحرارة لاتفيدك.

آه ... اشكرك يا سيدي .

وبدا استعماله للكلمات الدارجة بلهجته الألمانية مضحكا . ووضع سورم المعطف على السرير . وقــال شتاين :

ــ عن اذنك يا لاري ، اريد أن اجلس الى جوار معطفي ، فلا ارغب ان اجعل من نفسي قطعة شواء .

وقال القسيس بلطف :

ــ الشبـــاك مفتوح .

واخرج شتاين من جيبه منديلا وراح يتمخط بصوت عال ، كصــــوت البوق . ثم فتح علبة سعوط وقدمها الى القسيس ثم الى سورم . وقال سورم:

ــ كـــلا اشكرك .

وراح يرقب الرجلين باستمتاع خفي وهمايتنشقان السعوط كأنهما من الذواقة . واخذ القسيس يمسح بعض ما سقط من هذا المسحوق عـــــلى مـــلابسه . وقـــال :

ــ حسنا يا فرانز ، اذن كنت انت ايضا تطوف في وايتشابل ؟

وبدت الدهشة في وجه شتاين .

ــ انك سمعت بها ؟ لم يخطر ببالي انك قرات الصحف .

ــ انا لا اقرا الصحف . كان صديقنا جيرارد هناك .

ونظر شتاين الى سورم ، وسال وقد قطب جبينه :

ــ هل تسكن هناك ؟

فقـــــال سورم :

ــ كلا . لكنني ذهبت ... عندما سمعت بالحادثتين .

ــ لا شك وانك سمعت بهما في وقت مبكر !

ــ أجل لي صديق يعمل صحفيا اتصل بي في الساعة السادسة صباحا. ارجو المعذرة ، هل لك علاقة ما بالتحقيق بهذه الجرائم .

ــ انا ... ا ... لي علاقة بهم ... بطريقة معينة . انا طبيب في علـم الامراض بالاضافة لكوني عالما نفسيا . ولكن قل لي ، لم أردت ... ا ... ان تزور المحل الذي وقعت فيـه الجرائم ؟

واحس سورم بالدم يصعد الى وجهه . كان يحس بالقسيس يشخص ببصره اليه وهــو يجيبه :

ــ انا مؤلف . وهذه تجربة تثير اهتمامي ...

وقــال شتاين بلهجة مؤكدة :

ــ بكل تأكيد . ان تجربة مثل هذه ذات قيمة عظيمة لدى الكاتب . لقد سمعت هاينريخ مان مرة يدلي بهذه الملاحظة ... قال ان قليلا من الكتـاب

الجادين يبحثون القتل بالصدق اللازم ـ ما عدا زولا ، ربما . هل قـرات قصته « تيريز راكان » ؟

ـ كـــلا .

والتفت شتاين الى القسيس وقال :

ـ لكن هذه الجرائم شيء فظيع حقا ! انك تتحدث عن الشرور البشرية، ايها الصديق ولكنك لو قضيت ثلاثين حولا ، كما فعلت أنا ، تبحث في الجريمة والعنف لما تحدثت بغير المرض البشري .

وانتظر سورم ان يجيب القس ولما اكتفى بالابتسام ، قال سورم :

ـ هل تعتقد ان القاتل انسان مجنون ؟

ونقل شتاين نظرته النفاذة نحو سورم :

ـ كيف لنا ان نعرف ، ما لم نمسك به ؟ ان الجرائم التي قام بها تثبت شيئا واحدا ـ هي ان حالته مرضية .

وقـــال القسيس :

ـ هل تعتقد ان الشرطة على وشك القاء القبض عليه ؟

ـ من يدري ؟ لقد استلموا رسالتين كتبهما رجل يدعي بانه القاتل . قد يساعد هذا في معرفته .

وقال سورم وقد لاح عليه الاهتمام :

ـ صحيح ؟ وهل نشرت الرسالتان ؟

ـ اعتقد بانهما نشرتا اليوم . انا شخصيا اعتقد انهما مجرد لغو .

ـ وماذا في الرسالتين ؟

ـ أوه . . . انهما تسخران من رجال الشرطة لفشلهم في التوصل الـى معرفته ، وتنذرانهم بجرائم اخرى . وقد وصلت الرسالة الثانية صباح هذا اليوم ، بعد ساعات قلائل من جريمة القتل الثانية .

ـ يبدو أن القاتل هو الذي كتبها .

ـ لماذا ؟ كان في امكان اي شخص من وايتشابل ان يكتب هذه الرسالة في ذلك الوقت، حتى انت . تقول انك سمعت بالجريمة في الساعة السادسة؟ القيت الرسالة في صندوق بريد سكوتلانديارد في حوالي السابعة .

فقال سورم مبتسما :

ـ فهمت وجهة نظرك . ولكن ما كنت اعنيه هو انه يبدو ان من ميزات القاتـل ان يكتب الى الشرطة .

ـ ولماذا تقول ذلك ؟

ـ كانت صحف الامس تتساءل اذا كان قد انتقل الى غرينتش . وفـي

الليلة الماضية تجده يرتكب جريمتي قتل في واينشابل . انه ليشبه شخصا يعرف انه قد اصبح مشهورا بين الجماهير .

فقال شتاين باسما :

ــ هذا صحيح . ومع ذلك فانني اشك ان في الامر نكتة مؤذية .

وقال سورم متسائلا :

ــ الديك سبب معين لذلك ؟

كان سورم يحاول ان يسبغ على حديثه التأدب والحذر ، وكان يدرك انه كان في موقف ممتاز لانه كان في وسعه ان يوجه الاسئلة الى شتاين ، بيدانه كان يحاول ان يبدي فضوله . وعقد شتاين اصابعه وراح يحملق بجد في ركبتيه ، ولاح عليه انه كان يعتبر اسئلة سورم طبيعية تماما .

ــ لنبدأ بالقول بأن المصاب بمرض القتل لا يفخر في الغالب بما يقوم به من اعمال . وهكذا ترى أن جرائمه تصدر دائما عن دافع شديد الالحاح ؛ فاذا اختفى هذا الدافع فانه قد يصبح شخصا مختلفا . ونحن نطلق اسما معينا على هذا النوع من الجرائم في المانيا . اننا نسميه Instmort

ــ القاتل الذي يحس بالاستمتاع . القاتل الذي يحس بالاستمتاع دون ان يكون لديه حافز ما . ومثل هذا القاتل لا يكون عادة فخورا بالدافع الذي يحوله الى حيوان وحشي بين حين واخر . هل رأيت ما اعنيه ؟

فقال القس بنعومة :

ــ ولكن ، اذا لم تخنى الذاكرة ، اعتقد أن صديقك كورتن قد بعث برسالة الى الشرطة .

ــ هذا صحيح ، ولكنه لم يفعل ذلك ليفخر ــ وانما ليجتذب الانتباه الى جثة . ولعلك تذكر ايضا قضية القاتل في شيكاغو ــ الذي نسيت اسمه ــ فقد كتب رقعة وضعها على احد ضحاياه : امنعوني قبل أن اقتل ثانية .

فتمتم سورم قائلا :

ــ هايرينز .

ــ آه ، انت اذن تعرف القضية ! حسنا . انك لترى ان هذا هو القاتل المريض بالشيزوفرينيا .

فالتفت الى القس وارتسمت على وجهه ابتسامة شريرة وقال :

ــ ها انت ترى يا لاري لماذا تعين علي ان اصبح طبيبا نفسيا بدلا من ان اكون قسيسا . اذ كيف استطيع ان افرض عقوبات على الخطايا حين لا اكون واثقا من ان الشخص الذي يعاني من العقوبة هو نفسه ذلك الذي يقترف الخطايا . تلك هي مشكلة لا يمكنك أن تجيبني عليها .

فقــال القس باسما :

ــ اننا نعترف بامثال شخصيتك المنقسمة فى الكنيسة ، كما تعرف يـا فرانز ، ولكننا نتحدث عن الخطيئة والندم بدلا من ذلك ، وليس هنالك خلاف بين هذا وذاك . . .

فندت من شتاين ضحكة مختنقة ، كان يلوح واضحا انه كان يستمتع باستدراج القس الى النقاش . وقال شتاين :

ــ كلا ، كلا ، يا لاري . انه ليس الشيء نفسه ابدا . فانك عندما تصف العقاب تفترض ان الشخص الذي اقترف الخطيئة هو نفسه الذي سيجرى عليه العقاب . ولكن ما قولك اذا كانا هما فى الواقع شخصين مختلفين ، هه ؟ مـا قولك في ذلك ؟

وقــــال القسيس بهدوء :

ــ اني لا افرض العقاب على انسان كهذا .

فقال شتاين وهو يرفع حاجبيه الكثين :

ــ كلا ؟ وماذا كنت تفعل اذن ؟

ــ احاول ان اساعده ، كما تفعل انت تماما .

ــ كيف يمكنك مساعدته اذا كان التعريف الوحيد الذي تطلقه على حالته هو انهــا خطيئة .

فقــال القسيس :

ــ اني لا احتاج الا الى كلمتين لفهم حالته ــ الروح والمادة .

فقـــال شتاين مبتسما :

ــ وليس الله والشيطان ؟

ــ وليس الله والشيطان !

ــ فقل لي اذن ، يا سيدي ، كيف تفسر سلوك انسان مثل كورتن حسب هذيــن المفهوميــن ؟

ــ ينبغي ان افكر فى الامر اولا . . .

ــ اه ! قلت ذلك فى اخر مرة دخلنا فيها بنقاش !

والتفت الى سورم وغمز له بعينيه وقال :

ــ انه انسان من العسير الجدال معه . ان جميع هــــؤلاء القسس الدرمينيكان سواسية . . . عندما تحصرهم فى زاوية ، يطلبون وقتا للتفكير !

وبقي التعبير المرتسم فى وجه القسيس هادئا تامليا . ثم قال ببطء :

ــ طيب ، ان اردت مني المحاولة فى الشرح . . . فانني اعبر عنها على هذا النحو . يعرف الانسان نفسه على انه جسد ، ومايعرفه عن الروح يصل اليه

عن طريق النعمة الالهية ، اي ما يسميه الشاعر بالوحي . غير ان الروح ترسل نفحاتها حين تشاء ، وليس للانسان سيطرة على وحيه . فاذا حركت قطعة موسيقية أو قصيدة شعرية عواطفه مرة ، فليس بوسعه قط ان يكون على يقين من انهما ستحركانه مرة ثانية . ولكن الانسان يكره التفكير فى انه يفتقر الى السيطرة على روحه . لان هذا يثبط من شجاعته كثيراً . انه يميل الى الاعتقاد بأن فى امكانه ان يستحضر روحه بطريقة اعتيادية . وبدلا من بذل الجهود ليهيء نفسه لها بالتزام نظام صارم وبالصلاة ، يحاول ان يستحضرها بطريقة غير منتظمة وبالصدفة عن طريق عملية مادية ــ كأن يحتسي بيرة دوسلدورف ، مثلا . . .

فقال شتاين مقهقها :

ــ وهي الطريق التي يستقدم بها جميع سكان دوسلدورف الطيبون ارواحهم ، ما دامت بيرتهم افضل بيرة فى جميع المانيا .

وضحك القسيس معه . ومر بسورم لبرهة من الزمن انطباع غريب كانه يصغي الى نقاش بين طالبين في اوائل دراستهما الجامعية بدلا من رجلين فى العقد السابع من عمرهما. دفن نفسه فى كرسيه لكي يغيب عنهما وجوده. وكان القس اول من توقف عن الضحك ولمح سورم تلك النظرة التي تكمن دائما فى اعماق عينيه . وعاد شتاين ايضا الى وقاره وقال :

ــ طيب ، ولكن ما علاقة ذلك بالقاتل ؟

ــ هذا له علاقة بالجنس . ان الجنس هو الوسيلة المفضلة لدى الانسان للوصول الى الروح. ولما كانت هذه الوسيلة هي فى الوقت عينه هبة الله لتكاثر النسل ، فهي دائما وسيلة ناجحة ... ليس كالموسيقى والشعر .

فقال شتاين : او البيرة .

ــ بالضبط . ولكن الجنس ايضا غير معصوم من الخطأ . والانسان يكره التفكير فى انه يفتقر الى السيطرة على روحه . وكلما خيبته هذه الوسائل الجسدية المادية اكثر لاحقها بنهم اعنف . وتصبح محاولاته لاحضار الروح اكثر جنونا . فاذا كان معتادا على الشراب ، شرب المزيد حتى تسري الخمر فى عروقه بدلا من الدم . واذا كان شبقا استنبط الانحراف الجنسي .

فقال شتاين :

ــ آه .

ــ هنالك طرق اخرى كثيرة ، بطبيعة الحال ــ شهوة المال والسلطان، مثلا . وكلها تستند الى رفض الانسان مواجهة حقيقة ان الروح تهب حيث تشاء ، وان ليس هنالك فعل مادي يضمن استحضارها ...

ونسي سورم اعتزامه ان يلزم الصمت ، وقال :
ــ ولكن اليست هنالك ابدا اية طريقة معينة لاستحضارها ، ايها الاب .
وظل القس ينظر الى شتاين وهو يجيب :
ــ كلا ابدا . افضل ما يمكننا فعله هو ان نروض انفسنا على الصبر .
وعندما يبتهل القسيس الى الروح ان تهبط اثناء القداس لا يتوقع ان يراهـا او يحس بها . انه يسلم بايمانه في ان الخمر قد تتحول الى دماء سيدنـــا والخبز الى لحمه . ان القسيس ليعلم بان كل ما يمكنه فعله هو ان ينتظر . وظيفة الدين هي تعليم الانسـان على الصبر . وحالما يفقد الانسان صبـره ، يفقد كل ما يملك . . .
فقــال شتايـن :
ــ هكذا ! وبماذا اخبر مريضي الذي يشعر بدافع شديد لاغتصاب طفل؟ اقول له ان يتجمل بالصبر ؟
فاجاب القسيس بلهجة حادة غير متوقعة :
ــ فبماذا تخبره اذن ؟ لماذا يريد ان يغتصب الطفل ؟ كيف تفسر ذلك ؟
فهــز شتاين كتفيه :
ــ ينبثق هذا الدافع عادة من الشعور بالقلق وعدم الاستقرار . او من الضجر . كثير من مرضاي كانوا يشكون من شعور مستديم بالظلم ــ بـان من حقهم ان يحيوا حياة اكثر متعة . والانسان الذي يعاني من الخيبة الجنسية يعبر عن احساسه بالظلم عن طريق جرائم القتل الجنسية .
وبدا التعب على القسيس ، فانخفض صوته واصبح رتيبا ، وقال :
ــ من تعاليم الدين ان الناس متساوون جميعا بنظر الله ، وان المتسول ليس افضل من الملك وان الناس جميعهم فانون وانهم خاضعون لصنـــوف البؤس ذاتها . فاذا شعر الانســان بهذا كيف تنتابه الرغبة في اغتصاب الطفل ؟
فقـــال شتاين :
ــ صحيح ، ولكن على الانسـان ان يكون فيلسوفا ليحس بذلك ، واكثر المرضى نفسيا ليسوا بفلاسفة . . .
فقــال القسيس بهدوء :
ــ لكن الانسان اما ان يكون فيلسوفا . . . او مسيحيا .
ونهض شتاين ، وقـــال :
ــ لعلك على حق ، ايها الصديق . ولكنني اعتقد انه ينبغي علينا ان نترك الامر الان . اعتقد اننا اخذنا نتعبك قليلا .
ولم يستطع سورم ان يكتم ابتسامة على ظلم شتاين له في استعمـــاله

ضميــــر الجمع . وقال القسيس :
ـ كان لطفا منك ان تأتي لزيارتي .
فقال شتاين مبتسما : يطيب لي ان اراك .
ثم التفت الى سورم وقال : يعرف احدنا الاخر منذ خمسين عاما .
فقــال سورم بأدب : حقــا ؟
فقــال شتاين : اذن ! نتركك الان الى تأملاتك .
وقال القسيس : تعال ثانية يا جيرارد .
ـ اشكرك جدا ، يطيب لي ذلك .
ـ هل رايت اوستن منذ ان زرتني في المرة الاخيرة ؟
ـ نعم . عدة مرات . اريد ان نتحدث عنه يوما من الايام ، ايها الاب . . .
وبالمناسبة ايهــا الاب . . .
ونظر بعدم ارتياح الى شتاين قبل ان يتفوه بالسؤال ، ثم مضى في قوله:
ـ هل تعرف . . . المسز تــن عن . . . اوستن ؟
وفهم القسيس ما يعنيه حالا وقال بسرعة :
ـ كــــلا . لمـــاذا ؟
ـ كنت اتساءل . ان عمته ـ وهي من شهود يهوه ـ كانت قد اكتشفت ذلك بواسطة احد اصدقائها الفضوليين . ولكني لا اعتقد بانها ستذكـــر لوالديـــه شيئـــا .
كان شتاين قد ارتدى معطفه ووقف قرب الباب . كانت قطرات العرق مستقرة على وجهه . كان ظاهرا انه وجد حرارة الغرفة خانقة . وقال سورم:
ـ حسنا . وداعا ايها الاب . . .
ـ وداعا يا جيرارد ، وداعا يا فرانز . ارجو ان تزوراني ان مررتما من هنـــا مرة اخرى .
فقـــال شتاين بالالمانية :
ـ اراك فيما بعد ، يا لاري .
واردف بالانكليزية :
ـ اني سأزورك بالتأكيــد .
وتبع سورم هذا الرجل القصير القامة المريض المنكبين هابطا السلم . وقال شتاين من فوق كتفيه :
ـ لاحظت انه كان تعبا . انه يتعب بسهولة .
ـ تمامـــــا .
وخرجا من الباب الامامي . وقال سورم :

ـ طيب ، وداعا ايها البروفسور . ارجو ان نلتقي ثانية .
ـ الست ذاهبا في هذا الاتجاه .
ـ كـلا ، هذه دراجتي .
ـ اه ، معقول جدا . طيب ... الا تشاركني احتساء بعض القهوة ؟
فقال سورم :
ـ يسرني ذلــــك .
ودهش سورم لعرض الرجل الالماني . حيث انه عندما كان في غرفــة القسيس كان واثقا من انشتاين كان ينظر اليه كشخص ثالث زائد عن الحاجة . واحس فجأة بالمودة لهذا الرجل القصير . واعاد كلابات الدراجة الى جيبه ومشى الى جنب شتاين في شارع روزبري ومنه الى طريق فارينكتن . وفيمـا هما يسيران ، راح شتاين يشرح :
ـ انا ولاري تلقينا دراستنا معا في روما منذ اربعين عاما . كنت في ذلك الوقت اتهيأ لاكون قسا من الجزويت . تصور !
ـ ومـــاذا حدث .
ـ اكتشفت مؤلفات فرويد فغيرت رايي .
وقهقه الرجل الالماني بصوت صادر من حنجرته .
ـ اكان عليك ان تدرس الطب ايضا ؟
ـ درست . كان والداي يفضلان ان اكون طبيبا بدلا من قس . ولهذا فلم تكن على اختلاف . وغادرت روما الى فيينا لافتش عن فرويد ...
كانت المقهى خالية . وكانت هنالك امرأة تنظف الارض بفرشاة وسطل . واسندت الفرشاة في احدى الزوايا ثم جففت يديها بصدريتها لتصب لهمـا القهوة . واخرج شتاين علبة سيجار وقدمها لسورم . واشعل هو واحدة ثم استلقى الى الخلف في كرسيه ، وراح ينفث الدخان يتأمل ريثما تصل القهوة . وبينما كانت المرأة تنحني بينهما ، نظر الى سورم وسأل فجأة :
ـ كيف حال اوستن هذه الايام ؟
وفاجاه السؤال ، فقال بدهشة :
ـ هل تعرف اوستن ؟
ـ على ... معرفة بسيطة به . ولكني اعرف الكثير عنه .
وادرك سورم بيقين مفاجيء ان ذلك كان السبب الذي دعاه شتاين من اجلـه لتناول القهوة . وقال :
ـ اوه ، انه بخير ، شكرا .

وشرع يسكب من وعاء الكريمة في فنجانه وترك الخطوة التاليةلشتاين.
ــ هل أنت من اصدقائه المقربين ؟
ونظر سورم في عينيه الزرقاويين الثلجيتين ودهش للموقف الدفاعي الـذي تولد في نفسـه .
ــ اعرفه جيدا نوعا ما . اني شديد الاهتمام به ...
وابتسم شتاين فجاة ، ومال الى الامام قائلا :
ــ لا داعي لان تجزع . اعرف عنه بواسطة لاري.واعرف أنه سادي.
ــ ما سبب اهتمامك به ، اذا سمحت لي بالسؤال ؟
ــ بالطبع . ولكن لا تخبره بما ساقوله .
ــ كـــلا .
ــ كان في دوسلدورف مدة من الزمن وكان معروفا لدى الشرطة .ليس في الامر شيء خطير ، بالطبع ، ولكني عرفت بذلك خلال صلتي بالشرطة .
واستلقى شتاين الى الوراء ، وسحب نفسا عميقا من السيجار . وبـدا عليه كأن الموضوع لم يعد يثير اهتمامه . وشرب سورم القهوة ، وتركالصمت يستطيل . ومضى يتساءل : ترى هل أن شتاين هو من الاشخاص الذيــن يوثق بهم ؟وماذا كان يتوقع منه ان يخبره عن نــن . والتقت نظراتهما فابتسم شتاين ، كأنهما مسافران في عربة قطار واتفق ان يجلس كل منهما في مواجهة الاخر . وقـــــال سورم :
ــ ايها البروفسور ، ارجو اجابتي عن هذا السؤال ، ان شئت ... هل هناك سبب يدعو أوستن الى التخوف من الشرطة ؟
فاجاب شتاين على الفور :
ــ حسب ما اعلم ، كلا . هل لديك انت اية اسباب ؟
ــ كلا . ولكني لست منحرفا جنسيا ولست ساديا .
ــ اه . قل لي اذن ، كيف تكون صديق اوستن أن كنت لا تشترك معه بهوايتـــه ؟
ــ اتفق اني اميــل اليه ...
ــ تماما . لا غرابة في ذلك . منذ متى وانت تعرفه ؟
فقال سورم مبتسما :
ــ منـــذ اسبوع بالضبط .
واستطاع سورم ان يرى الخيبة وفقدان الاهتمام . واطفأ شتاين عقب سيجارة وافرغ بقية فنجان القهوة وقال :
ــ يجب ان تتحدث الى لاري عن أوستن . انه على معرفة افضل مني

بـه . ولكن دعني اقدم لك نصحا . قد يخطر ببالك بان في امكانك ان تنشيء علاقة مع اوستن بحيث لا تكون فيها اهمية لانحرافه الجنسي ولساديته . لا تؤمن بذلك . قد يفاجئك يوما .

ــ اشكرك . سوف لا اخذ العلاقة على علاتها .

ونظر اليه شتاين مليا لحظة وقد اقترب حاجباه الكثيفان . وقـــال باقتضـــاب : طيب .

ونهض والقي ببعض قطع النقود على طاولة البار . وقالت المراة :

ــ اشكرك ، يـــا سيدي .

وعندما صارا في الخارج مرة اخرى ، في طريق فارينكتن الباهت النور ، قـــال شتاين :

ــ لاري رجل رائع . ولكنه لن يعيش طويلا . اذا كنت تميل اليـــــه فيجب ان تراه اكثر مـــا يمكنك .

ــ سافعل ذلك . اني اميل اليه كثيرا ــ بالرغم من اني تعرفت عليـــه منذ اقل من اسبوع .

ــ حقـــا ؟ انك شخص كثير الاتصالات .

ــ كـــلا ، ابـــدا .

ــ كلا ؟ حسنا . . . يجب ان اودعك الان . سنلتقي ثانية .

وهز سورم اليد التي مدت اليه ، كانت قبضتها شديدة . وظل واقفا ، يرقب شتاين وهو يمشي باتجاه الشارع الذي يحاذي النهر ، وقد القـــى براسه الاشيب الى الوراء .

* * *

واوصد باب غرفته واشعل النار الغازية . كان يحس بالخدر في يديـــه وقدميه . كان سرواله مبتلا عند الركبة ، فقد بدأ المطر بالهطول عندما مـــر بسانت بانكراس . وخلع سرواله وقميصه وارتدى الروب ثم ملأ الابريق بالماء ووضعه على النار الغازية . وجلس ومد ساقيه صوب النار . كان اشد نعاسا من ان يرغب في القراءة ، وادهشه ذلك الصمت الداخلي الذي استحوذ عليه وهو يتفرس في النار الحمراء . كان تركيزا تاما ويقينا تاما . وراح يحـــرك لسانه بين اسنانه فعثر على فجوة في احد الاسنان كانت تحتاج لان يملأها واخذ يمتص بها . ولم يكن يحس بالعجلة ، ولم ينتبه شعور بالذنب لتسويفه الامور . ومد يده وتناول الكتاب الملقى على الطاولة ــ كان عنوانه : « جون وطسن لوري » ــ وطفق يقرا مقدمته . وبعد ان قرا بضع صفحات منه القاه على الطاولة . كانت حادثة القتل في اران تبدو عادية مملة بالنسبة لجرائم

وايتشابل . وغلى الماء في الابريق . فحضر الشاي ثم دخل الفراش ليحتسيه ، بعد ان اخفض درجة حرارة المدفأة ، وهو يحس بالدفء والاسترخاءالتامين . وبينما كان يشرب الشاي شعر بالميل لكتابة شيء في يومياته ليحاول ان يدون الرؤيا التي كانت تتمطى فيه . ولكن الخوف من ان يحطم الرؤيا بمحاولة فلسفتها ومنطقتها منعه من ذلك . وعندما انهى قدحه وضعه على الكرسي وجلس يحدق في الجدار المقابل ، ولم يكن يراه تماما ، ولكنه علم انه بلغ الحالة الذهنية الخلاقة التي كانت تتحاشاه طوال السنة الماضية . وبدت له حالته مضحكة . كان في غرفته ، وكان الباب موصدا ، فاذا جاءت كارلوتة لتبلغه بنداء تلفوني له فستفترض انه خارج . واحس فجأة كأن العالم تقلص حتى احتوته جدران غرفته الاربعة . ولم تساوره بعد اية شكوك . ان مما حققه هو يقين بوجوده ، استعادة لذاتيته . ومضى يتأمل : ان الانسان الذي يملك ذاتيته يملك كل شيء . وعلم ان هذه حقيقة صائبة . ولكن كان من الصعب عليه أن يبقى مستيقظا . وقد اكسبته الرؤيا احساسا بالقبول ، بالوثوق ، اغرياه بأن يضطجع ويغلق عينيه . ووجد نفسه في عين الوقت مضطجعا على مرتفع يطل على البحر ، وقد هنهنته الى النوم اشعة الشمس والهوام، وظل كذلك واقفا على أسوار القصر في مايسيناي يستعرض الجنود في تدريبهم في ساحة القصر . لقد كان هذا اليقين يشتمل على كل الشعر والفلسفة .

ولكي يقهر نعاسه ، فتح الفرامافون ووضع فيه اسطوانة لاحدى مقطوعات سبيليوس ، وركزت النغمات الاولى من السمفونية بصيرته تلك ، وادراكه للماضي . وذكره هذا الاحساس بالحلم الذي رآه عن نن في الماخور ، وقاده نن الى التفكير بنجنسكي . لقد احس بان كل ما كان نجنسكي يمثله بالنسبة اليه قد تركز في عاطفة واحدة ـ تلك هي الايمان ، الايمان بنفسه ، والايمان بالحياة والايمان بالله. واحس كأنه يقول : اني اقبل الحياة . اقبل كل شيء .

وراح يفكر ، بدهشة فارغة : لقد استعدتها . لقد استعدت ذاتيتي . لو استطعت أن اعيش دائما على هذا النحو ، لما شككت ابدا .

اللاحقيقية . اللاحقيقة هي فقدان الذاتية . عشت خمس سنين في تدريبهمفي ساحة القصر . لقد كانهذا اليقين يشتمل على كل الشعر والفلسفة . مدينة لا حقيقية . انها الان مدينتي انا .

وبدأ يحس بان من العسير عليه ان يحتمل الرؤيا . وراح يبذل جهدا عقليا ليبتعد عنها ، وذلك بأن يسد عليه منافذ مدركاته . وهيمن عليه نوع من

الظلام البارد . وعندما انتهى الشوط الاول من السمفونية مد يده واطفأ الغرامافون ثم استلقى .

وقبل أن ينام اعد الساعة لتوقظه في الساعة الرابعة والنصف . وتذكر كارولين واحس بالانهاك والنقاء ، وطاب له التفكير فيها .

* * *

عندما استيقظ الفى النار منطفئة ، وقد اخذ الظلام يزحف على السماء الشتائي . لم تكن الساعة في الرابعة والنصف بعد . فمد يده الى الساعة وضغط على الزر لكي يمنع جرسها من الرنين ، ثم نهض من الفراش وفتح النور . واخرج سرواله الجديد من دولاب الملابس ولبسه ، كان السروال الاخر لم يزل مبتلا عند الركبة . وبينما كان ينقل نقوده الى السروال الجديد ويبحث عن شلن لوضعه في مدفأة الغاز عطس عطسة فشعر بصفاء في رأسه . ثم ملأ قدحا بالماء وراح يشربه مرة واحدة دون ان يبعد القدح عن فمه ، فبدد اخر ما علق في راسه من النعاس وكانت حالة اليقين التي احس بها لم تختف بعد . ولبس سترته ثم تناول معطفه الثقيل من دولاب الملابس وهبط السلم . كان الهواء يتنفس برائحة الشتاء ــ مزيج من الدخان والبرد والغروب . وراح يمشي في شارع أوكسفورد الكبير مارا عبر واجهات الحوانيت المضاءة ، ووجد من الضروري ان يكبت رغبته في الضحك بصوت عال .

ولما عاد الى غرفته كانت الساعة تشير الى السادسة الا ربعا . كانت الحوانيت تعج بالزبائن الذين اجلوا التسوق الى مساء الجمعة ، وكانت عليها لافتات كتب عليها : « اقتن حاجياتك لعيد الميلاد مبكرا » . ووضع زجاجتي النبيذ الابيض على عتبة الشباك ، بالقرب من الشباك المفتوح . ثم قضى ربع الساعة التالي بكنس الغرفة وتنظيف الكتب وتنظيم الفراش باغطية نظيفة . وجمع الصحون الوسخة التي تركت منذ عشاء الليلة الماضية ، والتقط كذلك الاكواب والاقداح وصعد بها الى المطبخ . وريثما يغلي ابريق الماء ، راح يقرأ الجريدة المسائية ، وهو يجلس على حافة الطاولة التي طلي اعلاها بالميناء . كانت الصفحة الاولى متفرغة للرسالتين اللتين استلمتهما الشرطة وقد نشرتا بالنص . وقد نشرت كذلك صورة احداهما وكتب تحتها : هل تعرف هذا الخط ؟ كان الخط لا يدل على أن الكاتب مثقف ، وكانت في الرسالة بقعتان ، ولكن لم تكن هناك طبعات اصابع مرئية . كان هذا نص الرسالة الاولى :

« عزيزي الرئيس ، الشرطة اذن تبحث عني طولا وعرضا ، اليس كذلك ؟ عليها أن تجهد نفسها للعثور على صديقهم القديم لانه يتحاشى رجال الشرطة ولكنه سيمتعكم بطبخات فيها المزيد من التوابل اذا لم تحاولوا ان

تجهزوا عليه . انه ، فى المرة القادمة ، سيقطع اذان النساء ويبعثها لكم . انـا لست شيوعيا ، وعليه فلا تدعو هؤلاء المجانين ينالون المديح لمخاطر تجشمتها انا ـ خادمكم المخلص : الفوطة الجلدية . ملاحظة : ارجو الاحتفاظ بهـــذه الرسالة حتى استطيع ان اقوم باعمال اخرى » .

وكانت الرسالة الثانية اقصر من الاولى :

« عزيزي الرئيس ، انا لم اكن مازحا عندما وعدتكم باعمال أخرى . ولكن احدهم قاطعني اثناء العمليتين فلم احصل على الاذان . سأرسلها فيما بعد . وقد حصلت على المادة الحمراء الحقيقية لاكتب لكم هذه الرسالة ولكنهـــا تخثرت . اشكركم على الاحتفاظ برسالتي الاولى . خادمكم المطيع : الفوطـة الجلديـــــة . »

واشارت الصحيفة الى ان الرسالتين كتبتا بالحبر الاحمر وان كلتيهما لا تحملان طبعات أصابـع .

ـ هـلو ، جيرارد !

وافزعه الصوت الذي صدر من اسفل السلم . وعندما اقبلتعليه قالت:

ـ يا الهي ، ايتها العزيزة ، كدت تسببين لي سكتة قلبية .

ـ اسفـــة .

واحاط بيديه معطفها السميك وقبلها ، ثم رفع ياقته الكبيرة وشدهـا على اذنيها وهو يقبل انفها البارد وجفنيها . وقالت :

ـ مممممم ! تحتاج الى حلاقة .

ـ اعلم . كنت على وشك . .

ـ هل اعاونك فىالمطبخ ؟

ـ كلا ، اشكرك يـا عزيزتي . يمكنك أن تذهبي وتجلسي امام النـــار وتضعي بعض الموسيقى .

وهمست وهي تمر بشفتيها على خده :

ـ انا لست عائدة الى البيت هذه الليلة . لقد قلت لوالدتي بأن عندنا حفلة ساهرة حتى الصباح .

ـ طيــــب .

وسألت : ـ لــم تبتسم ؟

ـ افكر فى جيرترود . ترى ماذا ستفكر لو اكتشفت الامر ؟

* * *

بعثت اضواء النيون فى كامدن تاون الشعور بالرضى فى نفسه . ومشى وذراعه يلتف حولها ، واحس بالارتياب من المتعة التي كان يحس بها وهي الى

جنبه . لم يستطع ان يتناسى ابدا افتقارها الى التجربة ، وبانها اقل منه سنا بعشر سنيـــن . وقالت :

ــ عزيزي ، احس اني ثملة الى حد فظيع .

ــ لا تكترثي . نامي وسيذهب عنـك .

ــ الا تعارض صاحبة البيت ، تعتقد ؟

ــ لن تعلم بالامر . لن يعلم احد اذا غادرت في وقت متاخر قليلا .

وشعر بنوع من الاشفاق عليها . افتقارها الى التجربة جعلها تقـــدم نفسها له دون قيد او شرط ، كان شيئا لطيفا ولكنه مخيف قليلا .

وفتح الباب الامامي بهدوء ودفعها امامه . وفيما هما يصعدان السلم رن جرس التلفون . وقال مزمجرا :

ــ او ، يا للمسيح ، ارجو الا يكون اوستن .

اذهبي الى غرفتي ، عزيزتي ، سارد عليه .

وقال ، هـــلو ؟

ــ هل يمكنني ان اكلم كارلوتة ، رجـاء ؟

ــ سأناديها .

واخذ ينادي في الطابق السفلي : كارلوتـــة !

ثم عاد يصعد السلم ويتمتم بصوت خافت : شكرا لله !

كانت راقدة على الفراش ولم تزل مرتدية معطفها ، وقالت :

ــ أوه ، يا عزيزي ، أشعر اني ثملة جدا . . .

ــ طيب . اجلسي ، تشعرين بسكر أشد اذا اضطجعت .

وجمع الصحون الوسخة من الطاولةوزجاجتي الشراب الفارغتين واخذها الى المطبخ . وخلص الصحون مما علق بها في سلة الاوساخ ثم وضعها فـــي المغسلة . ومن شدة النعاس تقاعس عن الذهاب الى الحمام لاحضار الماء المغلي .

ولما عاد الى غرفته وجدها في الفراش . وشعر بالخيبة ، لقد كان يتمنى ان يتأملها وهي تتعرى . كانت ملابسها ملقاة على الكرسي . وكانت هي ترقد على السرير وقد ادارت له ظهرها ودفنت وجهها في الوسادة . وابتسم لهذا الوجه الاشقر الذي اختفى اكثره تحت الاغطية . كان فيعدم محاولتها لاضفاء أي غموض على انوثتها شيء طفولي يثير الحنان . ولم تكد تمر ثوانمعدودات حتى كان يرقد الى جنبها في الفراش ، وقد لامست ذراعاه العاريتان كتفيهـا العاريين فاهتز لذلـــك .

وكان على حق في فرضه أن نعاسها لن يمنعها من ادراك غرابة موقفها وهي تضطجع مع رجل للمرة الاولى . فاستدارت في الحال وطوقت رقبته

بذراعيها . فاحس بالنشوة تغلي في عروقه ، وتذكر فشل محاولته عندما كانا في العوامة وبعدئذ في سريرها عند العمة جيرترود كوينسي ، ومن ثم شكوكه بأن قد يحدث ما يمنعه الى الابد من الاستمتاع بدفء جسدها الى جواره في الفراش . لم تكن هذه الشكوك صائبة ، وقد بدا له أن ادراكه لذلك تضمن حقائق عامة ، ولكنه كان اكثر هيجانا من أن يبدأ بتحليلها . وظلا راقدين هنالك في الظلام ، لا ينبسان بكلمة ، وانما يتحسس كل منهما جسد الاخر . وشعر في تلك اللحظة بالرغبة في ان يحتويها بجسمه ، وان يندمج بها كلية . فأوقفته عندما هم بدفع جسده عبر جسدها ، وقالت :

ــ هل ... هل الامر مأمون ، يا عزيزي ؟ فلا اريد طفلا الان .

ــ سيكون كل شيء على ما يرام ... لا تقلقي ...

* * *

وسمع من بعيد صوت ساعة تدق الثالثة ، فيما هو يحدق في الظلام . وظنها راحت في اغفاءة ، فقد كانت انفاسها هادئة . ولم يكن يحس بالتهيج الان ، ولا بالغربة الى جانبها . وظل مضطجعا على ظهره ، وتذكر مناسبات سابقة مماثلة ، والعنف الذي تورثه المشاعر التي لا تجد لها متنفسا ، والتي ينسى كل شيء عنها في اليوم التالي ، ما عدا ما تكشفه وهي في اندفاعها المتدفق من جوانب نفسه التي لم يسبر غورها بعد . وتذكر الفتاة التي رآها في الشارع المحاذي للنهر والتي طار رداؤها حتى اعلى راسها ، وحمى الشهوة التي اثارها ، واخذ يتأمل : لعل هذا هو الجنس ... انه حمى . انه خداع . فلو كانت تلك الفتاة هي كارولين لشعرت بنفس الشهوة تعتريني . ومع هذا ، فهي ترقد الان هنا ، واني احس بالهدوء . لعلي اكسب ثقتها كي اخدعها ؟ ولنفرض اني افلحت اذا ما حاولت مرة اخرى . فماذا سيكون عليه الفرق ؟ انها ستكون « خليلتي » ، هذا كل ما في الامر ، ستكون رمزا لقوتي ، ولنجاحي . ولكن هل ستهبط علي ايحاءات جديدة وانا اغازلها ؟ هل ساحس باني تجددت على نحو غريب ، وكأن الخلود قد مسح جبيني ؟ وما رأيك في كل ما تحدث عنه د. هـ. لورنس ؟ انه كان مجنونا ودجالا . يمكن ان يكون جيدا بالطبع ، ولكن ليس الى هذا الحد . لا يكون جيدا بحد ذاته ابدا ، وانما كجزء من اهدافك الكبرى . ان الاتصال الجنسي مجرد طاقة خام ، ضوء وحرارة . وما يجعل منه امرا مهما هو المثل التي ينيرها .

وجلست نجاة ، فقال : ــ ما الخبر ؟

ــ اريد ان اذهب لشأني ... سألبس معطفي ...

ــ خذي مصباح دراجتي . انه فوق المكتبة .

وتمدد فى الفراش . كان سريرا لشخص واحد ولكنه واسع ، يكفـي لاثنين . وانتابه احساس بالترف وهو يستأثر به لفترة قصيرة . لم تكـن الغرفة مظلمة . كان يمكنه رؤية انحناءات ملابسها على الكرسي . فمد يـده وراح يتحسس بين ابهامه واصبعه الاخر النعومة الحريرية التي يثيرها ثوبها الداخلي . فذكره بسفرة بالقطار قام بها بين ليفربول ولندن . كانت هنالـك طالبتا مدرسة تجلسان امامه، كلتاهما فى حوالي الرابعة عشرة، وترتديان ملابس العطلة وهما تحملان حقائب كبيرة . كانت احداهما رشيقة القوام الـى حـد كبير ، وكانت ترتدي تنورة صوفية بنية ، وقد انزلقت حوالي بوصتين الـى اعلى ركبتيها ، فكشفت عن رداء داخلي من النايلون ذي حافة موشاة باتقان مفرط . وكان جورباها ، وكان من الواضح جيدا أن يتفقا والمناسبة ، مـن النسيج الخالص . وشعر انها كانت تحس بالزهو لهذه الحافة الموشاة فـي ثوبها الداخلي ،حيث انها لم تقم الا بمحاولتين باردتين لتسدل تنورتها طوال السفرة التي دامت اربع ساعات . وحاول فى اول الامر ان يغض الطرف عـن المنظر ، واحس بالخجل من الرغبة التي تنحنحت فى اعماقه . وحاول ان ينظر من خلال النافذة ، وترك لخياله العنان ليتخيلها بين ذراعيه . واخيرا ،امتلكها كليا فى خياله حتى شعر بهزة من الدهشة عندما التفت اليها ونظر الى قطعة النايلون الموشاة المغرية ، وادرك انها لم تزل انسانا غريبا عنه . والتقـت نظراتهما مرة ، فاشاحت بوجهها وقد احمرت خجلا . وادهشه انها مع ذلك لم تكلف نفسها اخفاء الحافة المزركشة التي توحي بغرف النوم والاستسلام. وعندما هبط فى بادينغتن ، امسك بحقائبه واندفع الى الرصيف وقد تملكـه شعور مفاجيء بانها ستركب نفس الباص وتجلس امامه ثانية لنصف ساعـة اخرى ، لتطبع صورتها فى ذهنه الى الابد . ولكنه لم يرها ثانية .

ولو كانت هي نفسها الفتاة التي كانت تضطجع بجواره الان والتي تركـت ملابسها على الكرسي الى جانب السرير ، فلا يستطيع اي اشباع للرغبة أن يعيد اليه هذا التوتر النفسي الذي حدث له وهو يسافر فى مواجهتها مـن ليفربول الى لندن . لقد كان ذلك خلعة ، رغبة دون هدف .

وعادت كارولين الى الغرفة . واحس بجسدها باردا عندمـا تلامسا . واخذ يقبلها بقوة . وهو يبتهج للشهوة التي تدفقت فورا فى عروقها فجعلتها تضغط بجسدها عليه . ولم يات هذه المرة بحركات مفاجئة ليفزعها ،واكتفى بملاطفتها بيده وهي ترقد الى جنبه ...

الفصـــل الثـــالث

واصرت على أن يبقى فى الفراش ريثما تحضر الشاي . غيــــر أن فكرة رؤيتها تروح وتجيء وهي ترتدي روبه ازعجته ، ولكن سرورها كان من الوضوح بحيث انه لم يشأ أن يوقفها . وجلس فى فراشه ، محاولا ان يقرأ ، وقـــــد انصرف نصف أهتمامه الى القراءة ، بينما راح ينتبه الى صوت كاليه يتحرك فى الغرفة المجاورة أو كارلوتة تنظف السلم . كانت كارولين فى الحمام . وبعد لحظات خرجت واخذت ترقى السلم وسمع في الوقت نفسه صوت خطوات اخرى تصعد الجزء الاول من الدرج . فسألها وهي تدخل الغرفة :

ـ مـــن كـــان ؟

ـ من كان مـــن ؟

ـ ذاك الشخص ؟

وسمع صوت وقع الاقدام أمام غرفته ثم على الجزء الاخر من السلم فقـــالت :

ـ لا اعلم فلم انتبه .

ـ لعل كارلوتة ذهبت لتنظف غرفة الرجل العجوز . أو ربما قـــدم مستأجـــر جديد .

وتحركت الاقدام على الارضية فوقهما . وقال :

ـ تبدين حلوة في هذا الروب ، ولكن ينبغي ان يكون أقصر من هذا قدما واحدا .

وجلست على حافة السرير وقبلته . كانت تبدو ، حتى بدون المساحيق وبشعرها الاشعث ، وردية البشرة كانها طفل .

ـ كيف تشعرين اليوم .

ـ اشعر بالضيق . ولولا ذلك لكنت بخير .
ـ متعبـــة ؟
ـ كلا . سأدخل الفراش ان اردت !
وسحبها من كتفيها الى الخلف وقبلها . وسمعا قرقعة شديدة فـي الغرفة العليا . فنظر سورم الى السقف وقال :
ـ هل انت هناك ، يا حلوه ؟
كان هنالك دوي يشبه صوت كرسي يجر على عجلات .
وقالت كارولين :
ـ أعتقد ان الفتاة ترتب الغرفة . دعني انهض . ساحضر الشاي .
وراح يرقبها وهي تقف على طنفسة الموقد تضع الشاي بالملعقة فـي الترس الكبير ، وهو يحاول ان يحلل الانفعالات التي كانت تثيرها فيه . لقد سره ان يضطجع معها ، وسره أن يتعرف على جسدها الان ـ غير ان هذا كان كل ما في الامر . أنه لم يحس باشباع اعمق من ذلك ، لـــم يحس بتهدئة للجوع . كان شيئا لا يمكنه تعريفه ، قد اقلقه . اذ لم تترك لـــه التجربة شيئا سوى قليـــل من التعب الجسمي . وقال في نفسه : ومــــاذا اريد ، على اية حال ؟ ماذا يريد جميع الرجال ؟ ان هذه الحاجة عامة بين الجميع ! كارولين ...
كانت ترتدي ملابسها ، وهي تقف عارية الجسد على طنفسة الموقــد امام النار الغازية ، كانت تندس في ملابسها دون اي حياء . انها ولـــدت لتقوم بدور الخليلة ، او الزوجة فالامران متساويان ، على ما اظن . انهـا تريد زوجا ، وتحسب انها عاشقة .
ـ ولكني لا اريد ان اكون زوجا ـ زوجا صالحا ، كلبا امينا .
انا انطوي على اكثر من انسان واحد . انا بحاجة الى التعبير عــــن نفسي . وذلك بان يرقد جسدها تحت جسدي . والا فكـــيف ؟ ارقــب الفجر ينبلج فوق مايدروك تسو أو ساديا . ولم لا يكون أسلنفتون او القيثار لويلـــزي ؟
... من أسلنفتون الى ماريلبون .
والى تل بريمروز وغابة القديس يوحنا .
كانت تغطيها الاعمدة الذهبية .
وهنالك كانت تنتصب اعمدة اورشليم .
ولا استطيع القتل . ان الحياة تبتهج للحياة . لدي اكثر من الحاجة. مرتاح اكثر مما ينبغي . انـــا بحاجة الى معركة اخوضها . وطبقت كبسولة

الملابس عند خصر تنورتها برنة معدنية . وصبت الشاي في القدحين خلال مصفاة . وقـالت :
ـ اود لو يمكننا الرحيل الى محل ما . لفترة طويلة ... ما اجمل ان نعيش معـا !
فقـال مبتسما :
ـ لم لا ؟ يمكنك الانتقال عندي .
ـ وصاحبة البيت ؟ وامي ووالدي ؟ والعمة جيرترود ؟ واوستن ؟
ـ طيب ، وما دخل اوستن ؟
ـ انه يحس بالغيرة .
ـ اشك في ذلك ...
وفيما هو يهم بتناول قدح الشاي منها ، طرق احدهم الباب ، فقال بصوت خـافت :
ـ اوه ، يا للسماء !
وقفز من الفراش واختطف الروب من على مسند الكرسي ، فقـد خشي ان ينفتح الباب قبل أن يتمكن من الوصول اليه . وكان يعقد شريط الروب وهو يفتح الباب فقالت كارلوتة :
ـ احدهم يطلبك على التلفون ..
ـ اوه ، شكرا ..
ومالت اليه وقالت :
ـ لقـد ...
واومات براسها في اتجاه السلم . واخذ سورم يحدق في وجههـا دون أن يفهم .
ـ مـاذا ؟
فقالت ، كأنها تشركه في مؤامرة :
ـ لقـد عاد !
ـ من ؟ ارجو ان لا يكون الرجل العجوز ؟
فاومات بالايجاب . كان موزعا بين الانكار الغاضب وبين خوفه مـن ان تطل في الغرفة فترى كارولين . فقال :
ـ او ، يا الهي ... ينبغي ان اذهب لاجيب التلفون .
واومات براسها باستجابة ، وهي تبتسم . كان ابتسامتها مفعمـة بالمودة والالفة على نحو لم يالفه من قبل ، فزاد ذلك مـن قلقـه لاحتمـال ظهور كارولين فجأة خلفه . وتمتم قائلا :

ــ سأذهب لالبس نعلي ...

واغلق الباب . ورفع أصبعه الى شفتيه مشيرا الى كارولين أن لا تنبس بكلمة ووجد نعليه . ولحق بكارلوتة على منتصف السلم .

ــ هل تعلم المسز ميلر بعودته ؟

ــ اوه ، أجل . هي التي بعثته .

ــ لا شك انها مجنونة ! ألا تخشى ان يشعل النار في بيتها ؟

والتفتت الفتاة ونظرت اليه ، وكان في عينيها هزء غريب . اذ افسد وجهها عبوس غريب أكسبه مظهرا شيطانيا . وقالت بهدوء :

ــ لقد رفعت ايجاره !

وقبل ان يجيب ، كانت كارلوتة قد ركضت نازلة السلم الى الطابق السفلي ، وتركته يحدق في سماعة التلفون التي ترقد على طاولة الصالة.

ــ هلو ؟

ــ هلو جيرارد . اوستن يتكلم .

ــ اوه ، هلو ، كيف حالك .

ــ بخير . اسمع ، هل يمكنك تناول الغداء معي اليوم ؟

ــ أ... نعم ، أعتقد ذلك . هل من سبب خاص ؟

ــ نعم . اريدك التعرف على صديقين لي ؟

ــ من هما ؟

ــ كاتبان امريكيان .

ــ هل اعرف احدا منهما ؟

ــ لا اعتقد ذلك . انهما شابان ، واعتقد انك ستجد متعة في لقائهما. انهما ينتميان الى جماعة تدعى «متمردو شيكاغو » .

هل يمكنك المجيء عند منتصف النهار ؟ سنحتسي بعض الشراب ثم نذهب الى سوهو .

ــ طيب . شكرا ، وبالمناسبة ، لم اشكرك لتلك الليلة .

ــ تشكرني لجعلك تتقيأ من المرض ، تعني ؟

ــ كلا ، ولكن ... لقد كنت طيبا حقا .

ــ كلا ابدا ، ايها الصبي . سأراك فيما بعد ، حسنا ؟

وعاد الى غرفته وقد اذهله كيف انه لا يمكن لاحد أن يتكهن بطبائع نن . فقد كان اخر مرة اتصل بها تلفونيا يلوح كالطفل المدلل ، والان يبدو كالاخ الاكبر الذي يرعى اخاه الاصغر .

ــ من كان على التلفون ؟

ـ اوستن .
ـ هذا الشيطــان !
ـ دعاني لتناول الغداء معه . ولكنني استطيع ان الغي الموعـــد ان اردت ان تكون معــا .
ـ كلا ، لا تغتم ، يا عزيزي . ينبغي ان اعــود الــى البيت ، والا فسيحاول والداي الاتصال بالصديقة التي يفترض اني قضيت الليلة معها !
وسحبها اليه وقبلها . كان لثغرها مذاق الشاي الدافىء . وساوره شعور مترف ان يحس بدفئها يشد على جسده . وسرى احساس يشبـــه التيار الكهربائي في صدره وفخذيه . وقال بصوت غليظ :
ـ ما اسخف ان نلبس ملابسنا .
ورقدا جنبا الى جنب وهما ينظران الى السقف . وقال :
ـ لقد عاد هذا الحيوان الى الطابق العلوي .
ـ هل انت واثق ؟
ـ نعــم .
ونهض مستندا الى مرفقه وذاق الشاي الفاتر .
وقالت :
ـ ساهيىء لك قدحا اخر .
ـ لا تكلفي نفسك . اتعلمين ، اعتقد باني سأسأل اوستن اذا كـــان يعرف شقة اخرى . يملك والده نصف ماريلبون . لا اعتقد اني استطيـع ان اتحمل هذا السكير العجوز اسبوعا واحدا . انه سيحطمني .
وطرق احدهم الباب ، فافزع سورم . فهمس في اذن كارولين:ششش!
وانزلق خارجا من فراشه وارتدى الروب .
كان يتوقع ان يرى كارلوتة ولكنه وجد الرجل العجوز . كانت عيناه اقل بللا . وكان يرتدي بذلة صوفية تلوح من النوع الجيد وقميصا نظيفا. وابتسم بحياء :
ـ اسف لازعاجك يا سيدي ولكن هل لديك علبة ثقاب ؟
كان صوته واضحا رصينا . وبحث سورم في جيب روبه ثم ناولــه علبة الثقاب .
ـ اشكرك ولكني لن اخذ العلبة كلها ...
ـ لا يهم . انها تكاد تكون فارغة .
وابتسم الرجل العجوز ، كأن لهما سببا سريا يدعوهما لتبـــادل

الاعجاب . ووضع العلبة في جيبه . وراح يجـرجر قـدميه بتثاقـل .
وقـال سورم : ــ ارجو ان تكون احسن الان .
ــ اجل . شكرا .
وكأن كلمات سورم وضعت حدا لتردده فالتفت ومضى مبتعـدا .
وفيما كان سورم يهم بغلق الباب ، التفت العجوز ، وابتسم بنظرة اعتذار وقـال :
ــ لعلك تريد قراءة جريدة الصباح ؟
وسحب من جيبه جريدة مطوية وناولها لسورم ــ ثم اختفى عـلى عجل ، كانه يخشى ان يكون قد اقترف خطأ .
وعاد سورم الى غرفته وفتح الصحيفة . فقرأ العنوان التالي : القاء القبض على الزوج في حوادث القتل في غرينتش .
ــ من كان هـذا ؟
فقال وهو يرفع وجهه الى السقف :
ــ هو .
ــ يبدو في حال جيدة .
ــ اوه ، اجل . انه يبقى في حال جيدة الى ان يبدأ بالشرب . وهو يشرب ثلاثا وعشرين ساعة في اليوم .
ووقف بالقرب من الطاولة يقرأ الصفحة الاولى . وكانت كاروليـن ترتدي ملابسها مرة اخرى . وقال :
ــ اذن فهو لم ينتقل ابدا .
ــ مـن ؟
ــ مجرم وايتشابل .
وفيما هو يلبس حذاءيه ، قالت فجأة :
ــ ينبغي ان تشتري لك شقة في وايتشابل . يمكنني ان اراهنك على ان قيمة الاملاك قد هبطت منذ تلـك الحوادث .
ــ ملاحظة تدل على الذكاء ، يا عزيزتي .
ــ الا تعتقد ذلك ؟
ــ لم لا ؟ لعل اوستن واباه مشتركان في ذلك ــ اوستن يقتـرف جرائم القتل وابوه يشتري العقارات باسعار منخفضة .
فقالت وقد قطبت جبينها :

ــ ولكني لا اظن ان في وسع أوستن أن يقتل النساء . الا تعتقد ذلك ؟

ــ لست ادري . سأسأله عندما اراه .

* * *

وتأخر في الوصول الى شارع الباني بنصف ساعة . وقال البواب :

ــ اه ، المستر نن في انتظارك ، يا سيدي . وانك لم تات بالسيدين معك اذن ؟

ــ كلا . الم يصلا ؟

ــ ما كانا قد وصلا بعد ، عندما اتصل بي المستر نن تلفونيا منذ خمس دقائق .

وفتح نن الباب ، فقال سورم على الفور :

ــ اسف لتأخري .

ــ لا يهم . انهما ايضا لم يصلا بعد . كيف حالك ، يا جيرارد ؟ يلوح عليك التعب .

ــ من جراء العكوف المهلك على الكتابة ، حسب ما اظن .

ــ ويسكي ؟

ــ شكرا . وبالمناسبة ، يا اوستن ، اردت ان اسألك عندما تكون وحيدين ... هل تعرف اذا كانت في هذه المنطقة شقق او غرف غير مؤثثة ؟

ــ لك ؟

ــ نعم . اني افكر في تغيير مسكني .

ــ ولكنك كثير التنقل .

ــ أعلم . هل تتذكر الرجل العجوز الذي حدثتك عنه ؟

ــ نعم . هل خرج من المستشفى ؟

فأومأ سورم بالايجاب ، وقال :

ــ وصل صباح اليوم . ولذا فاظنه سيحرمني من النوم حتى يقع له حادث اخر .

وجلس نن على الكرسي الكبير واشعل سيكارة .

ــ السبل والوسائل موجودة دائما ، اليس كذلك ؟

وقال ، بعد ان رأى الحيرة ترتسم في وجه سورم :

ــ يمكننا ان ندبر حادثا له ، الا تتفق معي ؟

ــ هل انت جاد ؟

ـ تماما . مشـلا . . .

ورن جرس الباب ، فذهب نن نحوه . واثناء اللحظة التي ظل سورم فيها لوحده اخذ يحدق في قضبان المدفاة الملتهبة وراح يتساءل : ترى اي جانب من شخصيته يتهيأ نن ليكشفه له . وتناهى اليه صوت امريـكي اللهجـة يقول :

ـ هاي ، ايها الرجل ! سعيد برؤيتك .

ودخلا الغرفة يتبعهما نن . وقال نن :

ـ اقدم لكما جيرارد سورم . جيرارد ، اقدم لك كـال تيشميـسر وورودي جيمس .

وقال اقصر الرجلين ، الذي يشبه الايطاليين ، بلهجة ودودة :

ـ هاي ، جيرارد . كيف حالك ؟

اما صديقه فقد مد يده من فوق الكرسي وربت على كتف سورم قائلا، بلهجة عميقة لطيفـة :

ـ مسرور برؤيتك ايها الرجل .

وارتمى على الكرسي الذي كان نن قد اخلاه وترك ذراعيه يسقطـان باسترخاء على مسنديه . كان وجهه مستطيلا غائر الخدين وقد نبت على ذقنه أشعر اشقر لم ير الحلاقة منذ ثلاثة ايام . وكان ، كزميله ، يـرتدي سترة جلدية تحتها قميص ذو الوان زاهية . وجلس الرجل الذي يشبـه الايطاليين الى جوار سورم على الديوان ، قائلا :

ـ ماذا ندعوك ـ جيري ؟

ـيمكنك ان تدعوني كذلك ان اردت .

ـ طيب . انا كال ، وهو جيمي .

وهتف نن ، وهو يقف الى جوار الدولاب :

ـ ماذا تشربان ؟

ـ الديك ويسكي بوربون ؟.

ـ نعـم .

واستـدار جيمي في كرسيه ونظر فـي دولاب المشروبـات وصفر بصوت حـاد :

ـ هي ، انظر الى هذا الرجل المجنون ! لديه عشرون زجاجة شراب هناك ! يستقبلنا حظ سعيد ، ايها الصبي ، وا هوووو .

وقفز من كرسيه وراح ينطنط صوب نن ، وامسك باحدى الزجاجات

وراح يقبلها بلهفة ، وقال بصوت اجش :

ـ ايها الصبي ، يسرني ان اراك !

وسأل كال سورم :

ـ هل انت كاتب ؟

فهز سورم كتفيه وقــال :

ـ ليس الى الدرجة التي تستحق الحديث عنها . ماذا تكتب انت ؟

ـ انا اكتب الروايات . وجيمي ذاك يقرض الشعر . لقـــد اسس مدرسة خاصة به ...

فقــال جيمي :

ـ أو ... لا

ـ ... التي اشار اليها صديقنا ومرشدنا الودود البروفيسور تريلنك.

فصاح جيمي :

ـ ابــن الكلب !...

ـ ... على انها مدرسة الزحار في الشعر !

وانطلق ضاحكا ، كانت ضحكة عالية مفعمة بالهزات والزعيق ، ذكـرت سورم بسيارة قديمة تتعثر على طريق وعر . فقال جيمي بقصد الانتقام :

ـ اجل ، وهل تعلم ماذا قالت مجلة « تايم » بصدد رواياته ..؟

وناوله نن قدحا مليئا الى منتصفه بالويسكي . فامسك به ، واخـذ يشمه بانتشاء وسكبه في فمه على الفور . وقال بلهجة عاطفية :

ـ اوستن ، اني احبك ان هذه الخمرة تساوي ثمنها حقا .

وجعل نــن يصب له المزيد من الويسكي ، وقال متصنعا الحدة :

ـ من يكترث لما يقوله النغول ؟ فكما قال عمر الخيام : « القافلـــــــة تسير ، فلتنبح الكلاب » .

وناول نن لكال قدحا ، وسأل بجد :

ـ هل كنتما تشربان قبل ان تأتيا ، ايها الصبيان ؟

فقال كال :

ـ اوه ، انه ليس ثملا . انه دائما على هذا النحو . الست كـذلك ، دادي ؟ لقد كان يثرثر طول الليل .

فسأل سورم :

ـ عــم ؟

ـ أوه ، يا الهي ، عن شيء ما .

فسأل جيمي :

ــ اين تضع اسطواناتك ؟

ــ هنــاك .

وقال كــال :

ــ حدثه احدهم عن ميريجكوفسكي او لست اعلم ماذا ، كيـف ان الروس اعتادوا ان يجلسوا حتى الصباح ، فاذا ما تثاءب احدهم،يقولون له . .

وصاح جيمي :

ــ هي ، انظر ، دعني انا اقص الحكاية . اصغ ! انهم يبقون طــــول الليل يتناقشون فاذا ما اقترح عليهم احدهم غلق الموضوع ، أتعلم بمـــاذا يجيبون ؟ « لا يمكننا النوم بعد . لم نقرر بعد اذا كان الله موجودا » .

واطلق صفيرا حادا من الفرح ، والتفت الى درج الاسطوانات . وقال بعد لحظة باعجاب :

ــ هي . ايها الرجل ، لديك كل هؤلاء ! مايلز ديفيز وديزي و . . . واو ! . . . المجموعة الكاملة لموسيقى بيرد . ايمكننا عزف بعضها ؟

وقال تن بحذر :

ــ الاتعتقدون انـــه ينبغي ان نذهب لنــأكل شيئا أولا ، الساعـــــة تجاوزت الواحدة .

فقـــال جيمي :

ــ لنسمع اسطوانة فقط ، وجها واحدا من بيرد . ثم بعد ذلك نستطيع الـــذهاب للرعي .

وقـــال كـال سائلا سورم :

ــ هل تتذوق الانواع الجديدة من موسيقى الجاز ؟

ــ انـــا . . .

وقبل ان يجيب ، طمس الغرامافون صوته. واستلقى جيمي على الارض وضرب برجله في الهواء ،ثم صاح:« ايتها الاجراس ، دادي ــ اووو . . . ! »

ومال كال وصاح في اذن سورم :

ــ هل انت من المغرمين بموسيقى الجاز ؟

ــ ليس كثيرا . يعجبني بيكس بيدربيك .

فصــــاح كــال :

ــ عظيـــم !

ثم اشار الى جيمي واردف :

ـ ولكن جيمي لا يميل اليه ، يعتقد غناءه جافا .

ونظر سورم الى ساعته بحذر ، متسائلا متى يمكنه الخلاص من هؤلاء . وقد ترك هذا الضجيج وهذه اللهجة الغريبة في نفسه الانطباع بانهما يتعمدان الفات النظر اليهما . ورفع بصره فوجد نن ينظر اليه باهتمام : كانت عيناه البنيتان ناعمتين كعيني حيوان وفيهما من الرقة والازدراء والمداعبة ما في عيني اله وثني . ومرت بسورم لحظة احس فيها بالخوف الغريب والخضوع اللذين كان يحس بهما في حضور نن ، الاحساس بوجوده مع شخص من نوع اخر . واغلق نن عينيه واسترخى في كرسيه .

وعندما انتهت الاسطوانة ، اعتدل جيمي ، وقال بحزن :

ـ لقد افل نجم شارلي . لقد قتل نفسه .

ونظر الى سورم ، فرأى سورم فيهما الصدق . وسال :

ـ ماذا حدث له ؟

فقال كال باقتضاب :

ـ ادمان على الخمر ، والنط .

فقال جيمي :

ـ هذا الرجل القصير السمين . كان عذبا ، ولكنه متقلب المزاج . كنا نعرفه في الضفة الغربية .

واطفأ نن الغرامافون . وقال :

ـ لنذهب ونأكل . احس بشراهة .

وتبعهم سورم خارج الغرفة . ومشى جيمي بكسل وترهل كالقرد . وتساءل سورم ماذا كان يعني كال بكلمة « النط » وخمن انه يعني بها الرقص ، واورثته فكرة الرجل السمين الذي كان قصيرا يرقص حتى يموت على انها تبعث على الكآبة الى حد غريب .

* * *

وتوقف الرجلان الاميركيان عن الكلام اثناء الاكل ، وراحا ينسفان الطعام بشراهة ، فظن سورم انهما لم يتناولا لقمة واحدة منذ ايام . بيد انه لما قال نن عرضا :

هل انتما جائعان ؟

قال كال :

ـ لقد تناولت فطورا ضخما . وهذا ما يجعلني نهما للطعام طول اليوم.

وكانا يحتسيان الخمر كأنها بيرة ، جرعات طويلة . وقال جيمي فجأة :

ـ مشكلتكم انتم معشر الكتاب البريطانيين ، هي انكم لا ترفسون الى

الحمد الكافي .

فسأل سورم :

ـ نرفس من ؟

ـ ايهم تشاؤون . فمثلا ـ ماذا تكتب الان ؟

ـ قصة .

ـ ما هو موضوعها ؟

ـ عن قاتل جنسي .

ولاح عليهما استحسان للموضوع . وقال كال :

ـ هذا موضوع جيد . لم تريد ان تكتب فيه ؟

ـ للحصول على المال .

فقال جيمي :

ـ طبعا لم لا . سبب معقول .

وبدت عليه الحيرة . فقال نن مبتسما :

ـ انه يريد الايقاع بك .

فاشرق وجه جيمي بابتسامة عريضة دمثة وقال :

ـ اوه ، اكيد ؟ على كل حال ، انه سبب معقول . ولكن ، جديا ، هل انك حقا تكتب عن قاتل جنسي ؟

ـ نعم .

فمال اليه كال وقال :

ـ هل تعرف اي قاتل جنسي ؟

فقال سورم :

ـ بالتاكيد . اعرف الكثير ، اولهم انا واوستن. ولعلكما ـ انت وجيمي، منهم ايضا . لست ادري .

فقال جيمي بصورة غير متوقعة :

ـ انه على حق . لقد افحمك يا كال ، فلا حاجة به ان يعرف واحدا منهم . اي انسان يمكن ان يكون قاتلا جنسيا .

فسأل كال :

ـ هل هذا ما تقصده ؟

فأجاب سورم ، وهو يكبح رغبة قوية في النهوض ومغادرة الغرفة :

ـ كلا . كلا في الحقيقة .

ـ فماذا تعني اذن ؟

فقرر سورم ان يحاول ان يجني ما يمكنه أن يجنيه من هذا الحديث ، فقا ل بعــد لحظة من التفكير :

ــ اريد ان اعزل هذا الشعور بالسلب الذي يصيب الانسان الحديث . الشعور بأنك متروك فى البرد ، بانك لا تحيا بمـا يكفي من الحياة . هــــل تفهمــان مـــا اعنيه ؟

فقـــال كــال :

ــ هـــل نفهم ؟

وقـــال جيمي بانفعــال :

ــ بـالتأكيد ، افهم ما تعنيه . مثل رجل كنت اعرفه فى اميركا قضى معظم ايامه فى المدارس الاصلاحية والسجون ، ومع هذا فلم يكن هنالك سبيل الى ايقافه . كانت تسليته المفضلة هي انجاب الاطفال من صديقاته . وقد احس بأنه بهذهالطريقة يعيش على احسن ما يمكن ان تعاش به الحياة . لقــد اراد هذا الصبي أن يأكل ويشربحريته ... وليذهب كل شيء الى الجحيم . كان عليه ان يظل يتحرك ، يفعل ما يفعل ، يشرب ويدخن ويزامل الفتيات . كان هذا الصبي يريد ماضيا يستعيده فى ذاكرته اذا ما دخل السجن ثانية .

والتفت الى نــن وقــال :

ــ هل قرأت توماس وولف ؟ هنالك انسان مسلوب الممتلكات لك ... المعذرة ، أيها الرجل ، اريد الذهاب الى التواليت . فى اي اتجاه هي ؟

فأرشده نــن الى محلها ، وراح هو وسورم يراقبانهما يجتازان الصالــة وهما يتحدثان بانفعال فيجذبان انتباه اكثر بقية الرواد فى المطعم . فقال نــن :

ــ مـــا رايك فيهمـــا ؟

ــ انهما مضجران . اود العودة الى البيت .

ــ حقا ؟ انك لست جماعيا هذا اليوم . ويمكنني الجزم انهمايميلانأليك .

ــ أنا اميل اليهما أيضا ، ولكنهما لا يعرفان كيف يتحدثان . ولا يحاولان الاندماج بالحديث . انهما يقذفانك فقط بسيل من الاسئلـــة والتعليقات ، ويعتقدان انهما بهذا يحققان شيئا ممتعا . لم استطع مقاومة الرغبة فـــي الحديث عن هذا الشعور بالسلب ، وانهما اسوأ امثلة رأيتها فى حياتي .

ــ انك لتتسرع فى الحكم عليهما . اتعلم . لدى كال اراء ممتعة عـــن التصوف ، وقد اعتنق الاسلام منذ بضع سنين ... وبالمناسبة ، هل انــت جاد حول موضوع روايتك ؟

ــ كــلا . كان الموضوع من وحي اللحظة . فليس من الممكن التحدث بصورة جدية عن كتاباتك بهذا الشكل ، خلال خمس ثوان .

فقـــال نـــن بلهجة لائمــة :
ـ انك لست مولعا بالناس الى الحد الكافي يا جيرارد . لقـد لاحظت ذلـك فيك قبـــلا .
فقـــال سورم بعـدم اكتراث :
ـ ربمـــا .
وعاد الرجلان الاميركيان ، وكان جيمي يمشي مشية القرد بطريقة مبالغ فيها وهو يتحدث ويطلق الاشارات بيديه . وحالما جلس جيمي وجه السؤال :
ـ هل حاولت ريـاضة اليوغـــا ؟
فقـــال سورم :
ـ ليس بصورة جديـــة .
ـ امر يدعو الى الرثاء . اعتـاد كـال ان يمارس اليوغا ـ الطريقــة « الصوفية » كما كان يطلق عليها . كنت اعرف شخصا هنا في لندن كـــان يمارسها ايضا ... ويا الهي ، كان غريب الاطوار .
وراح سورم يكشط باظافره رقعة العنوان الملتصقة بزجاجة الخمرويفكر بطريقة للاعتذار والخروج بسرعة . كان يحس بداية اجهاد عقلي كان يؤثــر على جهازه الهضمي . وقبل ان يتمكن من اختلاق سبب للخروج ،سمع اسما يذكر امامه فصاح بسرعة :
ـ هل قلت غـلاسب ؟
ـ نعم . اتعرفه ؟
ـ اوليفر غلاسب ، الرسام ؟
فقـــال جيمي :
ـ لا ادري اذا كان هذا الشخص رساما ، كما لا اتذكر اسمه الاول . ولكنـــه كـــان غريب الاطوار حقـــا .
فقـــال سورم :
ـ ربما كان نفس الشخص الذي اقصده . انه اسم غريب .
ـ محتمل . كان ذلك منذ خمس سنين . كان منحرفا ايضا ...
ـ صحيـــح ؟ كيـــف ؟
ـ كان مولعا بالفتيات الصغيرات ... يتحدث دائما عنهن . كلنا توقعن انـــه سينتهي الـــى السجن .
فسأل سورم نـــن :
ـ هل من الممكن ان يكون هو اوليفر ؟
ـ اشك في ذلك . وبالمناسبة ، يا جيرارد ،ينبغي انتذهب الاناذا اردت

اجراء مكالمة تلفونية في الساعة الثانية والنصف .
فنظر اليه سورم بامتنان . وقـال :
ـ نعم ، اعتقد ينبغي ان ارحل . يؤسفني ان اذهب .
فقال جيمي :
ـ لنلتقي ثانية فيما بعد. اريد ان نتحدث اكثر حول فكرة «السلب» هذه.
ـ اخشى الا يمكنني المجيء اليوم ... ولكن اوستن يمكنه أن يدبـر الامـر بسهولة ...
ولدهشته نهض كلاهما وصافحاه بكل اصول وادب عندما هم بالمغادرة. واسرع خارجا الى شارع « غريك » وهو يتنفس الصعداء . وبدأ المطر ينهمر .

* * *

وسار تحت المطر ، وقد قلب ياقة معطفه الى الاعلى ، وهو غير آبـه بالناس الذين كانوا يمرون عبره مسرعي الخطى على الارصفة الضيقة . وعند المنعطف الذي يؤدي الى شارع شافتزبيري ، حاولت مخاطبته امراة زنجيـة غير انه رد عليها بابتسامة ليست ذات معنى ومضى في سبيله . وساوره القلق وتمنى لو كان نـن ما زال هناك . واحس بدافع مفاجيء يدفعه الى ان يدلف الى أحد اكشاك التلفون . ورد عليه القسيس الهنغاري . وكشف له سورم عن اسمه ثم سأله أن لم يكن الاب كاراثرز مشغولا . وبعد لحظات عـاد القسيس وقال أن الاب كاراثرز غير مقيد بموعد حتى الساعة الرابعة . ونظر سورم الى ساعته كانت الساعة قد تعدت الثالثة . وقال :
ـ اشكرك جداً . انـا قادم الان .
وبينما كان الباص يسير به في هولبورن راح يتساءل ما الذي سيقوله للقسيس ، كان يحس بأن هناك عقدة هو مكره على حلها ، ولكنه لم يكن عـلى يقين من معرفته العقدة التي يريد حلها بالذات . واحس بأنه يقف على حافة بحر من الانفعالات التي لا تحتمل تعريفا وتحديدا .
وقاده القسيس الهنغاري الى الطابق العلوي ، وتركه عند نهاية الرواق . كان الاب كاراثرز يجلس امام المدفأة ، مرتديا الروب فوق منامته . واحس سورم بالسرور لهذا الدفء الذي سرى الى يده من قبضة القسيس وهـو يصافحه . كان في دخيلة نفسه يخشى أن يكون سببا في ادخال السأم الـى صدر هذا الرجل العجوز .
ـ يسرني أن تأتي ، يا جيرارد . اجلس .
فجلس سورم ، وقبل أن يفتح فاه بالكلام ، مال القسيس الى الامـام واردف قـائلا :

ـ هل وجه شتاين بعض الاسئلة اليك يوم امس ؟
ـ نعم . ذهبنا وتناولنا فنجانا من القهوة ...
ـ ممن صدر الاقتراح بذلك ؟..
ـ منـــه .
فبدا الوجوم عــلى القسيس .
ـ وهــل سألك عــن أوستن ؟
ـ نعم . كيــف عرفت ؟
وتجاهل القسيس السؤال .كان ينظر باتجاه راس سورم خلال النافذة. كان في وجهه شيء يوحي الى سورم بالصمت ، كان وجهه ينطق بتعابيــر لم يألفها سورم في القسيس ـ كانت مزيجا من القوة والتركيز مع الشعـــــور بالاسف لشيء منفصل عنه . وهيمن الصمت طويلا . ونظر سورم الى ساعته بحذر فالفاها تشارف على الرابعة الا عشرين دقيقة . ونظر اليه القسيس ، ولاح كانه قد توصل الى قرار . فقال بهدوء :
ـ اعتقد انك شخص يعتمد عليه ، يا جيرارد ، الست كذلــك ؟
ـ امل في ذلــك ، ايها الاب .
كان القسيس يتكلم بلهجة واضحة كمن يتحدث في شؤون العمل :
ـ بحكم مهنتي ، اضطر في بعض الاحايين الى اتخاذ قرارات مخالفــة للقانون ـ او بالاحرى متجاهلة اياه . علي ان اعمل على فرض ان للنفــوس البشرية قيمتها . فالقانون يحاسب الانسان على عمله ، اما انا فأحاسبه عــلى ما هيتــه . هــل تفهم ؟
فــــأوما ســــورم .
ـ وان ما سوف أخبرك به ، يضعنا كلينا في هذا الموقف ...
وصمت . وراح سورم ينتظر ، بتوقع . وادرك مــا سيقوله القسيس فهيأ نفسه له :
ـ تلقى فرانز شتاين ، ليلة الخميس الماضي ، معلومات من شرطـــــة هامبورغ تدعو الى اعتقاده بأن أوستن قد يكون هو نفسه مجرم وايتشابل .
وتوقف القسيس وظل سورم جالسا ، مندهشا للهدوء الذي تلقى بـــه النبأ . وسأل اخيرا :
ـ هــل سيقبضون عليــه ؟
ـ ليس بعـــد .
ـ لمـــاذا ؟
ـ ليس لديهم الدليل . من العسير ايجاد الدليل في هذه المرحلـــة .

انه تحت المراقبة فى الوقت الحاضر .

ــ وهل هو ... القاتل ؟

ــ مـــن المحتمـل .

واحتشدت الاسئلة فى اعماقه ، وراح يزاحم بعضها البعض كأصطدام سيل من السيارات عند تقاطع عدد من الطرق . واحس بها تبتخر فى هــذه المعمعة . ومضى القسيس يرقبه دون كلام . وقال سورم :

ــ ولكن تـن ليس مجنونا . انا واثق انه ليس مجنونا .

ــ لست ادري .

ــ ولكن ... هل من المعقول ؟ هل ... قرات تقرير هامبورغ ؟

ــ نعم . انه معروف لدى المومسات اللاتي يعملن للساديين . وقــد اشتبه بارتكابه جريمـــة قتـل .

ــ قتـــل ؟

ــ قتل شاب يعمل للاغراض الجنسية . ليس هنالك دليـــل قاطع ، ولكنه واحد من عدد من المشبوهين .

فقال سورم بغيظ مفاجيء :

ــ كفى ، ايها الاب ...! ليس هذا سببا كافيا لتهمة انسان ... بالقتل الاجماعي ، اعني ، هل هذا يكفي ؟ هل هذا هو ك لما فى الامر ؟ الديك شــيء اخـــر ؟

ــ كــلا ، هذا هو كل ما فى الامر .

ــ ففي هذه الحالة ، ليس الامر بهذه الخطورة . لعل اوستن واحد من مئا تالمشبوهين . وهناك حقيقة واحدة فى صالحه ، وهو انه يميللجنسه . قلت انه مشتبه به فى قتل رجل يعمل للاغراض الجنسية ؟ بالتأكيد ذلك ...

ــ بالضبط ، ليست الادلة كافية ، ولكن هنالك ادلة . فلو كان اوستـن فعلا القاتل ... وهذا شيء محتمل ، على كل حال ... لو كان هو القاتل ، فلن يفلت من قبضة البوليس الان . الشرطةحاذقون ، وهم يعلمون بانلا معنى لافزاعه الان . لو كان لديهم ثمة دليل لقبضوا عليه . ولكن ، والحالة هــذه ، سيراقبونه حتى يقدم لهم الدليل . فاذا ذهب هذه الليلة الـى وايتشابـل وراح يتجول فى شوارعها ــ وحتى اذا لم يفعل شيئا اخر ربما يقبضون عليه .

وقال سورم ، بعد فترة من الصمت :

ــ افرض انــه القاتل ... ماذا يحدث له لو امسكوا بــه ؟

فقال القسيس بصوت ناعم دقيق المقاطع :

ــ سيشنقونه .

ـ هـل انت واثق ، ايها الاب ؟
ـ واثــق تمامــا .
ـ لا امـل فى السجن ؟
ـ كـلا ابدا . وحتى اذا ثبت انه مريض عقليا ، فانهم سيشنقونه . ليس له سجل ماض يجعله فى عداد المصابين بالخلل العقلي ، لم يدخل محـاجر المجانين ابدا ، ولم يسبـق له ان ادين بقضايا تعتبـر اسبابها مرضيـة . سيشنقونه كما شنقوا هيث وهاي وكريستي ـ لان الصحف ما فتئت تنشر اخبارهم حتى استولى الرعب على الناس كلهم .

وعلم سورم فجأة السبب الذي دفع القسيس الى ان يوليه ثقتـه . واحس بالغضب يغلي فى داخله ، واحس بالاحتجاج على هذا الامر الـذي يخالف العقل ، وذلك الغباء وتلك القسوة اللذين اصبحا قوة من قوى الطبيعة، وليس قصورا بشريا ، فلم يعد هنالك سبيل الى الوقوف بوجهها . وسأل بهـدوء :

ـ وماذا علي ان افعل ، ايها الاب ؟
ـ هذا امر عسير . اريد أن اطلب منك شيئا واحدا . لا تخبر اوستن بذلك مطلقا ، ارجوك . هنالك طرق اخرى . فان التقيت به كثيرا . . .
ـ كنت اتناول الغداء معه قبل قليل !
ـ طيب . هنالك سبل لذلك . يمكنك التظاهر بانك لاحظت ان احـدا يتبعك . يمكنك ايضا اختلاق شخص على انه سألك بعض الاسئلة عن اوستن . ولكنك ان اخبرته بالامر ، وقبض عليه بعد ذلك واجريت محاكمته بتهمـة القتل فستعتبر انت شريكه هل تفهم ؟
ـ آه . . . تظن اذن انه يقول كل شيء ؟
ـ فى الاخير نعم . انه سيشعر عاجلا او آجلا بالحاجة الـى الاعتراف بكل شيء . على فرض انه القاتل الان .

فقـال سورم :

ـ ايها الاب . . . اعدك بالا افضي اليه بالقضية مباشرة .
ـ حسنـا .
ـ ولكن . . . لا ادري كيف اعبر عنه . . . هل تظن ان اوستن يحتمل ان يكـون القاتـل ؟ . . .

فهـز القسيس كتفيه :

ـ كيف لي أن أعلم ؟ لم ار اوستن منذ وقت طويـل .

كان الجواب مخيبا بالنسبة لسورم ، والفى نفسه يفقد المقدرة عـلى

التعبير بوضوح وهو يحاول شرح احاسيسه وقال :

ـ ولكني استبعد الاحتمال ، اتعلم ! ان الامر بعيد الاحتمال !

ـ لمــــــاذا ؟

ـ لان . . . في العادة لا يتحول الاصدقاء الى مجرمين ، على ما اعتقد .

فابتسم القسيس وقـــال :

ـ حدث ذلـــك معي .

ـ حقـــــا ؟

ـ في حالتين . على كل حال ، ينبغي الا نشذ عن الموضوع . كمـــا ان مسالة الاشتباه لا يمكن ان تكون مفاجئةبالنسبة لك . فقد حدثتني انت عن شكوكـــــك .

ـ نعم ، ولكن اظنني على معرفة اوثق به الان من ذي قبل . انه مشوش الفكر ،يكاد يكون نفس ذلك الطفل المشوش المعتوه . ولكنه بالاضافة لهـــذا رقيق ، لطيف المزاج ، كريم الخلق . هذه الصفات لا يمكــــــن ان تتناسب وطبيعة القاتل باي حال من الاحوال .

وقـــال القسيس :

ـ ومع هذا فلم تبد عليك الدهشة عندما حدثتك عن حادثة القتل في هامبورغ . اكنت واثقا بان هذه الحادثة ايضا لا علاقة لها باوستن ؟

ـ لـ . . . لست ادري . لا اعتقد . . . ربما . ولكن . . . طيب ،كيف لي ان اعرف ؟ لست محيطا بظروف القضية . من الممكن . مدينة غريبة ، وثمة محاولة ابتزاز ماله او لسرقته في الليل . . . واعتقد ان اوستن انسان ذو قوة هائلة . قد يقع امر كهذا ولم يزل الامر لا يدل على شيء . . .

ـ ولنفرض ان الجريمة لم تكن على هذه الصورة ؟ لنفرض انها جريمــة سادية اعتيادية ؟ فكيف شعورك في هذه الحالة ؟

ـ لست ادري ، وليس من الضروري ان يتبدل في شيء . سوف لا انفك عن المحاولة في معرفة السبب قبل ان اقرر شيئا . اعني اريد ان ادخــل في اعمال اوستن واحاول ان اشعر كما شعر هو عندما . . . قام بالفعل .

ـ لمـــــــاذا ؟

ـ لانـــــه . . . من المتعذر الحكم عليه بطريقة اخرى . وفضلا عــــن ذلك ، ليس من العسير فهم موقفه . ويحدث احيانا انك لاتقوم فعلا بالاشياء. انما يقوم بها جزء اخر من نفسك ، وانك لا تعدو ان تكون متفرجا . يمكنني بكل سهولة ان اتقمص موقف السادي .

ـ صحيـــــح ؟

ــ اظــــن . . . ذلك .

ــ هل سبق أن سببت الالم لاحد . . . الالم الجسمي ؟

ــ اظن ذلك . كنت اقتل فراخ الدجاج ايام عيد الميلاد عندما كنــت صبيا . ولكني لم اشعر بلذة خاصة في القيام بفعل كهذا . واغرقت مـــرة جرذا وجدته في سلة الاوساخ ، ورحت اسكب عليــه ماء يغلي بينمــا كــان يسبح يمنة ويسرة . ولكني فعلت ذلك لاني كنت اخشى ان يستغرق موتــه ساعــات . ولكني لن افعل ذلك الان .

ــ لمــــــاذا ؟

ــ عمل كهذا يسبب جيشانا في معدتي . وبالاضـافة لذلك ، هنالــك في نفسي غريزة تكره القتل .

وقال القسيس بهدوء وبلهجة قاطعة :

ــ ليس في وسعك اذن ان تضع نفسك موضع السادي ، ام يمكنك ؟

ــ هذا لا يتبع ما قلته . السادي قاتل جنسي ، اليس كذلك ؟ هذا مــا يجعل المسألة تختلف . في امكان اكثر الناس الشعور بالتعاطف الى حد مــــا مع الجريمة الجنسية .

ــ افي امكانهم فعـــلا ؟

ــ اعتقد . . . هذا في امكاني انا ، على كل حال . اعتقد ان الناس جميعا يتملكهم شعور دائم بانهم لا يتمتعون بامتيازات الجنس بصورة كاملة . ولكن علي ان افكر في الامر . فليس هو هينا .

ــ هل تعتبر نفسك غير متمتع بالامتيازات الجنسية كاملة ؟

ــ نعم . ولكن هذا هو الجانب السلبي من المشكلة فقط . اظنها رؤيــا بشكل من الاشكال . . . رؤيا عن الحياة التامة المليئة التي تكمن وراء الجنس. وعلى كل حال ، ليس الدافع الجنسي بهذه الاهمية . تحدوني الرغبة احيانا في ان اتناسى الجنس كليا . . اعلم ان لكلامي وقعا غريبا ، ولكنه صحيح .

ــ لا يبدو غريبا ابدا ، وخاصة بالنسبة لي . لا ينبغي على الانسان ان يكون قديسا ليترفع عن الجنس . لقد فعل هذا كثير من العلماء والرياضيين، وعدد كبير من الفلاسفة .

ــ اعلم هذا ، ايها الاب ، اعلم هذا . غير ان الامر ليس بهــذه البساطة ــ ليس مجرد التعويض عن الجنس بالحياة العقلية او ما شابه . كان لــــي صديق من اتباع فرويد ، وكانت العبارة المفضلة لديه هي : كل انسان مريض الاعصاب . كنت اظنه معتوها ، بيد اني بدأت ادرك ما كان يعنيه . ومــا هو

المرض العصبي ، على كل حال ؟ حفنة من رغبات لم تتحقق ــ اي نــوع من الرغبات . والبشر يعملون لعدم تحقق رغباتهم ــ لا غير .
ــ مــا عــدا العــادة .
ــ نعم ، ولكن العادة تعيننا على الاستمرار في الحياة ، اما الرغبة فتعيننا على التقدم الى الامام . وليس منا من لايريد التقدم ، ولذا فليس منا من لا ينمي رغباته . اتعلم شيئا ،ايها الاب ؟ ظللت مرتبكا مشوشا خلال السنيـن الخمس المنصرمة ، لانه لم تكن لي الرغبات الكافية . كنت اظنني استطيـع العيش ، مسترشداً بافلاطون وبيتهوفن فقط ، ولكني وجدتني لا استطيع . ليس لان الخطأ يرجع الى افلاطون او بيتهوفن . الخطأ يعود لي ــ لم اكــن متهيئا لهما . الا ترى ، ايها الاب ، لو لم احاول ان اترك المشاكل الجنسيـة خلفي لما كنت عرفت بها . والمشكلة هي نفسها مع اوستن . فان كان ساديا ، فذلك لانه منقسم الى جزئين . انا شخصيا لااعرف اوستن ساديا وانمــا اعرفه هاويا سخيا مولعا بالباليه والموسيقى والفلسفة . واعتقد ان الامــر نفسه معه ومعي . اتدري ، ايها الاب ، قال برنارد شو باننا نحكم على الفنان في اسمى لحظاته ونحكم على المجرم في اوطأ هذه اللحظات . ولكــن مــا الذي يحدث عندما يكون الانسان مزيجا من الاثنين ؟ لا يمكنك ان تحكم على النصف المجرم بالموت وتمنح الحرية الى النصف الفنان ، ايمكنك ؟ وخاصة عندمــا تعلم بانه لم يكن مجرما لو لم يكن فنانا .
ــ اتعتقد انه يجب ان يسمح للمجرم بقتل الاخرين ؟
ــ كلا ، ايها الاب . حاشا ! انا اعتقد فقط بانه . . .
واحس بفتور مفاجيء ، وانهى عبارته متعثراً بالكلمات :
ــ . . . معالجته اهم من معاقبته .
ــ اوافقك على ذلك . مشكلة اوستن هي هل انه قابل للعلاج . . .
واطل الى الساعة الموضوعة على رف الموقد . كانت تشير الى الرابعة الا ربعــا . وقــال سورم :
ــ الافضل ان ارحل . ساحاول أن ابحث عن أوستن .
ــ احترس ، يا جيرارد. انك لا تريد أن تدخل السجن كشريكلاوستن.
ــ كــلا ايهــا الاب .
فقــال الاب مبتسمــا :
ــ ولا تذكــر اسمي .
ــ اعــدك بذلــك .
ــ قبــل أن تذهب . . هلا سألت الاب راكوسي اذا كان هنالك احـد

ينتظرني اسفل ؟
ــ حسنا ، ايها الاب .
والتقى بالمرأة الاسكوتلاندية وهو يفتح الباب . وقالت :
ــ ذهب الرجل . انتظر عشر دقائق ، ثم قال انه ذاهب في نزهة .
فقال القسيس :
ــ طيب ، انا متعب . هل يمكنني تناول فنجان من الشاي ، يا مسز داولي ؟
وخرج سورم الى المطر يلفعه ظلام الغسق المخيم ، ويحس بانه يكبت قلقه تجاه احساسه بلا حقيقته . كان يشعر وكأنه فرغ توا من اداء دور في مسرحية .
وفي اول الامر ، لم يميز الرجل الذي كان يعبر الشارع اليه ، ولكنه سرعان ما تبين انه غلاسب .
ــ هلو ، اوليفر ! اين انت ذاهب ؟
ولاحظ على الفور شيئا من الحدة في سلوك غلاسب . وقال غلاسب :
ــ كنت انتظرك .
كان صوته يوحي بالتهديد ، مما عجز سورم عن فهمه :
ــ كيف علمت بأني كنت هنا ؟
ــ اخبرتني تلك المرأة . كنت انتظر الاب كاراثرز لاراه .
ــ آه ! اذن انت كنت ذلك الشخص ؟ حسنا ، ماذا ستفعل الان ؟
وبدا التردد على وجه غلاسب . ونظر سورم اليه مليا ، وهو مذهول . وقال غلاسب :
ــ لم اكن اعلم انك صديق حميم للاب كاراثرز .
ــ انا لست صديقه الحميم . ولكني ذهبت لزيارته مرات عديدة .
كانا يقفان على حافة الرصيف . ووضع سورم يده على ذراع غلاسب قائلا :
ــ تعال لنشرب فنجانا من الشاي . لا يمكننا ان نبقى تحت هذا السيل .
ومشى غلاسب الى جواره حتى بلغا شارع فارينغتن دون ان ينبس بكلمة . وسارا حتى وصلا المقهى التي جلس فيها سورم مع شتاين . كان غلاسب مرتديا معطفا رثا باليا لم ير سورم مثله في حياته ، وكان منقوعا بماء المطر . ولم يكن يلبس قبعة . كان شعره الاحمر يلتصق بجمجمته وجبهته على شكل خصلات ، ولاح لونه بنيا غامقا في المطر .
كانت المقهى دافئة ، تكاد تخلو من الرواد . فجلسا بالقرب من النافذة

وكان الزجاج الذي كساه البخار جدارا يفصلهما عن الظلام الذي بدأ يزحف. كانت حدة المزاج التي اظهرها غلاسب تكفي فى الظروف الاعتيادية لدفع سورم الى الامتعاض ، ولكن الانفعالات التي اثارها الحديث مع القسيس جعلتـــه لا يكترث لها . وراح يشرب الشاي ويفكر فى نـن ، ويتساءل اين تراه الان ، ثم اخذ يستعيدفى ذاكرته الكلمات والاعمال التي من شأنها ان تدعم شكوكه حوله.

وكان على وشك ان ينهي فنجانه عندما تكلم غلاسب :

ــ ماذا يمكنك ان تتحدث به معه ؟

ــ مع . . .؟ اوه ، الاب كاراثرز ، اوه . . . اشياء كثيرة . لا شيء مما يهمـــك .

ــ لا ؟

ــ لا اظن ذلـــك .

ولمح دلائل الشك فى وجه غلاسب . وقال :

ــ لماذا ؟ هل كنت تظن اننا كنا نتحدث عنـك ؟

ــ الم تكونا تتحدثان عنـي ؟

ــ كلا . وما الداعي لذلك بالله ؟ فى راسك افكار غريبة !

كانت نبرته أكثر عنفاً من كلماته ، كانت تنطوي على المعنى : ما الـذي يجعلك تظن اننا مشغولان بشخصك ؟ فأحمر وجه غلاسب وشرب جرعـة كبيرة من الشاي . واحس سورم بالندم حالا . وقال :

ــ كنت أتحدث معه . . . بعض الامور المهمة . . . لا يمكنني توضيحها.

فقـــال غـلاسب :

ــ أوستـــن .

لم يضع الكلمة بصيغة السؤال ، وانما بصيغة اخبارية .

ــ نعـــم .

فقـــال غلاسب فجأة :

ــ يؤسفني ان ظني كان خاطئا . ولكن . . . كان هناك بعض من كـان يبدي أهتماما بي . وكان الاب كاراثرز عضوا فى جمعية اوليفر للاصلاح .

ــ لا تغتم . هل انت ذاهب لرؤيته الان ؟

ــ كلا . لن اعود اليه الان .

ــ الا يتساءل اين انت الان ؟

ــ لا يهم . لعله يفرح لتخلصه من الاجتماع .

ــ فماذا ستفعل الان ؟

ـ اعـود الـى البيـت .
ـ لم لا تأتي معي الى البيت ، لنأكل ونتحدث .
وكان وهو ينطق بالكلمات يكاد يكون واثقا من ان غلاسب سيرفض . وادهشه أن يبدي غلاسب التردد ، وفي تلك اللحظة طاف عليه حدس داخلي بالوحدة التي تكمن في اساس حياته . وقال غلاسب :
ـ سبق وان تناولت وجبة معك .
فقـال سورم :
ـ ليس لدي طعام فخم . ولكن عندي ما يكفي لاثنين ، على كل حال . يمكنـك مشاركتي .
ـ حسنـا ، شكرا .
وشعر بالضيق الشديد من فكرة الركوب في قطار النفق ثم تبديله في محطة توتنهام كورت رود ، فاوقف سيارة تاكسي بالقرب مـن هولبورن . فقـال غـلاسب :
ـ انك تلتقط عادات اوستن !
فقـال سورم :
ـ لا يهمك . لا اريد التعثر في هذا المطر .
وكظم أحساسه بانه تسرع بعمله عندما تذكر ان أوستن هو الذي دفع ثمن غدائه ، ووفر عليه ثمن التاكسي .

* * *

وترك غلاسب بعد الشاي ، ونزل هو الى الطابق الارضي ليتصل بنـن تلفونيا . ولم يتلق اي جواب من شقته ، وسألته فتاة البدالة هل يريد ان يترك له رسالة ، فأعرب سورم عن عدم رغبته بذلك وعاد الى غرفته . واورثتـه فكرة أحتمال فرض المراقبة على التلفون احساسا بالخطر ، وادرك ان النداء قد يكتشف مصدره بسهولة ويؤدي الى الاهتداء الى عنوانه . واحس وهو يتذكر تردده ، عندما كان ينتظر الجواب ، وحيرته هل يخبر نـن بأن لديـه شيئا مستعجلا يريد أن يفضي بـه اليه ، بشيء اخذ يعصر حنجرته باحساس بانه يفلت من موقف دقيق .

ولم يجد غلاسب عند عودته الى الغرفة . وانزل الستائر وهو ينظـر الى اضواء شارع كينتش تاون ، متسائلا ترى هل يظن البوليس أن من الصواب مراقبته هو ايضا ، وجلس على الكرسي الكبير ، وانطلق في تخيلاته فـراح يتصور نفسه مقبوضا عليه مع نـن بتهمة الاشتراك معه في الجريمة . وتخيل كيف أن المدعي العام سيصف نزهاته مع نـن الى سبيتالفيلدز ، وقيـامه

بالعمل على اصطياد النساء ودفعهن الى الازقة المظلمة . ثم تذكر فجاة انه اخبر شتاين بأن صداقته لن تعود الى فترة قصيرة جدا ، وسره هذا الشعور بالارتياح الذي باغته . وافزعه دخول غلاسب الى الغرفة ، حيث كان قد نسيه تماما . وقال غلاسب :

ــ اسمع ، ما رايك في ان نترك امر الشاي ؟ تعال لنتناول شيئا من الشراب معا .

ونظر سورم الى ساعته :

ــ طيب ... معقول . فكرة جيدة .

واحس بأن غلاسب كان يشعر بشيء من الاضطراب لقبوله ضيافة سورم للمرة الثانية خلال ثلاثة ايام ، ولم يرتح لهذا الشعور . ما كان يرغب ان يجعل غلاسب يشعر بأي التزام تجاهه . وعليه فقبوله دعوة غلاسب للشراب لاحت له فرصة لتبديد هذا الاحراج . ولمس معطف غلاسب الذي كان معلقا على ظهر الباب والماء يقطر منه على الارض .

ــ الافضل ان تستعير معطف المطر مني . لنضع هذا المعطف في المطبخ ليجف .

ــ لا يهم ،سبق لي ان لبسته وهو اكثر بللا منه الان .

ــ اجل ، ولكن ... الافضل ان يجف . فكر في الامر ، لدي معطف من البلاستيك هنا في مكان ما .

واخذ يعبث بيده في صندوق من الورق المقوى في اسفل دولاب الملابس فعثر عليه مربوطا في رزمة محكمة الشد .كان غلاسب يجلس منحنيا على النار وقد باعد بين ساقيه ، وكان البخار يتصاعد من سرواله . وكان قد مشط شعره الذي انسرح الى الوراء بعقصة لماعة بطلائها بدهان الشعر . وقال :

ــ هذه احدى حسنات كون الانسان كاتبا ــ اذ من السهل تدفئة غرفة صغيرة كهذه . بينما الطريقة الوحيدة لايجاد الدفء في الخان الذي اعيش فيه هي ان الازم الفراش .

وبدا غلاسب كئيب المظهر الى حد غريب في معطف المطر من البلاستيك هذا ، فقد ابرز انحناء كتفيه .

ودهش سورم ، وهو ينظر اليه ،كيف لاح له قبلا ذا مظهر مخيف . كان يبدو الان لا حول له ولا قوة .كان في قبحه اللزج شيء غير مألوف ، وكان من المتعذر الشعور بأن في امكانك ان تحمي هذا الانسان .

* * *

كانا اول الواصلين الى الحانة . وكانت النار ، من وراء المشبك

الحديدي ، قد بدات تضطرم شيئا فشيئا . وجلس غلاسب بجوار النار ، وهو يحتسي زجاجة من البيرة . وعندما اقترح عليه سورم أن يلعبا لعبة النبال، وافق دون تردد ، وفاز بنقطتين فى ضربته الاولى . وكان سورم يميل الى أعتبار هذه الضربة فوزا عن طريق الصدفة ولكنه سرعان ما اضطر الى اعادة النظر فى رايه هذا . كان غلاسب يلقي بالنبلة بحركة غير رشيقة بطيئة وهو يلوي يده كالثعبان ، ولكنه كان يصيب الهدف بدقة مدهشة . وعندما عادا الى مجلسهما كان غلاسب قد فاز ضد سورم ثلاث مرات . وقال سورم:

ـ اين تعلمت اللعب بهذا الشكل ؟

ـ فى سن المراهقة . ولم امارسها منذ سنين .

وافرغ قدحه ووضعه على الرف بعنف . فقال سورم :

ـ قدح اخر ؟

فلاحت الدهشة على غلاسب ، وقال : ـ اوه ، شكرا .

لقد تغير مزاجه تغيرا تاما خلال عشرين دقيقة ، وبدأ عليه الانبساط والمرح . وراح سورم يرقبه يفرغ القدح الثاني ، وهو يفكر فى نفسه باستمتاع : متى سأتعلم ؟ الناس اشياء حقيقية . ذهني يميل الى خلق النماذج اكثر مما ينبغي .

وقال غلاسب :

ـ اعتقد انه ينبغي أن اتصل تلفونيا بالاب .

ـ أنه سيفهم على كل حال . كان شديد التعب .

واوما غلاسب برأسه .

ـ انه انسان طيب . يجب ان التقي به اكثر .

فقال سورم :

ـ قلت سابقا انه كان عضوا فىجمعية اوليفر للاصلاح ؟ ماذا كنت تعني بذلك بالضبط ؟

فقال غلاسب مبتسما :

ـ تعني ، ماذا ارادوا أصلاحه في ؟

ـ نعم .

ـ ليس الامر جديا . كانوا يظنون أني « شاغال » الجديد .

ـ الم تكن كذلك ؟

ـ لا اقصد هذا . انا فقط ... لا احب أن تكون للناس اراء سابقة عني ... أراء ينبغي أن اعيش بموجبها . اريد ان أترك لشأني .

ـ مممم . ماذا كنت تريد أن تفعل لو كانوا تركوك وشأنك ؟

ـ لا يهم مـا افعلـــه .

فقـال سورم بلهجة تأملية :

ـ أفهم ما تعنيه . الامر صعب ، اليس كذلك ؟ تشعر كأنك لا تريد اكثر من ان تترك وشأنك . ثم يخونك ضعفك . فتجد نفسك تائها في طريـــــق جديدة ـ تجد نفسك تحس بالضجر والوحدة . اتعلم ، اني احس بالخجل لاني احس بأني افضل حالا بسبب لقائي بأوستن . فليس هذا التفوق الذي احس به تفوقا حقيقيا عليه . انه وهم ، انه صدفة محضة .

وسأل غلاسب :

ـ هل من محض الصدفة انك لست ساديا ؟

ـ أ . . . اظن ذلـك .

ـ كلا . وعندما تقرأ كتابك هذا عن مجرم « اران » ، هل تشعر انه من محض الصدفة انك لست قاتلا ؟

وفكر سورم في الامر ، ثم قال :

ـ كلا . لاني لا اقتل رجلا في سبيل بعض الدراهم كما فعل لوري .

ـ ولكنك قد تقتل لاسباب اخرى ؟

ـ كلا . بالطبع لا . ليس هذا ما عنيته . لست امتلك اية غرائز تدفعني الى العطف على اي قاتل . ولا اعتقد ان الكثير من الناس لديهم هذه الغرائز . غير ان لكل انسان دافعا جنسيا . فما هو السبب ، كما تعتقد ، فـي العدد الهائل الذي يباع من صحف ايام الاحاد من النوع الذي يتخصص فـــي الجرائم الجنسيـــة .

فقـــال غـلاسب :

ـ ليس الجرائم الجنسية فقط . اي نوع من الجرائم . لانـــك اذا استخدمت هذه النقطة في جدلك فعليك ان تقر بأن قراء صحف ايام الاحـــاد كلهم يكبتون رغباتهم ليصبحوا قطاع طرق ولصوصا وهم مصابون بجنـــون السرقـــة .

ـ طيب ، ماذا تستنتج انت ؟

ولم يجب غلاسب على الفور . كانت الحانة قد بدأت تزخر بالرواد . واقبل رجل ومال فوق كتفه ليتناول حزمة من ورق اللعب مـــن الرف . وعندما ابتعد الرجل ، مال غلاسب الى الامام وقال بلهجة جادة :

ـ دعني أقل لك . من الغباء ان تقلل من شأن نفسك . انت لست مـــن امثال اوستن او جيرترود كوينسي او اي واحد من الناس الاخرين الذيـــن تمتزج بهم . انهم يضيعون عليك وقتـــك .

فعبس سورم وهز كتفيه .
ــ احسب ذلك . ولكن لهم قيمتهم مع ذلك .
ــ ليس بالنسبة لك . انهم بالنسبة لك طفيليون لا اكثر .
ــ لم يكونون طفيليين ؟ المسألة بالعكس . فهم يقدمون لي وجبات الطعام ، وانا لا افعل شيئا .
ــ ما عدا انك تقدم لهم دمك .
ــ ربما .
فقال غلاسب مؤكدا :
ــ انك تقدم دمك فعلا . لم لا تدرك ذلك ؟ انهم لا ينتمون الى فصيلتك .
فقال سورم مبتسما :
ــ او فصيلتك ؟
واحس كأن غلاسب شعر بالاهانة . كانت نظرته صلبة متسائلة . ثم قال:
ــ على كل ، انت الذي تجيب على ذلك .
وكتم سورم الفرح الذي شعر به بالمديح الذي تنطوي عليه تلك العبارة . وقال :
ــ نوع من اخلاق السيد والعبد على طريقة نيتشه ، هه ؟
ــ لم لا ، أن كانت تنسجم والحقائق ؟ ما معنى أن تتصور نفسك واحدا من الغوغاء ان كنت لا تنتمي اليهم ؟انك ذئب يحاول ان يظهر بمظهر الحمل ، هذا هو كل ما في الامر .
وافرغ قدحه . وعندما حاول سورم أن يأخذه منه قال غلاسب :
ــ كلا ، جاء دوري الان .
وذهب صوب البار . وظل سورم يحدق فيه . ووقع نظره على معطف البلاستيك الذي كان ملقى على الكرسي فتذكر غلاسب وهو يرتديه في غرفته ، مائل الكتفين ، شاحب الوجه ، غريب المظهر ، انسانا لا حياة فيه ولا هدف . واحس بالحرارة تسري في عروقه التي كانت تفرز انفعال التوقع في نفسه ، وراح يفكر : تر ى كم هو عدد امثاله في لندن ؟ لعل هناك عددا يكفي لخلق عصر كامل . ليس كمتمردي شيكاغو ، وانما لخلق جيل له غاية . من الافضل ان اعرف اوليفر . انه محق في قوله عن اوستن . لقد سأمت هذا الضعف الذي اعترف به دائما .
وعاد غلاسب حاملا قدحين . وقال سورم :
ــ ما رايك في البحث عن شيء نأكله ؟
ــ طيب . وما رايك في زيارة لجيرترود ؟

ـ جيـــرترود ؟
ـ لـــم لا ؟
وحملق سورم في وجهه مندهشا .
ـ هــل انت جـــاد ؟
ـ لم لا ؟ انها مسيرة عشر دقائق من هنا . ولا داعي للمكوث طويـــلا عندها . اريد السلام عليها فقط . لم ارها منذ مدة طويلة .
ـ حسنا . اعرف حانة في هامبستيد حيث يمكننا ان نجد شيئا نأكله .
وافرغ غلاسب نصف قدحه بجرعة واحدة . وقال سورم :
ـ هل تخاصمتما انت وجيرترود ؟
ـ كـــلا . لا اظن .
وحدق غلاسب في قدحه ، وهو يمسكه بين راحتيه . كان يبدوكعراف يتفرس في كرة بلورية . ثم مضى قائلا :
ـ ابديت يوما رأيا صريحا في قضية شهود يهوه . وانا اسف الان . انها على ما يرام . انهـا لطيفة .
ـ لا استطيع ان افهم لم لم تتزوج حتى الان . اذ لا يعوزها الجمال .
ـ لدغت مرة واحدة . الا تعرف ؟
ـ سمعت شيئا عن القضية . ذكرت كارولين شيئا .
ـ كارولين ؟ اوه ، تلك الشقراء .
فسأل سورم :
ـ الا تميل الى الشقراوات ؟
فأجاب غلاسب باقتضاب :
ـ ليس كثيـــرا .
ـ الا تميل الى الجنس من اي نوع كان
ـ الامـــر يعتمـــد .
وافرغ قدحه ونهض .
ـ انا ذاهب خارجا . هل انت على استعداد للخروج ؟

* * *

كان سورم قد قرر الاتصال بها تلفونيا من محطة تشوك ، ولكن كـــان الباص قد وصل الى الموقف حال وصولهما هناك ، وكانا قد طفرا الى الباص، وهما يلهثان من الركض ، قبل أن يتذكر قراره هذا حول المخابرة ، وذكرتـه محطة نفق هامبستيد بنـــن . فقال :
ـ اتعلم ، اوليفر ، اني قلق بشأن اوستن .

ــ لمــاذا ؟
ــ انه يزج نفسه فى متـاعب .
ــ لقــد بلــغ نهايتــه .
ــ نعم ، ولكن ... الشرطة تشتبه فيه حول امور اسوأ مــن ضرب اصدقـائه مـن الذكور .
كيف عرفت ؟
ــ اوه ... حدث ان اكتشفت ذلـك .
واستدارا نحو شارع « فلاسك ووك » . والتفت اليه غلاسب وهمـا يمران تحت احد مصابيح الشارع .
ــ مــن الاب كاراثرز ؟
ــ نعــم .
ــ كيــف عرف ذلــك ؟
ــ عاهدته الا ادع الخبر ينتشر .
ــ اذن ، فـلا داعي ان تبوح بـه .
فقال سورم :
ــ اعتقد انه ليس هناك ضير فى اخبارك بالامر . ولا يهم الان . لــلاب كاراثرز صديق الماني يدعى فرانز شتاين ــ طبيب لدى الشرطة . واخبر الاب كاراثرز عن رسالة استلمها من شرطة هامبورغ . كان اوستن من المشبوهين فى قتل صبي من الذين يعملون للاغراض الجنسية .
فقــال غلاسب :
ــ بالفعل .
ــ ماذا ؟ كيف عرفت ؟ هل انت واثق ؟
ــ تقريبـا .
ــ متى عرفت ؟
ــ لم اكن اعلم الى ان اخبرتني انت الان . ولكني اعلم انالخبر صحيح.
ــ كيف ؟
كان يحاول ان ينظر مليا في وجه غلاسب ، لا يدري الى اي حــد يحمل كلماته على محمل الجد . واحس بشعور سابق بالخيبة ، وبالشـك في ان غلاسب قد يتضح انسانا محتالا . ولكن لهجة غلاسب كانت عاديـة مما حير سورم . وقال غلاسب :
ــ عندما عرفت نن لاول مرة ، كنت احلم دائما بانه قاتل ، كان هنالك حلم واحد واضح بصورة خاصة ... كنت امشي خلف رجلين على ساحل

النهر . وفجأة ضرب احدهم الاخر بسلاح ما ودفعه الى النهر . كـــان الوقت ليلا فلم استطع ان اتبين وجهيهما ، ولكني كنت اعلم ان احدهمـا كان اوستن ، والرجل الذي قتله نن كان احد المتشردين . واستيقظـت فجأة ... وبعد ساعات قليلة جاء اوستن ليزورني . وحالما رايته ، عرفت ان الامر لا يعدو ان يكون هراء.لم يكن يبدو كالرجل الذي رايته فيالحلم..

ـ هل احلامك دقيقة ؟

ـ كلا . انها في الغالب مخطئة . ان لي عقلا مريضا . انه يلتقـط الانطباعات العفوية ويعمل على تضخيمها . والعملية نفسها تعمل عملها في الصور التي ارسمها . عندما كنت صغيرا حلمت مرة بان احد طلاب صفنا قتل في حادثة قطار . وبقيت سنين كثيرة وانا مقتنع بانه سيموت فـي حادثة قطار . ولكنه الان رجل متزوج ..

ـ ولكنك لم تزل تعتقد بان اوستن هو الذي قتل هذا الرجل ؟

ـ اعتقد ... انك ... عندما قلت ذلك ، تذكرت الحلم الذي رايته. وفجأة ، شعرت باليقين . لذا ترى ، احلامي دقيقة فعلا في بعض الاحيان.

ـ وكيف تفسر ذلك ؟

ـ لم احاول التفسير . يحدث هذا احيانا .

كانا قد وصلا بوابات الطريق المؤدي الى دار المس كوينسي . ولمح سورم نورا في غرفة الجلوس . وقال :

ـ عظيم . انها في البيت ، على كل حال. سنتحدث في هذا الموضوع عندمـا نخرج .

فقال غلاسب بلا مبالاة : طيب .

ـ يجب الاتصال بنن ، ايضا . من الافضل ان نحذره .

ونظر اليه غلاسب فيما هو يفتح البوابة . فسأل بطريقة عرضية :

ـ هل يجب ان يعلم ؟

الفصـــــل الرابـــــع

ورأى خلال الباب الزجاجي ان باب المطبخ كان مفتوحا . وسمـــــع صوتها وهي تتحدث الى احدهم .

ـ يلوح كأن عندها ضيفا .

فقـــال غلاسب :

ـ لعنها الله . كان يجب ان نتصل تلفونيا .

ـ هل نعود ؟

ـ وخرجت المس كوينسي من المطبخ وهتفت :

ـ هل هناك أحد ؟

فقرع سورم الجرس . وقالت :

ـ جيرارد ! او . هلو ، أوليفر !

وتسمرت في مكانها وهي تنقل نظرها بدهشة من احدهما الى الاخر وهي تمسك بالباب . وشعر سورم بالحراجة .

ـ خطر لنا . . . ان نأتي للسؤال عنك . كنا في هذه الجهة من المدينة.

ـ لدى الاخ روبنز لتناول العشاء معي . تفضلا بالدخول :

ـ أ . . . كلا . لم أكن ادرك اننا سنضايقك . لن ندخل . . فـــلا اريد مقاطعتكما . .

وبدا عليها كانها استعادت سيطرتها على نفسها :

ـ لا يهم ابدا. تفضلا لبضع دقائق ، على كل حال . اني أهيء الشـاي.

وفكر سورم مليا للعثور على سبب للخروج . ودون ان ينظر الـى غلاسب ، علم انه قد انتابه الشعور نفسه . ولكنه لم يعثر عـلى سبب ، فقـــال بتعثر :

ـ حسنا ، شكرا . ولكنا لن نمكث طويلا . نحن على موعد مع شخص بعد نصف ساعة .

وتبعه غلاسب الى الصالة. لم يكن قد تكلم بعد. وقالت المس كوينسي:

ـ يسرني ان اراك ثانية ، يا اوليفر . لقد مضى وقت طويل . اخلع معطفك . اوليفر ، اعتقد انك تعرف الاخ روبنز .

ونهض الاخ روبنز من كرسيه المريح ، وتقدم وعلى وجهه ابتسامة تفيض باللطف . وعندما قدمتهما المس كوينسي اليه ، صافح يديهما بقبضته الشديدة التي كان العرق ينضح منها . والفى سورم نفسه يفكر : يا الله ، ديل كارنيجي يقف لرئيس الجمهورية ، كان صوته الخشن ذو اللهجة العامية قد غمره بسيل طافح من الدفء ورائحة البصل .

وقالت المس كوينسي :

ـ كنت حدثتك عن جيرارد .

وقال الاخ روبنز :

ـ يسرني جدا ان اتعرف بك .

كان اول انطباع تركه في نفس سورم هو انه بقال موفق في عمله او مراهن على الخيول مريب . كان اقصر من سورم بقدم واحد ، له وجه ممتلىء وبطن تشبه البرميل . وكانت ملابسه تبدو مجعدة قليلا وقد لوثتها بعض البقع الدهنية ، غير ان ياقة قميصه كانت منشاة ، نقية لا شائبة فيها ، وقد تدلت منها ربطة عنق من النوع الذي يلبسه طلاب المدارس ، وكانت تبدو حديثة الغسل والكي . وتولد في نفس سورم في الحال كره صارخ لهذا الرجل .

وقال الاخ روبنز :

ـ انت الشاب الذي يفكر في الانضمام الينا ؟

ونظر سورم بدهشة الى المس كوينسي . فبادرت الى القول :

ـ لا اعتقد انه قد قرر ذلك بعد .

ـ آه ، كلا . بالضبط .

وجلس الاخ روبنز ثانية . وظل غلاسب واقفا ، يبدو عليه الوجوم وعدم الانسجام . فنظر الاخ روبنز اليه فجأة وقال :

ـ سمعت انك تريد الانضمام ايضا ، ايها المستر غلاسب .

ـ غلاسب .

ـ اه ... المعذرة . انك رسام ، اليس كذلك ؟

ـ نعم .

وقالت المس كوينسي :
ـ شاي لكليكما ؟
فقـال سورم :
ـ آ ... كلا ، شكرا . ليس لي .
وقـال غلاسب :
ـ وليس لي .
وتبعها سورم الى المطبخ . وقال :
ـ اعتقد ينبغي ان نذهب ...
ـ طيب . ولكن ابقيا قليلا . اتريدان ان تشعرا الاخ روبنز المسكين وكـأن بـه جذامـا ؟
ـ حسنـا .
ـ الا تشربان الشاي ؟
ـ كنا نحتسي البيرة .
ـ أوه ... اخشى ان ليس باستطاعتي تقديم البيرة لكما ... مـا دام الاخ روبنز موجودا هنا .
ـ انه لا يقر ذلك .
فترددت المس كوينسي ، وقالت :
ـ لعله لا يهتم . لست ادري . اتريد بيرة ؟
كان سورم يميل الى الرفض ، فقد نطقت بالسؤال بطريقة لا يمكنه بها غير الرفض . فاغاظه ذلك ، وتلقاه وكأنه تحد له . فقال :
ـ افضل من الشاي بالنسبة لي .
ـ اذن اسأل اوليفر أن كان يريد شيئا من البيرة .
وعندما دخل سورم الفى غلاسب يحدق عـابسا فـي البساط . وقـال سورم :
ـ تقول جيرترود هناك بعض البيرة ان اردت .
فهز غلاسب رأسه ، وقال سورم :
ـ كلا ؟ انا سأتناول بيرة .
ونظر الى الاخ روبنز وسأله بأدب :
ـ آمل الا اعتراض لديك .
وبدا على الاخ روبنز كأنه تلقى السؤال بصورة طبيعية ، كأنه سيدة عجوز في قطار وسألها احدهم ان كانت لا تعترض على تدخين السيجـار امامها . فقال بلهجة ودودة :

ـ اوه ، كلا ابدا . كلا مطلقا .

ـ وانت يا اوليفر ؟

فقال غلاسب ، على مضض :

ـ لا بـأس .

وعاد سورم بعد لحظات حاملا قدحين من البيرة الخفيفة ، بـــاردة كالثلج ، من الثلاجة . كان يحس بالعطش بعد صعودهما التل . وشرب اكثر ما يمكنه ان يشرب جرعة واحدة قبل ان يحس بحنجرته تتجمد . وسأل الاخ روبنـــز :

ـ هل تشربان كثيرا عادة ، كلاكما ؟

واحس سورم بان غلاسب كان على وشك ان يرده بكـلام خشن ، فقال على عجل :

ـ كلا . ليس كثيرا . ولا نلتقي كثيرا . هل تشرب انت ؟

ـ كلا ، ولكن ليس لاني لا اقر الشرب ، وانما لاني لا احب طعمه .

وكان في اسلوب هذا الرجل شيء اغاظ سورم . كان الاخ روبنـــز يبالغ في ادبه ولطفه كأنه يزور سجينا في سجنه . كان يحاول ان يفهـــم سورم بان شرب البيرة هو من الرذائل القذرة بصورة خاصة وان له مدارك اوسع من ان يقوم بشجبها صراحة . وشرب سورم بقية القدح ليتحـــداه، ثم ذهب الى المطبخ ليحضر زجاجة اخرى . وقالت المس كوينسي ، وقـــد ارتسم الرعب في محياها :

ـ هل شربت قدحك بهذه السرعة ؟

ـ كنت عطشان . هل لي بآخر ؟

وفتح الثلاجة ، ولما التفت خلفه راى نظراتها القلقة المعاتبة . كـــان يبدو عليها أنها ترتاب في انه كان يبغي ان يثير خصاما ثملا . وقـــــال بلهجـــة حادة :

ـ سنرحل بعد لحظات .

ـ اوه ، كلا ! انا لا اعني هذا ! مجرد لا أريد . . . ابقيا ما شئتما .

ـ شكرا .

وعاد الى الغرفة حاملا الزجاجة .

كان غلاسب يجيب على سؤال وجهه الاخ روبنز بهمهمة غير مفهومة وبدا الارتياح على الاخ روبنز عندما راى سورم ثانية . وقال :

ـ دعني احزر ـ انك من الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ؟

ـ كلا .

ـ كنيسة انكلترا ؟
ـ كلا . انا وجودي .
ـ نعم ؟ ولكن ... آ ... اعني من حيث الدين .
ـ اعلم . هذا ما اعنيه انا ايضا .
ـ اوه . لا اعتقد اني التقيت بهذه الطائفة قط . هل هي جديدة ؟
ـ كلا في الواقع .
ـ من هو مؤسسها ؟
ـ رجل دانماركي يدعى كيركفارد .
ـ وهل يؤمن المنتمون الى هذه الطائفة بقوة يسوع المسيح على تخليص البشر ؟
ـ كيركفارد نفسه كان يؤمن بذلك بالتأكيد .
ـ اه ، وهل كان يؤمن بمذهب لوثر في التبرير عن طريق الايمان ؟
ـ اوه ، كلا ! كان دائما يتهجم على الكنيسة القائمة . كان يعتقد بان على الناس ان يعيشوا مثل المسيح بدلا من اعتمادهم على الكنيسة ..
ـ رائع ! لقد كان اذن يسير فى السبيل الصحيحة ! مشكلة اكثر الناس في الوقت الحاضر هي أنهم لا يدركون اهمية اطاعة قوانين الله . انهم يظنون ان مجرد قبولهم اياها يكفي . يلوح عليهم انهم يدركون بان الكتاب المقدس قد اعطانا قوانين للسلوك صارمة تشمل جميع نواحي حياتنا.

وهز سورم رأسه برزانة . كان صمته مشجعا للاخ روبنز . فمال الى الامام ، واطلق ابتسامته التي تشبه ابتسامة ديل كارنيجي .

ـ ينبغي ان تحضر اجتماعاتنا . انا واثق انها ستروق لك .

فاجاب سورم وهو لا يعني ما يقول :

ـ انا واثق من انها ستعجبني .

وفجأة تكلم غلاسب ، كان معتدلا بجلسته يحملق بوقاحة في وجه الاخ روبنز :

ـ هل صحيح انكم تتوقعون نهاية العالم في اية لحظة ؟

والتفت الاخ روبنز الى غلاسب وابتسم ابتسامة جذابة ، كما لوكان غلاسب يوجه له مديحا :

ـ نعم . ولكن ، بالطبع ، ليس في اية لحظة . ان سفر الرؤيا يشير الى ان ذلك يقع خلال الثلاثين سنة القادمة .

ـ وان الدمار سيعم كل من في العالم ما عدا شهود يهوة ؟
ـ هذا ما يقوله لنا الكتاب المقدس .

واطلق غلاسب زمجرة مغمغمة بالازدراء واسترخى في كرسيه .
وبالرغم من كره سورم للاخ روبنز لكنه اتخذ موقفا مدافعا عنه وقال بسرعة:
ــ هل يشير الكتاب المقدس الى هذا كله ؟
ــ بالتأكيد . أن الدليل واضح تماما . يقول الكتاب المقدس ان الشيطان نزل الى الارض في عام ١٩١٤ ، وانه امتلك العالم منذ ذلك التاريخ . وهل يساورك الشك وانت تنظر حواليك فى ارجاء العالم ؟ خطر الحرب فى كل مكان ، وان الجريمة والشر قد بلغا مستوى عاليا جدا . لاحظ جرائم القطاع الشرقي من لندن ، وانظر الى ما يفعله الروس في هنغاريا . انظر الى التجارب التي تجري على القنبلة الهيدروجينية . لقد اصاب العالم جنون ، لانه ملك الشيطان الان . وهذا سبب اضطهاد رعية المسيح . ان الوضع الان هو تماما كما تنبأ به الكتاب المقدس . ويشرح سفر الرؤيا للقديس يوحنا الامر بوضوح تام . انه يتنبأ بان الناس سيسعون لاصلاح الامور ، ولكن بعد أن يفوت الاوان : « ففتح بئر الهاوية وصعد دخان من البئر كدخان أتون عظيم فاظلمت الشمس والجو من دخان البئر ».

كان يميل الى الامام ليقرأ النص بلهجة خطابية . وعندما رفع صوته ليترنم في المقاطع بدا كأنه ينفخ في بوق منبه الضباب . وذكر سورم بعم له كان يقرأ نشيد « وقف الولد على السطح الملتهب » في حفلات عيد الميلاد . وقبل أن يبدي تعليقه على العبارات ، اندفع الاخ روبنز قائلا :
ــ لا شيء يمكنه أن يوقف سلطان الشر في العالم لان العالم ملك للشر القديم الان . قد ينجحون فى اقرار قانون يمنع الاعدام ، وقد ينجحون في اقناع روسيا على وضع حد للحرب الباردة ، ولكن لا شيء يوقف العالم عن السير قدما نحو الحساب الاخير .

وتوقف عن الكلام برهة ، ومر بيده على جبينه ، ثم مسح اصابعه المبتلة بمسند الكرسي . وقال سورم :
ــ تبدو عليك الكآبة .

ولمح من طرف عينه ان غلاسب كان يبتسم . وجعل وجهه صامدا واجما حتى لا يشعر الاخ روبنز بانه موضع سخرية .

كئيب ! كلا ، انا لست كئيبا . نحن لسنا متشائمين . اننا نمضي في سبيلنا مستبشرين ، لاننا واثقون من الحياة الازلية . وعندما تنتهي معركة هرمجدون سنعيش على جنة من الارض الى الابد .
ــ هذه الارض ؟
ــ بالتأكيد . هذه الارض . ولكن بعد ان تتحول الى فردوس .

ـ ولكن بعد ان تربحوا المعركة اولا ؟
ـ بالطبـــع .
ـ ولنفرض ان طرفكم لا يربح المعركة ؟
ـ هذا محال ، ان الله على كل شيء قدير . يجب ان نربح المعركة .
فقـــال سورم :
ـ فى هذه الحالة اذن ، ليس ثمة فخر فى ربح المعركة ، اليس كذلك ؟ فتكون مجرد زحف .
فقال الاخ روبنز بوجوم :
ـ انك لا تفهم .
ولمح سورم الشك يرف في عينيه برهة وجيزة . وقال على عجل :
ـ لا تظنن اني اريد مشاكستك بالاسئلة . اني اريد ان اعرف .
ـ فعليك أن تقرأ الكتاب المقدس اذن . انا واثق مـــن أن الأخت كوينسي ستعيرك بعض كتبنا وكراريسنا .
وباغت غلاسب بالقول :
ـ ينبغي ان نرحل .
والتفت اليه الاخ روبنز وحدجه بنظرة عابسة . وقال :
ـ يجب أن تكون مثل صديقك وان تعير اهتماما جديا للمسائـــل الجدية . لن يسخر من الله احد !
ومرت لحظة ، ظن سورم فيها ان غلاسب عزم على تجاهل ذلـــك التعليق . ولكنه عبس وحدب كتفيه وجعل جبينه ينكمش في ثنيـــات . وقـــال باقتضاب :
ـ يجب أن أكون بليدا لاصدق هذا السخف .
ودخلت المس كوينسي فى تلك اللحظة . وبدت كأن هواجسها عـــلى اشدها قد تحققت ، وكأنها كانت تتوقع فى تلـك اللحظة ان ينهض غلاسب ويتبول على البساط . وقالت :
ـ اوليفر ! ساطلب منك ان تغادر اذا صرت سمجا !
وقال الاخ روبنز بصوت متزن :
لا ، لا ، يا عزيزتي . لا داعي لفعل ذلك.اذا كان لا يريد أن يؤمـــن فلا يمكنك ارغامه على الايمان بطرده خارجا .
ـ أذن فعليه ان يعتذر . كان كلامه غير مؤدب .
فقال غلاسب باستياء وسخرية :
ـ أوه ، كلا . ليس من الادب ان أقول ما اعتقد به انا . اما هو فـــلا

بأس أن يصم اسماعنا بارائه . اللعنة علي ان لم اصدقه ، ولكن غير مسموح لي بالجهر برايي . ولانه لا يملك احساسا بالواقع ، فانا فظ لاني اناقضه .

كان وقع هذه الكلمات في نفس المس كوينسي حسنا الى حد لم يتوقعه احد . وقالت :

ــ انك انت الذي تفتقر الى الاحساس بالواقع ، يا اوليفر . كل حقيقة كبرى تبدو ضربا من الوهم . انك تظن أن الحقيقة يجب ان تكون شيئا مألوفا عاديا . ولكنك على خطأ .

انك انت المقيد باحساسك الواقعي ...

ــ لا اتفق معك تماما ، يا جيرترود . لا اعتقد ان أوليفر يرفض معتقداتك لانه يفضل الحقيقة اليومية المألوفة . في الواقع ، اعتقد ان لكل فنان الاحلام نفسها ــ ارض قد تحولت الى فردوس ، والناس تحولوا الى ارواح خالدة . ومن الناحية التانية ، فان افترضنا أن الامر سيحدث في مثل هذا اليوم من الاسبوع القادم لهو من احلام اليقظة . اننا كلانا نعتقد بأنه ان كنتم تريدون تحويل العالم الى فردوس فعليكم ان تفعلوا ذلك بانفسكم .

ونهض الاخ روبنز بينما كان سورم يتكلم ، ومد يديه كانه يدعو سورم وغلاسب الى أن يضم احدهما الاخر .

ــ ولكنك ، ايها الرجل العزيز ، واحد منا.انك تريد نفس الاشياء . ان المسألة مسألة سبل تحقيق ذلك ، ويمكننا ان ندلك على الطريق .

وقال سورم :

ــ اتفق معك على ان المسألة هي مسألة سبل التحقيق . وينبغي ان نناقش هذا الموضوع في وقت اخر .

كان الجميع وقوفا ، ينظر احدهم الى الاخر . وكانت المس كوينسي بادية القلق على غلاسب . وفيما كان سورم يهم بالقول : اعتقد ينبغي أن..

وقاطعه الاخ روبنز قائلا بحماسة :

ــ ولماذا لا نناقش الموضوع الان ؟ يسرني دائما ان نبحث هذه الامور. هل هناك اهم من هذا الموضوع ؟

فقال سورم وهو ينظر الى ساعته :

ــ علينا ان نذهب للقاء شخص ما،ولكن في اي وقت اخر سيسرني ان..

وليسد ثغرة في الحديث نظر الى غلاسب قائلا : امستعد ، يا اوليفر؟

وتمتم غلاسب ببعض الكلمات ، وادار ظهره لهم . وقال سورم :

ــ أ ... يسرني ان اتعرف بك . وداعا . وداعا يا جيرترود .

وهرع للحاق بغلاسب ، ولحق به قرب الباب الامامي . وتبعته المس كوينسي ، ولمست كتفه وقالت على عجل :

ـ تعال غدا ، يا جيرارد .

ـ طيب . اريد ان اتحدث اليك .

وهتف صوت غلاسب من الظلام في الخارج فجاة :

ـ طابت ليلتك ، يا جيرترود .

فبدت الدهشة عليها ، وصاحت بهدوء :

ـ طابت ليلتك ، يا اوليفر .

ثم اردفت قائلة بسرعة لسورم :

ـ اطلب منه ان يأتي ثانية ـ عندما اكون لوحدي .

ـ حسنا . طابت ليلتك .

كانت تحرص على ان تجعل صوتها منخفضا ووجهها قريبا من وجهه. وعندما رأى سورم أن الاخ روبنز وغلاسب كانا غائبين عنهما ، انحنى عليها على عجل وقبلها . فتراجعت خطوة الى الوراء ونظرت بسرعة خلفها صوب الصالة ، ثم قالت ببرود : طابت ليلتك

واغلقت الباب خلفه . وخرج الى الظلام وهو يفكر : لكل النساء موهبة على حبك الدسائس .

كان غلاسب يقف الى جوار البوابة الخارجية . وقا ل سورم :

ـ كيف تشعر ؟

ـ لا بأس .

ـ اخبرتني جيرترود ان اطلب اليك العودة لرؤيتها يوما ـ عندما لا يكون ذلك الرجل هناك .

فزمجر غلاسب . وقال سورم :

ـ الا تميل اليها هي ايضا ؟

ـ اوه ، لا بأس بها .

ـ اعجب .

ـ فقال غلاسب والاشمئزاز باد عليه : حتى نهاية الطريق .

كانا في تلك الاثناء يمران بكشك للتلفون عند نهاية شارع ويل ووك. وقال سورم :

ـ الا يضيرك ان احاول الاتصال باوستن مرة اخرى ؟

ـ كلا .

واجاب الصوت من طرف التلفون بان نن لم يعد الى البيت بعد وسأل

ان كانت هناك رسالة يبلغها له .

فقال سورم :

ــ كلا ، ليس الامر مهما . اردت فقط ان اطلب منه مشاركتنا في حفلة .

ــ هذا المساء ؟

ــ نعم .

ــ ان أردت ان تترك عنوانك كي ابلغه له عندما يعود .

وتردد سورم قليلا ثم أعطى عنوانه ، وهو يفكر بان وجود غلاسب قد يبرر له الكلام عن حفلة ، اذآ ما طلب اليه تبرير النداء التلفوني .

وقال غلاسب :

ــ الم يعد بعد ؟

ــ كلا .

ــ وماذا ستفعل ؟

ــ لا ادري . يجب ان احذره بطريقة من الطرق ؟

ــ ليس الامر ذا خطورة تذكر .

ــ لماذا ؟

ــ ليس من اليسير اتهامه بجريمة اقترفت منذ زمن بعيد في هامبورغ .

وادرك سورم لدهشته ان غلاسب لم يجد الصلة بعد بين نن وبين جرائم وايتشابل . كان سورم قد ظن ، لسبب يجهله ان غلاسب على علم بذلك . واعرض عن فكرة سرد القضية لغلاسب الان بعد ان تذكر ثورة غلاسب اثناء العشاء قبل بضع ليال ، وارتاب فجأة في ان يكون في امكان غلاسب ان يشي بنن لدى الشرطة وقال :

ــ آمل ان تكون على حق .

ــ انك اكثر اهتماما بنن من اهتمامه بك .

ــ لماذا ؟ هل تعتقد انه يكرهني ؟

ــ كلا . ولكنه من النوع الذي يفتقر الى العاطفة . انه لا يهتم بالاخرين مطلقا .

ولما صارا على قمة تل هافرستون . قال سورم :

ــ ما رأيك في قدح اخر من الشراب ؟

ــ فكرة صائبة .

ــ اعرف حانة هنا .

كانت الحانة مكتظة بالــرواد . فدخــلا الصالة الخاصة ، فالفيــاها اقــل زحامــا .

ــ نفس الشراب ؟

ــ أجــل .

ــ اذهب واحجز تلك المقاعد التي في الزاوية . انا ذاهب لاحضار المشروب .

كانت وقائع زيارتهما لجيرترود كوينسي قد هدمت شعوره بالانبساط والدفء المنساب في نفسه . ولكن الشعور شرع بالعودة عندما شرب نصف زجاجة من البيرة المركزة .

وقال غلاسب :

ــ عم كنــا نتحدث ؟

ــ اوستن .

اه . نعم . لننسه ، فلا يهمنا أمره .

ــ حسنــا .

كان غلاسب يبتسم ، كأنه تذكر نكتة ما . فنظر سورم اليه بتساؤل وهو يرفع احد حاجبيه . وقال غلاسب :

ــ وجيرترود ؟

ــ ماذا عن جيرترود ؟

ــ انك تنشيء علاقة معها ؟

ــ آه ، لقد لاحظت ذلك ، ها ؟

ــ انك لم تحاول اخفاء الامر ، والضياء من خلفك .

ــ طيب ، ان الجواب هو كلا . يعجبني استثارتها فقط .

ــ كان ذلك بقصد اثارتها اليس كذلك ؟

ــ الى حد . لمجرد المزاح .

ــ ارجو الا اكون متطفلا في امورك ؟

ــ كلا ! ليس هنالك ما اريد اخفاءه . انني امزح فقط .

ــ هل فعلت ذلك معها قبلا .

ــ نعم . لاستثارتها فقط .

ومضى غلاسب يحتسي البيرة . كان من عادته أن يلقــي بالاسئلــــة فجاة ، كما لو انه يبغي مفاجاة الشخص . وتوقع سورم سؤالا اخر مــــن هذا القبيل . وتاخر السؤال قليلا .

ــ اتريد مضاجعتها ؟

وفكر سورم في السؤال مليا . في الواقع ، كانت فكرة مضاجعة جيرترود قد فقدت لمعانها منذ ان اضطجع مع كارونين . وقال بروية :
ــ لا أعتقد تماما اني اريد ذلك ... لست أدري .
ــ طيب ، اما ان تريد أو لا تريد .
ــ كلا . المسألة ليست بهذه السهولة . فاني احس بطريقة ما باني أريد أن اضاجع النساء جميعا دونما تمييز ، أتعلم ... عندما أسمع عن شخص منح « امانة » مدينة لندن ، اتخيل احيانا كم من الجميل ان يمتحك احد امانة جميع النساء في العالم .
لا يهم أية امراة . كل ما في الامر انك تبرز رقعة جلدية كتب عليها بالحفر ، ولها مفتاح مذهب ، وتقول : «أسمي سورم ، تعالي الى غرفتي». فكـرة رائعة .
فقال غلاسب ضاحكا :
ــ عواطف الشخص الذي له ولع جنوني بالجنس .
ــ كلا . كلا في الحقيقة !
ــ كلا . لست الا مازحا .
ــ ولكن ، في الواقع ، هنالك شيء من الحقيقة فيه .
ــ ولا شك .
ــ هل تعرف تلك الابيات من بليك التي يتحدث فيها عن الاسد الذي يرقد مع الحمل ؟ شيء عن العصر الذهبي . ذلك اساس المسألة ، اتدري؟ اننا نعيش في عالم منهار ونحلم عن غصر ذهبي حيث لا محل فيه للفشل. الناس جميعا تحولوا الى الهة لان في امكانهم ان يفعلوا ما شاؤوا. وهذا هو السبب الذي اجد لاجله من العسير علي ان ادين وستن ، مهما فعل. ليس هنالك شيء يدعى بالانحراف الجنسي ... ولكن ، على كل حال ، قـد لا يوجد شيء يدعى بالجنس اطلاقا . الجنس برمته جزء من هذا التدهور اتعلم ان فكرة تولستوي عن الجنس هي انه ينبغي على الناس الا يمـارسوا الجنس الا لانجاب الاطفال ؟ انها فكرة منطقية . اما ان يكون الجنس باجمعه طبيعيا ، او لا يكون . ليس ثمة خط يفصل الجنس الطبيعي والشـذوذ الجنسي .
كان يدرك اثناء الحديث أن كلماته لم تكن تبدو منطقية. وكان غلاسب يصغي وقد مط شفته السفلى ، ووجهه ينطق بالارتياب . فاخـذ سورم يبذل جهدا واعيا ليلوح كلامه منطقيا :
ــ لنضع المسألة على هذا النحو . لو اني انجذبت الى الفتاة ، فـاني

اعلم علم اليقين بان الامر ليس الرغبة في مضاجعتها فقط. واذا ما دفعني الفضول الى معرفة ما تبدو عليه في الفراش ، فتصبح المسالة هنا رغبة في تحطيم الحواجز القائمة بين البشر اكثر مما هي رغبة في اقتحام الفتاة . واذا انتهى الامر بالفراش ، فمن المحتمل أن تخبو شهوتي لها . وذلك موقفي مع جيرترود . هنالك شيء يتعلق بموقفها العذري الجامد الذي يستفزني . ولكني لا اعتقد انها الرغبة في اتخاذ جيرترود خليلة لي.

ولاحظ وجه غلاسب هذه المرة يشرق بشيء من التجاوب مع قوله، ولكن رغبته في التعبير عما كان يختلج في نفسه من الحدس الذهني بالكلمات كانت أقوى من ان تدفعه الى التوقف وانتظار غلاسب ليدلي بانطباعه . واحس بالانبساط التام عندما انهى قدحه ووضعه على الطاولة، وهو يميل الى الامام ، ويدرك أن الافكار تحتشد في راسه وتبغي مخرجا.

ـ هل حدث ان كنت في غرفة مع امراتين كانتا خليلتيك ؟ وعندما تنقل نظرك من الواحدة الى الاخرى لا تشعر بالاهتمام لاية واحدة منهما. واذا ما اعادت احداهما ساقيها المعقودتين الى وضعيهما الطبيعي وهي تجلس امامك على الكرسي لا تكلف نفسك عناء التطلع لترى الى اي ارتفاع ستنحسر تنورتها . وتؤلف هاتان المراتان بالنسبة لك مجموعة صغيرة ، منفصلة عن بقية الجنس النسائي . قد تشتهيهما ، ولكن الاهتمام والفضول قد تلاشيا . وعلى اية حال ، فاني اشعر تجاه جيرترود بالفضول لا الشهوة . وعليه فلا يمكنني حقا ان اقول هل اني اريد مضاجعتها أم لا . قدح اخر ؟

وكان غلاسب قد انهى زجاجة البيرة . وكان ينقل نظره حواليه في الصالة وفي وجهه علائم الامتعاض . وقال :

ـ المكان مزدحم . ما رايك في الذهاب الى حانة اخرى ؟

كانت الصالة قد اخذت تزدحم منذ ان قدما . ولم يكن هنالك في تلك اللحظة كرسي واحد خال ، وكانت تقف الى جوارهما جماعة من الناس ، يتضاحكون بصخب .

وقال سورم :

ـ اكثر حانات لندن في ليالي السبت على هذه الشاكلة . يمكننا ان نعود الى غرفتي .

ـ كم الساعة ؟ الثامنة ، طيب ، ان اردت .

* * *

وملأ المغسلة بالماء الساخن ثم غمر يديه فيه ومال بجسمه الى الامام

مستندا اليها ، وهو يحس بالتعب المفاجيء . وسمع خلال باب الحمام المفتوح قليلا رنين التلفون ، فاحس بالتوتر بصورة تلقائية ، وراح ينتظر ليناديه احد . وعندما توقف الرنين ولم يناده احد اخذ يجفف يديه ، وهو يفكر باعياء : الناس . كيف اتخلص من الناس ؟ لقد احس باشمئزاز مفاجيء ، كان رد فعل للانفعالات التي أعتورته عند المساء ، والان الاحساس بمعرفة غلاسب معرفة افضل خلال بصيرة جذبته اليه . كان ذلك احساس من ربح لعبة ، الاحساس بقوة داخلية متنامية ، طاقة لا يستطيع ان يجد لها منفذا آنيا .

كان غلاسب ممددا على الكرسي الكبير ، وقدماه على المقعد . وكانت السمفونية الخامسة لبروكوفييف ، التي كان الغرامافون يعزفها ، قد شارفت على خاتمة الشوط الاول . وكانت على المنضدة اربع زجاجات مليئة بالبيرة .

ــ هل اقلب الاسطوانة ؟

ــ كلا . بل الافضل ان نتحدث .

ومد غلاسب قدحه ، واخذ يهزه عندما كان سورم يصب البيرة فيه . وقال سورم :

ــ تبدو جذلا ؟

ــ صحيح ؟

ــ يبدو في وجهك الرضى .

فقال غلاسب :

ــ ربما .

وارتخى سورم على الكرسي الاخر ، ورفع قدميه المنتعلتين ووضعهما على المقعد الصغير ، فازاح غلاسب قدميه اللتين كان يلبس فيهما زوجا من الجوارب ليدع مجالا لقدمي سورم . ولاحظ سورم باهتمام ان غلاسب كان يرتدي زوجا جديدا من جوارب النايلون . وقال غلاسب :

ــ اصغ ، يا جيرارد . الم يجل بخاطرك انه يحتمل ان يكون اوستن مجرم وايتشابل ؟

وقال اخيرا :

ــ هممم ...

وظل سورم مثبتا بصره في نعليه ، وحرص الا تبدر منه اية دهشة.

ــ تعتقد ان الامر غير محتمل ؟

ــ اعتقد انه ممكن . فنحن نعلم ان اوستن سادي ، كما ان هنالك

شكوكا حول قتله احدا في هامبورغ .

ــ نعم ، ولكن ...

ــ ماذا ؟

ــ ونحن على معرفة باوستن ايضا . هل يمكنك بعد أن تنظر اليه ان تجد الصلة بينه وبين حوادث القتل ؟ لا يمكنني ذلك .

وبقي غلاسب ممسكا بقدح البيرة في موازاة انفه وهو يعبس فيه.

ــ لا يمكنني انا ايضا . ولكن هذا لا يبرهن شيئا . انــك تعلم او اوستن سادي . فهل يمكنك ان تتخيله يضرب احدا باسوط ؟

ــ كــلا ..

ــ ومع هذا فمــن المحتمل انه يفعل ذلك .

ــ طيب ، ثم ان هذه الجرائم تدل على اهتمام القاتل بالجنس الاخر، في حين أن اوستن ينزع الى جنسه . فلم يختار النساء ؟

ــ انهن اسهل منالا في وايتشابل .

ــ حسنا . وثانيا ، لم يختار وايتشابل حيث احتمال القاء القــبض عليه أكثر منه في اي مكان اخر ، كلما يقترف جريمة ؟ لم لا يتنقل فــي اطراف لندن ؟ وثالثا ، لم بالله عليك يجب ان يكون هذا المجرم هو أوستــن من بين سبعة ملايين شخص يعيشون في لندن ؟

ونظر اليه غلاسب مليا . وقال :

ــ انت لا تريد ان يكون القاتل اوستن ، اليس كذلك ؟

فهز سورم كتفيه . وقال :

ــ لا أعلم . انا أميل الى أوستن ولكني لن اخشى مجابهة الحقائق ان كــانت تشير اليه فعلا .

وقــال غلاسب :

ــ على اية حال ، لا داعي للقلق . لن اشي به لدى الشرطة ، حــتى لو علمت بانه هو الذي اقترف هذه الجرائم .

ــ كــلا ..

ــ وعلى كل ، كن على ثقة بان الشرطة تراقبه. أن كان مشبوها بقضية القتل في هامبورغ ، فهو الان مشبوه بصورة طبيعية في قضية وايتشابل.

ــ لست ادري . لا أفهم كيف تحدث هذه الامور .

ــ هل تفهم معنى السادية ، على اية حال ؟

فسال سورم باهتمام :

ــ ماذا يدفعك الى هذا القول ؟

ــ انت لست من هذا الصنف .
ــ لا ؟ فمن اي صنف انا اذن ؟
فقال غلاسب ، وهو يهز كتفيه :
ــ انك على شبه بي . ليس لك اهتمام خاص بالجنس .
ــ ويلاه ! اتظن ذلك حقا ؟
فابتسم غلاسب . وقال :
ــ انك تعتقد بانك مولع بالجنس ، والحقيقة انك لست كذلك . حاول ان تفهم ما اعنيه . اوستن انسان يؤمن بالحس ، انه ليس رجل فكر . لا شيء يثير اهتمامه في الحقيقة الا ما يمكنه رؤيته ولمسه .
ــ اوه ، لا ادري . لا يمكنني القول انه عديم الافكار .
ــ انه عديم الافكار . ربما يبذل مجهودا ليلوح رجل فكر عندما يتحدث اليك . واذا ما تعود عليك والفك كف عن بذل هذا المجهود .
ــ نعم ، ولكن ... هناك شيء من البراءة في اوستن . انك لا تفهم.
ــ بل افهم ذلك جيدا . هنالك دائما شيء من البراءة في الحسية لا يشترط في الرجل الحسي ان يشتهي ويسيل لعابه فحسب ، ولكنها لا ترتفع عن الارض ، مع هذا . كان اشد الناس انغماسا في اللذة الحسية رجلا عرفته وكان مولعا بجمع المدي والخناجر . وقد كتب مقالات عديدة في الموضوع ــ وقد اشتهر في اوروبا على انه اكبر حجة في هذا الموضوع. لم تكن رأسه تتسع لفكرة واحدة ، ولكنه كان مفعما الى حد مذهل بالاف الحقائق عن الخناجر .
فقال سورم بلهجة مترددة :
ــ فهمت ما تعنيه .
كان يشعر بالجوع . فاخرج من الدولاب قطعة من الرغيف وبعض البصل الاسباني وكيسا من البلاستيك يحتوي على الجبن . وقال :
ــ تفضل ان كنت جائعا .
وقطع كسرة غير منتظمة من الرغيف وطلاها بقليل من الزبدة وقال غلاسب :
ــ فكرة لا بأس بها .
وقال ، وهو يقطع الرغيف :
ــ لا تكون اراء مغلوطة عن اوستن . انه ليس زميلا روحيا . انه لا بأس به ، ولكنك ان اشتبكت معه فسيقضي عليك .
ــ اعلم ذلك . ولكني اعتقد انك تسيء الحكم عليه . انه يسيء الحكم

عليك ايضا .

ـ صحيح ؟ ماذا يقول عني .

فتردد سورم ، ليقدر نتائج صراحته التامة . فدفعته الى الكلام الرغبة في استثارة رد فعل لدى غلاسب . وقال بلا مبالاة :

ـ انه يعتقد بان لك بعض ... الهوايات الجنسية الخاصة .

فقال غلاسب باحتقار :

ـ بالطبع . عليه ان يعترف بذلك .

فقال سورم ضاحكا :

ـ اوه ، اني اوافقك . انهم دائما يريدون اتهام الاخرين بما لديهم ..

ـ بماذا يظن ... اني مولع ؟ الرجال ام الاولاد ام الحيوانات ؟

ـ ليس واحدا من هؤلاء ، وانما بالفتيات الصغيرات .

كان الاثر الذي احدثه اعنف مما كان يتوقع . فوضع غلاسب السكين على الصحن ، وظل يحدق بذهول ، وقال :

ـ ماذا ؟

وتجاهل سورم انفعاله ، وقال :

ـ اوه ، تعرف ماذا يعني ...

ـ هل قال ذلك ؟ اخبرني بما قاله بالضبط .

وفيما هو يتكلم ، سمع سورم احدا خارج الباب . ومرت به لحظة توقع فيها ان يرى وجه نن ، ثم سمع المفتاح يتحرك في باب الغرفة المجاورة وعلم ان الرجل الفرنسي كان يفتح غرفته . كان قلب سورم يخفق بعنف ، فقال على عجل :

ـ اوه ، ان اردت ان انصف اوستن فانه كان ينقل الي خبرا سمعه.

ـ هل انت واثق ؟

ـ تماما . كان هنالك اثنان من الاميركيين يعتقدان بانهما التقيا بك في لندن منذ بضع سنين . ولكن على كل ، ربما كانا يتحدثان عن شخص اخر . او ربما قالا ذلك لمجرد الكلام .

فقال غلاسب ببطء :

ـ لا حول ولا قوة !

وافرغ قدح البيرة ثم ملأه مرة اخرى ، ثم جلس على الكرسي منحني الظهر وراح يحدق في النار . وكان في هذا التوتر الظاهر في جسده المثني ما جعل سورم يشعر بانه كانت تعتمل في نفس غلاسب هزة داخلية كان لا يريد أن يظهرها . وكان قلب سورم ما زال يخفق بعنف من جراء

الحركة التي كان سمعها خارج الباب . وقال :
ـ اسمع لم لا نترك الموضوع ؟ اسف لاني اخبرتك به .
ـ الم يقل شيئا اخر .
ـ كـلا .
فقال غلاسب ببطء :
ـ يحيرني هؤلاء الشاذون الملعونون .
ـ لمـاذا ؟
ـ لا يهمهم شيء اكثر مما يهمهم الاشخاص . لو اني رسمت اعظم لوحة منذ رامبرانت لما اكترث بها بقدر اكتراثه لو كانت لي علاقـة بالموديل الذي رسمت عنه .
ولم يبذل سورم جهدا هذه المرة لمناقضة رايه . ونظر الى ساعتـه ، وهو يود ان يقترح على غلاسب الخروج . لقد اقلقه فكرة مجيء نن فجاة. فقـال بخفة :
ـ لا افهم لم تاثرت لذلك . قلت ذلك لتسليتك فقط . انا لا اخـذ اوستن على محمل الجد .
ـ فنظر اليه غلاسب معبسا :
ـ ولكن لم قال ذلك ؟ ومن اين جاءته هذه الفكرة ؟ هل اخبرته بصورة الفتاة الصغيرة التي رايتها في غرفتي ؟
ـ كـلا .
واحس سورم بالضيق الشديد . كان قد شاهد صورة الفتاة بينمـا كان غلاسب خارج الغرفة ، ولم ترق له فكرة الكذب على غلاسب . وقال:
ـ اخبرتك ، على كل حال . كانت هذه فكرة الامريكيين الاثنيـن . يمكنني ان أؤكد لك . لاني التقيت بهما .
فهز غلاسب كتفيه بامتعاض وقال :
ـ لا يهمني مطلقا على كل حال . ولكني اراهنك بانـه رآني اتمشى مع الفتاة الصغيرة التي في الصورة ، او اخبره احدهم عن الامر .
فقال سورم كاذبا :
ـ لا اتذكر الصورة على اية حال . واشك في ان يعرف اوستن عنها شيئا .
وغابت حدة غلاسب وظل صامتا ، وهو يمضغ الخبـز والبصـل الاسباني الذي ملأ فمه. كانت عضلات فكه تنتصب بارزة كلما كان يمضغ اللقمة ويبتلعها . وسمع من الاسفل صوت باب يغلق بشـدة . وحسب سورم مرة اخرى ان أوستن يحتمل ان يكون قد وصل . وقال :

ـ أتعلم ، اني واثق من انك مخطيء بصدد اوستن ...

وقال غلاسب :

ـ هل تصدق اني اميل الى الفتيات وهن في الثانية عشرة من العمر؟

ـ انا ... على كل ، لا اصدق ذلك . ولكني اقولها لك باخلاص لو كنت فعلا كذلك لما افزعني الامر . تبدو الفتاة احيانا على جانب من النضوج وهي بعد في سن الثانية عشرة .

ـ تلك الفتاة لم تبد كذلك . انها تلوح وكأنها في التاسعة .

فقال غلاسب بكآبة :

ـ نعم ، ولكن ... انظر يا اوليفر ، انا لا اريد ان ادس بانفي في حياتك الخاصة ، فلنترك الموضوع ، ها ؟

ـ هل يضايقك ؟

ـ كلا ولكن ...

ـ اذن ، فهو لا يضايقني انا ايضا . لا يحرجني الكلام فيه .

وتساءل سورم ترى هل ثمل غلاسب قليلا . كانت الطريقة التي يؤكد فيها على الموضوع واهنة ثقيلة . وقال سورم :

ـ حسنا . ان اردت ذلك ، فلنتحدث عنه . من هي هذه الفتاة ؟

وافرغ غلاسب بقية ما في زجاجة البيرة في قدحه على مهل ، ثم وضع الغطاء على الزجاجة بعناية ثم وضع الزجاجة على الارض . وقال :

ـ اسمها كريستين .

ولكي يخفي سورم الحراجة التي كان يحس بها فتح زجاجة البيرة الاخرى وراح يملأ قدحه . وشعر بان الحديث قد بدأ يصطبغ بلون سخيف . فغلاسب ، على كل حال ، لم يكن ملزما بان يحدثه عن الفتاة . ولاحت له تلك اللحظة غير مناسبة للكلام عنها ، كما لاحت له طريقة الكلام غير مناسبة ايضا . ولاحظ ان النار الغازية بدأت تخفت ، فاخذ يبحث في جيبه عن قطعة نقود ، وسره أن يشغل نفسه بشيء وهو ينتظر من غلاسب أن يمضي في حديثه . وعندما شرع غلاسب بالكلام اخيرا ، لم يكن في صوته اثر للسكر . وقال بجد :

ـ اتعلم ، يا جيرارد ، ان الدم ليغلي في عروقي عندما يتدخل انسان مثل اوستن في شؤوني مع اني لم اقترف ذنبا تجاهه ، أليس كذلك ؟ اني اعيش لوحدي ، مهتما بشؤوني الخاصة . انا لا اطلب من الناس مراقبتي . اني اتجنب الناس لاني لا اجد متعة في الاشتراك باللعبة هل تفهم ما اعنيه ؟

ـ تعني اللعبة الاجتماعية ؟
ـ اعني اللعبة الشخصية . اترى ...
ورأى سورم ، وهو ينظر اليه ، الكلمات تكاد تنتزع نفسها من راس غلاسب ، والفى نفسه يميل الى الامام وهو يركز اهتمامه لمعاونة غلاسب. ومضى غـــلاسب قائـــلا :
ـ اذا اندمجت مع الناس فعليك ان تتمسك بالقواعد . مثل ذلـــك مثل الدخول الى مدرسة نموذجية او الانضمام الى احد النوادي الراقية ، فان اردت التمتع بفوائدهما ينبغي عليك ان تتمسك بالقواعد . طيب ، انـــا افضل الا انضم الى النادي ، أريد ان أستغني عن تلك المنافع . والامـــر كذلك يشبه عرض لوحاتك . فانك اذا وضعت لوحاتك في معرض تضع نفسك تحت رحمة نفول ذوي عقول عفنة لا يفرقون بين الاصباغ والغائط! ولا فائدة من الشكوى بان احدا لا يفهمك . انك ان عرضت صورك فمعناه انك تسال الناس ان ينظروا اليها ، فاذا ما ابدوا ملاحظات بليدة فليس لك ان تبدي شكواك ، لانك انت الذي طلبت ذلك . ولهذا، فاني لا اقوم بعرض صوري ، واذا ما ابدى احدهم ملاحظات سخيفة حول عملي فلي الحق في ان الطمه على فمه واقول له :
ـ اغلق فمك ايها الحقير ، لم يطلب اليك احد التعليق .
كانت الكلمات تتدفق ، وكان غلاسب يتكلم كالالة ، وقد تورد وجهه، وهو لا يشعر بفتاتة الخبز التي التصقت في طرف فمه . وكانت في عينيه بهجة ، لدهشته بأن احاسيسه كانت فعلا تتحول الى كلمات يتفوه بهـا . ومضى قـائلا :
ـ والامر نفسه مع الاشخاص . اذا كنت تحتاج الى الناس ، فعليك ان تحتملهم الى الحد الذي تريده . ان الامر على ما يرام مع بيكاسو لان الناس كلهم يحتملونه ، على اي حال . هل تفهم ما اعنيه ؟ ولكنك ان اردت ان تنتج عملا عظيما ، فان ذلك يكلفك جهدا هو اكثر مما يستحق النـاس لحملهم على قبولك ...
فقال سورم :
ـ اعرف تماما ما تعنيه . لقد حدث ذلك لي مرارا كثيرة . قبل ان اترك العمل ، كنت اشتغل موظفا في احدى الدوائر مع موظف اسكوتلاندي كان شديد التبجح . وكان يعلم باني اريد ان اصبح كاتبا ، فكان يتلذذ فـي اثارتي ـ قائلا باني اهتم بالمسائل العقلية ولست على اتصال بالواقع.
فقـال غلاسب :

ـ كان عليك ان تلقي عليه درسا عمليا .

ـ شعرت بالرغبة في ذلك . ولكن ما نفع ذلك ؟ لقد افلح فياكتساب ودي . أعتقد انه كان يعاني من الشعور بالنقص الذي كاد ان يحطمـــه . ولكن كان علي ان احتمله لانه كان يجلس الى جواري . وكانت انفعالاتـك نفسها تعتمل في صدري ـ كان ينتابني شعور بالاهانة من انتقاده لـي . كنت اود ان اقول له : انك لاحمق ، انا لا اريد معرفتك . ولكن لســوء الحظ لم يكن في وسعي غير ان اعرفه وان اتحدث معه وان اعمل معه ..

فقـال غلاسب بمرارة :

ـ حسنا ، هذا ما اشعر به تجاه نوستن نن . ما عدا اني قلت لـه فعلا : « انك لاحمق وانا لا اريد معرفتك » . ولم ازل لا استطيع الخلاص من تفاهاتـه .

فقال سورم :

ـ اما كنت شعرت غير هذا الشعور لو اصبحت شهيرا ؟

ـ بالطبع ، لاني في ذلك الوقت لست مضطرا للنقاش مع الحمقى . كنت اترك المعجبين بي يفعلون ذلك لاجلي . خذ هذا الرجل الذي رأينـــاه الليلة ـ الاخ «لا ادري من» عند جيرترود . استطعت ان ادرك انه احمق وانه لم يكن هناك اي معنى في تبادل كلمة واحدة معه . ولذا فلم افعل. هذا ما يجب ان يكون عليه الامر .

فقال سورم كانه يشعر بالأثم :

ـ اتعلم ، انك قسوت على أوستن ، بصدد هذه الفتاة . اني لواثـق بانه لا يعرف عنها شيئا .

ـ ولكنك قلت انه يعرف ...

فقال سورم بلهجة صارمة :

ـ قال ذلك شخصان امريكيان ، ولم يكونا واثقين مـن ان الشخص المقصود هو انت .

فقال غلاسب بامتعاض :

ـ اوستن انسان احمق ، على كل حال .

فقال سورم مبتسما :

ـ دهشت للضراوة التي جابهتني بها عندما قـــدمت نفسي لـــك كصديق لاوستن .

ـ لان ذلك كان اسوأ مـــا يمكن ان يقوله لي شخص . ولكني عندما تحدثت اليك وجدتني اميل اليك .

ــ شكرا .
ــ هل اخبرك لماذا ؟
فهز سورم راسه موافقا ، وقال غلاسب :
ــ لان لك وظيفة تؤديها . انك لا تبدد وقتك كما يفعل أوستن .
فقال سورم ، وهو يهز كتفيه :
ــ انا اضيع الكثير من الوقت .
ــ ولكن ليس بطريقة أوستن . اتعلم ، لا بد ان الشخص الذي يبدد وقته مصاب بشيء ما . انه يبدأ بالتعفن حتى لتستطيع أن تشم رائحته الا تحس بذلك تجاه اوستن ؟
ــ كلا . انا لا اشعر بانه يختلف عني كثيرا .
فقال غلاسب :
ــ ستكتشف ذلك .
وغاص في كرسيه ، وحنى ركبتيه فوق المقعد ،وقال بتأمل :
ــ سأقدمك الى كريستين في يوم من الايام . انك ستميل اليها . انها طفلة ذكية .
ــ هل هي مولعة بالرسم ؟
ــ قليلا . اني احاول أن اعلمها . لها موهبة عظيمة ... أكثر مني.
ــ جديا ؟
ــ جديا . انا لا أملك الموهبة . علي أن أعمل بجد شديد لاظهر ظلالا معينة ولكنها تفعل ذلك بسهولة .
ــ كم يبلغ عمرها ؟ تسعة ، قلت ؟
ــ كلا ، اثنتي عشرة . ولكنها تبدو في التاسعة .
ــ كيف التقيت بها ؟
ــ بطريقة غريبة نوعا ما . كنت في يوم من الايام أقف أمام احدى المكتبات في شارع مايل ايند لاتفرج في خزانة الكتب ذات سعر ستة بنسات ، وكانت هذه الفتاة تقف بجواري . وظلت تنظر الى دفتر « أوتوغراف » قديم ذي غلاف جلدي ، وقد محل لون اوراقه ، ولكنه لسبب من الاسباب غير مستعمل . وكنت ارى انها كانت تريده . وعندما نظرت في داخله وجدت انه اغلى سعرا من بقية الكتب ــ ليس اغلى كثيراــ شلن واحد ، او شلن وست بنسات . وبقيت تعيد الكتاب الى محله ثم تنظر الى الكتب الاخرى ثم تخرجه ثانية . ورحت اتساءل في نفسي هل ستسرقه . ولكنها لم تفعل . وتركته اخيرا ومضت في سبيلها . وكنت

قد اخترت كتابين ، وكنت قد بعت قبل قليل بعض الصور ، فـاخـذت الاوتوغراف مع الكتابين الاخرين الى الحانوت واشتريتها . وعندمـا خرجت ، كانت قد ابتعدت حوالي نصف الميل ، فركضت خلفها ، وادركتها واعطيتها الدفتـر .

فابتسم سورم وقـال :

ــ وماذا فعلت ؟

ــ اخذته وراحت تحدق في . وشعرت بسخافتي قليلا لشرائي اياه، فاستدارت وانصرفت . وهكذا كان الامر . ولم يتكلم اي منا .

ــ ما اغرب فعلتك !

ــ اوه ، لست ادري . كان مجرد دافع .

ــ وكيف تعرفت عليها ؟

ــ حدث ذلك فيما بعد . رايتها مرتين في الشارع وخمنت انهـا تسكن في تلك الاصقاع . ولم اكن مكترثا لها بصورة خاصة ... على كل حال ، كنت في احد الايام امر بقرب السينما في الشارع التجاري ــ كان ذلك في مساء يوم سبت وكان هنالك صف من الصبيان خارج السينمـا . وخرجت هي من الصف وهرعت نحوي وهي تصيح : هلو : وعادت تركض الى الصف قبل ان استطيع الكلام . ثم التقيت بها بعد يومين بينمـا كنت خارجا من حانوت الخباز في شارع فالانس ، فمشت معي . وشعـرت بالحراجة قليلا ــ فاني اكره ان اسأل الاطفال عن اعمارهم وماذا يفعلونـه في المدرسة وغير ذلك من اللغو ــ اتذكر كم كانت تضجرني هذه الاسئلة عندما كنت صبيا . ولكن كان من العسير علي ان اجد شيئا اخر اقوله لها. على كل حال ، سألتني هي عن مهنتي فاخبرتها باني رسام . فقالت : «اوه» ولم يبد عليها الاهتمام ظانة اني صباغ جدران . ولكني عندما قلت لها باني ارسم الصور بدا عليها الاهتمام ، ورايتها تقيم احلام يقظة رومانتيكية عن الرسام الحقيقي . على كل حال ، وكان عليها في ذلك اليوم ان تعود الـى البيت ، ولكني قلت لها باني اود ان اريها لوحاتي في احد الايام . وفـي اليوم التالي رايتها خارج مسكني في حوالي الساعة الرابعة مساء . فطلبت اليها الدخول . وتصرفت تصرفا مضحكا . اخذت تنظر في كلا الجانبيـن لتتأكد من ان احدا لم يكن يراقبها ، ثم اندفعت الى الـداخل كـالارنب المذعور . واريتها لوحاتي وقدمت لها قدحا من الشاي وقلت لها ان تـأتي لزيارتي في اي وقت تشاء . كانت على ما يظهر خجولة ... وفي امسية السبت التالي اقبلت واصرت على ان تراقبني كيف ارسم . وظن والداها

انها ذهبت الى السينما ايضا ... وتعرفت عليها بهذا الشكل .

فقال سورم :

ـ تبدو فتاة ساحرة . هل كانت لها احلام رومانتيكية عن الرسامين؟

ـ اوه ، نعم . اكتشفت عاطفة كبيرة نمت فيها . فقد التقيت بها يوما مع احدى صديقاتها فاحمر وجهها احمرارا شديدا . وذكرتها بذلك في السبت التالي فاعترفت لي اخيرا بانها ادعت امام صديقتها باني طلبت منها الزواج عندما تبلغ السادسة عشرة !

فقال سورم ضاحكا :

ـ طيب ، لم لا ؟

فهز غلاسب كتفيه وقال :

ـ على كل ، من الممكن ـ اعتقد انها ستبلغ السادسة عشرة بعد ثلاث سنوات فان سنها الان يشارف على الثالثة عشرة .

فقال سورم مندهشا :

ـ هل انت مولع بها الى هذا الحد ؟

ـ انا ... انك لا تفهم . اتعلم ، انها من عائلة كبيرة ـ لها سبعة اخوة واخوات . وقد اضطروا مرة ان يشغل اربعة منهم غرفة واحدة . ابوها حارس في سجن بريكستون ـ انسان شكس الاخلاق ينفق كل ما لديه على الشراب . واختها الكبرى متزوجة . متزوجة من رجل بولندي ، وهما يسكنان في البيت المجاور . وعندما يعود البولندي الى البيت ثملا ويحاول ان يضرب زوجته ، تذهب اليهم وتنام مع كريستين واختها الاخرى على سرير واحد ... وتنام كريستين على طرف السرير . ورايت امها مرة ـ امراة مسكينة متهدمة ، لها ثديان كبيران متدليان وليس لها اسنان. كان عمرها لا يزيد على الخمسين ، ولكنها كانت تلوح في السبعين .

هذا هو المحيط الذي عاشت فيه الفتاة . وهي تريد ان تدخل مدرسة للرسم ـ ولها من الذكاء ما يساعدها في الحصول على منحة دراسية ـ ولكن والديها لا يرضيان مطلقا ان تدرس الرسم . حتى أن امها اخبرتها أن طالبات الرسم ابـوا من العاهرات . وعلى كل حال فهم يريدونها أن تجد عملا بعد ان تنهي دراستها لكي تحصل لهم على بعض الدراهم ريثما تتزوج كان أهلها يعيشون في الاحياء الفقيرة منذ اجيال . وهم لا يريدون حياة افضل .

ـ هذا سخف الا يمكنك اقناعهم ؟

ـ لا امل في ذلك البتة . ولا تجرؤ كريستين حتى على اخبارهم

بانها لم تزل تلتقي بي . وقد تخاصمت مع ابيها مرة .

ـ يا للسماء ! كيف ؟

وهز غلاسب كتفيه ، ثم ارتعش جسمه وقطب وجهه كأنه لا يريد ان يستعيد ذكرى كريهة :

ـ انه سكير متعجرف غبي. لقد رآنا اخوها في المقهى فاخبر والديها، فاشبعوها ضربا وحملوها على أن تعدهم بالا تراني ثانية . ولحسن الحظ رأينا اخاها عندما شاهدنا ، فاوصيت كريستين الا تخبر والديها بكل شيء ، وان تقول لهم بانها التقت بي مرة او مرتين فقط في معرض الرسم في وايتشابل . ولو لم اوصها بذلك لكان من المحتمل ان تخبرهم بانها جلست لارسمها ولكانوا سلخوا لها جلدها . وعلى كل ، كنت مارا في اليوم التالي امام حانة في هانبري ستريت فرايت اباها يخرج وبدأ بالشجار معي .

ـ كيف عرفك ؟

ـ اوه ، كان رآني قبلا ، وكنت انا رايته ايضا ـ انهم يسكنون قريبا مني ، عند منعطف الشارع .

ـ ولم كان يصرخ ؟

ـ اخذ يتفوه بالاكاذيب الحمقاء ... القذرة . لو كان ربعها صحيحا لاستطاع ان يلقي بي في السجن . لم اكن ادري ماذا افعل ... ولم اكن اريد ان اجر كريستين الى متاعب اخرى . فحاولت تهدئته ، ولكنه ازداد سوءاً . لم يكن ثملا تماما . وامسك بياقتي وشرع يصرخ في وجهي ـ فيطفر من فمه رذاذ البصاق والبيرة علي . وطلبت منه ان يدعني وشأني ولكنه اخذ يصرخ بصوت اعلى . فضربته بركبتي على بطنه ولطمته في وجهه .

فصاح سورم :

ـ يا للمسيح !

وجد من العسير ان يتصور غلاسب يضرب احداً .

ـ ولحسن الحظ اقبل في تلك اللحظة احد رجال الشرطة وهددنا بجرنا الى المركز ، فافترقنا حالا . ان شرطة وايتشابل لا صبر لهم ، وانهم من النوع الخشن .

وتوقعت انه سيقول للشرطة باني اغتصبت ابنته . ولكنه لم يفعل. بل مضى حالا . وكنت قد انفعلت و...

ـ الم ينتقم لحالته من كريستين .

ـ كلا ، هذا هو الغريب في الامر. اقبلت الي في اليوم الثاني واخبرتني

القصة . كانت في المطبخ عندما دخل وصار يصرخ بانه سيأخذها الى الطبيب ليقيم الدليل ضدي . ولكن امها استشاطت غيظا لذلك وهددت بتركه اذا فعل شيئا من هذا وسألتها امها عني فيما بعد ـ كانت تريد ان تعرف ان حدث شيء بيننا وبالطبع انكرت كريستين ذلك وصدقتها امها.

واصغى سورم باهتمام جدي ، وهو منخفض الراس ، ولم يدر كيف يصوغ السؤال الذي بزغ في ذهنه وهو يحرص الا يظهر على وجهه ، وقال :

ـ وحتى لو اخذها الى الطبيب لما ظهر اي شيء ؟

ـ لا شيء ... ما عدا ، ربما ، الاقاويل عنها ، وهذا أمر بحد ذاته سيء . ولو عرفوا بانها جلست لارسم صورتها لسبب ذلك متاعب كثيرة.

ـ هل تجلس لك كثيرا ؟

ـ اوه ، نعم . . رسمتها اول مرة جاءت ، ولكن ليست عارية بالطبع.

ـ فما السبب في المتاعب اذن .

ـ لانني اخذت ارسمها عارية فيما بعد .

ـ آه ... هذا امر صعب . هل كانت تريد ذلك ؟

ـ اوه ، نعم . كانت حيية اول الامر . ولكنها وقعت يوما في ساقية في حديقة فكتوريا فابتلت ملابسها . وكانت امها قد حذرتها الا تلعب بالقرب من الماء ، ولهذا جاءت عندي حتى تجف ملابسها . ودخلت الفراش بينما كنت اشعل النار ـ كان الوقت امسية من امسيات الصيف ـ وبقيت عندي حتى جفت ملابسها . واقنعتها بأن تجلس وهي عارية امام الموقد ، ورسمت لها صورة تخطيطية جميلة والنار من خلفها ـ من احسن ما رسمت . وبعد ذلك غالبا ما كانت تقف لارسمها عارية .

وقال سورم :

ـ لا استطيع ان اتجاهل الشعور بانك تلعب بالنار . لا يبدو والدها من النوع الذي ينسى خصاما .

فقال غلاسب بيأس :

ـ اعلم ذلك . ولكن ماذا يسعني ان افعل ؟ اكف عن رؤيتها ؟

ـ على كل حال ، الامر يعود لك . هل من فرق ان كففت عن رؤيتها بضعة شهور الى ان تعود الامور الى حالها الطبيعي ؟

ـ بالطبع .

ـ ولكنك فعلت الكثير بالنسبة لها . لقد عودتها على طريقة جديدة في الحياة ، ولا يمكنها ان تتغير الان .

فعبس غلاسب وهز كتفيه :
ـ لست واثقا من ذلك . اثنتان من شقيقاتها تعملان في مصنـــــع للجوارب . وهذا ما يريد والدها ان تفعله . وثانيا ، أن محيطها مخيــف ومن الصعب الكفاح ضده .
ـ يلوح البيت زريا بهؤلاء السبعة .
ـ اجل ، الارضية مفروشة بالخيش بدلا من البسط ، والصناديــق تستعمل بدلا من الكراسي . وتعتبر هذه العائلة احسن حالا من غيرهـــا لانها تدفع ثلاثين شلنا في الاسبوع للشقة .
ـ ولكن ، كما تقول ، ستبلغ السادسة عشرة بعد سنوات قليلــة ، فيمكنك اخراجها من هذا المحيط حينئذ ...
ـ اخرجها الى اين ؟ الى شقتي التي ادفع بها ثلاثة بـاونات وعشرة شلنات .
ـ ستبدو لها حياة مترفة بالنسبة لحياتها السابقة .
ـ ليست النقطة هنا ... ليس لاني اريد الزواج بها ، ولكن لمجـرد ان سيكون هنالك عندئذ عذر قانوني لانتزاعها من قبضة والديها . هــذا مــا يهم في الامر .
وتمطى سورم بجسده على الكرسي ، وقد خنقته حرارة الغرفــة . وقال ببطء :
ـ هنالك طرق اخرى للقيام بذلك . حاول ان تجد من يريد أن يكون وصيا عليها وارسلها الى مدرسة للرسم . احد مثل جيرترود مثلا ، اذا كان في الامكان اقناع والديها ...
فقال غـلاسب :
ـ جيرترود ! من الرمضاء الى النار !
ـ هل تعتقد ذلك ؟
ومال غلاسب الى الامام وراح يحدق في سورم . كانت جبهتهترتعش ثانية ، فتكسب وجهه النحيل مظهر المجنون . وقال :
ـ انك لا تفهم . انا لا اريد أن يفعل ذلك انسان اخر . لا أريد من الناس الاخرين ان يتدخلوا .
كان للتوتر الظاهر في صوته ولجبهته المرتعشة اثر كريه الى حــد غريب على سورم . وحاول ان يجعل نبرته تدل على اللامبالاة وقال :
ـ نعم افهم قصدك . ولكنك قلت الان انك لست تريد الزواج منهــا بصورة خاصة .

فقال غلاسب :

ـ ولم اتزوجها ؟..

كان هنالك شيء من الامتعاض والتوتر في اندفاعه . واردف :

ـ ماذا يمنحني الزواج سوى الحق القانوني للاضطجاع معها ؟

ـ اوه ، اشياء كثيرة ...

فقاطعه غلاسب :

ـ ولكني لا اريد مطلقا الاضطجاع معها . انا لا اريد حتى ان المسها. انا لست شاذا جنسيا . الا ترى ذلك ؟ انا احتاجها فقط . احتاجها اكثر مما احتاج الى اي شيء ...

ومال الى الخلف ، فانحنى كتفاه . وكاد سورم يرى الاجهاد يحيط به كالضباب الاشهب . وقال ليهدئه :

ـ هذا امر حسن . ليس هنالك ما يدعو الى القلق ، اليس كذلك ؟ لا يحتمل ان تنقذها انت ، وهي سعيدة بمعرفتك . فماذا يقلقك ؟

فقال غلاسب بصوت متعب :

ـ لا شيء . لا شيء ابدا .

فنهض سورم وقال :

ـ اسمع ، انا ذاهب الى اسفل لبعض شأني ، ولم لا نخرج لنتناول بعض الشراب قبل أن تغلق الحانات ؟

كان صوت غلاسب واهنا يكاد لا يسمع :

ـ لا اريد جرعة اخرى . لقد حان الوقت لاعود ، على كل حال .

ـ كما تحب ...

احس سورم وهو يهبط السلم بالاشمئزاز من غلاسب ومشاكله ، واحس بيقين مفاجيء بان عقلية غلاسب لم تكن افضل من عقلية نن في شبهها بعقليته ، واحس بان ذهن غلاسب تسوقه انفعالات سريعة جدا . وبدا له جو الغرفة الخانق صورة فيزيائية للجو الذهني الذي كان يعتمل في غلاسب . وراح يستنشق الهواء البارد في الحمام بعمق وامتنان ، الهواء الذي كان مفعما برائحة صبغ الجدار والغاز الذي يفلت من الانبوب واخذ يفكر بامتعاض : انه كبقيتنا جميعا يحتاج الى الوقوع في حب شيء، ولكن لا يمكن ان يكون هذا الشيء الذي يحبه قطة او دمية او حتى امرأة ، وانما فتاة لم تبلغ سن النضج ، لكي تصل انفعالاته الى ضغط شديد . وسينفجر هذا المرجل يوما ما .

وسره ان يقرر غلاسب الذهاب ، لقد سرى هذا الاجهاد المفاجيء الذي انتاب غلاسب الى سورم .

* * *

ورأى عبر الارض الخربة الضياء في غرفته مفتوحا . وادهشه ذلك . لقد تذكر بانه اطفأ النور . وفكر فجأة ، وهو يدخل من الباب الامامي : اللعنة ، انه اوستن . وسره انه رافق غلاسب حتى السلم في محطة قطار نفق كامدن تاون . وارتقى السلم الى غرفته فوجد الباب المفتوح وسلة القش المستندة الى الباب . كانت مليئة بقناني البيرة الفارغة . ودفع الباب وقد هيأ نفسه ليقول : هلو ، اوستن .

كان الرجل العجوز يقف على البساط وقد ادار ظهره الى النار . وهو يعقد يديه خلف ظهره . كان يرتدي بذلة سوداء مهندمة وياقة وربطة عنق . وابتسم ابتسامة اعتذار لسورم .

وظل سورم واقفا عند الباب ، لا يرغب في ان يتقدم خطوة اخرى داخل الغرفة ، ويحس بالغيظ المكبوت يصعد الى حنجرته . وابتسم الرجل العجوز . وقال سورم :

ـ ماذا تريد ؟

ـ انا ... اسف جدا لازعاجك . وجدت غرفتك مفتوحة ... ارجو، الا اكون متطفلا .

لقد خفف ادبه المفرط من حدة مزاج سورم ، ولكن فقط الى الحد الذي منعه من مجابهته بخشونة . وشعر بالاهانة للتدخل في حياته الشخصية . وقال ببرود :

ـ كان الافضل الا تدخل في غرفتي اثناء غيابي .

وقرر ، بينما كان يتكلم ، ان يقفل باب الغرفة وشباكها كلما خرج في المستقبل .

وظل الرجل العجوز مبتسما ، وهو يعبث بيده في ازرار صدريته المحكمة باناقة . واشار الى زجاجة البيرة الفارغة على الارض وقال :

ـ لا ادري هل تحتاج اليها ؟

فحدق سورم في وجهه متسائلا :

ـ ماذا ؟

ـ قنينتك هذه ؟ وربما لديك عدد منها في خزانتك ؟ ان اردت التخلص منها فيسرني ان اخذها .

وفهم سورم على الفور . وفتح الخزانة وشاهد قناني البيرة الفارغة

في اسفلها . ولم يشك في ان الرجل العجوز قد فتح الخزانة قبلـــــه ورآهـا . وقـال :

ـ نعم . خذها ... ليست كثيرة .

ـ اه ، انك انسان رقيق ! رقيق جداً .

وتوقف الرجل العجوز واخذ يلتقط قناني البيرة الاربع . وراقبـــه سورم مليا ، وهو يتساءل اتراه ثملا ايضا . كان في صوته من الوضـــوح والدقة ما كان يفتقر اليهما اخر مرة رآه فيها سورم . وكان يلبس زوجـا من الاحذية الجلدية لامعة الدهان . وقال سورم :

ـ اعتقد انك تعلم ان الساعة قد جاوزت النصف بعد العاشرة . وهذا يعني ان الحانات مغلقة .

كان الرجل العجوز يقف بجوار الباب وهو يضع القناني بعناية فـي سلة القش . ورفع نظره ، معبسا وقال :

ـ النصف بعد العاشرة ؟ كلا .

وراح يعبث في جيب صدريته ولاح كأنه تذكر شيئا . وقال :

ـ ولكن ساعتي تشير الى النصف بعد التاسعة .

ـ اظنها مخطئـة .

ـ اوه ، يا الهي ...

وظل واقفا ينظر الى سورم ، كأن حل مشكلته كان بين يدي سورم. ومرت لحظة ، احس سورم فيها بالخجل من القناعة التي شعر بها وهـــو يشير الى الوقت . وقال :

ـ عليك أن تنتظر حتى الغد .

وقال الرجل العجوز والخيبة في نبرته :

ـ أو ، كلا . لا يمكنني أن افعل ذلك !

واقبل الى الطاولة واخرج حفنة من النقود من جيبه . ثم وضعهـا على طرف الطاولة واخذ يحصيها . ورأى سورم انها لم تتجـــاوز بعض الشلنات والبنسات . وقال سورم :

ـ اسمع ، الا تعتقد ان من الافضل ان تحصي هذه النقود فيغرفتك؟

والقى الرجل عليه نظرة عتاب ومضى يحصي النقود . ثم رفع نظره وسأل ببساطـة :

ـ هل يمكنك ان تقرضني اثنين وعشرين شلنا وستة بنسات ؟

ـ كلا . لا اعتقد ذلك .

ـ سأرجعها لـك .

ـ انا واثق أنك سترجعها. ولكن على كل حال فالحانات مغلقةجميعا.

ـ اعلم ، ولكني اعلم ايـن استطيع شراء شراب الجـن . هـل انت متأكد من انك لا تستطيع ان تقرضني اثنين وعشرين شلنا وستة بنسات؟

ـ نعم ، لا يمكنني ذلك .

فقال الرجل العجوز بنبرة مرتعشة :

ـ يا الهي ... لا ادري هل يقرضني الرجل الفرنسي الذي يسكـن الغرفة المجاورة ؟

وطرق باب غرفة كاليه . ولم يكن بوسع سورم ان يغلق الباب وقـد اتكات عليه السلة . والتفت الى المدفأة وراح ينظر الى نفسه بيأس فـي المرآة . ولم يتلق الرجل جوابا من غرفة كاليه . كان سورم واثقا مـن ان الرجل كان في الداخل ، ولعله سمع صوت الرجل العجوز فقرر ان يلـزم الصمت . وكرر الطرق مرة ثانية . ووجد سورم المشهد مثيرا لاعصابه . فهبط السلم الى غرفة الحمام واوصد بابها . وسمع بعد لحظات الرجـل العجوز ينزل السلم ، ففتح سورم صنبور الماء ليتدفق في المرحاض ثم عاد الى غرفته . وقبل ان يدخلها ازاح السلة من الباب واسندها على الجدار في الخارج . ثم اغلق بابه وقذف بنفسه على الكرسي وهو يفكر : سأترك هذا المكان الملعون واجد محلا اخر . يجب القاء هذا الخنـزير العجـوز في مصحـة .

وفيما هو يصغي سمع طرقا على الباب . ففزع وهو في مجلسـه وصاح : مـن هناك ؟

فقال صوت الرجل العجوز : هل لي أن أحدثك ؟

فاطلق سورم زفرة ثم اجتاز الغرفة وفتح الباب . وقال العجوز :

ـ في الحقيقة يجب ان استميحك العذر للتطفل على هذا النحـو . اعلم ان الامر لا يمكن غفرانه ولكن ... يجب حقا ان احصل على هـذه الشلنـات من احد .

فقال سورم وقد بدأ عليه الاجهاد :

ـ يؤسفني الا استطيع مساعدتك .

فنظر الرجل العجوز حواليه كانه يخشى أن يكون احد منصتـا . وارتسم المكر في وجهه . ثم تقدم نحو سورم ودفعه الى الغرفة ثم همس في اذنـه :

ـ اريد ان اقول لك شيئا يثير اهتمامك .

ومرت لحظة ، وكان سورم على وشك ان يقول : انا واثق بانك لا تستطيع

ثم يدفع الرجل العجوز خارجا . ولكن كرهه الفطري للفظاظة ويقينه من ان الرجل العجوز سوف لا يتوانى عن طرق الباب ثانية حالا دون ذلك . ورفع الرجل اصبعه لسورم واخذ يحدجه بنظرة عارفة لا تخلو من التعنيف . وقال :

ـ لست مخطئا ان افترضت انك رجل ذو اهتمام شديد بالدين ؟

ـ لماذا ؟

ـ آه ، اراك ترتاب ، وانك لعلى حق . ليس للكثير من الناس الحق في التكلم عن الدين . اما انا فلي ذلك الحق . والان ، دعني اقل لك شيئا يدهشك . استطيع ان افتح لك عينك الثالثة .

مال الى الامام وتمتم الجملة الاخيرة في وجه سورم ، واستطاع سورم ان يلحظ ان ليس هناك اثر للكحول في انفاسه. فتقهقر خطوة وقال:

ـ ولكني لا املك عينا ثالثة .

ـ اها ! انك تظن انك لا تملكها . ولكنك لا تعلم . ظننت انك لست واحدا من الذين جرى تدريبهم . ولكن لديك الاخلاص . لديك الاخلاص والا لما تكلمت معك . هل تعرف ما هي العين الثالثة ؟

كان يتكلم بسرعة . لعله احس برغبة سورم في أن يلقى به خارجا. وهز سورم راسه .

ـ عينك الثالثة هي عينك الخفية . لديك عينان ترى بهما الظواهر، ولكن عينك الخفية في وسعها ان تريك اعماق الاشياء . ارى لديك مؤلفات بليك وبوهمة على رفوف مكتبتك . كان لهذين الرجلين عين ثالثة . انا استطيع ان ارى بعيني الثالثة ـ على الاقل كنت استطيع ذلك حتى بدات بالشرب . ان الامر يحتاج الى عملية بسيطة ... اذا كان الوسيط مستعدا لذلك ، بالطبع . وانك اجدك مستعدا . الان ، الا تريد ان تكون لديك عين ثالثة ؟

وقال سورم بتردد : وقد ثار اهتمامه بالرغم منه :

ـ اعتقد ذلك .

فقال الرجل العجوز :

ـ حسنا . اذن يمكننا الاتفاق . كم تعتقد اجرة العملية ؟ باونان ؟

ولم يستطع سورم ان يكبح ابتسامته وقال :

ـ انك تريدني ان ادفع لك المال ، ها ؟

فقال الرجل ببساطة :

ـ انا بحاجة الى المال .

فقـال سورم :
ـ ولكني لا أملك المال .
ـ حقا ؟ انها فرصة نادرة . اذ لا يسعني ان اطلب هذا المبلغ في اي وقت اخر . فمثلا ، يوم الاثنين ، عندما تفتح البنوك . سيكون طـلبي اغـلى كثـيرا .
كان يحدق في وجه سورم بقلق طفولي ، كأنه كان يمثل دورا في مسرحية . وكان سورم يعلم ان العجوز لم يكن يمثل ، وبأن التفسير الوحيد لهذا الموقف هو أن الرجل معتوه . ولم يثر فيه هذا الادراك نزعا او امتعاضا . وقال معتذرا :
ـ يؤسفني الا استطيع منحك الباونين ، حيث ليس لدي مبلغ كهذا يمكنني الاستغناء عنه .
فقال الرجل بلهجة حزينة :
ـ اوه ، يا الهي . في هذه الحالة ، اذن ...
ولوى وجهه عن سورم وراح يحدق في قبضة الباب . وقال بلهجة غير مفهومـة :
ـ لست ادري من يستطيع ..؟
ووجه سؤالا الى سورم فجأة :
ـ لا ادري هل لديك شيء من شراب الجن تخفيه لديك ؟
ـ كلا . مع الاسف . ما عدا بعض البيرة .
ـ مممم . اني لم امس البيرة منذ سنين . واعتقد ... في حالة انعدام شيء افضل . طيب . هل تمانع في شرب قدح من بيرتك ؟
فقـال سورم :
ـ كلا ابدا . خذ القنينة .
واختطف القنينة من فوق المنضدة ودفعها في يد الرجل . وتناولها الرجل بتردد ، وقال :
ـ هل تستطيع أن تقرضني ثمانية شلنات وتسعة بنسات كي اشتري نصف زجاجة جن ؟ رغم ان البائعين لا يرحبون بذلك .
ـ انا اسف . موقفي مثل موقفك تماما . ليس لدي مال استغني عنه حتى اذهب الى البنك .
ـ أواه ، حسنا . في هذه الحالة اعتقد يجدر بي أن اشرب البيرة . هل لديـك قدح ؟
وتناول سورم قدحا من فوق الطاولة وقلبه على رأس القنينة ،وقال:

ـ لو تعيد الي القدح بعدئذ .

ـ اوه ، انا لا انوي اخذه معي .

ورفع القدح ثم فتح القنينة ووضع الغطاء بعناية على الطاولة. وغمر سورم شعور بالاستسلام المضحك . وتخيل بيل بين معه في الغرفة الان، يرقب باستمتاع حركات الرجل ليستعد لتقليد براءة الرجل العجوز القلقة وامتعاض سورم الخائب . وجلس على الكرسي وراح يحملق في العجوز وهو يصب البيرة . والتقت نظراتهما فابتسم الرجل العجوز بلطف . واعاد القنينة الى المنضدة ووضع عليها الغطاء ، ثم تقدم وجلس على الكرسي الاخر . وقال :

ـ سامحني لعدم تقديم شيء لك . ولكن ، قبل كل شيء ، لم تكن القنينة مليئة تماما ، واخشى الا يكفيني هذا . ارجو ان تفهم أن هذه ليست انانية ، وانما محاولة اعتيادية لحفظ النفس . حسنا ، «شن شن» كما تقولون انتم معشر الشباب هذه الايام .

وبدت العبارة العسكرية غريبة في شفتيه . واحتسى البيرة بنفور واضح . وعندما فرغ نصف القدح اخفضه ، قائلا :

ـ انا لا اشرب البيرة لو خيرت .

فقال سورم :

ـ كلا .

وحرص على الا يضع كلماته في صيغة السؤال كي لا يعطيه مجالا للانطلاق في الايضاحات . وقال الرجل العجوز متفكها :

ـ اراك لطيفا . ماذا اقول لاسرك ؟

فقال سورم بلهجة خشنة :

ـ لا شيء شكرا .

ـ طيب . الم تكن مهتما بقضية جاك السفاك ؟

ولم يستطع سورم ان يخفي دهشته وقال :

ـ اظن ذلك ، لماذا ؟

ـ علمت بذلك . اعرف امورا كثيرة عنك ..

وتساءل سورم ترى هل ذكرت كارولوتة الموضوع له . وقرر الا يدع الرجل يتغلغل ابعد في الموضوع ، فقال :

ـ لست مهتما بصورة خاصة .

ـ كلا ؟ مع ذلك ، اعتقد أن في امكاني ان اقول لك شيئا يثير اهتمامك . كم ابلغ من العمر في اعتقادك ؟

وظل يحدق باصرار في سورم حتى وجد من العسير ان يتجاهل سؤاله . وقال اخيرا :

ـ في السبعين ، ربما .

ولمعت عينا الرجل بالسرور . ومد يده نحو قنينة البيرة .

ـ اخطأت مرة اخرى . انا في التاسعة والثمانين .

فقال سورم وهو يكاد لا يصدق : نعم ؟

ـ يمكنني أن اطلعك على شهادة ميلادي . وضعتها في محل ما ...

واخذ يتحسس معطفه فوق صدره ، ثم قال :

ـ ظننت اني احملها معي . يجب ان تكون في الدرج . ولكن لا يعنينا امرها الان . اني افترض أنك لا تصدقني ، في حين ، في الواقع ، انا واثق انك تصدقني . اليس كذلك ؟

فقال سورم :

ـ نعم .

ـ اشكرك يا سيدي . يفضل الرجل ان يصدقه الاخرون . طيب ، لنعد الى موضوعنا. انا في التاسعة والثمانين . ولدت في الثالث والعشرين من شهر اب ١٨٦٧ . واضيف قائلا بان والدي كان في الخدمة الدبلوماسية في كراكاو حيث تعرف على زيرومسكي . كانت امي بولندية . طيب ... كان الشخص الذي تذكر الصحف ان اسمه جاك السفاك في الواقع صديقا مقربا لابي . كان اسمه سيرجي بيداتشنكو وقد اقبل من نفس القرية التي نشأ فيها غريغوري ايفيمو فيتش راسبوتين . وكان في الواقع قريبا شرعيا لغريغوري ايفيموفيتش . وترعرع الاثنان في بوكرفسكوي في توبولسك ، بالرغم من أن سيرجي بيداتشنكو كان يكبره بسنين عديدة ..

وبينما هو يجلس مستندا على الكرسي ، ويحرك يده اليسرى وهو يتكلم ، تخيل سورم الرجل العجوز ممثلا في احدى مسرحيات تورجنيف. كانت الكلمات تنساب كأنها عبارات حفظها عن ظهر قلب . وعندما توقف ليشرب بقية ما في القدح ، وجد سورم نفسه يتلهف ليمضي الرجل في كلامه . ومضى الرجل العجوز يتكلم وهو يملأ قدحه ثانية :

ـ طيب ، كان غريغوري ايفيموفيتش وسيرجي فيودوروفيتش ينتميان الى احدى « الراسكولنيكي » ، وهي طائفة دينية هرطقية تعرف بـ « خليستي » . وكانت طائفة الخليستي تؤمن بالخلاص عن طريق الخطيئة . اتفهم ؟ انها نقطة جيدة في الالوهيات ، كما سترى . كلما اوغل الانسان بالخطيئة ، كانت امكانية التوبة اوفر. تقول انها سفسطائية كلامية؟

كلا مطلقا . تأمل ، كثير من الناس الذين يميلون الى الروح القديسية يعانون من الضجر ، من احساس بالعبث . تأمل ، من الافضل ان تشعر بانك انسان تسير في طريق الخطيئة من ان تشعر كما وانك معدوم الذاتية يجب الاعتراف بأن هذا ضعف بشري ، كون الانسان يلجأ الى طريقة مسرحية لابراز ذاتيته والا فيعاني من الركود . انا وانت ، يا سيدي ، نعلم بان الانسان اله . ومع هذا ، فهو لا يستطيع ان يفعل شيئا ليجعل من نفسه الها ما لم تشفق عليه الظروف فتمنحه فرصة السلوك مسلك الاله.

والفي سورم نفسه يصغي بحيرة متزايدة،وطاف احساس باللاحقيقة. ومر به خاطر غريب بان هذا الرجل العجوز كان في الواقع ملاكا متنكرا ، مبعوثا اليه ليعيد له الاحساس بعدم نضجه . ولاحظ الرجل العجوز على ما يظهر التأثير الذي كان يتركه ، فبرقت ابتسامة باهتة في عينيه عندما كان يتكلم . ورفع اصبعه موبخا .

ـ ذلك هو التناقض في طبيعتنا ، نتيجة للخطيئة الاولى ، يمكن للشجرة ان تحقق شخصيتها بان تقف ساكنة بلا حراك . ويحقق الانسان شخصيته بمجرد ان يترك طاقاته تتأجج ، وعلى ضوء افعاله يرى شخصيته وهي تختفي بشخصية اخرى . و...

وتوقف ليشرب جرعة طويلة ثم قال : ـ اين كنا ؟

ـ جاك السفاك .

ـ آه نعم . صديقي بيداتشينكو . حسنا ، وبالاختصار ، فقد جاء سيرجي فيودوروفيتش الى لندن ليبحث عن الخلاص عن طريق الخطيئة. وكان قرأ كتابا لدوستويفسكي يقول عن لندن انها افظع مدينة في اوروبا. وكنت في ذلك الوقت صبيا في الثامنة عشرة . وسافرنا انا وهو من اوديسا معا . وكان جلب معه خياطة نمساوية تدعى ليمبرغ ، امرأة كانت تتميز بالميول السادية . واستاجرا شقة في شارع ليمان وشرع بمهنة شق البطون . وكانت خليلته الى قربه دائما وهي تحمل عباءة . فعندما يقترف الجريمة كانت تناوله العباءة فيغطي بها بدلته الملطخة بالدماء ـ واشترى عددا كبيرا من الملابس من سوق شارع بيتيكوت ـ ثم كانا يعودان مشيا الى البيت وكل منهما ممسك بذراع الاخر كاي رجل محترم وزوجته يعودان في وقت متأخر من سهرة لدى احد الاصدقاء . وقد حدث ثلاث مرات أن أوقفهم رجال الشرطة في الوقت الذي كانت فيه نظرة واحدة على ملابسه تكفي لسوقه الى المشنقة . وفي كل مرة ، كانا يدعيان انهما زوجان ، فيخلى سبيلهما على الفور . وبعد اخر حادثة قتل ارتكبها سافر

الى اميركا حيث اصبح صاحب بيت للدعارة في نيو اورليانز .

واقرغ الرجل العجوز قدحه الثاني ، وملأه بعناية مرة اخرى حتى الحافة فافرغ الزجاجة .

ــ وبطبيعة الحال فقد لاقى حفاوة شديدة لدى عودته الى روسيا. وعين في منصب ارشمندريت لتلك الطائفة واعتبره الجميع في مصاف القديسين . ثم بدأ نشاطه نحو التوبة . اما خليلته ليمبرغ فلم ترق لها فكرة التوبة فتركت روسيا مع شاب اخر كان يامل ان يحذو حذو سيرجي فيودوروفيتش . واما صديقي بيداتشينكو فقد وافق غريغوري ايفيموفيتش الى سانت بطرسبرج حيث شاركه نجاحه الغريب لعدد من السنين . وماتا بفرق سنة واحدة من كل بينهما ــ مات راسبوتين في عام ١٩١٦ ، بعد ان قتله قاطع الطريق يوسوبوف ، وبيداتشنيكو في عام ١٩١٧، حيث أصيب في ظهره برصاصة من قبل احد رجال كيرينسكي .

ورشف العجوز رشفة من قدحه الملآن ، ثم نهض وهو يمسك به بعناية . وقال بادب :

ــ سأتركك الان ، واستعير ، ان استطعت ، قدحك .

وحدق سورم فيه ، وهو لا يجد ما يقوله . وانحنى الرجل العجوز قليلا وهو يقول بوجوم :

ــ طابت ليلتك .

وتناول القنينة الفارغة ومشى نحو الباب . وسمع سورم صوت القنينة يقرقع وهو يضعها في سلة القش . وبعد لحظة ، عاد الرجل العجوز وهو لم يزل يمسك بالقدح الملآن . وقال :

ــ هل انت ما تزال واثقا من انك لا تستطيع أن تقرضني ثمانية شلنات وتسعة بنسات ؟

وفتش سورم في جيبه الخلفي فعثر على ورقة بعشرة شلنات مغضنة . ودسها في يد الرجل دون أن ينبس بكلمة وانحنى الرجل العجوز وقال بطريقة رسمية :

ــ سيدي ، لقد انقذت حيىي . الف شكر .

ثم قبل الورقة النقدية ، وانسحب خارجا من الباب . وقال سورم: « طابت ليلتك » ، عندما كان الباب يغلق ، ولم يجب الرجل . ثم سمعه يرقى الجزء الاخر من السلم ، والقناني تصلصل .

كان التعب قد اختفى . ووقف الي جوار النافذة يفكر فيما يفعله . وبعد دقائق قليلة سمع الرجل العجوز ينزل السلم ثانية ويذهب خارج

البيت . وبعد فترة من التردد ، نزل الى الطابق الارضي واتصل تلفونيا بشقة نن . ولم يلق جوابا . ثم ذهب ووقف في عتبة الباب الامامية برهة من الزمن ثم عاد الى غرفته . كان الوقت متأخرا بالنسبة للعودة الى بيت المس كوينسي ، كما ان كارولين كانت في الطرف الثاني من لندن . ولم يملك الا ان يذهب الى الفراش .

وبقي مستيقظا مدة ساعتين ، وهو يفكر في الرجل العجوز وفي اوستن . وعندما ذهب في غفوته ، كان الرجل العجوز يجول في أحلامه . وفي حوالي الساعة الثانية صباحا نزل السلم الى غرفة الحمام وغسل يديه ووجهه بالماء الحار . وبعد ذلك ، ذهب لينام . ولم يكن هناك صوت يصدر من غرفة الرجل العجوز .

واستيقظ مرة اخرى عند الفجر القارس ، وكان يحلم بجيرترود كوينسي ترقد الى جنبه وهي مشدودة اليه . واثناء ما كانت عيناه مغلقتين احس بجسدها ملتصقا باطرافه المسترخية وذراعاها حول عنقه . واختفت فجأة عندما استيقظ بصورة تامة ، ولكن ذكرى الحادث كانت واضحة كما لو انه مر بالتجربة الجسمية . وراح يحدق في السماء التي اخذ الشحوب ينتشر فيها . واختفت الرغبة الجنسية تحت نور التأمل الساطع . اذ كان يحس بها فقط عندما كان يتأرجح بين النوم واليقظة .

واتسع في اعماقه الاحساس بالعافية . كان احساسا بالقوة المتنامية في اعماقه . ومرت به لحظة احس بها بالفرح لهذا العالم ولكل ما يوجد فيه . ثم حمله النوم مرة اخرى وهو يفكر في كارولين .

الفصـــــل الخـــامس

كان يحلم بنن محكوما عليه بالاعدام ، وكان يقول لشتاين بان هـــذا الحكم حماقة مريعة وبان نن انسان عبقري وخسارة لا تعوض في الادب. ولكنه في الوقت الذي كان ينطق فيه بهذه الكلمات لم يكن يصدقها . كـان يعلم بانه من المحال عليه ان يفضي بالاسباب الحقيقية للدفاع عن نن امـام شتاين او اي شخص اخر .

وايقظه صوت ما . وراح يحدق في الجدار وهو يصغي الى صـوت رجالي في الغرفة السفلى يترنم باغنية شائعة . وبدا له كأن هنالك عمـالا يصبغون الجدران في تلك الغرفة . وانقلب على قفاه ومضى يحملق فـي السماء من خلال النافذة . كانت السماء رمادية كالرخام . والفى نفسـه يتساءل اتراه سيهب للدفاع عن اوستن اذا ما ادى الامر الى محاكمة نـن بتهمة القتل . سيكونون انذاك على خطأ ، سيكون شتاين والقضاة كلهـم على خطأ . غير انه لا سبيل الى تغيير ذلك . ان ايسر الحلول هو ان يجد طبيبا للامراض النفسية يشهد بان نن معتوه ، ولكن نن ليس بمعتوه .

وخرج من الفراش ليضع الابريق على الموقد ، وفتح صنبور الغـاز بدرجة متوسطة ثم عاد الى الفراش . وفي هذه الاثناء وقع بصره عـلى يوميات نجنسكي ، فشعر بشيء يتركز في داخله . كانت هنالـك صورة رجل يسير ليلا في شارع تحفه الاشجار وهو يصغي الـى انغام موسيقيـة تنبعث من صالة لفندق مجاور . وكان الرجل مصابا بهوس الســوبرمان ، وتحدوه رغبة في أن يرتفع بكل طهارة وتلقائية عن التفاهة البشرية،ويرتفع بصورة مطردة لا قلق فيها . ومرت به لحظة احس سورم بها كأنه فهـم اوستن ، كما لو تلقى رؤيا نقية تنفذ الى هذا الاشمئزاز الذي تحول الـى

العنف . وصوب نظره نحو السماء الرمادية ، وهو يحتضن هـذه الرؤيـا بقوة ، وراح يفكر : لا شيء يهم غير هذه القوة . ليس هنـاك سعر اعـلى مما تستحقـه .

وتناهى اليه بنفس الوقت وقع خطوات على الدرج ، وتوقع انهـا قادمة نحو غرفته . وهتف صوت كارلوته : مستر سورم !

ـ هلـو ؟

ففتح الباب .

ـ هل استيقظت ؟ هنالك سيد يود مقابلتك .

ـ مـن هو ؟

فهزت كتفيها وقالت :

ـ لست ادري . انه الماني .

وفكر مليا برهة من الزمن ثم سألها :

ـ رجل عجوز ؟

ـ نعـم .

ـ اه ، اطلبي اليه المجيء ، أرجوك ؟

وارتدى سرواله ، وكان يحزم روبه عندما دخل شتاين الغرفـة .
والقى شتاين نظره على الفراش غير المنتظم وابتسم معتذرا وقال :

ـ هل بكرت في المجيء ؟

ـ فهز سورم يده الباردة وقال :

ـ لا ابدا ، كنت مستيقظا . ماذا تريد أن تحدثني به ؟ اوستن ؟

كان يريد ان يدخل في الموضوع عمدا ، فلم يكن يريد ان يبـدي تجاهلا للامر . وقال شتاين :

ـ اوستن ؟ كلا ، ليس بصورة خاصة . انا مهتم اكثر بهذا الرجـل الذي يسكن فوق .

ومرت لحظة من الدهشة صدق فيها سورم كلام الرجل .

ـ لماذا ؟ لا اظنك تعتقد انه هو مجرم وايتشابل ؟

ـ كلا . ولكنه قد يعلم شيئا . لما كان في المستشفى كـان يصرخ باشياء غريبة في نومه .

فقال سورم بلهجة قاطعة :

ـ انا واثق من انه لا يعرف شيئا .

ـ كـلا ؟

ـ تحدثت معه الليلة الماضية . انه مجنون كالقط في شباط ، ولكنه

لا يعلم شيئا . على كل حال ، كيف علمت به ؟

فالى شتاين بحركة معبرة وقال :

ـ اتفق ان رأيت عنوانه فى سجل النداءات التلفونية للمحقق ماكمردو. وعرفت انه عنوانك ايضا . وعليه جئت لعلي اجد عندك ما تقوله لي ...

وبدت الاكذوبة لسورم وهو يرقبه واضحة مكشوفة ، ولكنه تذكر ان شتاين لم يعلم بان الاب كاراثرز قد حدثه عن نسن . اما بالنسبة لشتاين ، فلم يكن هنالك سبب يدفع سورم الى عدم تصديقه ، وقال سورم :

ـ سأخبرك ما استطعت . غير انه ينبغي عليك أن تراه بنفسك. ستجد عند ذاك انه مخبول .

ـ لقد كان في المستشفى يهذي عن جريمة قتل .

ـ نعم . ولكن ليست هذه الجرائم . أن جرائم وايتشابل التي اثارت اهتمامه هي الجرائم التي وقعت منذ ستين سنة .

ـ جرائم جاك السفاك ؟

فقال سورم :

ـ ما الذي يجعلك تهتم بانسان فى هذا السن ؟ اذ لا شك من الجلي انه لا يستطيع اقتراف سلسلة من هذه الجرائم ؟

فقال شتاين وقد لاح عليه التعب :

ـ هنالك قاتل فى أحدى نواحي لندن . وليس لنا من حيلة سوى ان نفحص جميع الاحتمالات .

ـ اوافقك . ولكنك تضيع وقتك مع رجل عجوز . انه طاعن فى السن. فضلا عن انه معتوه .

ـ القاتل ايضا معتوه .

ـ اتظن ذلك ؟

فقال شتاين :

ـ نعم ، اظن ذلك .

واخذ الابريق يصدر وشوشة . وقال سورم :

ـ اجلس وتناول قدحاً من الشاي . يبدو عليك الاجهاد .

ـ اشكرك . اجل ، انا متعب .

ـ الا تاخذ قسطا من الراحة في ايام الاحاد ؟

فقال شتاين وهو يهز براسه :

ـ لا مجال للراحة فى قضية كهذه .

والقى بنفسه على الكرسي ووضع قبعته على المنضدة . والقى سورم

نفسه يحس بالاسف لهذا الرجل . ووضع الشاي بالملعقة فى قدح الترمس وسكب عليه الماء المغلي . ثم اغلق الموقد الغازي واشعل المدفأة . كانت الغرفة دافئة بسبب الموقد . وخلع الروب ولبس قميصا . وقال :

ــ لا تهتم . من المحتمل أن تقبض عليه متلبسا بالجريمة يوما ما .

فقــال شتاين :

ــ ربمـــــا .

وراح يتأمل فى البخار الذي كان يتصاعد من القدح ، واضاف قائلا :

ــ قام بمحاولة اخرى فى الليلة الماضية .

ــ مـــــــاذا ؟

وحملق سورم فيه ، وهو يتساءل فى نفس الوقت هل كان شتاين يحاول ان يوقعه فى الفخ بطريقة من الطرق . وسأل :

ــ ما الذي حـــدث ؟

ــ لا اعرف التفاصيل . هجم احدهم على امراة صباح هذا اليــوم . وسمع الجيران صراخها فهرعوا اليها . فقفز الرجل من النافذة واختفى .

ــ فـــي وايتشابــل ؟

ــ نعـــم .

ــ ولكــن ماذا حدث للمراة ؟

ــ كانت ما تزال فاقدة الوعي فى الساعة الثامنة هذا الصباح . كانت قد اصيبت بكسر فى جمجمتها .

ــ هـــل ستعيش ؟

ــ من المحتمــل . لحسن الحظ ، لم تمس الكسور الدماغ .

ــ اذن فينبغي ان تحصلوا على اوصاف القاتل .

ــ نامل هذا . ولكن الغرفة كانت مظلمة .

وفكر سورم وهو يصب الشاي : مسكين يا اوستن . ليس فى وسعي ان افعل شيئا لاجلك . ثم اوقف تفكيره هذا ، وقال فى نفسه : لم اوستــن ؟ قد لا يكون اوستن القاتــل ؟

واخذ شتاين قدح الشاي وقال :

ــ وهكذا ترى كيف سئمنا الامر كله .

ــ أجل . لا تهتم . قد يحالفكم الحظ فتحصلون على الاوصاف .

ــ ربمـــا .

وراح شتاين يحتسي الشاي بصمت .

ــ تقول أن القاتل معتوه ، ايها الطبيب ؟

ــ اظــــن ذلـــك .

واوقف سورم نفسه بعد ان كاد يقول : هل جنونه من الخطورة ليبعث به الى مستشفى المجاذيب فى برودومور ؟ ولكنه ــ بدلا من ذلك ، سأل :

ــ هل تظن ان جميع القاتلين الجنسيين معتوهون ؟

ــ لا . لا بالتأكيد . كانك تقول هل جميع الذين يسرقون رغيف خبز لشدة الجوع هم معتوهون .

ــ آه .

ونظر اليه شتاين وسأل :

ــ مــــاذا يدور فى ذهنــك ؟

ــ اتساءل . . . الا يحتمل ان يكون القاتل اسلم عقلا من الانسان العادي .

ــ كيـــف ؟

وحدق سورم خلال النافذة قليلا ثم قـال :

ــ مثلا ، في الايام التي كانت تقدم فيها الضحايا في المعابد ، كان للقسس بصيرة لحقيقة الاشياء اعمق مما هي عند اكثر الناس . وكان القتل يعتبـر رمــــزا .

فقـال شتاين بعدم تصديق :

ــ رمــــزا ؟

ــ نعم . شيء ينطوي على رفض ضوء النهار العادي ، انحراف متقصد عن منطـق النهار الواضح .

فقــــال شتاين معبسا :

ــ ولكن الرجل الذي يرتكب القتل ، انما هو تحت توتر شديد . انــه ليس فيلسوفا .

وطرق احدهم الباب . وهتف صوت الفتاة :

ــ تلفون للدكتور شتاين .

فقال شتاين بلهجة متعبة :

ــ مــــرة اخرى !

وبدرت منه حركة مجهدة معبرة عن اشمئزازه وخرج من الغرفة .

واتم سورم احتساء الشاي وهو يجلس على الكرسي . واحس احساسا غامضا بأن امرا مهما يكاد يقع ، ولكنه وجد من العسير عليه أن يحمله على محمــل الجد . كان فى نفسه شعور بالواقع يتمرد على التعقيدات التي تنطوي عليها الدبلوماسية والخداع . وبالرغم من معرفته أن حياة نــن كانت مهددة لم يزل من المستحيل عليه ان يجد الامر يرتبط به تماما . وحاول أن يركــز

في نفسه الاحساس بلا حقيقة الاشياء وهو يتساءل متى يعود شتاين فيقطع عليه السلسلة . وبعد لحظة ، عاد هذا الاحساس اليه فترة وجيزة ، فأخذ يحاول صياغته فى كلمات . ان خطورة الموقف تكمن فى ارتكاب القتل ــ قتل عدد من النساء . فاذا ما ماتت النساء نتيجة لذلك ، فالسبب هو افتقارهن الى مبرر جيد للبقاء احياء . وان الحياة التي فقدنها كانت مجرد انصاف حياة . ولذلك ، فمجرم وايتشابل هو نصف قاتل . وربما كان القاتل نفسه يعيش نصف الحياة فقط . ففي تلك الحالة ، القضية هي قضية ربع عملية قتل . التفاهة تقوم بقتل البلادة والعبث . قال نيتشه : الشعب الكامل هو انحراف في عملية انتاج عشرة عباقرة . .

وعاد شتاين الى الغرفة . كانت ملامح التعب قد تلاشت . وقال :

ــ لقد قبضنا عليه .

واعتدل سورم فى جلسته :

ــ مـاذا !

كانت عينا شتاين ذات بريق يدل على الانفعال المكظوم :

ــ القاتل . القي القبض عليه منذ ساعة .

وحدق سورم فيه دون تصديق :

ــ من هـو ؟

ــ عامل من عمال بركستون . كان الرجل الذي هاجم المراة الليلة الماضية فقد اذيعت اوصافه ووجدته سيارة للشرطة بينما كان يحاول انيتسلق جدار حوض للسفن . وقد تعرفت عليه المراة منذ ساعة .

ــ هل انك واثق من انه القاتل ؟ هل اعترف بذلك ؟

ــ كلا . فى الواقع ، انه اعترف بهجومه فى الليلة الماضية ، ولكنه قال انها محاولتـه الاولى .

ــ هل الشرطة على يقين من انه الرجل الصحيح ؟

ــ تماما . كان قد طلى وجهه بالفلين المحروق . وعثر على اسفنجة ملطخة بالفلين المحروق فى جيبه .

وقـال سورم مبتسما :

ــ حسنا ، تهانينا . ارجو ان تكونوا عثرتم على الرجل الصحيح .

فقـال شتاين وهو يهز كتفيه :

ــ قد لا يكون الرجل الصحيح . القاتلون يميلون الى التقليد . ففي قضية كورتن القي القبض على احد الاغبياء وهو متلبس بجريمة اغتصاب واعترف بانه مرتكب كل الجرائم . ولكن لسوء الحظ ، لم يكن هو القاتل .

ولدي امثلة عديدة حيث يقوم قتلة كثيرون بتقليد أحد المجرمين ... على كل حال ، نأمل ان يكون هو الشخص المطلوب .

وقـــال سورم بتشكك :

ـ بريكستون بعيـــدة جـــدا عن وايتشابل .

فابتسم شتـــاين :

ـ ولد هذا الرجل ونشأ فى وايتشابل . ولعله يعرف وايتشابل خيرا من بريكستون وبالاضافة لذلك ، لعل لديه دوافع للانتقام من النساء فـــي وايتشابـــل .

ورفع شتاين قدح الشاي وافرغه . وقال مبتسما :

ـ ولنر الان اذا كانت نظرياتك عن ذهنية القاتـل صحيحة .

ووضع القدح على الطاولة والتقط قبعته .

ـ اشكرك على الشاي ، امل ان اراك قبل عودتي الى المانيا .

ـ امل ذلك ... ا ... الا تريد أن ترى الرجل العجوز فى الطابـــق العلـــوي ؟

فقال شتاين :

ـ سنبقى نريد ان نراه ، بطبيعة الحال ، حتى نتأكد من ان الرجـــل المقبوض عليه هو القاتل . ولكني اريد شيئا من الراحة الان .

ولم يبد الاعياء فى ابتسامته الان . وقـال بادب :

ـ أتمنى لك نهارا سعيدا ، واشكرك .

وصافح سورم يـــده .

ـ ارجو معذرتي اذا لم ارافقك الى اسفـــل ؟

فقـــال شتاين بعزم :

ـ لا مطلقا . وداعـــا .

واصغى سورم الى خطوات الرجل تهبط السلم ، وهو يعد ببطء الـى الخمسين ليتأكد من أن شتاين قد ترك البيت.ثم اطل في المرآة ومسح ذقنه غير الحليق باصابعه ولبس السترة والمعطف .

لقد تركته زيارة شتاين والشكوك تساوره.ولاح ان خبر القاء القبض قد وقع فى الوقت المناسب تماما ، كأن الامر قد اعد سابقا . واطفأ النـــار الغازية وتأكد من انه احكم اغلاق النافذة ثم قفل الباب خلفه .

* * *

وقبل ان يلقي السؤال علم بأن جوابه سيكون بالنفي . وظل واقفا ، ممسكا بالسماعة فى يده ، وهو يتأمل بتفور البلل الذي تركه عليها الشخص

الذي أستعمل السماعة قبله . وبعد قليل عاد صوت الفتاة :

ـ يقول البواب انه حسب ما يعلم لم يعد المستر نـن الى البيت في الليلة الماضية . هل اخبره بأنك اتصلت ؟

ومشى في شارع كامدن وهو لا يدري ماذا يفعل . ومرت بقربه سيارة تاكسي ، واخذ يفكر لو يوقفها ليذهب بها الى شقة نن في كنسيغتن . ولكن خوفه الا يجد نـن هناك ايضا ثبط فكرته . وظل واقفا ، مترددا ، في زاوية شارع كراونديل وهو يتأمل في صناديق البريد خارج مبنى دائرة البريـد . واستقر رأيه على قرار عندما لمح سيارة الباص تذهب الى شارع «فارينغتن» . وقفز داخل السيارة قبل ان تتحرك عند اشارة المرور . وعندما استرخى في مقعد الطابق العلوي احس ثانية بالصفاء الداخلي الذي احس به صباح اليوم وهو في الفراش . واختلج في اعماقه شعور بالحيوية وقد فرض هذا الشعور نفسه وهو ينظر الى بناية محطة بانكراس ، وقد امتزج لديه تذكر القطارات فيها بشعور الانتصار .

كان القسيس الهنغاري يقف عند باب المنزل . وقال على الفور :

ـ اتريد ان ترى الاب كاراثرز ؟

ـ ان امكن ، رجـاء .

ـ نعم ؟ لا أدري اذا كان موعد استراحته .

ـ الامر مهم جدا .

وفتح القسيس الباب بمفتاح .

ـ انتظر هنا ، رجـاء .

ـ اشكـرك .

لقد ضايقته الشكليات . واقتعد الكرسي ذا المساند بجوار النار الغازية ثم نهض ثانية وهو يمطي كتفيه بفراغ صبر . واطل برأسه من خلال البـاب فرأى روبن مونسيل يصعد السلم . فسحب رأسه على الفور ، لا يدري هل لمحه مونسيل . وسمع الخطوات تستدير عند منعطف السلم وتصعد الجزء الثاني . فابتسم وتنفس الصعداء . وعاد القسيس الهنغاري في الحال :

ـ هـلا صعدت الى غرفته ؟

ـ شكـرا .

وتظاهر كأنه يبحث عن قفازيه على الكرسي ليتأكد من ذهاب مونسيل . وقـال القسيس : ـ هـل فقدت شيئا ؟

ـ اوه . . . لا . تلك هي في جيبي .

وراح يرقي السلم درجتين في كل خطوة ، ويسير بعجلة وحذر في

وقـــت واحـــد .

وقـــال الاب كاراثرز :

ـ صباح الخير ، يا جيرارد . لقد عدت سريعا .

ـ صباح الخير ، ايها الاب . ارجو الا اسبب لك مضايقة .

كان القسيس فى الفراش ، يبدو عليه المرض والتعب . كانت النار فوق المشبك الحديدي حمما من الفحم المتوهج . ودهش سورم للاختلاف بيـــن حرارة الغرفة وبرودة يد القسيس الثلجية وهو يصافحها .

ـ انك لا تضايقني ، ولكنني لست على ما يرام اليوم . وعلينا ان نختصر الحـــديث .

ـ طيب ، ايها الاب . واقولها باختصار ، اذن ، كان شتاين قبل قليـــل فى زيارة لي عن قضية اوستن .

ـ هل كان صريحا معـــك ؟

ـ ا . . . كلا . فى الواقع لم يذكر اسم اوستن ابدا . ولذلك اردت رؤيتك . قال انه تم القاء القبض على مجرم وايتشابل .

ـ متـــى ؟

ـ منذ حوالي الساعة . رن جرس التلفون بينما كان عندي . وقـــد ادعى انه جاء ليتحدث معي عن الرجل الذي يسكن الغرفة العليا . . الشخص الذي حـــاول احراق البيت .

فقـــال القسيس ببطء : ـ نعم . ومـــاذا تظن انت ؟

ـ لا ادري هل يقوم الدكتور بتنفيذ لعبـــة .

ـ هل وجه لك اسئلة عـــن اوستن ؟

ـ كـــلا . لم يـــذكر اسمه .

ـ ولكنك تعتقد بانه لم يكن مخلصا فى ادعائه عن سبب زيارته لك ؟

ـ كلا . لا اظن ان الشرطة تشك بالرجل العجوز . انه طاعن فى السن . اذا كان الامر كذلك فقد يشكون . . . فقد يشكون بـــك ايضا ، اذا فهمت قصـــدي . . .

ـ فى الحقيقة ، ربما يشكون ! اذن ، فتظن انهم لا زالوا مهتمين باوستن ؟

فقـــال سورم معبرا عن عجزه :

ـ انا عاجز عن معرفة ذلك ، ايهـــا الاب .

ـ انا اميل الى الاعتقاد بانهم ما زالوا يتتبعونه . هل رايته ؟

ـ طيب ، تلك مسالة اخرى . يبدو ان اوستن قد اختفى . لم يعد الى البيت منذ اربع وعشرين ساعة . وتذكر ، لعله فى كنسيفتن الان .

ـ الا يمكنك الاتصال به تلفونيا .
ـ ليس لديه تلفون هناك .
ـ آه . وهذا الرجل الذي قبض عليه ؟
ـ رجل هاجم امراة الليلة الماضية في وايتشابل . عامل من عمال بريكستون . ويظهر انه صبغ وجهه بالسواد .
ـ آه ، حقا ؟
ـ هل سمعت به ايها الاب ؟
فقال القسيس :
ـ نعم . واخشى انك على حق .
ـ لماذا ؟
ـ ذكره لي فرانز شتاين منذ بضعة ايام . قال بأن هناك رجلا يلقي الروع فى قلوب النساء فى وايتشابل وذلك بان يقفز من وراء الابواب بوجهه الاسود . ولا يعتقد الشرطة انه القاتل حقا . وبالتأكيد لا يعتقد ذلك فرانز ايضا .
ـ لماذا ؟
ـ لان الرجل الذي يقفز من وراء الابواب ليخيف النساء يبدو مسألة اخرى تختلف عن القتل . انه بالطبع سادي بطريقة ما ... ولكنه ليس من النوع الذي تبحث عنه الشرطة .
ـ ولكن هذا الرجل هاجم امراة ، ايها الاب . وسبب لها رضوضا خطيرة فى راسها ، كما ادعى شتاين . حدث ذلك فى غرفة فى وايتشابل وقد هرب بأن قفز من النافذة .
ـ حقا ، آه ...
واخذ سورم يتحرك بقلق وهو يجلس على حافة السرير . وفك ازرار معطفه . كانت الحرارة تسيل عرقه . وقال القسيس اخيرا :
ـ ان كنت واثقا من انه هاجم المراة ... فربما انا مخطيء .
ـ قال شتاين ان الرجل اعترف بانه قام بالهجوم ، ولكنه انكر قيامه بالجرائم الاخرى .
ـ اه . يبدو انه صادق فى قوله . اذا كان يريد خداعك لما قال لك ان الرجل انكر الجرائم الاخرى .
ـ تعني انه اما ان يقول لي ان الرجل اعترف بالجرائم أو لا يذكر الموضوع مطلقا ؟
ـ اعتقد ذلك .
وسرت رعشة فى ظهر سورم . وقال :

ـ لم تعتقد ذلك ، ايها الاب ؟ هل تعتقد ان اوستن هو القاتل ؟
ـ حسب معرفتي بنـــن لا اعتقد ذلك ؟
ـ لمـــــاذا ؟
وقــــال القسيس :
ـ لاني . . . اعرف اوستن منذ نعومة اظفاره . اي أنني كنت اعرف عنه منذ طفولته . وكانت امه تحدثني بالكثير عنه.ما قولك انت فيإحتمال كونـــه القـــاتل ؟
كان السؤال مفاجئا بالنسبة لسورم . وقال بعد تردد :
ـ ليس من اليسير الاجابة على هذا السؤال . لا يحتمل أن يكون هـــو القاتل بالمعنى الذي تقصده ، فليس هو بالوغد الخسيس ، وليس قـــاسي القلب . . . ولكن . . . لا يمكنني التوضيح .
ـ حاول ان توضح ، يـــا جيرارد .
وخلع سورم معطفه والقى به على السرير . ثم فك ازرار سترتـــــه ومسح العرق عن جبينه . وقال ببطء :
ـ اترى ، ايها الاب ، الامر كله هو اني التقيت به في معرض دياغيليف ، هـــا . . .
ـ وما عـــلاقة هذا بالمشكلة ؟
ـ له علاقة كبيرة . انك لم تجد العلاقة ، اليس كذلك ؟ كلا.طيب.
ـ لقد اثر المعرض في نفسي ، لانه . . . كان كالقصة الخرافية . تلك الملابس القديمة والتصاميم والموسيقى العذبة ، والعطر ـ بالمناسبة ، العطر نفســـه الذي يستعمله اوستن ـ كانها من عالم اخر . حسنا ، هذا هو عالم اوستن ، ايها الاب ، العالم الذي يريد هوان يعيش فيه . انه ليس انسانا متوقـــــد الذكاء . ولن يجد ثمة فائدة يستخلصها مـــن كتابات القديسين او قسس الكنيسة ، ولكنه مع ذلك يريد أن يجد عالما مثاليا . . . اتذكر ، لقد حدثتـك بنفس الشيء عن شقته في الطابق السفلي ؟
ـ نعـــم .
ـ اعتقد أن العيش يجهده . انه لا يستطيع ان يقبل الواقع . استطيع ان افهمه لان الاحاسيس نفسها تعاودني . ان واقع العالم يحطمه ، ويقض عليه مضجعه . ولهذا فيريد أن ينظر الى العالم من زاوية منفصلة جميلة . وهذا هو سبب ميله الى الجانب المسرحي. اي انه يريد بدلا من الاحيــــاء الفقيرة الحقيقية مسرحا يبدو كالاحياء الفقيرة . ويريد بدلا مــــن الياس والهزيمة ممثلا تراجيديا يهذر عنهما . انه يريد أن يبسط كل شيء . . .

ــ فهمت وجهة نظرك . ولكنها لا تلوح تعريفا ينطبق على قاتل بالنسبة لــــي .

ــ انه يجعل من نفسه ممثلا تراجيديا يقوم بحركة تنطوي عــــلى التحدي . الا ترى ذلك ، ايها الاب ؟ انه يحاول ان يحول اشمئزازه الذاتي الى عمل مسرحي . فاذا اقترف جريمة قتل ، فانه لن يكون قاتلا حقيقيا ، وانما يكون ممثلا تراجيديا يقوم بدور ماكبث .

وقــال القسيس :

ــ اظنك تبالغ في تقدير حاجته الى القيام بدور تمثيلي . واني اشك في ان حاجة كهذه تتسع الى درجة تدفعه الى ارتكاب جرائم القتل .

واحس سورم بالارتباك وبالاشتباك في المناقشة ، ولم يعد يستطيع ان يمسك بالخيط الذي يقوده الى اعماق بصيرته . وقال اخيرا :

ــ لست ادري ، ايها الاب ... انه بأجمعه الشعور بانك تريــد ان تفرض نفسك على العالم . القتل هو آخر المحرمات ، وهو في بعض الحالات النفسية لا يختلف عن عملية الانتحار . أظن ان هذه هي الطريقة التي يشعر فيها أوستن . فما لم يتمكن من تحويل العالم الى مسرح يصبح العالم غريبــا عنه الى حد لا يطاق . انه يريد أن يصبح شيئا ايجابيا ليبرر وجوده .

ومرت على وجه القسيس غمامة وقال :

ــ فهمت ... ما تعنيه . على كل حال ... لا اعلم . لا يبدو الامــر محتمــلا بالنسبــة لي .

ــ كلا ، واني لاتفق معك ، ليس هذا برهانا نهائيا على أن أوستــن سيقترف جرائم القتــل ...

ــ عليك ان ترى أوستن ... وربما ينبغي ان تحذره .

ــ ظننتك لا تريد مني ان احذره ؟

ــ ليس بصورة صريحة ، ربما . ومن الناحية الثانية فيبدو لي محتملا جدا بانه ليس مذنبا . وفي تلك الحالة ...

وتوقف عن الكلام وهو يحدق في الغطاء وقد استند ذقنه الى صدره . ولم يكن سورم واثقا هل أن حالته تدل على التفكير العميق أم مجرد التعب . فنهض واجتاز الغرفة الى النافذة التي كانت مفتوحة بمقدار بوصة من اعلاها . وشعر بالانتعاش لتيار الهواء الخفيف البارد . وفيما هــو ينتظر ، مضى القسيس قــائلا :

ــ ما كنت تحدثني به عن أوستن قد ينطبق عليك . فبوسعي ان اتصور انسانا بحاجة الى هدف أخلاقي ، انسانا يشعر بان الحياة عديمة المعنى ...

فقاطعه سورم بقوله :

ــ قال لي اوستن مرة شيئا من هذا القبيل . قال انــــه كان يشعر بالتفاهة واللامعنى ... كلا بل باللاهدف ، هذا ما قاله .

ــ صحيح ؟ ومــاذا قــال ايضا ؟

ــ اوه ... تحدث عن شعوره بانه ينبغي الا يكون حيا . وقال انه اذا كانت هنالك عدالة على وجه الارض لكان مات ، شيئا على هذا النحو . ولكن لا تنس انه كان فى حالة من الكآبة فى تلك الليلة .

ــ اللاهدف . ينبغي ان اعترف لك بانك تدهشني . ولكن الكلمــة تدعم قولك . غير اني كنت على وشك ان اقول لك ... بوسعي أن اتصور انسانا يحس بالحاجة الى ان يذهب مذهب الخير والشر ، ان يهرب مـــن الاحساس بالعبث . ويمكنني أن اتصوره يرتكب جريمة ما لمجرد ان يبرهن لنفسه بانه قادر على اتيان الشر ، وعليه فهو ليس من ... دون هدف . لم تمر بي قط طوال حياتي حالة كهذه ــ ما عدا،ربما ، فى الاحداث الجانحين.

فقال سورم وهو يهز كتفيه :

ــ بالطريقة التي تتحدث بها ، اني اتفق انها لا تبدو محتملة . ولكني لا اتحدث عن الدوافع الواعية . انا اقول لو فرضنا جدلا بان اوستن هـــو القاتل ، فاني افهم دوافعه . أعني ، خذ اوليفر غلاسب مثلا ... انه مــن نفس الفصيلة . لقد التقيت به مرارا عديدة خلال هذا الاسبوع ، ايها الاب ، واظنني اعرف الكثير عنه الان . على كل حال ، اني اعلم بأنه ما كان ليعاني اي نوع من التوتر لو كان يؤمن بعبقريته . لكان لديه هدف حينئذ . ولكــن والحالة هذه ، فقد اشبك نفسه فى علاقة مع طفلة فى العاشرة من عمرها مــن الاحياء الفقيرة . وتمنحه هذه العلاقة احساسا بالمعنى من يوم لاخر ، وهذا هو ما يحتاجه ليتسمر على الحياة . ولكنه لا يؤمن بواقعه الى الحد الكــافي الذي يبقيه حيا دون شيء من هذا القبيل . اتفهم ما احاول ان اقوله ، ايهــا الاب ؟ اوليفر بحاجة الى الاشخاص اكثر من الافكار ــ انه انسان عاطفي . وعليه ، فاذا ما احس بالتوتر مضى يفتش عن الاشخاص . اما انا فاحتاج الى الافكار اكثر من الاشخاص . واذا ما تمردت ، كانت ثورتي ثورة فكريــة . ولكن اوستن شخص حسي وعاطفي فى نفس الوقت . انه يريد مخرجا ماديا جسديا لثورته ــ سياقة السيارات السريعة ، قيادة الطائرات . الا يبـــدو التفسيــر صائبـــا ؟

كان مندفعا فى كلماته المنفعلة ، وعندما توقف انتابه احساس بالاثم . كان الاب كاراثرز يصغي وهو متدلي الرأس مغلق العينين ، ولعله كا نائما .

وقال دون ان يفتـح عينيـه :
ـ نعم تبدو على صواب .
وقال سورم :
ـ أخشى اني اتكلم اكثر مما ينبغي .
ـ انـا آسف . اريد ان أسدي لك عونا اكثر . ولكني في غاية التعب .
ـ نعـم ، سأرحل الان .
ـ اذهب وابحث عـن أوستن .
ـ ان استطعت ايجـاده !
ـ جرب شقة كينسيغتن . خـذ تاكسي .
ـ طيب . ولكني ساذهب بقطار النفق .
وقـال القسيس :
ـ افتح ذلك الدرج خلفك . . . كلا ، ذلك الذي على اليسار . هنـاك علبة من البلاستيك . . . نعم ، شكرا .
وفتح العلبة السوداء التي ناوله اياها سورم واخرج منها باونا .
ـ خذ هذا واذهب بواسطة تاكسي .
ـ كلا ، حقا ، ايهـا الاب .
ـ خذه . انا لا احتاج الى النقود هنا ـ اذ اقضي ايامي في الفراش . وبالاضافة لذلك،فانك تقوم بمهمة لي.لاني كنت سأذهب لو استطعت.خذه.
وتناول سورم الباون على كره منه ودسه وهو مطوى في جيبه العلوي . وقـال :
ـ شكرا ، ايها الاب . هل اتصل بك تلفونيا لاعلمك بالنتيجة ؟
ـ كلا . اذا وقع أمر مهم ، فعد الي . فأني سأنام الان .
ـ حسنا ، ايها الاب ، شكرا . اتمنى لك شفاء عاجلا .
ـ شكرا يا جيرارد .
وخرج من الباب الأمامي . وفيما هو يلتفت عند الزاوية التقى بروبن مونسيل الذي كان يعدو نحوه عبر الشارع . وقال مونسيل :
ـ طيب ، يا جيرارد ، انك انسان غريب ، اذ اني اسمع بانـك تروح وتغدو دائما لدى الاب كاراثرز .
وقـال سورم وهو يشعر بالأحراج :
ـ كيـف حـالك ؟
ـ انا بخير جدا . ولكن كيف تجري الامور معك ؟ هل انتما تهيئان حملة لتغيير عقـائـد نـن ؟

فقال سورم بابتسامة مفتعلة :
ــ شيء من هــــذا القبيــل .
ــ تفضــل لتنــاول كوب شاي .
ــ كلا ، شكرا ، يا روبن . كلفني الاب كاراثرز بالقيام بمهمة له .
ــ حقــــا ؟ وهــل ستعود ؟
ــ اظن ذلك . فى وقت متأخر من النهار .
ــ طيب ، اراك على عجل شديد . ربما سأراك فيما بعد .
فقال سورم وهو غير صادق :
ــ انا ذاهب لتناول الغداء الان . احس بالجوع قليلا . ولكني سأراك فيمــــا بعــــد . . .
ــ طيـــــب .
وبينما كان سورم يهم بالانصراف ، قال مونسيل :
ــ بلــــغ تحياتي لاوستـــن .
فالتفت سورم مندهشا ، ولكن مونسيل كان قد بلغ مدخل البناية .
واختار شارع روزبري افينيو ، وهو يمشي نحو لمغيث سركس وقد قرر أن يستقل سيارة تاكسي من هولبورن . كانت رقبته لم تزل رطبة من العرق الذي اسالته حرارة الغرفة ، وكان يحس بجفاف بحنجرته . ولسبب لايعلمه ، لم يكن يتوقع وجود نــن فى شقته فى كينسنغتن . انه لن يجد نــن فى اي من الامكنة التي اعتاد ان يقصدها ان كان يبغي تفادي رجال الشرطة . . . وتذكر فجأة الالبسة النسائية . كان الايضاح الذي قدمه نــن فى ذلــك الوقت غير مقنع . بيد أن شكوكه الجديدة لم تمنحه فرضية مقنعة ايضا بصدد هــــذه الألبسة .
وعندما بلغ شارع غليت دخل أول حانة مر بها . وطلب قدحا مــــن البيرة الخفيفة ، وشرب نصفه قبل أن يحس بحرارتها فى حنجرته . فابتسم لصاحب الحانة قائــلا :
ــ آه ، ذلــك افضــل .
وسمع صوت احدهم يصيح :
ــوداعــــا يــــا جورج !
ــوداعــــا يا مستر بيـــن .
فقــال سورم :
ــ كان هــــذا بيــل بيــن ؟
ــ نعـــم ، يـــا سيدي .

فأسرع الى خارج الحانة والفى بيـن على وشك عبور الطريق . وهتف:
ــ هلـــو ، بيـــل !
ولكن صخب المرور طمس صوته ، وبينما كان بيـن يهم بترك الرصيف قفز سورم نحوه ومس ذراعه . وقال بيـن :
ــ هلو ، يا جيرارد ! مــاذا تفعل هنــا ؟
ــ اتناول جرعة من الشراب . تعال وشاركني .
ــ هناك ؟ اين انت ؟ لم ارك ؟
وقـــال صاحب البـــار :
ــ عـــدت سريعـــا !
فقـــال بيـن ضاحكـا :
ــ جئت بصديقي هنا كحجة لقدومي معه . ماذا تشرب ، يا جيرارد ؟
ــ لدي قدح ، شكرا . شاركني بالشراب . اي نوع ؟
ــ كالمعتاد ، رجاء ، يا جورج . لنذهب الى الطاولة المجاورة . برودة الخشب هنـــا تخترق العظام .
كانت النار تشتعل فى صالة الحانة . وحمل بيـن قدحه الى الطاولـة ووقف الى جوارها . وقـال :
ــ هل سمعت بالانباء ؟
ــ عـن القـــاء القبض ؟ نعم .
وقـــال بين بدهشة :
ــ ايـن سمعت بهـــا ؟
ــ من أحـــد الاطباء التابعين للشرطــــة .
ــ ستـــــار ؟
كلا ، شتاين ــ الطبيب الالماني الذي اعرفه يعمل لهذه القضية . جــاء صباح هذا اليوم ليتتبع قضية الرجل العجوز . واتصلوا به تلفونيا اثنـــاء مــــا كــان عنــدي .
ــ صحيح ؟ تعني انهم قالوا له بأن المطاردة انتهت ؟
ــ اوه ، كلا . قبض على ذلك الرجل فقط . وقد اعترف شتاين بانه من المحتمل الا يكون هو الرجل المطلوب .
ــ لمـــــاذا ؟
ــ على كـل ... الامر واضح بالتأكيد ؟ انه لم يعترف بانه ارتكـب كل حوادث القتــــل .
ــ ؟ ، انك اذن لم تسمع باخر الانباء . لقد اعترف اعترافا تاما .

ـ مـــاذا ! اعترف بمـــاذا ؟

ـ اعترف بجميع حوادث القتل ـ ما عدا أحدى المراتين اللتين وجدتا قتيلتين فى تلـــك الليلة .

ـ انـــت متـــأكد ؟

تماما . وصل النبأ قبل ان اترك المكتب بقليل .

ـ ما هو النبأ ؟ هل تعرف التفاصيل ؟

ـ قسما منها . هل سمعت بالهجوم الليلة الماضية ؟

ـ نعـــم .

ـ طيب . راى الشرطة اثار الفحم على حنجرة المراة ويديها . كانت فاقدة الوعي طبعا . فقاموا بتنفيذ خطة تامة لملاحقته . ولا يعرف كيـــف وصل الى الاحواض ـ بالقرب من مرفأ لايمهاوس . فرآه احدهم فى الوقت الذي كان يهم بتسلق الجدار هذا الصباح . ويقولون انهم وجدوا ركبته مكسورة . وحاول ان ينظف الفحم من وجهه ، غير ان آثاره بقيت عالقة . فساقوه الى مركز شرطة الشارع التجاري ولكنه أنكر الجرائم ـ بالرغم مـن انه اعترف بمهاجمة المراة فى الليلة الماضية . ثم اخذوه الى سكوتلانديارد . فاعترف بكل شيء . هذا ملخص الامر !

كان من العسير على سورم ان يخفي شعوره بالارتياح المنعش الـــذي دفعه الى الرغبة فى الضحك . وقـــال :

ـ اذن فقد اصطادوه !

فقـــال بين :

ـ اجـــل اصطادوه .

ـ هل يعرفون شيئـا عـن دوافعه ؟

ـ كلا . ولكنه معتوه قليلا . لا يستطيع التكلم جيدا ـ له شفتـــا ارنب ـ وقد كان تحت المراقبة لجريمة سرقة كان قد ارتكبها .

ـ معتوه ؟ لا يبدو الامر مشجعا .

ـ لمـــاذا ؟

ـ اخبرني شتاين بانه فى قضية دوسلدورف القوا القبض على معتـوه اعترف بالجرائم ، ولكنه لم يكن القاتل فعـــلا .

ـ اعتقد ان الشرطة نفسها واثقة من ذلك . لو لم يكونوا على يقين لما اذاعوا اعترافاته . على كل حال ، من اجل الشرطة ، نأمل ان يكونوا قـــد قبضوا على المجرم .

ـ كـل واحد يأمل ذلك . لكن لماذا قام بطلاء وجهه بالفحم فى الليلة

الماضية ؟ لم تكن هنالك اية علامة للفحم فى الجرائم السابقة . وقد اخبرني شتاين بانهم يبحثون عن هذا الابله منذ اسابيع حيث كان يثب من خلف مداخل الابواب ويخيف النساء . لا يبدو انه القاتل .

وقال بين بتأمل :

ـ لعلك على حق . هذه نقطة صائبة . ساذكرها للشخص الذي بعد المقال الصحفي عنها . وعلى كل حال ، لماذا يعترف بالجرائم اذا لم يكن هو القاتل ؟

ـ ربما كانت الشرطة فظة معه . تقول ان ركبته كانت مكسورة . فلم يستطع المقاومة اليس كذلك ؟

ـ ولكن الشرطة لا تريد منه اعترافا اذا لم يكن القاتل .

فقال سورم وهو يهز كتفيه :

ـ لست ادري . انها مسألة تخمين فقط . آمل ان يكون هو الشخص المطلوب . ما اسمه ، بالمناسبة ؟

ـ اوه ... بينتلي ، الفريد بينتلي ، يعيش فى بريكستون .

فقال سورم :

ـ ولكنه كان يعيش في وايتشابل قبلا .

ـ صحيح ؟ هل انت واثق ؟

ـ هذا ما قاله شتاين لي .

ـ لم اكن اعرف هذا . فهو اذن يعرف المنطقة جيدا . اسمع ، يا جيرارد . الافضل ان اذهب الان الى المكتب . ما اسم هذا الطبيب الالماني ، اذا ما اردنا الاتصال به ؟

ـ شتاين . فرانز شتاين . انه يعمل مع ماكمردو .

ـ طيب. اشكرك جدا . قد اتصل بك فيما بعد. لنلتقي ونشرب كأسا.

ـ حسنا . سأراك فيما بعد ، يا بيل .

وبعد أن ذهب بين اتم بقية شرابه وهو يحدق فى النار . كان انفعاله قد تحول الى شك . واعاد القدح الى طاولة البار ، وذهب الى شارع فليت واوقف سيارة تاكسي .

وعندما استدار التاكسي نحو بالاس غيت ، سأل سورم سائقه :

ـ هلا انتظر فى نهاية شارع كانينغ بليس ؟ لن يطول غيابي .

وفيما هو يسير نحو البيت ، فكر انه فى استطاعته ان يعود ليصرف التاكسي اذا كان نن موجودا . ولم تكن لديه رغبة في ملاقاة فانيت،وخشي أن يستوقف التاكسي اهتمامه .

وانفتحت البوابة الخارجية بصرير . كانت الستائر خلف قضبــان النوافذ مسدلة . فضغط على الجرس وراح يصغي بانتباه . وتناهى اليــه صوت الجرس يرن فى الداخل . ولم يسمع صوتا اخــر . وضغط الجرس ثانية . وبعد انتظار نصف دقيقة اخرى اخرج من جيبه ظرفا قديما وكتب عليه رسالة قصيرة ودسها في صندوق الرسائل . وفتح بــاب البيــت الامامي ، فى اعلى،واطل منه رجل لم يقع عليه بصره فى حياته وقال الرجل:

ــ اوه .

ثم اختفى الراس ، وانغلق الباب الامامي ثانية . وقرر سورم المغادرة على الفور وهو يخشى ان يراه فانيت . وشعر بتحسن عندما انغلق بــاب التاكسي خلفه . واعطى السائق عنوانه فى كامدن تاون .

* * *

واذ هو يمر بالتلفون فى الصالة توقف وادار القرص برقم شقة نن ، وهو يعلم ان الامر لا يجديه شيئا . وبعد هنيهة قالت الفتاة :

ــ لا جواب من الشقة يـــا سيدي .

وبحث في جيوبه عن قطعة اخرى من النقود، وفتح دفتر العناويــن واسنده على صندوق النقود وادار رقم كارولين . فاجابه صوت رجــالي ذو لهجة لندنية :

ــ انتظر لحظة . سأناديها . من المتكلم ؟

وبعد لحظة قال صوت كارولين :

ــ جيرارد ! هلو ، يا عزيزي .

ــ هلو ، ايتها الحلوة . كيــف الاحوال ؟

ــ بخير . ماذا تفعل الان ؟

ــ لا شيء . هل سمعت بالقاء القبض على مجرم وايتشابل ؟

ــ نعم ، سمعتها من الراديو الان . اليست مثيرة ؟

ــ مهولة . كيف تشعرين ؟

ــ اوه ، بخير الان . لقد شفيت .

ــ هل هناك احد معك ؟

ــ كلا ، لقد ذهب والدي الى الطابق العلوي .

ــ متى يمكنك المجيء عندي ثانية ؟

ــ ليس اليوم ، يا عزيزي ، اخاف .

ــ هل لديك ما تفعلينه الليلة ؟

ــ كلا،ولكن والدي لا يريدانني ان اذهب الى المدينةيوم الاحد . يقولان

اني اقضي كل اوقاتي هناك . يمكنني ان آتي غدا ...

ـ غدا . فليكن غداء مساء ، اذن ؟

ـ طيب ، يا عزيزي . اني اتوق لرؤيتــــك .

وصعد الى غرفته وهو يحس بخيبة غريبة . كان التوتر الذي انتابـه في الصباح قد اثار فيه الشعور بالتوقع . وبدا له قضاء بقية يومه لوحـده ضربا مـــن الانتكاس .

وفي غرفته فتح علبة من حساء الطماطم ، وراح يتناول محتوياتها مـع قطعة من الخبز والزبدة . ثم اخذ مجلدا لاشعار بليك من الرف وحاول ان يقرأ فيه أثناء تناوله الحساء الحار . ولكنه اعاد الكتاب الى الرف بعد دقائق قليلة واخذ كتاب « عودة شرلوك هولمز » كانت هذه المحاولة موفقــة اكثر . وقرا اربع قصص قبل ان يصيبه التعب . كانت الساعة الان في الثالثــــة مساء . وتذكر دعوة المس كوينسي له ، ولكنه لم يشعر برغبة حقيقية فـي الذهاب الى هناك . كان يفضل ان يقضي المساء مضطجعا في الفراش مـــع كارولين . فتمطى وتثاءب وراح يدعك عينيه باصابعه ، ثم نهض واخذ ينظر من خلال النافذة . كان اليوم رماديا باردا . ثم طبع ملحوظة على ورقة صغيرة بالالة الكاتبة ثم ارتدى معطفه وهبط السلم ، بعد أن اقفل باب غرفتــــه . ووضع الملحوظة على التلفون وخرج .

* * *

ولاح عليها السرور برؤيته .

ـ تعال وذفيء نفسك . كنت اتوقع مجيئك .

ـ حقــا ؟ لمـــاذا ؟

ـ اتصلت بك تلفونيا توا ، وقالت لي الفتاة انك تركت رقما تلفونيا ، وعندما سألتها عنه فاذا به رقمي !

كانت نار الفحم تشتعل في غرفة الجلوس . كانت الستائر مسدلة وقد اضفى المصباح الكهربائي على الغرفة جوا من الدفء . واحس فجأة بالسرور لمجيئـــه .

ـ ايـــن اوليفر اليوم ؟

ـ أوه ... في البيت ، على ما اعتقد . ماذا كان راي الاخ روبنز فيه ؟

ـ أوه ... ظن انه شيوعي . ولكنه شعر بميل نحوك .

فقـــال سورم :

ـ همممم .

وسألتـه وهي تبتسم :

ــ انك لم تمل اليه كثيرا ، اليس كذلك ؟
ــ كــلا . وانت ؟
ــ انه انسان طيب جدا . انه يقوم بقسط هائل مــن الفعاليات الاجتماعية بالاضافة الى عمله لنـا .
ورأت سورم يقطب عند ذكرها كلمة « لنا » فامتقع وجهها . وسألت :
ــ ما الذي يجعلك لا تميل الى الاخ روبنز ؟
فقــال سورم :
ــ انا لم اكرههبصورة خاصة . ولكني لا يسعني ان اتصور كيــف تختلطين بهذا الضرب من الناس . انا لا اعترض على الاشخاص المتدينيــن الاذكياء . ولكن ليس هناك من لا يدرك ان هذا الانسان هو بهلول .
فاجابت وهي تهــز كتفيها :
ــ صحيح انه لا يتميز بالذكاء . ولكنه رقيق القلب ، وهذا هو اهم شيء .
ــ اظن ذلك . اذن ، ما الذي يمنعك من الانضمام الى الكنيسة الكاثوليكية او المعمدانية اذا كان هذا هو كل ما يهم في الامر ؟ ستجدين هنالك ايضــا رقيقي القلوب ، على مــا اظن .
ــ يمكنني ان اجيبك بعبارة واحدة ، وهي اني لا اطيق الكنائس .
ــ لا ؟
ــ لا . لست اعلم لماذا . عندما كنت طفلة صغيرة ، كنت اصــاب بالغثيان داخل الكنيسة .
ــ وهذا هو فقط سبب كونك من شهود يهوه ؟
ــ كلا بالطبع . ولكنه سبب عدم انضمامي الى طائفة كنسية قبــل ان اصبح من شهود يهوه .
ــ ولكن بالتأكيد لشهود يهوه كنيستهم ايضا ــ قاعة الملك ، او لا اعلــم مــاذا يسمونهــا ؟
ــ نعــم .
ــ الا تذهبين هنــاك .
ــ ليس غالبا . مرتين في العام، ربما . ولكني احضر اجتماعات الصلاة في بيوت اعضاء اخرين ــ وبالطبع اعقد مثل هذه الاجتماعات هنـا .
ونظر سورم الى وجهها الذي كان يضيئه اللهيب ، واحس بها كأنهــا شخصية مختلفة . لاحت اصغر سنا مما هي عليه ، وكذلك اكثر ضعفا . كان ينمو في اعماقه نوع من الفهم لها .
ــ ولكنك لم تشعري بالنفور عينه من الكتاب المقدس ؟

ــ اوه ، كلا . على الاقل ، كنت أشعر بذلك وانا طفلة صغيرة . او ، بنبغي ان اقول ، كنت لا اكترث له . كنت لا افهم مطلقا لماذا يقولون « انت » بدلا من « انتم » (1) وغير ذلك من الاشياء . ومرة من المرات لطمتني مربيتي عندما ظنت اني كنت اهزأ بالكتاب المقدس . كنت أريد ان اعرف لم يتحدث الكتاب المقدس دائما عن الناس انهم « نهضوا » . مثلا ، « ونهض وذهب الى ارض آز » . كنت اقول ان العبارة تترك انطباعا بأن العبرانيين القدماء كانوا جالسين كل الوقت ، فاذا ما نهضوا على اقدامهم اعتبر الامر حدثا جليلا .

فقال سورم ضاحكا :

ــ يبدو انك كنت ميالة للنكتة !

ــ كــلا . كنت جـادة .

واخذ جرس التلفون بالرنين . فذهبت للاجابة عليه وهتفت بعد قليل:

ــ انــه لــك .

ــ طيــب . انـــه اوستن .

ــ كــلا ، بــل اوليفر .

ــ اوليفــر !

وذهب الى التلفون وقــال :

ــ هــلو ، اوليفــر .

ولاح صوت غلاسب مكتومـا .

ــ اسمع يا جيرارد . هل يمكنك مساعدتي ؟ اني في موقف حرج .

ــ كيــف ؟

ــ انا في مركز شرطة الشارع التجاري . مقبوض علـي .

ــ باللــه لمــاذا ؟

ــ أوه . . . الامر يتعلق بكريستين . لقد قدم والدها شكوى ضـدي .

ــ مــا هي التهمة .

ــ اغــواء قــاصرة .

ــ ولكن . . . لكن الامر جنون ! اعني . . . ليس لديهم دليل . انهــم بمجرد فحصها سيعلمون ان الامر هــراء .

فقــال غلاسب :

ــ أعلم ، ولكني الان في السجن . وقد هربت كريستين ، ولذا فقــد ابقي محجوزا حتى يجدوها .

---

(1) كلمة « انت » المقصودة هنا ، كلمة قديمة تذكر في النصوص الادبية القديمــة ولا يستعملها الفرد العادي . (المترجم)

ـ يا الهي ! مشكلة مزعجة حقا ! الا يمكن عمل شيء ؟

ـ نعم . يمكنك اخراجي من هنااذااستطعت أن تقرضني خمسة وعشرين باونا لدفع الكفالة . واذا لم تستطع ، انا واثق ان الاب كاراثرز يمكنه ذلك .

ـ حسنا انتظر . سآتي اليك حالا بالنقود . ساراك خلال ساعة . خمسة وعشرين باونا .

ـ اشكرك جدا ، يا جيرارد . لا اريد انابقى اكثر مما ينبغي فى هذا المحل الكريه .

وخرجت المس كوينسي من الغرفة وهي تقول :

ـ خمسة وعشرين باونا ؟ ماذا يريد أن يفعل بالنقود ؟

وكانت تحمل صينية عليها اناء الشاي .

ـ كفالة . انه فى مركز شرطة وايتشابل .

ـ لماذا بحق السماء ؟

ـ متهم باغواء فتاة قاصرة . الديك خمسة وعشرون باونا نقدا هنا ؟

ـ كلا ... اغواء قاصرة ؟

ـ لغو باطل ، بالطبع . فى الواقع ، هناك فتاة صغيرة كان يبدي اهتمامه بها . يعتقد ان لها ملكة فنية . وابوها رجل مدمن على الشراب وهو يحاول ان يثير المتاعب . ستعتبر الدعوى باطلة حالما يفحصها الطبيب ... لا ادري هل يقبل الشرطة صكا بالمال ؟

ـ أ ... اعرف شخصا لعله سيصرف الصك . ولكن ما اسخف الامر! ينبغي على غلاسب ان يكون على حذر حقا . اينبغي عليك الذهاب حالا ؟ تعال واشرب قدحا من الشاي اولا .

وتبعها الى غرفة الجلوس . وقالت :

ـ هل لديك خمسة وعشرون باونا ؟

ـ كلا ، فى الواقع . ولكن اوليفر يعتقد ان الاب كاراثرز لديه المال .

ـ هذا القسيس الكاثوليكي ؟ اشك ان يكون لديه هذا المبلغ نقدا . اعتقد ينبغي ان اقرضه المال انا .

ـ ذلك لطف عظيم منك . وسيعيده بالطبع .

ـ اعرف شخصا يسكن قريبا من هنا يمكنه ان يصرف الصك . ولكن ما اسخف الامر مع اوليفر !

وقص عليها ، وهو يحتسي الشاي ، ما قاله له اوليفر فى الليلة الماضية . واستمعت اليه بوجوم ، وعندما اخبرها عن الطفلة عندما وقفت ليرسمها

قـــالت معلقة :

ــ كـــان ذلك غبـــاء منه !

وقـــــال :

ــ يمكنني أن افهم دوافع اوليفر . انـــه انسان وحيـــد . انه بحاجـــة الى الاشخـــاص .

ونهضت .

ــ ساذهب للاتصال تلفونيا بصديق لي يعمل محاميا . انه يحتفظ عادة ببعض النقود في بيته لمثل هذه الاحوال الاضطرارية .

وشرب قدحا أخر من الشاي عندما كانت تتحدث بالتلفون . وظلت تتكلم فترة طويلة . وراح يعدل النار وهو يجلس القرفصاء على السجادة ، ويفكر : لم يشتبك اصدقائي كلهم بقضايا العنف ؟ ولم امقت العنف الى هذه الدرجة؟ هل سبب ذلك هو الجبن او الكسل ؟

وقـــالت :

ــ تحدثت الى صديقي عن الموضوع . اعتقد أن أوليفر في وضع سيء نوعا . وحتى لو كانت الفتاة لم تزل بكرا فيمكنهم اتهامه بمحاولة اغتصابها . وفي هذه الحالة ، الامر كله سيتوقف على ما ستقوله الفتاة . فـــاذا مـــا لمحت بأية كيفية كانت على أنه حاول ذلك معها عندما كانت تقف ليرسمها ، فـــانهم سيسوقونه بالتأكيد الى السجن .

وهز سورم كتفيه ، محاولا أن يخفي شكوكه . وقـــال :

ــ هذا حسن . فمما قاله ليس هنالك اي احتمال لهذه الفكرة .

ــ امل ان تكون على حق . واذا ذهبت الى محطة « همبستيد هيث » فانك ستجد عنوان هذا المحامي مقابلها . اسمه بيتيفورد . سأكتب عنوانه لك ، وسيعطيك المبلغ . هل ستعود الى هنا فيما بعد ؟

ــ حسنـــا .

ــ اليك العنوان . اذهب باتجاه شارع أيست هيث الى ساوثنيد غرين، ولا يمكنـــك ان تخطـيء .

* * *

ولاح غلاسب اشعث الشعر مجهدا . وجاء الى المكتب يرافقـــــــه شرطيـــان . وقـــال :

ــ شكرا لله ، لقد جئت يـا جيرارد .

ودهش سورم لابتسامته التي تعبر عن الطيبة والامتنان . وقال :

ــ آســـف لتـأخري .

وقال موجها السؤال الى المفوض :

ــ هــل يمكننا الذهاب ؟

ــ نعم . ولكن ينبغي على صديقك ان يبقى حيث يمكننا الاتصال بـــه والا قــــد تفقــد نقودك .

فقــال سورم بصورة تلقائيــة :

ــ شكـــــرا .

وفيما هما يغادران مركز الشرطة ، اقترب منهما رجل . ولاحظ سورم ان غلاسب ينكمش بعصبية . والقى الرجل بيد سورم ورقة وقال :

ــ خـــــذ واحــــدة .

ــ شكـــرا .

ــ وواحـــدة لصديقك .

والقى سورم نظرة على الورقة المطبوعة وهما يعبران الشارع . كانت معنونة : نريد العدالة لسكان وايتشابل ! وكان النداء قصيرا :

« ان الرجل الذي يحتمل ان يكون قاتل النساء الست هـــو الان في قبضة الشرطة . وان الاغنياء الكسالى والبرجوازيين القذرين يأملون ان يعتبر القاتــل معتوها ، وهم سيحاولون بكل الوسائل ان يحبطوا خطوات العدالة . غير ان سكان وايتشابل هم الذين عانوا ، وان سكان وايتشابل هم الذيـــن ينبغي ان تكون لهم الكلمة الاخيرة . يجب ان يصعد بينتلي على المشنقة ! واذا وقفنا صفا واحدا فلن يستطيع كل الاطباء النفسانيين في العالم انقــاذه . ونحن متهيئون للهجـــوم . »

وقـــال سورم :

ــ هذيان مشوش غريب ! لم يريد الاغنياء الكسالى ان يعتبروه معتوها؟

اما غلاسب فراح يلف ورقته ثم القى بها في مجرى الماء ، وهـــــــو يهز كتفيــه بامتعاض . وقــال :

ــ العالم مليء بالاشخاص الذين يجب أن يكونوا وراء القضبــان ــ في حديقة حيوانات ! انهم ليسوا افضل من الحيوانات .

والقى سورم بورقته في سلة اوساخ كانت مثبتة في سياج كنيسة رين .

ــ ماذا تنوي ان تفعله الان يا اوليفر ؟ تقول جيرترود انه يمكنك ان تمكـــث عندهـــا .

فقـــال غــلاسب بتهكم :

ــ هـــذا لطف منها .

ــ هي التي اقرضتني النقــود .

ـ صحيح ؟ هل كان من اللازم ان تخبرها بالامر ؟
ـ لقد اخبرتهـــا . . .
وهز غلاسب كتفيه باستيـاء .
ـ ما دامت لا تفرض علي اصدقاءها الذين ينادون بالعودة الى المسيح .
ـ ولكن أين تعتزم الذهاب الان ؟
ـ ايـن تظنني اذهب ؟ الى البيت .
ـ وهل . . . يضيرك . . . اذا تركتك الان ؟
وقال غلاسب بدهشـة :
ـ لمـــاذا ؟
ثم انطلق ضاحكا فجأة ، ووضع يده على كتف سورم لحظة .
ـ يؤسفني أن ظهرت حاد الطبع . انهم الشرطة الملاعين وهذا الوالد الخنزير . . . كم اتلذذ بقتل هذا النغل . عندما تنتهي القضية ساذهـــب لاستشارة محام لاتحقق هل استطيع ان اقاضيه لاساءة سمعتي . . .
ـ كم بقيت هنـــالك ؟
ـ في مركز الشرطة ؟ منذ حوالي الساعة التاسعة صباحا . ثم اتصلوا بشرطي ذي رتبة عالية ليسألوه عن قضية الكفالة . هل تذكر ، اخبرتك عن الخصام الذي جرى بيني وبين ابيها ؟ كان الشرطي نفسه هناك اليوم . ولذا فقد بدا في قصتي عن حقده علي بعض الصحة .
ـ ولكن أين كريستيـــن ؟
ـ لست ادري . لم أر اباها بعد . كل ما فهمته هو انه لا يمكن العثور عليها . لعلها مختبئة في مكـــان مـا .
ـ متى بـدأت هذه الضجة كلها ؟
ـ الليلة الماضية، على ما اظـن .
ـ ولكن لماذا ؟ قلت لي انه هدد بعرضها على الطبيب قبل ذلـــك ، ومـــن ثم سكنت العاصفة .
ـ لا يمكنك التكهن حول أناس كهؤلاء . انه رجل سكير . ربمـــا تخاصم مع زوجته ، أو ربما اخبره احدهم بأنه رأى كريستين تخرج مـــن بيتي . كل شيء ممكــن .
ـ اتعلم انه يستطيع ان يتهمك بمحاولة الاغواء ، حتى اذا قرر الطبيب انهـا لم تزل بكـــرا .
فقـــال غـلاسب :
ـ واذا كان ذلك ؟ ما عليهم الا ان يسألوا كريستين .

ـ ولكنك ... لم تخبرهم عن وقوفها لترسمها ؟
ـ كــــلا .
ـ اتظنهم يعلمـــون ؟
ـ لا اعتقد ذلك . كيف لهم ان يعلموا ؟ انها لن تخبرهم .
ـ ولكن افرض انها ارتبكت وخافت ؟ الاطفال يفعلون ذلك ، اتعلم ؟
ـ ومـــاذا يهم ؟ مـا دامت تقول الحقيقة ، فلن ابالي بشيء .
ـ كلا ... اظن ذلك . انك تحتاج الى محام فى الواقع .
ـ لا ارى سببا لذلك . ينتهي الامر كله عندما يفحصها الطبيب .
ـ متـــى هربت ؟
ـ صباح اليوم . يا لها من طفلة حمقاء ... اخبرها ابوها الليلة الماضية بانه سيأخذها ليعرضها على الطبيب صباح اليوم . اعتقد ان امها ليســت هنـــاك . وهكذا تسللت هاربة صباح اليوم . وبطبيعة الحال ، ظــن ان لديها شيئا تريد اخفاءه ، فذهب الى الشرطة .
ـ وكيف يقبضون عليك دون اي دليل ؟
ـ لانه رفع شكوى . اعتقد انه اخبرهم بانها اعترفت له بشيء .
ـ مـــاذا ! بانك قمت بـ ...
ـ تماما . ربما كان سكرانا عندما سألهـا .
ـ ربما سبب لها اذى وجعلها تصرخ باية كلمات لمجرد ان تتخلص منه .
ودهش سورم للهدوء الذي يتميز به صوت غلاسب ، ولم يكن فيــه الغيـــظ الذي توقعه .
ـ فى هذه الحالة ... قد يمكنك مقاضاته فيما بعد لتوجيه تهمة كاذبة اليك . ينبغي أن ترى محاميا .
فهز غلاسب كتفيه وقـــال :
ـ وادفع له اغطية القناني بدلا من النقود ؟
ـ لا يكلفك غاليا . وانا واثق مــــــن ان الاب كاراثرز او جيرترود سيقرضانك النقود ...
فقـــال غـــلاسب :
ـ سافكر فـــي الامـــر .
فأحس سورم بان غلاسب كان يحاول ان يسكته فقــال :
ـ الامر متروك لك ، على ايـــة حال .
كانا قد وصلا بالقرب من بيت غلاسب فى شارع داروارد . وفيما هو يحاول ادخال المفتاح ، انفتح الباب . وتوقع سورم أن يجد المرأة العجـــوز

مختبئة خلف الباب . وقـــالت :

ــ اواه ... اهذا انت . ظننتك في السجن .

فمــال سورم الى الامام وصاح في اذنهــا :

ــ كــلا . كل شيء على ما يرام الان .

ــ اواه ، كل شيء على ما يرام ، ها ؟ لماذا تركوك تخرج ؟

فصاح غلاسب :

ــ لا يمكننـــي ان اشرح الامر الان .

ثم اندفع الى الغرفة الامامية واغلق الباب وراءه . وصاحت العجوز :

ــ لا اريد اشياء مثل هذه تحدث في بيتي . انـــا امرأة عجوز اعيش بتعبي ، ولا اريد اشياء مثل هذه تحدث في بيتي .

فصـــــاح غــلاسب :

ــ هل كان الشرطــة هنا ؟

ــ الشرطة ؟ نعم ، كانوا هنا . يجب ان تغادر . لا يمكنني احتمال ذلك .

فالتفت غلاسب الى سورم وقال بهدوء :

ــ اذهب الى غرفتي ريثما اشرح الامر لهذه البقرة الشمطاء ...

وبينما كان سورم يرقى الدرجات العارية ، ويشم رائحة زيتالبارافين المعهودة ، سمع العجوز تصرخ :

ــ لم تحدث لي اية متاعب مع الشرطة قبــلا ...

وصـــاح غــلاسب :

ــ ليس الخطأ خطئي . يمكنني ان اشرح ...

ودخل غرفة غلاسب واغلق الباب خلفه . كانت رطبة باردة . ووجد علبة ثقاب على عتبة النافذة واشعل المدفأة النفطية والموقد الغازي . ووجد ابريق الماء فملأه بالماء ووضعه على الموقد . وبعد دقائق قليلة دخل غلاسب . وقـــــال :

ــ كان اولاد القـ ... الشرطة هنا وتحروا المكان .

ــ ماذا ؟ ولكنهم بالتأكيد لا يمكنهم عمل ذلك دون امر ؟ هل كـــــان لديهـــم امــر ؟

ــ كــلا . انهم فقط طلبوا السماح من المراة . والبيت بيتها .

ولكن الغرفة غرفتك . انا واثق انه غير مسموح لهم ان يفعلوا ذلك . يجب ان ترى محاميــا .

والقى غلاسب نفسه على المقعد ، وراح يدفيء يديه فوق المدفـــــأة النفطية وقـــال بكآبـــة :

ـ تريدني هذه العجوز النكراء ان انتقل من هنا . يا له من حقير والد كريستين هذا ! ... اود لو اقتله . لم تفعل هذه الحيوانات الحقيرة مثل هذا الارتباك في حياتي ؟

ـ لا تهتم . الامر كله مهزلة ... ولم يفتشون غرفتك ؟ ماذا يتوقعون ان يجدوا ؟

ـ كريستين بالطبع .

ـ اوه ، نعم .

وقال غلاسب بمرارة :

ـ او ربما يبحثون عن جثتها . لا اظنهم تركوا تهمة دون ان يلقوا بها علي .

وراح يتمشى في ارجاء الغرفة ، وهو يطل على لوحاته . وقال فجأة :

ـ اواه ، يا للمسيح !

ـ ما الخبر ؟

ـ صورة كريستين لقد نسيت امرها .

وتذكر سورم في الوقت المناسب انه من المفروض فيه انه لم ير الصورة . فعبر الغرفة نحو غلاسب واخذ ينظر في صورة الطفلة التي تنقصها التغذية . وكان غلاسب قد سحب عدة لوحات الى الامام ليعرض الصورة ، وكانت هذه اللوحات تستند الى ذقنه .

ـ اتظنهم راوها ؟ ـ لست ادري .

ـ اشك في انهم رأوها . ولماذا ينظرون اليها ؟ انهم اذا كانوا يبحثون عنها فليس هناك ما يدعوهم الى تفحص صورك .

وفتح غلاسب الدولاب واخرج مغلفا كبيرا من الورق الاسمر . ووضعه على السرير ثم فتحه . وتقصد سورم الا يبدي أي فضول ، بالرغم من انه لمح صورة تخطيطية لفتاة عارية . وسأل :

ـ هل هنالك ما يدل على انهم رأوها ؟

وتفرس غلاسب مليا في الصفحات .

ـ حسب ما ارى ، كلا . ولكني لا اتوقع من الشرطة ان تترك اثار اصابعها .

واطبق غلاسب المغلف بصيحة اشمئزاز . ثم رمى نفسه على حافة السرير واطلق زفرة . وكانت يداه الضخمتان تتدليان بين ركبتيه . وقال دون ان يحرك اسنانه :

ـ خنازير أولاد القـ ...

وبدأ ابريق الماء يصدر ازيزا ، فافرغ سورم وعاء الشاي في المغسلة

وغسله بالماء الدافيء . ووجد الشاي على الرف في علبة مسدودة الغطاء .
وبينما هو يحضر الشاي ، نهض غلاسب واخذ يروح ويجيء في الغرفة ،
يبحث عن دلائل التلاعب باشيائه . وقال اخيراً :

ـ انهم اذكياء . لم يتركوا اية اثار .

ـ خذ شيئا من الشاي .

واضطجع غلاسب على السرير ، وهو يزيح المغلف جانبا ، ثم اغلق عينيه.
وبدا بوجهه البادي العظام الشاخص نحو السقف ويديه الراقدتين دون حياة
على الغطاء ، كأنه جثة هامدة . وقال سورم بهدوء :

ـ مسكين يا اوليفر . اني اعرف هذا الشعور . لم لا تكون الاشياء
بسيطة مستقيمة .

وارتفع صدر غلاسب بضحكة باهتة لا تعدو ان تكون زفرة قوية . وقال:

ـ كلا ، انك مخطيء ، انا لا اريد الاشياء بسيطة . لست اريدها هكذا.
انا لا اعرف ماذا اريد . لو كانت حياتي بسيطة لكنت كالسمكة التي اخرجت
من الماء . لقد تعرفت مرة على ممثلة لها هذه الطبيعة. كانت تصنع التعقيدات
في حياتها . كانت تجعل من علاقاتها الغرامية قضايا مشوشة . فاذا ما سارت
الامور باعوجاج ، شعرت على ما يرام . واذا سارت الامور على ما يرام ،
شعرت كأنها تفتقر الى شيء .

ـ اعتقد انك تقسو في حكمك على نفسك ، يا اوليفر .

فاعتدل غلاسب في جلسته وقال بصوت واهن :

ـ شكرا لله لانه يمنحني مثل هؤلاء الاصدقاء . انهم لا يتركونني
اقسو على نفسي .

ولاحظ سورم حزمة الخشب الملقاة على المشبك الحديدي .

ـ ينبغي ان تقتني بعض الفحم ، يا اوليفر . انك بحاجة الى نار .

ـ لدي فحم . انه امام الباب . كنت اهم باشعال النار عندما دخل
رجال الشرطة .

ـ دعني اشعلها لك .

فقال غلاسب :

ـ شكرا ، يا جيرارد .

ورشف جرعة من الشاي ثم استلقى على الفراش ثانية، مغمض العينين .
ووجد سورم سلة الفحم خارج الباب وسطلا يحتوي على الرماد ، واشعل
النار ، بالبارافين اولا ، وسرعان ما كان اللهيب يدوي مرتفعا في المدخنة .
وجلس القرفصاء امام النار . كانت برودة الغرفة قد نفذت خلال معطفه .

وكان غلاسب يضطجع بقميصه وقد فك ازرار ياقته .
ـ الا تشعر بالبرد يا اوليفر ؟
ـ اعتقد ... اني اشعر بالبرد .
ولاح غلاسب كأن اللهيب سحره . فاجتاز الغرفة وجلس على المقعد ، وهو يميل الى الامام ، وكوب الشاي بين يديه .
ـ من الجميل منك ان تتعب نفسك معي بهذا الشكل ، يا جيرارد .
ـ كـــلا ، ابـــدا .
ـ لو لم تأت اليوم لكنت انغرزت هنـــاك .
ـ لا يهم . كنت انت تفعل الشيء نفسه لاجلي .
وبدات السنة اللهيب المنبعثة من البارافين المحترق بالخمود ، ولكـــن قطع الخشب كانت تشتعل جيداً . وفي الخارج ، كان المساء يتلفع بالظـلام رويدا رويدا . وراح سورم يتأمل الغرفة ، وهو يجلس على الكـــــرسي الخشبي ، وكم كانت موحشة غير مريحة . وقال غلاسب :
ـ لم يكن لي أصدقاء كثيرون قط .
فقـــال سورم ، وهو يهز كتفيه :
ـ ولا انـــــا .
ـ ما قيمة الاصدقاء الذين لا يفهمون المشاكل التي تعاني منها ؟ ينبغي ان تكون لك القابلية على التحدث معهم . مثلا انت ... كان في استطاعتي ان اتحدث اليك بعد خمس دقائق من لقائنا اولا . وهذا امر غير معتاد .
ـ شكـــــرا .
واحس سورم بالحراجة قليلا لهذا الاطراء وقال :
ـ لدي نظرية حول الناس . انا وانت شخصان مختلفان تمــــــام الاختلاف . انا افكر اكثر مما ينبغي ، وانت تحس اكثر مما ينبغي . انا اؤكد كثيرا على العقل ، وانت تؤكد كثيرا على القلب . وهناك اناس يؤكدون كثيرا على الجسد ... اوستن ، مثلا عندما يحس بالكبت ، فيحتاج الى متنفــس جسدي .
ـ ومـــــاذا تفعــل انت ؟
ـ اوه ، انا . انا احاول ان اجد طريق الخلاص من المشاكل بواسطـــة التفكير . واحاول ان افصل نفسي من المشاكل . انا لا اميل الى العــــواطف القوية كثيرا ـ انا ارتاب فيها. ولهذا انا لست مرتاحا مع علاقتي باوستن الان.
ـ لماذا ؟ انك لا تضمر له مشاعر قوية ، اليس كذلك ؟
ـ كلا . ولكنه انقذني من الركود . لقد انغمست في مشاكله حتـــــى

اصبحت موضوعيا تجاه مشاكلي نفسها . هذا امر لا باس به . . . ولكنه ليس الطريقة الصحيحة لحل المشاكـل .

ــ كــلا ؟ لم لا ؟

واحس سورم ، اثناء حديثه ، بانه كان لافكاره صدى لدى غلاسب ، ولكنه كتم هذه الهواجس ، وهو واثق من أن غلاسب سيفهم ، على اية حال . وقــال :

ــ اعتقد انه نوع من الضعف ان تتمادى فى اشتباكك بحياة الاخرين . كنت اعرف فتاة من اولئك اللواتي اذ رآهن المرء راح يقص همومه عليهن . وكان الانطباع الذي تتركه لدى الناس هي انها انسانة باردة العواطف هادئة الطبع ، وكان الناس يعتقدون انها قوية متعاطفة . ولكني عندما عرفتها جيدا اكتشفت انها فارغة من الافكار والعقائد وليس لها ثقة بنفسها ــ في الواقع ، كانت فى حالة من التشوش التام فى داخلها . وكانت تحقق لنفسها شيئا من السعادة بالاهتمام بمشاكل الاخرين . كانت تميل الى الاشخاص التعساء ــ اعتقد لانهم كانوا يشعرونها باستعلائها عليهم . . . وعندما كنت التقي باشخاص مثل جيرترود ، الذين يستهويهم النشاط الاجتماعي وتغيير مذاهب الناس ، اتساءل اتراهم يفعلون الشيء عينه .

وقــال غــلاسب :

ــ وهــل فى ذلــك مــن ضير ؟

ــ اجل . فيه ضير اذا جعل من الناس طفيليين . قليل من النــاس من هو حقيقي فى داخله . انهم يحتاجون الى الاخرين كحاجة الكسيح الــى العكاز . انظر الي . كنت قبل اسبوعين اشعر بالضياع التام . لم اكن ارغب فى ترك غرفتي لان الشارع كان يشعرني كأني لست موجودا . لقد جعلتني لندن أشعر كأني حشرة ، وعندما عدت الى غرفتي وحاولت ان اكتب ظللت اشعر كأني حشرة . ثم ماذا يحدث ؟ اذهب الى معرض دياغيليف هذا والتقي بأوستن . واذا بي اكف عن الشعور بأني حشرة . غير ان هذا هو سبب مغلوط .

ــ وماذا يهم مهما كان السبب ؟

ــ يهم جدا . كان ينبغي علي ان اخلف عالم اوستن ورائي منذ زمــن طويل . انني ذهبت الى معرض دياغيليف لمجرد ميل عاطفي نحو نجنسكي . اني فى الاحوال الاعتيادية لا اطيق رقص الباليه ، حتى ان اخر مرة ذهبت فيها لمشاهدة حفلة باليه كادت أن تسبب لي الاسهال . . . مجموعة مــن الرجــال الشاذين جنسيا يتنططون ، والنساء اللواتي يحركن اطرافهــن . فاضطررت الى ترك القاعة فى منتصف البرنامج . ومع ذلك ، فهذا هو عــالم

أوستن . انه انسان رومانتيكي ، وهو ليس حقيقيا فى داخله ايضا . انــه يحتاج الى اللاحقيقية لايقافه عن الشعور بانه حشرة .

وقـــال غلاسب بنعومة :

ــ نحن كلنا نحتاج الى شيء نتكيء عليه .

ــ ينبغي الا نفعل هذا . لو استطاع كل انسان انيقتل اوهامهلاصبح الها.

فقـــال غلاسب :

ــ او يقتـــل نفسه .

ــ كلا ... بل تكون لديه القوة الكافية على الحياة . يموت الناس لانهم لا يعرفون مـــا هي الحيـــاة .

فقـــال غـلاسب :

ــ من يعرف ما هي الحيـــاة ؟

ــ انا احيانا . فى بعض الاحيان فقط . ثم اقضي وقتي كله فى محاولة استعادة الرؤيـا .

ــ وما هي طبيعة الرؤيا التي طافت بـــك ؟

ــ كان ... شعورا بالقبول . حدثت مرة عندما كنت فى همبستيـــد هيث انظر الى لندن من ارتفاع . كنت افكر فى كل الحياة وفى كل المشاكل ... ثم أحسست فجاة باني على حقيقتي . ورايت اوهام الاخرين ، فتلاشت اوهامي ، فأحسست باني حقيقي فى اعماقي . وكففت عن التساؤل هـل ان العالم فى النهاية خير ام شرير . شعرت بان العالم لم يعد يهمني . أن الـذي يهمني ، كان انا نفسي ، سواء اعتبرتها خيرة ام شريرة . وشعرت فجاة باني تحولت الى عملاق . واحسست بالسعادة الى حد سخيف .

وقـــال غـلاسب :

ــ لم يمر بي شعور كهذا قـط .

ــ كـــلا ؟

وحاول ان يسيطر على الانفعال الذي اثارته فيه كلماته ، وهو ينتظـر غلاسب ليتكلم ويرقبه وجهه الذي بدا نحيفا فى وهج النار . وتكلم غـلاسب بصوت خفيض ، دون تأكيد على الكلمات . وقال :

ــ هذا ليس ما اشعر به انا ... اعتقد باني احتاج الى اشخاص اخرين، كمـــا تقول . فمثلا ، عملي السخيف هذا لا يناسبني لانه يجعلني افكر فى نفسي ، اما كريستين فانها تفيدني لانها تجعلني افكر فى الاخرين . ليس التفكير فيها فقط . انها تدفعني الى الادراك بان هناك مئات ــ بل الوفا ــ من الناس الذين يحيون حياة البؤس التام ، وليس لديهم المجال للاحساس بالاشيـاء

التي نتحدث عنها . انهم لا يشعرون كالعمالقة او الالهة ، كما إنهم لا يشعرون كالحشرات ايضا . انهم مجرد رجال ونساء اعتياديين ، والجزء الاكبر من حياتهم ينطوي على المعاناة والسأم .

وتوقف عن الكلام وشرب بقية الشاي من كوبه ، ثم وضعه على البلاطات الخضراء التي كانت تعكس اللهيب ودفع براس حذائه المتهرىء شظية من الفحم كان الدخان ينبعث منها الى المشبك الحديدي . وقال :

ـ هذه هي الرؤيا التي اراها ... ان كانت رؤيا .

ونظر اليه سورم بصمت ، وهو يدرك البون الشاسع الذي يفصل بين طريقتيهما في الشعور ، ويحس بعبث الكلمات . وانهارت قطع الفحم فوق الخشب المحروق ، فاخذ الشرر يطفر منها . وقال غلاسب فجأة :

ـ ما رايك في الخروج لنأكل شيئا ؟ هل انت جائع ؟

ـ هل تعرف مطعما قريبا ؟

ـ أعرف محلا يمكننا تناول بعض السجق والبيض والبطاطا فيه بشلنين .

فقال سورم وهو ينهض :

ـ طيب . لنذهب .

الفصل السادس

ـ اسف لاني تأخرت .

ـ تفضل . اين كنت ؟ هل تناولت طعاما ؟

ـ نعم شكرا . أكلت هذا المساء مع أوليفر . بقيت معـــه لنتحدث . كـــان منفعلا قليلا .

كانت النار لم تزل مشتعلة في غرفة الجلوس . وكان عقربا الساعـــة الكهربائية يشيران الى الربع بعد العاشرة . فلمست يده وقالت :

ـ اوه ، يا الهي ، انك لتشعر بالبرد حقا . تعال لتتدفأ . هل لـــك في شراب ؟

ـ كـــلا ، شكرا . كنت اشرب مع اوليفر .

وجلس في مواجهة النار ومد ساقيه نحوها . وشرعت المس كوينسي بتسوية النار بقطع الفحم الصغيرة ، بعد ان ارتدت قفازا كان على حاجز الموقد .

ـ هل هو على ما يرام الان ؟

ـ نعــم . انه اهدأ من ذي قبل ، على اي حال .

ـ هـــل فحصوا الطفلة ؟

ـ كلا . تلك هي المشكلة . فقد اختفت . وعندما عدنا الى غرفـــة اوليفر كانت الشرطة قد تحرت غرفته . ويقول اوليفر ان الشرطة قد تتهمه بقتـــل الفتـــاة لاسكاتها !

ـ يا للسخف .

ـ أجل . لم يكن جادا في الحقيقة . ربما شكوا بانه خبأها . على كل ، من الحماقة أن تهرب على هذا النحو . لقد جعلت الامر اسوأ بالنسبة لاوليفر ـ كأن هناك شيئا تخشاه . عندما خرجنا من المقهى شاهد اوليفر احـــدى صديقاتها في المدرسة واقنعها بأن تذهب وتنادي كريستين ـ ليتحقق اذا

عادت . ا م تكن قد عادت ، بالطبع ، فاخذ الاضطراب يستولي عليه فعلا :
ــ لا يدهشني ذلك ، وهناك قاتل مطلق السراح في وايتشابل .
ــ الم تسمعي بالخبر ؟ القي عليه القبض .
ــ كــلا . متى ؟
ــ الا تصغين الى الراديو ؟ القي القبض عليه صباح اليوم . قبض على رجل واحد على الاقل ، ويظهر انه اعترف فيما بعد .
ــ طيــب ! شكــرا لله .
ــ لست واثقا من ان القبض على هذا المجرم كان لصالح قضية اوليفر .
لو كانت شرطة وايتشابل لم تزل يقلقها أمر جرائم القتل لاعارت اكتراثا اقــل لرجــل سكير كهــذا .
ــ بالضبط . ولكن اين تختفي الطفلة في اعتقاد اوليفر ؟
ــ أوه ، في اي مكان . لقد هربت صباح اليوم فقط . من المحتمل انها قضت النهار في سوق بيتيكوت لين او قرب أحواض السفن . وربما عادت الان الى البيت ــ الا اذا كانت ستقضي الليلة مع احدى صديقاتها . او ربما تذهب الى اوليفر .
ــ آمل ذلك . لا يروق لي ان اتخيلها تطوف في الشوارع في ليلة كهذه .
وتعالى صوت المطر على النافذة، كأنه جاء تأكيدا لتلك الكلمات وذهب سورم نحو النافذة وراح يطل خلالها ، ولم يتبين شيئا في الظلام .
ــ هل تركت دراجتك خارجا ؟
ــ كــلا . جئت بالقطــار .
ــ افضل . هل تريد شيئا تأكله ؟ سأتناول انا شيئا .
ــ شكــرا .
واتكأ على الثلاجة وراح يرقبها تقطع شرائح لحم الخنزير . كان الخمر الذي شربه مع غلاسب قد اشعره بالنعاس . وسألها :
ــ هل سمعت من اوستن مؤخرا ؟
ــ كلا ، منــذ عــدة ايام .
ــ لا اعلم اين ذهب . كنت احاول الاتصال به منذ يومين .
ــ ربما هو الان في بيته الريفي في ليذرهيد . فهو يقصده مرارا فــي عطــل الاسبوع .
ــ اه ، بالطبــع !
فنظرت اليــه بشك .
ــ هل ... تحدثت معه منذ أن كلمتني عنــه ...

وتركت العبارة دون ان تتمها . وقال سورم :

ـ تناولت الغداء معه يوم السبت .

ـ نعـــم .

لاح عدم الاكتراث في لهجتها . وتناول سورم الصحن مع قطـــع السندويتش وعاد الى الغرفة الاخرى . كان المطر يرشق النوافذ بعنـــف . وفتح الفوطة الورقية وتناول قطعة سندويتش ، ثم نظر اليها وهو يبتسم . وقـــالت :

ـ كنت افكر في اوستن منذ تلك الليلة . من المؤسف انه ليس لــــه اقرباء يستطيعون ان . . . يتحدثوا معه حول الموضوع . ليس هنالك مـــن يعرفه معرفة وثيقة ليكون صريحا معه .

ـ مـاذا يمكنهم فعله ، على كل حـال ؟

واخفضت قطعة السندويتش بدلا من ان تقضم منها ، وراحت تنظـر اليـــه مليـا . وقـالت :

ـ لعلهم يقنعونه بمراجعة طبيب .

ـ هذا صحيح . ولكن من الناحية الثانية، ربماسيشعر بانهم لايفهمونه فيطلب منهم الكف عن مضايقته .

ـ لا يهم . اذا كان الشخص على وشك ان يموت نتيجـة مرض ما فلا تسأله هل يريد علاجـــا .

ـ اوستن ليس على وشك الموت . كما لا اظن ان النزوع الى الجنس المشابـــه يعتبر مرضا .

واحس بالخيبة تتنامى في أعماقها ، ورفرفت عيناها من الامتعاض .

ـ ولكن ينبغي أن تكون لديه الفرصة ليعيش حياة طبيعية . انه سيرث ثروة كبيرة من المال والاملاك . ويجب أن يكون له طفل يرث عنه هذه الثروة . يجب ان تكون له الفرصة للزواج والاستقرار .

فقـــال بصبر :

ـ افهم وجهة نظرك . ولكني اشك في ان اوستن يريد الاستقرار . كما لا يمكنني ان اتصوره زوجا ! ثم لم تريدين تغيير حياته ؟ انه ليس شقيا ـ على الاقل ، ليس لهذا السبب . ماذا تقولين لو طلب اوستن منك فجأة انتراجعي الطبيب ليشفيك من الدين ؟

ـ اوه ، لا تكن سخيفا ، يا جيرارد !

ـ واذا كان الزواج والاستقرار بهذه الاهمية لم لم تتزوجي اذا ؟

وامتقع وجهها،ومرت به لحظة توقع فيها تقريعا.ولكنها ابتلعت بقيـة

قطعة السندويتش وقالت بصوت متزن :
ــ لا تشابه في الحالتين اطلاقا .
واحس ، وهو ينظر في وجهها ، رقة غريبة : كانت على حق ، لا تشابه في الحالتين اطلاقا . وخطر له ان يكون صريحا معها حول اوستن ، ولكنه عدل عن الفكرة على الفور . وقال عوضا عن ذلك :
ــ حسنا . . . ان رغبت ، فساحدث اوستن عن الامر ــ باسلوب لبق. ولكنني اشك في أن يكون لذلك اي اثر عليه .
وطاف في عينيها شيء من اليأس . وقالت :
ــ لعلك على صواب . وربما ينبغي ألا ادس انفي في الموضوع . انا مغرمة باوستن . انه الشخص الوحيد في العائلة الذي اكترثت له الى هذا الحد .
فقال برفق :
ــ اتدرين ، لا يمكنك تحمل مسؤولية الاخرين . افضل ما يمكنك فعله هو تقديم المساعدة عند الحاجة .
ــ ولنفرض ان اوستن بحاجة الى مساعدة ؟
ــ الا تدركين ، يا جيرترود ، انه لا يمكنك المساعدة الا عندما تفهمين الامر بصورة تامة ؟ ان مزاجك ليختلف كثيراً عن مزاج اوستن بحيث لا يمكنك اسداء العون .
ــ لم تقول ذلك ؟ هل تعتقد اني لم اشعر قط بالطريقة التي يشعر بها اوستن ؟
فقال :
ــ لست ادري . هل شعرت كذلك ؟
ــ كنت اريد ان اطلق العنان لكل رغباتي. واعتقد هذا هو ما يريده اكثر الناس . كان اوستن محظوظا ــ لديه دائما المال ليذهب اينما يشاء ويفعل ما يشاء ، ولم يحاول احد ان يتدخل في اموره . وبكلمة اخرى كان محظوظا لانه كان ينعم بحرية واسعة . ولكنه في حقيقته انسان طيب . ولا يمكنه ان يحطم الطيبة فيه مهما فعل .
ــ لعلك على حق . ولكن الا ترين ؟ مسألة انك اردت اطلاق رغباتك لا تعني انك تفهمين رغبات اوستن .
ــ هل تفهمها انت ؟
ــ انا . . . لست ادري . اعتقد انني ربما افهمها ؟
ــ اوضحها لي اذن .

واخذ يتفرس في النار ، وهو لا يحس بالرغبة في الكلام . كانت الآمسية التي قضاها مع غلاسب قد اتعبته . ولما ادرك الاصرار في عينيها قال اخيرا :

ــ انه شعور الانسان بانه يقف على طرف سائب ... دون ان يكون له احساس بغاية أو دافع ــ الشعور بالانقطاع . يحس الانسان كان وجوده لا معنى له . وتمر به احياناً لمحات من الرؤيا ــ يرى فيها ان حياة الانسان خالية من المعنى فعلا ، غير انه مدعو الى اضفاء نوع من المعنى عليها . ويحس فجاة بانه ينبغي عليه ان يكف عن الحياة كممثل رديء يؤدي دورا في مسرحية من المرتبة الثانية . انه يشعر بان عليه ان يبدأ على نحو ما بالعيش بصورة لائقة. وعلى كل حال ، فالحياة البشرية كلها محرمات وقوانين وقواعد . وعليه ، فأول ما يفعله ــ من يريد أن يبدا الحياة من جديد ــ هو أن يخرج عن هذه القواعد والقوانين . هذا هو الشعور الذي ينتاب الانسان تجاه الحياة . اما نوع القواعد والقوانين التي يريد أن يخرقها فيعتمد عليه . الرجل المصاب بقلق عصبي لشعوره بانه مسلوب الامتيازات من الناحية الاجتماعية قد يسطو على بنك او يلقي قنبلة على مجلس اللوردات . غير ان اكثر الناس يشعرون بانهم مسلوبو الامتيازات من الناحية الجنسية ، وعليه من المحتمل اكثر ان يكسر القواعد المتعلقة بالجنس ...

وكبح رغبته في اتمام حديثه . وانتظرته ليمضي في كلامه ، ثم قالت : بعد لحظة ، بلهجة حزينة :

ــ انه لا يدرك ان هناك طرقا اخرى ... لتحقيق حياة مليئة . اتمنى لو استطيع ان أعلمه اياها .

اثار الاستسلام الذي كان في صوتها رافة غامضة لديه ، والفي نفسه يتمنى لو تكون جالسة الى جواره على الاريكة حيث يمكنه لمسها . ولكنه احس حالا بانه لا يثق بشعوره هذا ، عندما تذكر كيف حاول ان يلمسها اخر مرة . فنهض وقال :

ــ ينبغي ان اذهب الان ... معذرة لحظة .

وفي الحمام ، فتح النافذة وراح يلقي من خلالها نظرة على المرتفعات . كان المطر يهطل باستمرار . وراحت بعض القطرات تنحدر على وجهه . كان طست الغسيل مليئا حتى منتصفه بملابس منقوعة بالماء والصابون . وانحنى فوق حوض الحمام وغسل يديه من صنبور الماء الحار . وجلس على حافة الحوض ليجفف يديه ، وهو يستمتع بدفء المنشفة ونعومتها ،ويدهش للسعادة التي اخذت تسري في اعماقه ، والشعور بالتوقع .

كانت ما تزال جالسة امام النار. وكان شيء في هيأتها ، في ساقيها

المعقودتين ، في حذاءيها المتدليين من قدميها الصغيرتين ، يوحي بانهــــا اصغر سنا . وقــال :

ــ في اي ساعة يغادر القطار همبستيد ؟

ــ لست متاكدة . ان القطارات تغادر مبكرا أيام الاحــاد . ربمــــا غــادرت الان .

ــ ينبغي ان اسرع .

ــ لا يمكنك ان تذهب الان. سيغمرك المطر. اليس الافضل ان تمكث هنا؟

فسألها بدهشة :

ــ طول الليل ، تعنين ؟

ــ يمكنك ... ان اردت .

ــ وسمعتك بين الجيران ؟

فلوت راسها عن وجهه المبتسم :

ــ لا يعنيهم الامر ، اليس كذلك ؟

ــ طيب ... شكرا جدا . اين انام ؟

ــ هنا . او في غرفة كارولين ، ولكن اخشى انه ينبغي ان تكتــــفي باغطية كارولين ان نمت هناك ..

ــ لا بأس . لا يهمني ابدا .

ــ وضعتها اخر مرة جاءت عندي . لا بد انها نظيفة . اليس الافضل ان تنام في الطابق العــلوي ؟

ــ لا يهم . في اي مكان يسبب اقل ما يمكن من الازعاج ...

ــ ساذهب لاشعل النار .

وشعر بأنها سرت لخروجها من الغرفة . وتساءل ترى هل احرجتهــا فجاة فكرة تقديم فراش كارولين له ، بعد ان ادركت انها رمز لتهيئة الالفــــة بين سودم وكارولين . وبعد لحظة من التردد تبعها الى الطابق العلوي .

كانت تغير غطاء الوسادة عندما دخل الغرفة . وكانت الاغطية قـــــد قلبت الى الخلف لتتعرض للهواء . وكانت قضبان المدفاة الغازية تــــزداد احمرارا كلما ازدادت حرارة والتقط دشداشة نوم من النايلون كانت قـــــد انزلقت من السرير ، وسأل :

ــ هل هذا يخص كاروليـــــن ؟

فاختطفتها منه ووضعتها في احد الادراج وقالت :

ــ كــلا . انها لي وكانت قد استعارته .

وخرجت من الغرفة وهي تقول :

ـ ساحضر لك قنينة ماء حـــار .

ونظر الى صورة كارولين ، وخالجه شعور يكاد يكون شعورا بالالم. وادرك بشيء من الدهشة ، انه كان يشعر بالحب لكارولين . كان اكتشافا غير متوقع،لا بد ان هذا الشعور نما فيه منذ ان رآها اخر مرة. وفي ذلك الحين، لم يكن يشعر بغير الحنان المسلي والامتنان الذي هو الجواب على تقديســم المــراة جسدهـــا .

ودخلت المس كوينسي بينما كان ما يزال يتطلع في الصورة وسالت:

ـ هل تميل الى كارولين ؟

ـ بالطبع . انها فتاة حـــلوة .

والقت قنينة الماء الحار داخل الفراش واعادت الاغطية وقالت فجأة :

ـ نسيت اني تركت حوض الغسيل مليئا الى منتصفه بالملابس . كنت بدات بغسلها عندما جئت . والافضل ان اكمل الغسيل الان . هل تريد ان تنـــام الان ؟

ـ ا . . . لا ، ليس ضروريا . لمـــاذا ؟

ـ اعتقد انني ساذهب الان . احس بشيء من التعب .

وتبعها خارج الغرفة ، وهو يحس بتوترها . وتساءل هل ندمت لدعوته للبقـــاء . وسالت :

ـ هل لك ببعض الشيكولاتة الحارة قبل ان تذهب للنوم ؟ ساهــــيء قدحـــا لي .

ـ شكـــرا ، نعم .

ودخلت غرفة الحمام ، وسمع تكتكة القفل . وراح يحدق في الباب وهو يهز راسه . لقد اذهله تقلب مزاجها . ونزل الى الطابق الارضي ببطء ،وفكرة مغادرة المنزل تداعب راسه ، ثم تخلى عن الفكرة،لقدكانت قد هيأت الغرفة.

وفي غرفة الجلوس شرب قليلا من المارتيني الحلو واستلقى عـــلى الاريكة ، وراح يفك شريطي حذاءيه . واكل بقية سندويش لحم الخنزير ، واخذ يحدق في الظلال المتحركة على السقف . وتذكر التعابير التي ارتسمت في وجه المس كوينسي وهي تتحدث عن اوستن ، واحس ثانية بانه متسلـــح بالدفء واخذ يفكر بمرح : لهذه العائلة موهبة في بث الحنان . ولكنهـــــم جميعهم ضعفاء : اوستن ، كارولين ، جيرترود . انهم بحاجة الى الاخرين .

غريب ، هذا الحب الذي لا علاقة له بالجنس . احس به تجاه اوستن ، وتجاه كارولين. وتجاه جيرترود ايضا. ولكن بصورة اقل بالنسبةلجيرترود. لماذا يكون من المفروض الا يقع الانسان في غرام اكثر من شخص واحد ؟

وفيما هو غارق في هذه الافكار راح في اغفاءة خفيفة على صوت الماء الذي كان يسمع جريانه من الطابق العلوي .

واستيقظ فجاة واعتدل قليلا . ودخلت جيرترود كوينسي بعد قليل وهي تحمل قدحا على صحن . كانت مرتدية دشداشة نوم زرقاء محزمةعند الخصر ، وخفين من النوع الذي يستعمل في غرف النوم . وكان شعرها ينسدل الى ظهرها .كان شعرها اطول مما كان يتصور . وبدا وجهها الخالي من المساحيق شاحبا .

ــ كم الساعة ؟

ــ بعد منتصف الليل .

ــ كنت نائما .

ــ اعلم . جئت توا . انا ذاهبة للنوم .

ــ انتظري لا تذهبي الان .

كانت قد وضعت القدح على الطاولة قرب الاريكة . فمد يده وامسك بيدها قبل ان تبتعد وسحبها برقة .

كانت يدها نحيفة وباردة . وعندما جلست رفع يدها نحو شفتيه ولثمها . ولم تبد اية مقاومة .

ــ انك باردة .

ــ اعلم . احس بالبرد دائما بعد الاستحمام .

وحاول ان يسحبها نحوه الى جنبه ، وهو ممسك خصرها . ولكنها قاومته قليلا ثم نهضت . وقالت :

ــ تركت قدح الشيكولاتة خارجا .

وراح يتسمع بينما ذهبت الى المطبخ ، ثم عادت وهي تحمل قدحها . وعندما جلست بقربه ثانية،احس برعدة من اللذة . كان واثقا انها ستجلس على الكرسي الاخر . وقال :

ــ ضعي قدميك على الاريكة .

ــ كلا .

ــ ارجوك .

ــ كلا ، يا جيرارد .

فسحبها من خصرها وجعل توازنها يقلق . فلما استند جسدها اليه ، كرر قائلا : ارجوك .

فرفعت قدميها ووضعتهما على الاريكة الى جنبه وهي تدفع بهما طرف ردائها . وفي الحال سحبها اليه ومال ليقبلها ، ولكنها لوت رأسها فمست

شفتاه جيدها . كان جسدها باردا . ولم يحاول ان يقبلها عنوة وهو مسرور لاحساسه بالتصاقها به والدفء يسري في برودتها وجيدها ملتصق بوجهه . وقبل اذنها وجانب وجهها وراح يعبث بشعرها بيده الاخرى . كانت ترتعش وهي قربه ، ثم خفتت حركتها كأنها ميتة . كانت عيناه مغلقتين . ومد يده وتناول غطاء مقعد السيارة الذي كان معلقا على ظهر الاريكة وفرشه فوقهما ، ثم رقد الى جوارها ، واغلق عينيه ، واحس بالرضى يسري في عروقه برعشات خفيفة . وفي ظلام عينيه المغمضتين ، نسي انها ترقد بجنبه،واحس بان كل الافكار والدوافع قد انجلت عنه ولم تترك غير هذه الراحة الجسدية . ولم تأت باية حركة ، كانت انفاسها الدليل الوحيد على انها كانت حية . ثم اعتدلت في جلستها وقالت :

ــ الافضل ان نشرب هذا .

ودفع نفسه الى الجلوس واخذ القدح منها . وشربه وهو يستند الى مرفقه وكتفه على الوسادة . كان فاترا ، فشربه على عجل . ولم ينبس احدهما بكلمة . وعندما اخذت القدح منه ، اضطجع ثانية ، وبعد قليل رقدت هي الى جنبه ايضا . ولم تحاول هذه المرة أن تبعد شفتيها عندما هم بتقبيلها . واثارته شفتاها الرقيقتان ، وضغط عليهما حتى انفرجتا قليلا وهو يتنفس عميقا . كانت سلبية تماما . وراح يتحرك بحذر عندما احس بالتهيج يعلو فيه . فتعمد الاسترخاء ورقد الى جوارها ثانية وسحبها اليه . كانت راحة يده اليسرى منبسطة على ظهرها تنقل اليه شعورا حسيا لذيذا بنعومة الحرير الذي يلف جسدها . كانت اللذة التي احس بها توترا في اعماقه يتحدى الزمن ــ كان يكفيه أن يحس بقربها منه . ومرت لحظة ، احس بوعيه يتمطى فيصبح كاملا ، يدرك الماضي والحاضر والمستقبل كشيء واحد ، يفوق الشك الذاتي.. وعندما نظر اليها عرف انها لم تكن تفكر ، كانت ترفض التفكير متعمدة . وظل راقدا يرقب النار تخبو شيئا فشيئا وعقرب الساعة الكهربائية ينتقل من النصف بعد الثانية عشرة الى الواحدة . وبالرغم من انها لم تتحرك ، علم انها لم تكن نائمة . واحس برغبة في النوم :

وقالت بصوت خافت :

ــ لنذهب الى الفراش .

وبقيت برهة راقدة بلا حراك ، ثم تململت واخرجت ساقيها من تحت الغطاء . وتركها تخرج من الغرفة اولا ، ثم نهض واخذ يتمطى . كان القدحان الفارغان على البساط ، فالتقطهما ووضعهما على الطاولة . ثم ترك غرفة

الجلوس واطفا النور . وعندما مر بغرفة كارولين دخلها واطفا المدفـــاة الكهربـــائيـة .

كان باب غرفتها مسدودا ، ولكنه انفتح عندما دفعه . كانت الغرفة غارقة فى الظلام . وصدر صوتها من الفراش وهي تقـول :

ــ ارجوك ان تذهب ، يا جيرارد .

فقـال برفق :

ــ لا تكـوني سخيفة !

وخلع ملابسه فى الظلام ودخل الفراش الى جنبها . كانت ترتدي قميص نوم رقيق ، كذلك الذي رآه فى غرفة كارولين . وعندما مسه بجسده العاري احس سورم بهدوئه ينهار . وبدأ يقبلها . وعندما انسحبت بعيدا عنه قال :

ــ اما كنت تحسين بالخيبة لو نمت فى غرفة كارولين ؟

وكان صوتها همسا ، كانها تخاف ان يسمعها احد :

ــ لم اكن اريد هذا ان يحدث . لم افكر بهذا عندما دموتك ...

ــ اعلم ذلك . ولكن الان ، عندما صعدت ، هل كنت تريدين مني ان اذهب الى غرفـة كارولين ؟

ــ لـ ... لست أدري .

وادرك انهذا صوت امراة ترفض التفكير . وبدا ينزع عنها قميص النوم .

ــ لا ، أرجوك . يجب الا تفعل ذلك .

ــ دعيني اخلعه . اريدك عارية .

ــ لا يمكن . لم يحدث ذلك لي قبـلا .

ــ طيب ، لن افعل شيئا . ولكن دعيني اخلعه .

فحركت جسدها لتدعه يخلعه عنها . والقى به على الارض . وعندما احس بجسدها ملتصقا بجسده علم ان لا شيء يمكن ايقافه عـن المضي . وبالرغم من مخاوفها والوعد الذي قطعه ، سيحدث الامر ، وأن جسديهمـا ليعرفان ذلك . واحس بها تستسلم ، وتلين فى الوقت الذي كـان يتحرك فيـه نحوهـا .

* * *

وبدأ الفجر يتسلل من خلال الستائر . ونظر اليها خلال النور الباهت فراى عينيها مفتوحتين .

ــ كيف تشعرين ، يا عزيزتي ؟

ــ لا زلت حيـة .

ــ لمــــاذا ، هل ظننت ان العملية ستقتلك ؟
ــ لفترة قصيرة ، نعـــم .
وقبلها واحس بارتعاشة من الحنان ادهشته . ونظر الى وجهها ، كان شعرها مبعثرا على الوسادة . وقـــال :
ــ امـــر مضحك . . .
ــ مـــــاذا ؟
ــ اعتقد . . . اني وقعت في حبك قليــلا .
فقـــالت :
ــ جيـــــد .
واطبقت ذراعيها حوله وهي تشده اليها . وقبل وجنتها وشعرهـــا فوق اذنهـــا . وقال :
ــ ما اسخف الامر ، يا عزيزتي . ماذا نفعل ؟
ــ ماذا تريـــد ان تفعـل ؟
ــ ان ابقى على هذا الشكل ستة شهور . على هذا الشكل تماما .
ــ لا تستطيع . تصاب عندئذ بتشنج العضل .
ــ اعلم . ويدخل الملل اليك . وافقد انا شعوري . ماذا تريدين ان تفعلي ؟
فقبلت اذنه ، وهي تداعب الشعر النابت على فكه بيدها اليسرى .
ــ ماذا تريد ان تفعله انت .
ــ الا تشعرين . . . بالندم . . . لما حدث ؟
ــ كـــلا .
ــ ماذا تعتقدين ان الاخ روبنز سيقول :
ــ لا يهمنـــي .
وترك دفأها يسحبه ثانية ، فيدفع جسده عبر جسدها ويحس كانه يغني فيها . وشعر كانه يقبلها للمرة الاولى . لقد جعل منها الليل انسانا اخر .
وقال هـــامسا في اذنها :
ــ انه امر مضحك . . . لم يحدث لي بهذا الشكل قبلا .
ــ لم يحدث ؟ ما هو الاختلاف ؟
ــ اشعر . . . كاني وقعت في حبك .
ــ جيـــد .
ــ تقولين دائما « جيد » هل الامر « جيد » الى هذه الدرجة ؟
فهزت راسها ، ووجهها على شعره ، وجسدها يتحرك برفق . وقال :
ــ اتعلمين ، يقول توماس مان أن الكلمات التي تتلى في مراسيم الزواج

لفو : سيكون هذان جسدا واحدا . ذلك لان الجنس يعتمد على الغربة ، على الاكتشاف . ولكني لا اصدقه . فمن الممكن لشخصين ان يكونا جسدا واحدا ...

ـ كفاك تفلسفا ، يا جيرارد .

فقال ضاحكا :

ـ انك على صواب .

وظل راقدا بجوارها ، وذراعه حول كتفيها ، وهو ينظر الى السقف .

ـ اخبريني بشيء ، يا عزيزتي ؟

ـ ما هو ؟

ـ لم لم يحدث ذلك قبلا ؟اعني لك ؟

ـ لست أدري . انه لم يحدث فقط .

ـ كنت لا تريدين ان يحدث ؟

ـ ليس ذلك . كان ... اوه ، دعنا لا نتحدث في الموضوع .

ـ حسنا .

ـ ساخبرك يوما ما . ليس لاني اريد ان اخفي شيئا .

ـ كلا . ليس لديك ما تخفينه ، على كل حال . لست من هذا النوع .

ـ ولا انت .

ـ همممم . لست ادري . هنالك حادثة او حادثتان تحرجاني ...

ـ انا لا اكترث لها .

ـ لست واثقا . قد تزعجك احداهما .

ـ لماذا ؟

ـ اوه ، لا شيء ...

ـ هل تتعلق بي ؟ أن كانت لاتتعلق بي ، فلن اكترث .

ـ طيب ، تتعلق بك ، بطريقة ما .

وظلت راقدة بلا حراك . وسالت :

ـ ليس اوستن ، طبعا ؟

ـ اوستن ؟ لم يجب ...؟ لا اظنك تتصورين ... كلا ! هل هذا ما تعنيه ؟

ـ انا اسفة . اعرف انه من السخف ...

وقبل وجهها ضاحكا .

ـ مسكينة يا عزيزتي ! تظنيني بهلوانا جنسيا ؟

ـ كلا . لم اظنك ذلك . كيف اذن يتعلق الامر بي اذا لم يكن اوستن ؟

ثم انسحبت قليلا لتنظر الى وجهه وقالت فجاة .
ــ اخشى ان تكون كارولين ، هــا ؟
ووجد من العسير الاجابة حالا . فكررت سؤالها :
ــ كـــاروليـــن ؟
ــ نعـــم .
ــ اوه جيرارد ! . . .
ــ اوه جيرارد !. . . ولكنك التقيت بها منذ اسبوع واحد فقط .
ــ اعلـــم .
ــ ولكن . . . ماذا حدث ؟ بالتأكيد . . . لا يمكن ان تتطور الى هــذا الحــد فى اسبــوع واحــد ؟
ــ الم تتطور علاقتنا خلال اسبوع واحد ؟
ــ تعني . .؟ هــل حدث ما حدث ؟
ــ اجـــل .
ــ ولكن متــى ؟ وكيف ؟ كيــف حدث ؟
وسحب نفسه بعيدا عنها ، واستند الى مرفقه ، حيث امكنه رؤيـــة وجهها . وقــال والجهد باد عليـــه :
ــ عزيزتي ، لا يجدي شيئا ان تسالي كيف تحدث هذه الاشيــاء . انها فتاة حلوة . وفى اول امسية خرجتمعها ، قالت انها تود اناكون عشيقها . . . ولم اعارض . اعتقد انه شيء شرير جدا ، ولكني لم اكن ارغب ان اكـــون انسانا فـــاضلا . . .
وظلت راقدة وهي تنظر اليه . ولاحت عيناها واسعتين الى حــــد غريب ، وشفتاها ممتلئتين جدا . وسالت :
ــ هـــل تحبها ؟
واعطاها الجواب الذي كانت تبغيه :
ــ كـــــلا .
ــ هـــل تحبـــك هي ؟
ــ لا اظن ذلك . من المحتمل انها تهيم حبا بي ، ولكن لا يمضي اسبوع الا وتكون قد هامت حبا بممثل او مؤلف . .
فقـــالت عــلى مهـــل :
ــ لست ادري ماذا اقول بالضبط . . . فانك اذن عشيق كـــارولين وعشيقـــي ؟
ــ كنت عشيق كارولين ، اذا اردت الدقـــة .

ـ قررت الا تكون عشيقها بعـــد ؟

فقـــال بلهجة صارمة :

ـ اسمعي ، يا عزيزتي . لنجعل الامر واضحا بيننا . لقد اخبرتـــك بالامر لانه ليس من الصواب ان احتفظ به سرا . على كل حال ، رأيت مــن الافضل أن اعلمك به . فاذا اردت الان ان تطرديني وتطلبي مني الا اعـــود ثانيـة ... طيب فقد توقعت ذلك . اكان الافضل الا افضي اليك بشيء ؟

ـ كـلا . اعتقد انني كنت ساعلم في الاخير . ولكن ماذا تريدني ان افعـــل الان ؟

فرقد ثانية وسحب الغطاء حتى كتفه .

ـ لـ تتادري يا عزيزتي . فكري في الامـــر .

وراح يحدق من خلال النافذة ، ثم على منضدة الزينة التي كانت تبدو واضحة في ضوء الفجر . وقالت بعد قليل :

ـ انا لا افهم كارولين . هل تفعل مثل هذه الاشياء دائما ؟

ـ كلا . على الاقل ، لم يسبق لها أن ... تذهب الى هذا الحد .

ـ ولكنها طلبت منك ان تكون عشيقها ؟

ـ لا تلقي اللوم عليها كليا . فيلزم شخصان للمضاجعة . على كل حال، لا فائدة من تقديم الاعذار . كل ما اعرفه هو ان الامر حدث الان .

ولما لم تجب انقلب على جنبه واخذ ينظر اليها . وفي الحال، كبح رغبته في ان يحيطها بذراعيه . وقـال :

ـ طيب ... انا اذن مطرود .

ـ اتريد أن تكـون كذلـك ؟

ـ كــــلا .

فابتسمت له ، كانت الابتسـامة حزينة مقتضبة .

ـ اذن فـلا اظنك مطرودا .

فمال فوقهاوطبع قبلة على حاجبها، فاحس بمذاق اهدابهاالمالحة. وقال:

ـ مسكينة يا عزيزتي . انا اسف ، انا حقا اسف . ولكن ... ماذانفعل؟

ـ عمــــــاذا ؟

ـ حول كارولين . من المفروض ان اراها الليلة . وعلى كل حال ، ماذا ينبغي ان افعل بشانها ؟ ينبغي ان اكف عن لقائها . ولكن يمكنك ان تتحسسي مصاعــــب ذلـــك .

ـ هـــل تريد فعلا ان تكف عن لقائها ؟

ـ نعـــم .

فضحكت فجـــاة :
ــ ما اسخفك حقا . بالله لم تكون علاقتك مع ابنة اخي بالذات ؟
ــ أنا اسف يا عزيزتي . انـا حقـا اسف . . .
ــ افرض أنك غيرت مسكنك ؟ تنتقل مثلا الى همبستيد ؟ اعـــرف غرفـــة قريبـــة . . .
ــ لا يمكنني ان افعل ذلك . سيبدو ذلك جبنا مني . ان الحل الوحيد الذي يخطر فى ذهني هو ان اكتب لها رسالة اخبرها فيها بأني سافرت الـى خارج انكلترا .
ــ لم لا ؟ يمكنك الذهاب الى باريس أو روما لبضعة اسابـيع . ستعثر على شخص اخر اثنـاء غيابـــك .
ــ اوه ، لا يمكنني فى الواقع ان ارحل الى الخارج . ليس لي المـــال . غير انه يمكنني الذهاب الى اهلي لبضعة شهور ــ فى يوركشاير .
فقـــالت بتردد :
ــ ان رغبت . . . ففي امكاننا ان نذهب كلانا الى باريس لنقضي عيد الميلاد وعيد راس السنة . وحتى بعد ذلك لا حاجة ان نعود . اعرف بيتـــا فى منطقـــة البحيرات . . .
فمـــال عليها وقبلهـــا .
ــ لا تكوني سخيفة . انا لا آخذ نقـــودك .
ــ لم لا ؟ لو كنا متزوجين لاخذت مـــالي . .
وتوقفت فجاة . ومرت به برهة ، لم يكد يحس بان قربها اليه كان يبعث فيه الهيجان الذي كان ينبعث من يده وهي تتحسس نعومة جسدها ، وقال :
ــ هل تريدين الزواج منـــي ؟
ــ لا يهمني . اريد ان افعل مـــا ترغبه . . .
ــ مـــا اعذبك . . . ولكن هذا ليس بجواب .
ــ ولكن فى امكاننا ان نغادر لندن ، يا جيرارد . لم لا يمكننا ان نفعل ذلك؟
ــ سأخبرك بالسبب الرئيسي ، يا عزيزتي . لا يمكنني ان اتخلى عن اوستن .
ــ وما دخل اوستن فى الامر ؟
ــ لا . . . لا يمكنني ان اوضح .
ــ ولكن . . . انني لا افهم . هل وقع اوستن فى مازق ؟
ونظر الى وجهها المذهول ، واحس بالشك الذي تضمره له فى اعماقها وقـــال :
ــ اسمعي ، يا عزيزتي ، لننهض ونهيء شيئا من القهوة . وساحاول ان

اشرح المسألة لك . ولكن دعيني افكر فيها قليلا .

ودون ان تتكلم ، انزلقت خارجة من فراشها . وراح يتفرس باعجاب في جسدها النحيف المتماسك وهي تتحرك في الغرفة . واختطفت دشداشة النوم من كلابة خلف الباب وانحنت لتشعل المدفاة الكهربائية . وبقي لوحده واخذ يصغي الى المطر الذي اخذ ينقر النوافذ برفق .

وتدحرج قليلا فاحس بدفء البقعة التي تركتها ، فبعثت فيه شعورا بالدفء والشفقة . ودفع الاغطية وانزل قدميه على البساط . كان الهواء باردا ، فلبس قميصه على عجل ، واخذ يفكر وهو يقف قرب النار : هل احبها ؟ هل ممكن ان احبها بعد ليلة واحدة ؟

ووضع الحزام في سرواله ، ثم توقف واخذ يدفيء يديه وركبتيه . انها لمشكلة ان تكون موزع النفس . لا يمكنك أن تتكهن . اشعر كاني واقع في حبها الان ، وماذا عن غد ؟

كارولين . انها فتاة عذبة ، ولكن احساسي معها يختلف . كانت حتما ستعلم بأمر جيرترود في الاخير . وعلى كل حال ، ليس من الحكمة الارتباط بجيرترود ارتباطا دائما . بعد عشر سنين ، ستبلغ ما يقارب الخمسين من العمر ، ولا اكون انا قد بلغت الاربعين بعد .

واخذ يتفرس في صورة فوتوغرافية لها على طاولة الزينة . كانت في بذلة ممرضة ، وكانت تبدو اصغر سنا بعشر سنين . كان لعينيها التعبير نفسه الذي لاحظه في وجهها قبلا وهما في الفراش . كانتا عينين حكيمتين فيهما شيء من الذعر . وخطر في ذهنه : ولكني احبها في هذه اللحظة . حتى اذا استمر حبي الى غد فقط .

وكان المطبخ دافئا . وكان ابريق القهوة يغلي بفقاعات على الموقد . وانحنى عليها وقبل جبينها . كانت بشرتها صافية صحية ، فسره ذلك . وقال:

ــ انك تشبهين « لوريلاي » بشعرك المنسدل على ظهرك .

ــ ولكني لا اشعر بشعور «لوريلاي» .

فضحكت ومرت باصابعها خلال شعرها .

ــ كيف تشعرين ؟

ــ شعورا غريبا . لست معتادة على الجلوس بدشداشة النوم امام رجل .

ــ لا يهم . تبدين رائعة . بل وتبدين اروع وانت عارية .

ــ كلا ، لا ابدو كذلك .

فازاح رداءها ولثم طرف ثديها .

ــ بل تبدين رائعة . لك جسد مدهش . كجسد ... فتاة شابة .

وتوقف فى اللحظة التي كان على وشك أن يقول فيها : كجسد فتاة فى السادسة عشرة . ولكنها لاحظت تردده ، فابتسمت له ، ولاح فى عينيها خبث مفاجيء .

وقال ضاحكا :

ــ اعتقد انك تقرابن الافكار .

ــ لست كذلك ... معك .

وقال :

ــ الا تكترثين حقا ... حول كارولين ؟

ــ بالطبع اكترث . واتمنى لو انه لم يحدث . ولكن لا فائدة من هذا التمني . وعلى كل حال ... ما مضى مضى ... اليس كذلك ؟

واحاط خصرها بذراعه ، وسحبها اليه بينما كانت تمر به . وقال :

ــ اجل . انا ايضا لا اكترث .

وضعت كوب القهوة امامه ، وسكبت حليبا ساخنا فيه ، وهي تمنع القشطة من التسرب بواسطة مصفاة .

ــ ولكن ما هي مشكلة اوستن ؟

ــ أه نعم ... اوستن .

وانتظرها حتى جلست فى مواجهته واخذت تصب القهوة .

ــ طيب ، اظن انه من المحتمل ان تكون لاوستن متاعب مع الشرطة .

ــ لماذا ؟ ماذا فعل ؟

ووضع السكر بالملعقة فى قهوته وهو يتفرس فى غطاء المائدة . كان من العسير عليه شرح الامر بطريقة رقيقة :

ــ على كل ... اتذكرين انك حدثتني مرة عن ولعه بتحطيم الدمى عندما كان طفلا ؟

ــ نعم .

ــ لم كان يفعل ذلك ، فى اعتقادك ؟

ــ لـ ... لست ادري . كثير من الاولاد لا يحبون الدمى ، يعتقدون انها سخيفة . انه نوع من التعبير عن الازدراء .

ــ ربما . ولكن ، تمر باوستن فترات متعاقبة يحدوه فيها دافع قوي لتحطيم الاشياء ، او ايذائها . يدعى هذا السادية .

ــ سادية !

وانسكبت قهوتها فى الصحن . فوضعت الكوب واخذت تحدق فيه . فقال على عجل :

ـ اوه ، لا تضطربي . قد لا يكون الامر بالسوء الذي تظنينه . ولكن النقطة هي ... انه معروف لدى الشرطة بانه سادي .

ـ ولكن كيف ؟ لماذا ؟

ـ ولكن كيف ؟ لماذا ؟

فقال وهو يهز كتفيه :

ـ لانه يختلط باناس لا يهمهم ان يتلقوا الضرب من اجل المال . وهؤلاء الاشخاص معروفون لدى الشرطة . على كل حال ، لا اطيل الكلام عليك ، انه من المشبوهين بصورة اوتوماتيكية في قضية مثل قضية حوادث القتل في وايتشابل . هنالك بالطبع الاف المشبوهين الاخرين .

ـ ولكن الرجل قبض عليه ... كما قلت .

ـ اعلم . اذا كان هو الرجل المطلوب ، فالقضية انتهت الان . ولكنه قد لا يكون القاتل .

ـ انا ... لا افهم . اوستن لا يمكنه ايذاء احد . لا يمكن مطلقا ان يكون قاتلا . ممكن ؟

ـ اعلم . واتفق معك . ولكنه زج نفسه في موقف كريه . لو كان عاقلا ، لغادر القطر سنة واحدة . لست اعلم نوع المشكلة التي وقع فيها . اظن انه ربما يكون هناك احد يهدده .

ـ ما الذي يدفعك الى هذا الظن ؟

وحدثها بالتفصيل عن النداء التلفوني من سويسرا وعن الشقة في الطابق السفلي والنادي الليلي . وبينما هو يتفرس في وجهها وجد نفسه يعجب به . وقد اصبح وجهها بعد الصدمة الاولى هادئا وراحت تصغي بصمت وهي تحتسي قهوتها . وعندما ذكر لها الدكتور شتاين وحادثة هامبورغ ، قاطعته بقولها :

ـ ولكن ذلك سخف ، انه دخل ديرا في المانيا ! بالتأكيد انهم لا يظنون...

ـ عزيزتي ، انهم لا يشتبهون باوستن بالذات . فكما ذكر شتاين ، على الشرطة ان تفحص الافا من المشبوهين في قضية كهذه . كان شتاين احد المسؤولين عن التحقيق في قضية كورتن في دوسلدورف ، وقد استجوبت الشرطة عددا هائلا من المشبوهين خلال ثلاث سنين ـ غاب عني الرقم ، ولكنه حوالي نصف المليون . وان حوادث الجرائم السادية لهي في الوقت الحاضر اكثر مما يمكنك تصوره . ماذا تظنين قد حدث لكل الحرس في محل مثل بيلسن وآوشفيتس ؟ لم يحاكموا جميعا على انهم مجرمو حرب ـ لم يحاكم

خمسة بالمائة منهم . وقد حدثني بعض الذين كانوا في معسكرات الاعتقال الالمانية ـ اشخاص كانوا في حركة المقاومة الفرنسية ـ واعتقد ان ذلك حدث في كل مكان . لم يكونوا جميعهم ساديين . ولكن بعض الحركات كالنازية تتمخض عنها السادية . اما في انكلترا فانها تظهر على شكل جرائم جنسية او حوادث العنف بين الاونة والاخرى .

كان يحاول عن قصد ان يسرد حوادث مجردة لكي يعيد الاطمئنان اليها، بعد ان احس بان الخوف الذي كانت تشعر به كان خوفا من المجهول ومما لا سبيل الى تفسيره . وقالت :

ـ ولكن بالتأكيد ... ليس الامر كذلك مع اوستن ؟ انه ليس من هذا النوع من الناس .

فقال سودرم :

ـ آه ، لعلك على حق . ولكنه من الصعب التوضيح . هنالك نوعان من السادية .

واجتاز المطبخ الى النافذة وراح يمسح البخار المستقر على الزجاج . واورثه مشهد الاشجار المبللة بماء المطر احساسا بالسعادة .

ـ اعتقد أن السادية لدى بعض الناس لا تعدو ان تكون تعبيرا عن الحيوانية . انهم لا يشعرون بالمسؤولية تجاه الاخرين . انهم مجرمون سيكوباثيون يعانون أمراضا عقلية . ولكن السادية ، كما اعتقد ، يمكن ايضا ان تكون مجرد التعبير عن صراع .

ـ كيف ؟

ولم ينظر حواليه ، لم تكن لديه الرغبة في رؤية وجهها لئلا يحس بالحاجة لاقناعها . وقال :

ـ فمثلا ، اجد نفسي وقد اخذت انضج جنسيا . اتعلمين ، هنالك مثل قديم في الجيش : الآلة الساكنة لا ضمير لها . واعتقد ان هنا موطن الاختلاف بين الرجال والنساء . الجنس بالنسبة لكليهما شهوة جسدية خام بالاضافة لكونها وسيلة للتعبير عن الحب . وهو لدى الرجل احساس بغائية الحياة ، والرغبة لاتخاذ من كل امراة جذابة اما لاطفاله . في حين ، نجد بالنسبة للمراة ، ان الاتصال الجنسي هو ذروة الحب ، وتعبير عن الحنان ، وليس غاية بذاته . على كل حال ، انني اجد ان موقفي من الجنس يشبه موقف المراة . فاذا ما تسنمت سريري اجمل غادة في لندن وقالت : « تعال خذني » لفشلت في تحقيق ذلك . لا يمكنني تعاطي الجنس كالالة .

فقالت بلهجة متهكمة :

ـ يسرني ان اعلم بذلك .

ـ ولكن هذا لمجرد ان الاحساس بالغاية يزداد قوة لدي ، ولهذا فانه يزداد رغبة في الانتقاء . اتلاحظين ؟ يتزاوج الحيوان ويولد صغاره بطريقة غريزية . ويفعل على هذه الشاكلة عدد كبير جدا من الناس . غير ان لبعض الرجال الحاجة لان يحسوا بوعي أكثر حول قضية الجنس كلها ، فيقاومون الغريزة التي تشدهم الى امراة معينة . لانهم يوجهون رغبتهم الجنسية ليس تجاه امراة معينة وانما تجاه جميع النساء . ولذا فنساء معينات لا يثرن رجلا كهذا بقدر ما تثيره فكرة النساء عامة . وهنا تكمن المرحلة الخطرة التي قد تحوله الى مجرم جنسي . فاحساسه بالغاية اقوى مما هو عليه لدى كثير من الرجال ، غير ان غرائزه تظل غرائز حيوانية . واذا استطاع ان ينمو ويخلف هذه المرحلة ، فانه يعود الى حاجته لامراة واحدة ، ويمر الاحساس بالغاية الى ما وراء الجنس . ويمكن التسامي به عن طريق الحاجة لان يصبح فنانا او فيلسوفا او مصلحا اجتماعيا . ولكن حتى يصل هذه المرحلة يبقى حبيسا بين نارين . احساسه بالغاية يجعل منه متعصبا ، وشهواته لا تستطيع ان نرتفع عن الجنس . هل تفهميني ؟

ـ اظن ذلك . ولكن ... لا يمكنني ان اتصور كيف تقود الى ايذاء الاخرين ، اذا كانت هي شعورا ارفع بالغاية ...

ـ بسبب الصراع . يأخذ الانسان بازدراء نفسه ، فيعبر الاشمئزاز عن نفسه بواسطة القسوة . لدى اناس معينين ، بطبيعة الحال . ولدى الاخرين ـ اوليفر ، مثلا ـ يثور الاشمئزاز على نفسه . وقد يحاول الانسان في هذه الحالة ان يؤذي نفسه . او مجرد ان يدمن على الشراب او المخدرات .

ـ ومع هذا ... الرجل الذي يقتل لا يمكنه ان يحس بالغاية التي تحدثت منها .

ـ لماذا ؟ لا يغيب عن بالك ، انها المحاولة لحل الصراع . دعيني اورد مثلا . من المشاعر الكبرى التي يثيرها الاتصال الجنسي في نفسي هو الشعور باني عاجز . تمر بي ثوان معدودات تتركز فيها ذكرياتي وتتسع مدى رؤياي . ثم تتلاشى . وادرك ان عدوي الرئيسي هو جسدي . اني اعيش دائما في الحاضر ، والزمن يخفف ذاكرتي . اتعلم اليوم شيئا ، وفي غدي يتلاشى كاثار الاقدام على الساحل الرملي . ويطبق علي الحاضر .طيب، لوكنت انسانا يختلف عما انا عليه لكنت قرنت فشلي هذا بالجنس . كان من المحتمل ان تغيظني مقاومة العالم المادي . والتقي بفتاة في الثانية عشرة من عمرها على قارعة الطريق واعلم باني لا استطيع قط ان اشبع الرغبة التي تثيرها .

العالم المادي يخيبني وجسدي يخونني . وفي ليلة ليلاء ، التقي بالفتاة في شارع مقفر فاحاول اغتصابها . وتكافح للهروب فاقتلها خنقا . هل تفهمين ما اعنيه ؟ تصبح الجريمة وسيلة للتعبير عن الاشمئزاز وعملا متحديا ، ولكنها قد تنبعث من ادراك أعمق مما يملكه اكثر الناس ... لو كنت فلاحا في احدى المزارع اتمتع بالعافية ولي زوجة وعشرة اطفال لما خبرت الشعور بالعجز هذا .

وهزت راسها .

ـ افهم ما تعنيه ... ولكني لسبب ما لا أحس به . بالرغم من اعتقادي بانك مصيب بشأن اوستن . انه فعلا يبحثعنشيء ، وهو ليس من النضج بحيث يعرف ما هو . وأعلم أنه موزع النفس . ولكني لا استطيع ان اتصوره يؤذي احدا .

ـ ولكن لم تريد رؤيته الان ؟ ولم تريد البقاء في لندن ؟ ماذا في وسعك ان تفعل ؟

ـ لست ادري . اريد ان اراه وان اتحدث معه . انه لا يعلم بان الشرطة مشتبهة فيه بصدد جريمة هامبورغ .

ـ هل انت واثق ؟

ـ اظن ذلك .

ـ الا تعتقد بانه كان يخشى الشرطة عندما اتصل بك من سويسرا ؟

ـ لا أعلم . قال ان الامر يتعلق « برجل غير مرغوب فيه » . فتصورت انه قد يكون هناك تهديد في الامر .

ـ الم تسأله ؟

ـ كلا . ماذا يسعني ان افعل ، سوى ان اطلب اليه الذهاب الى الشرطة ؟ ولا يبدو هذا صوابا والحالة هذه . ولكني اعتقد انه يجب اقناعه بمغادرة انكلترا الان ، ما دام ذلك يفيده .

ونظرت في وجهه وعضت على شفتها وسألت فجأة :

ـ أتظن انه من المحتمل أن يكون هو الذي اقترف تلك الجرائم في وايتشابل ؟

ـ كلا . بالطبع لا .

قال ذلك على الفور ، دون أن يدعلنفسه المجال للتفكير . ولكنه كان يدرك أن المسألة ليست بهذه السهولة . كان اوستن الذي يعرفه هو يختلف اختلافا تاما عن أوستن الذي تعرفه جيرترود . كان اوستن الذي التقى به سورم في معرض دياغيليف رجلا قادرا على ايقاع الاذى . وقد تبدل مؤخرا ،

ولكن التبدل كان استجابة لسورم ، نشأ من أعجابه به . وتذكر التعبير الذي لاح فى وجه نن عندما كان ينظر الى صورة الفتاة خارج مبنى السينرامـــا . كان ذاك أوستن الذي لم تلتق به جيرترود قط .

ــ ومع هذا ، اود ان اتحدث معه . . . بصراحة . يجب تحذيره . هل تظنين أن من المحتمل ان يكون الان فى ليذرهيد ؟

ــ ربما . يمكننا أن نذهب لنتحقق .

ــ كلا . يجب الا تأتي . يجب ان أكون وحدي .

ــ طيب . ولكن يمكنني ان أوصلك الى هناك بسيارتي .

ــ متـــى ؟

ــ اليوم ، ولكن الافضل ان نتصل بشقته فى شارع الباني اولا .

ــ طيب ، حسن . وهل يمكننا ان نذهب لرؤية أوليفر فى طـريقنا ؟ اريد ان اطمئن على صحتــه .

ــ حسنـــا .

ونهضت . وقـــالت :

ــ انـا ذاهبة لارتداء ملابسي .

وجاء نحو الباب وسحبها اليه .

ــ عزيزتي المسكينة . لقد حدثت لك أمور كثيرة خلال الاثنتي عشرة ساعة الاخيرة ؟ كيف تشعرين ؟

فابتسمت ابتسامة قصيرة ، وقالت :

ــ حـــائرة .

وجر رأسها من شعرها الى الوراء برفق وقبلها . وانفرجت شفتاهــا وارتخى جسدها المشدود الى جسده . وتحركت يده تحت ردائها . وقال :

ــ لا تخافي . سيكون كل شيء على ما يرام .

وأرتعشت فجأة وهي تضغط بجسدها عليه . واكتسحه شعـــــور بالغموض والنشوة .

الفصــــل السابــع

وفيما كانت ترجع بسيارتها من نوع « كونسل » الى الخلف لتخرج بها من الكراج ، رأى رجلين يمشيان في المشي المؤدي الى البيت . كانت المس كوينسي تنظر في مرآة السياقة ولكنها لم تلحظهما . وقال :

ــ لديــــك ضيوف .

ــ صحيح ؟ مــــن هم ؟

وظلت ترجع بالسيارة الى الوراء حتى اخرجتها من الكراج .

ــ رجــلان . الا تعرفينهما ؟

فاوقفت السيارة ووضعت عتلة التعشيق في وضع متعادل .

ــ كــــلا . . .

واطفات المحرك .

ــ ربما يكونان من موظفي شركة تاميــن ؟

ــ لا اظــن ذلــــك . . .

ــ ربمــا مــن رجال الشرطة .

كان الرجلان قد رأيا السيارة فوقفا عند الباب الامامي ، وهمـــــا ينظران نحوهمــا .

وقـــال سورم :

ــ اسمعي . اذا كانا من الشرطة فبالله عليك ليكن لديك شيء مـــن العقــل . لا تخبريهما شيئــا عــن اوستن بتانا .

ــ ولكــن . . . كيف اشرح وجودك هنــا ؟

ــ ليس هــذا من شانهمــا .

فنزلت من السيارة ومشت على حلبة العشب وهي تقول :

ـ هلا اغلقت باب الكراج ، رجاء ؟

وسره ان يراها تسير برباطة جأش نحوهما . فاغلق الباب ووضع فيه القفل ، ثم وقف الى جوار السيارة وهو يرقبها تدخل المفتاح فى الباب الامامي وتتقدمهما داخل البيت . وتردد فى اللحاق بها . اذا كانا من رجال الشرطة فمن الافضل الا يتدخل . واخذ يحدق فى السماء ، كانت زرقاء شاحبة بعد السيل الغزير . كانت شمس كانون الاول دافئة .

ونادته جيرترود . كانت تقف فى المدخل ، وهي تلوح له . وعندما راح يجتاز الحلبة المشبعة بالماء جاءت للقائه ، وقالت على عجل :

ـ يريدان رؤيتك ايضا .

ـ هل انهما من الشرطة ؟

ـ نعم . يبدو انهما يعرفانك .

لم يكن هنالك اثر للارتباك فى صوتها . وقال مبتسما :

ـ لا يهم . ليس لدينا ما يقلقنا .

ودخلا البيت . كان الرجلان فى غرفة الجلوس يقفان فى وسط البساط . وكان اكبر الاثنين يطقطق اصابعه . وقد ذكره وجه الرجل الاحمر وشعره المتقهقر الى الخلف بالاخ روبنز . وقال الرجل الضخم :

ـ المستر جيرارد سورم ؟

ـ نعم .

ـ نحن من ضباط الشرطة . اسمي ماكمردو ـ المفتش ماكمردو . وهذا المحقق هو العريف جيمس . اعتقد انك صديق للمستر نن .

كان يتكلم ببطء ، وبطريقة رسمية تتفق ومهمته كمحقق وكان يتكلم برطانة اسكوتلاندية خفيفة .

فقال سورم :

ـ نعم صحيح .

وانحنى ليشعل المدفأة الكهربائية . وفيما هو يفعل ذلك ، ادرك ان المحقق قد لاحظ انه يألف البيت ، ولكنه فكر بامتعاض : ليس هذا من شأنه على كل حال .

وقالت المس كوينسي :

ـ الا تجلسان ؟

ـ كلا ، يا مدام ، لا نفعل ذلك . لا نريد ان نؤخركما . وقد رأينا انكما خارجان . نحن نحاول ان نعثر على المستر نن . اتعرفين اين هو ؟

ـ اوستن ؟ كلا . . . هل حاولتم البحث عنه فى شقته ؟

ـ نعم ، مدام ، لم يعد اليهـا منذ يوميـن .
ـ ولكن لماذا تبحثان عنه ؟ مـاذا فعل ؟
فابتسم ماكمردو :
ـ لا داعي للارتباك ، مدام . اكثر الناس الذين تحقق معهم الشرطة لم يفعلوا شيئا . مستر سورم ، هل لديك فكرة اين يمكننا الاتصال بالمستر نن؟
ـ لا اعتقد ذلك . وبيت والديه ؟
ـ كلا . انه ليس هناك . متى رايته اخر مرة .
ـ ! . . . اعتقد . . . يوم السبت . تناولت الغداء معه يوم السبت .
ـ ولم تتصل به منذ ذلـك الوقت ؟
ـ كلا . حاولت مخابرته تلفونيا فى شقته عدة مرات .
ـ آه . لسبب معيـن ؟
ـ كلا . انه صديق مقرب لي .
ـ هل لديك فكرة اين يمكن أن يكون ؟
ـ كلا ابدا . قد تعرف ذلك المس كوينسي اكثر مني .
وهزت المس كوينسي راسها وقالت :
ـ لا اظنني اعرف . ولكنه غالبا ما يغيب اياما كثيرة دون أن يهمـه ان يخبـر احـدا .
ووجه ماكمردو السؤال الى سورم :
ـ هل اخبرك انه قد يسافر لبضعة ايام ؟
ـ كـلا .
ـ آه . طيب ، اشكرك جدا . تأسف لأزعاجكما .
وقـالت المس كوينسي :
ـ ولكن الا يمكنكما اخبارنا ماذا فى الامر ؟ لا بد ان والديه فزعان لرؤية الشرطة تبحث عنـه .
ـ لماذا ، مدام ؟ هل لديها اسبـاب للقلق عليـه ؟
ـ على كل . . . كلا . ولكن عندما تبدا الشرطة بالتحقيق . . . ليس من المدهش ابدا ان يقلقوا عليه . هل يمكنك ان تبين لي اذا كان الامر خطيرا؟
وقبل ان يجيب ماكمردو قال سورم :
ـ انكما تبحثان فى جرائم وايتشابل ، اليس كذلك ؟
ـ نعم . كيف عرفت ؟
ـ قرات اسمك فى الصحف .
فجلست المس كوينسي وقالت :

ـ جرائم ؟ هل لاوستن علاقـة ... ؟

وماتت بقية الكلمات في فمها . وراح سورم يرقبها بدهشة وسرور . كانت تبدي الدرجة الصحيحة من القلق . فقال ماكمردو مهدئا :

ـ نريد ان نلقي عليه بعض الاسئلة فقط . قد يكون في امكانه مساعدتنا.

وقـال سورم :

ـ ظننت ان القاتل القي عليـه القبض ؟

وتبادل المفتش والمحقق النظرات . فاجاب المحقق :

ـ نحن ايضا ظننا ذلك ، حتى الليلة الماضية .

ـ هل وقعت جريمة قتل اخرى ؟

فقـال ماكمردو :

ـ اجـل .

ومشى نحو الباب يتبعه العريف . وقالت المس كوينسي :

ـ ولكن ماذا يمكن لاوستن ان يعرف عن الجريمة ؟

فقـال ماكمردو :

ـ ربما لا يعرف شيئا ، مدام . ولذلك نريد أن نراه . اذا وصلك منـه نبا فسنكون ممتنين لو أعلمتنا . وانت كذلك يا مستر سورم.طاب صباحكما .

وجلست المس كوينسي تحدق فيه حتى انغلق الباب . وظلا يرقبان الرجلين وهما يبتعدان . وقالت :

ـ اذن ... يبدو انهما يبحثان عن اوستن ؟

ـ لـ ... لست ادري . اذا كانت قد وقعت جريمة الليلة الماضية... فليس في ذلك ما يدهش ، ها ؟ انهم يريدون استجواب كل شخص ، حتى من له علاقة بعيدة بها . وبالاضافة الى ذلك ، لا يبدو عليهما انهما يشتبهـان باوستن بقوة ، والا لوجها اسئلة كثيرة . ولم يسالاني حتى عن الشقـة في كينسغتـن ...

ـ هل تظن انهم يعرفون عنها شيئا ؟

ـ لا بد ، بالتاكيد . ليسوا مهملين الى هذا الحد .

وتوقف ، واخذ يحدق من خلال النافذة ، وسمعا صوت سيارةتتحرك. وقـال ببـطء :

ـ انـا ... لست افهم هذا كله . ولست ادري ماذا اعتقد .

وقـالت بهـدوء :

ـ اذا كان مذنبا ، ليس هنالك ما يمكننا ان نفعله .

وخرجت من الغرفة قبل ان يعي كلماتها . واطفا النار ، وخرج . وسمع

صوت باب غرفتها يفتح . وعندما دخل الفاها تضع المساحيق على انفها من طاولـة الزينـة . وقـال :

ــ أسمعي ، يا جيرترود . دعيني اخبرك بشيء . لنفرض انه مذنب ، هل تدعينهم يأخذونه الى المشنقـة ؟

ونظرت اليه فى المرآة ، وكانت الدهشة ترتسم فى وجهها .

ــ ماذا فى وسعي أن افعل ؟

ــ الا تحاولين حتى أن تساعديه ؟

والتفتت لتحدق فى وجهه .

ــ تعني اذا كان اوستن هو الذي قتل كل هؤلاء النسوة ؟

وفيما هي تتفوه بهذه الكلمات لاحظ التصديق يشع من عينيها . لم يعد الامر احتمالا بعيداً ، بعيدا الى حد لا داعي للتفكير فيه . وكانت الصدمة هذه المرة فى وجهه هو . ولاول مرة اخذ يعتبر الامر مجرد مسألة جريمـة وعقـاب . وقـال :

ــ لا يمكنني ان اصدق انه هو القاتل . على كل حال ، انه منحرف جنسيا . ولكني واثق من انه يعرف شيئا عن الجرائم . كل الدلائل تشيـر الى هـذا الاحتمال .

ــ ولكن كيف ؟ كيـف يعرف ؟

ــ انه يزامل المنحرفين جنسيا . وهم متفقون فيما بينهم كأنهـم فى جمعية ماسونية . على كل حال ، من المحتمل الا يكون المسؤول رجلا واحدا . يحتمل أن يكونوا كثيرين . . . جمعية كاملة .

ــ تعني . . . جمعية هدفها القتل ؟

ــ ربما . حدثت اشياء اغرب من ذلك . كانت فى الهند جمعية دينيـة هدفهـا القتـل .

ولاحظ انها تدور حول هذا الموضوع . وجلس على حافة السريـر فغـاص فيـه .

وقـالت :

ــ هل تعتقد ان اوستن قد دفع به فى هذه القضية بطريقة من الطرق .

وفهم مرامها . كانت كلمة « دفع به » تعبيرا مهـذبا لـ « ضلل » او « افسد » . وقـال :

ــ من المحتمل . تبدو اكثر هذه المغامرات السادية ذات طبيعة جماعية . وعلى كل ، ربما يعرف شيئا عنهـا .

وقـالت :

ـ ينبغي علينا ان نبحث عنه . اتظن ان ذهابنا الى ليذرهيد مأمون ؟

ـ يمكننا المحاولة . ربما لو ذهبنا لزيارة غلاسبب في طريقنا فلن يكلفوا انفسهم مشقة ملاحقتنا . كما يحتمل ألا يكونوا مكترثين .

وفيما هو يتكلم ، تذكر أن ماكمردو هو المسؤول عن القضية . ومرت به لحظة ، اغراه فيها احساس بان يترك الامور وشأنها . ولمس نفس هـذه الشكوك ترتسم على وجه كوينسي . وقـال :

ـ الاجدر ان نتحقق عن حادثة القتل الجديدة قبل ان نفعل اي شيء اخر . قد لا تكون لها علاقة بجرائم القتل السابقة . وربما القي القبض على القـاتل ...

وقـالت :

ـ اذا كان القاتل اوستن نفسه ، فلن يكون هنالك ما في وسعنا انفعله.

ونظر اليها ، ووجد عينيها تنطقان بالخيبة المتوقعة . وقالعلى عجل :

ـ ربمـا .

ـ انك ولا شك لا تعتقد انه اوستن ، اليس كذلك ؟

وقاوم رغبته في تجنب السؤال . وقد احس بالدافع لمقاومة هـذه الرغبة لشعوره بالحاجةالى حمايتها،او قد تكونفترةحمايتها قصيرة. وقالبروية:

ـ عزيزتي ، لا فائدة من تجاهل الامر. من الجائز ان يكون اوستن هو القاتل. انه امر ممكن. انا لا أريد تصديقه، ولا اريد ان يكون كذلك . ان مخيلتي لتعجز عن مواجهة تلك الحقيقة . ولكن لو فرضنا ان اوستن هو القاتـل ، علينا ان تواجه الموقـف .

وراح يرقب تتابع الانفعالات في عينيها : عد التصديق ، حـدة تشبه التوجع ، ثم انتقال اهتمامها من المعاني التي كانت تصورها كلماته الى تعابير وجهه ، واخيرا تكييف نفسها الى الموقف ، والأمل . وقـال :

ـ لا اعلم انا ايضا كيف اشعر . لا ادري هل اتخلى عنه . كيف السبيل الى معرفة ماذا يجب ان يجيزه القانون وماذا يجب ان يحظره ؟ انك تفترضين ان الجنس من الرذائل لأن الكتاب المقدس يحرم الزنى . غير ان التجربة تجعل من الصعب الايمان بذلك . حتى اني ، الليلة الماضية ، كدت ان اشعر بانـك كنت تحاولين تعديل القيم التي كنت تؤمنين بها ـ كنت تحاولين الوصول الى قرار فيما انك تقترفين خطيئة ام لا ...

فقـالت :

ـ ليس ثمة شبـه بين الحب والقتل .

وادهشته للمرة الثانية السيطرة التي استطاعت خلال ساعات قليلة

ان تحققها على مشاعرها ، تلك القابلية على تكييف نفسها لحقائق جديدة .

ــ هذا صحيح . على كل حال ، انا لست احاول الدفاع عن الرغبة في القتل . انا أقوم بمجرد محاولة لتفهم هذه الرغبة دون ان الجأ الى تبسيط دوافعها اكثر مما ينبغي . فمثلا ، الا يمكنك ان تتصوري جريمة قتل ترتكب بدافع الحاجة للتعبير عن الحريــة ؟

فقــالت بصبر :

ــ لا اختلاف في الامر . ليس لاحد الحق في القتل للتعبير عن حريته .

ــ انا لا اتكلم عن الحق . بل اتكلم عن المسؤولية . اصغي ، يا عزيزتي، لنفرض جدلا أن اوستن هو القاتل . فما هو مدى مسؤوليته في القتــل ؟ اذا اتت قطتك أمرا قذرا على البساط ، فانك تضربينها بضع ضربات ثم تلقين بها خارجا ــ لانك تعتبرينها مسؤولة . ولكنك اذا علمت أن القطة كانت تعاني من تأثير طعام تناولته ، فلن تعتبريها هي المسؤولة ... لانك تفترضين انهــا لم تستطع منع نفسها . طيب ، اليست المسألة كذلك بالنسبة لجريمـــة القتــل ؟ كيف علمت أن القاتل لم يبلغ درجة من الضجر واحتقار الــذات والتعاسة مما يجعل تجنب اقتراف جريمة القتل امرا يكاد يكون مستحيلا ؟ يصبح القتل شهوة طاغية بغية استعادة حريتــه ...

فهزت رأسها :

ــ لست أفهم . ما هي علاقة القتل بالحرية ؟

ــ الا تفهمين؟من الممكن ان يصبح الانسان سجينا في زنزانة حقده على نفسه. لناخذ قضية كريستي مثلا . فهو رجل صغير ضعيف المظهر لا يستطيــع الاذى ويعاني من حساسية في اعصابه . وينمو فــيه هوس عصبي للجنس ــ أتعلمين ، كانوا يدعونه في مدينة ليدز « كريستي العاجز » ؟ على كل حال، ينبغي أن يكون الجنس تحررا من الشخصية ، بيد أن المصاب بهوس الجنس لا يمكنه مطلقا تحقيق تلك الحرية الا في خياله . وفي الاخير ، يبلغ مرحلة لا يعود خياله فيها يكفي . مرحلة يخونه فيها خياله . فيلجأ الى القتل ، حيث يجد فجاة كل ما كان يريده ــ امرأة حقيقية ترقد عند قدميه . وفي تلـــك اللحظة يحس بالحرية القصوى ، يحس باتصاله بالازل ــ أنه يصبح في الواقع جزءا من الازل . وتلي بعد ذلك العودة المحزنة الى الارض ــ امرأة فـــاقدة الوعي ترقد عند قدميه . لقد كان يقتلها بالغاز . وينتابه الشعور ، يا الهي ، ماذا أفعل عندما تستيقظ ؟ ثم يعود الى عالم القلق القاتل والتفاهة ــ فيخنقها ويخفي جثتها تحت لوحات الارضية ، وهو قلق بشأن الرائحة التي ستفــوح منها . أفهمت ما اعنيه ؟ لولا احتقار الذات والشعور بالاجهاد والتفاهـــة

لما كانت هنالك جريمة قتل . انه يقتل لنفس السبب الذي يدفع القـديس الى التأمل والذي يدفع الشاعر الى الكتابة عن الطبيعة . ان القتل طريقـة للهروب من الذات . وللسبب نفسه يصبح دي كوينسي مدمنا على المخدرات وادجار الان بو سكيرا . ولكن بدون وجود الحساسية المرهفة لا تكون هنالك حاجة للهروب . انهم يريدون حياة اكثر شدة وعمقا ، غير أن الباب الوحيد الذي ظل مفتوحا امامهم هو القتل . . .

ونظر اليها باشفاق . كانت تصغي دون ان تعي شيئا . وعندما توقف عن الكلام ، ظلت تحدق باتجاهه في ورق الجدار . لقد غمرته الرؤيـا ، ولكنها لن تفهم . انها لا تعرف غير القوالب وغير فصول سفر الملوك . انهـا لن تفهم الخير الحقيقي والشر الحقيقي . لو فهمتهما لحطمتها المعرفة .

كان هذا هو جواب اهتمامه بهاـلقد اورثته هذه الرؤيا الخيبة والحنان. ان عالم المراة ، هو عالم الاشخاص . وبدون « كالي » ، تلك الام المعتوهـة ، لا شيء هنالك غير قابلية لامتناهية على التدمير وقابلية لا متناهية عـلى الخلـق . وقال :

يجدر بنا أن نرحل . لا نفع هنالك في جلوسنا هنا .

ونهض ، ونهضت بصورة تلقائية وتبعته الى الباب . وفي اعلى السلـم التفت اليها وقبلها ، غير ان فمها لم يستجب له . وهبط السلم ، وهو يفكر: ترى هل هناك امراة لا تمتد جذورها الى حدود ، والى الشك الذاتي ؟ ربمـا لا . غير أن البحث لم ينته بعـد .

* * *

وعندما مرا بسيارتهما قرب هاوندسديتش ، قـال :

ـ لو أعلم اين وقعت الجريمة ؟ كان ينبغي ان نسأل ماكمردو .

ـ لمـاذا ؟

ـ اوه . . . مجرد فضول . اتجهي نحو اليسار عند اضواء المـرور . ثم لنذهب في الشارع التجاري لعلنا نكتشف المكان .

ـ كيف نكتشفـه ؟

ـ أوه ، ربما سنرى جمهورا من الناس . بي مرض الفضول .

ـ ما اتعس هـذا المرض .

ـ هل هناك ما يدل على اننا ملاحقـون ؟

ـ لا اظن ذلك . لا استطيع القول . . . الشارع مزدحم جدا .

ـ اتجهي عند الكنيسة الى الشارع الاخر . كلا ، انتظري . اعتقد اننا اهتدينا الى المكان .

وحالما وصلت السيارة فى موازاة الكنيسة استطاع ان يرى حشدا من الناس فى منعطف شارع برشفيلد ، مقابل السوق . وقــال :

ـ قفي هنـــا لحظـــة .

وسار فى محاذاة الحشد ووقف على طرفي قدميه لينظر عبر الرؤوس. كان اهتمام الجمهور يبدو مركزا فى مدخل احدى البنايات على بعد اثنتي عشرة ياردة على طول الشارع . وكان رصيف السوق من الاسمنت مزدحما بالرجال والنساء الذين كانوا يحدقون فى جماعة من رجال الشرطة خارج المدخــل . ولم تكن هنالك عربة اسعاف .

وشق طريقه عائدا الى السيارة . وقال :

ـ لا يمكن رؤية شيء . علينا أن نقتني صحيفة الظهيرة .

وخرج من بين الحشد رجل قصير فى بذلة عمل بيضاء مبقعــة ومــر بهمـــا . فقــال سورم :

ـ من فضلك . . . ماذا يجري هنالك ؟ ماذا ينتظر الجمع ؟

فقـــال الرجـــل :

ـ الا تعلـم ؟ جريمة قتـل اخرى .

فقال سورم وهو يتكلف الدهشة :

ـ ولكني ظننت انهم قبضوا على القاتل !

ـ كل الناس ظنوا ذلك . ولكن يلوح انهم مخطئون ، اليس كذلك ؟

ـ مـــاذا حدث ؟ اتعرف ؟

فقـــال الرجل :

ـ لم يحدث شيء يذكر . وجدوها فى غرفة ، مقطعة الأوصال .

ثم هز كتفيه ومضى فى طريقه . ودخل سورم السيارة وسأل :

ـ اسمعـــت ؟

ـ نعم . يلوح الأمر فظيعا .

ـ ربما يبالغ الرجل فى القضية . الا تعلمين كيف تنتشر الشائعات . كـم الساعــة الآن ؟

ـ النصف بعـد التاسعـــة .

ـ لنعد بطريق شارع فليت ، فنحصل على الطبعات الأولى من الصحف خـــلال نصف ساعة .

وضغطت على عتلة الوقود :

ـ الـــى ايـن الآن ؟

ـ لنذهب فى زيـارة الى اوليفر .

وبينما كانت السيارة تسير فى شارع هانبري ، قــال :

ـ لا شك ان هذه الحادثة وقعت لصالح اوليفر . أذ ليس للشرطة الوقت للاهتمام بقضية مثل قضيته . على كل حال ، لا يبدو انهم حملوا قضيتــه محمل الجد والا لما سمحوا له بالخروج بكفالة ... قفي هنا . يجب أن تسيري فى شارع وايتشابل . انه ذو ممر واحد .

وفى نهاية شارع داروورد قال :

ـ الا تنتظرين هنا حوالي عشر دقائق ؟ سأحاول ان اسرع . ولكنــي اشك فى ان غلاسب يرغب الان فى مجاملة احد ...

ـ كلا . افهم ذلك تماما . لا تقلــق .

وانفتح الباب الامامي . وطرق الباب بقفا اصابعه ، وهو ينادي :

ـ هل فى البيت احــد ؟

ولم يجبه احد . فارتقى السلم بحذر وبصره ما زال اعشى من تأثيــر نور الشمس ، وقد اكتنفته رائحة زيت البارافين المالوفة . وتحسس طريقه نحو البــاب وطرقه . فهتف صوت غلاسب :

ـ هلــــو ؟

ففتح الباب ودلف الى الغرفة . كان غلاسب مضطجعا على السريـــر بكــامل ملابسه . وقال سورم :

ـ هـــلو . كيف تسير الامــور ؟

فقــال غـلاسب :

ـ على ما يرام . كيف وصلت الى هنــا ؟

ـ اوصلتني جيرترود كوينسي بسيارتها . انها تنتظر فى نهاية الشارع. جئت لمجرد السؤال عنـــك .

وجلس على المقعد الى جوار المدفاة النفطية وقال :

ـ هـــل سمعت شيئــا ؟

ـ لقد اسقطوا الدعوى .

ـ عظيم ! تهانينا ! متى سمعت بذلك ؟

ـ منــذ ساعتيــن .

وقــال سورم :

ـ أذن ، ماذا هناك ؟ لا تبدو مسرورا لذلك . لماذا اسقطوا الدعوى ؟ هـــل ظهرت كريستيــن ؟

ـ نعـــم .

ـ طيــب . وهــل فحصوها ؟ ـ كـــلا .

ـ لـــم لا ؟
فقــال غلاسب بصوت واهــن :
ـ اسمع ، يا جيرارد ، ارجو المعذرة ولا تسأل اسئلة كثيرة .
ونظر اليه سورم ، كان يحدق فى السقف . واستطال الصمت .وقال سـوـورم :
ـ طيب . انا ذاهب الان . هل انك واثق من ان كل شيء علىما يرام ؟
ونظر اليه غلاسب وهو يرفع رأسه . ثم اسند رأسه على الوسادةورفع جسده فجأة واسند كتفيه على قضبان السرير النحاسية . وقال :
ـ اعترفت بانها ليست عذراء ، على كل حال . ولكن الذي فعل ذلـك بها هو ابن عمها الذي يسكن معهم . وقد اعترف هو ايضا بذلك . ولـــذا اسقطوا الدعوى .
فقــال سورم : يا الهي !
وهز سورم كتفيه ثم أسقط رأسه ثانية على الفراش. وقال سورم اخيرا:
ـ لا شك انها ... صدمة . كيف تشعر نحوها ؟
كان صوت غلاسب هادئا خاليا من العاطفة :
ـ انها ليست ابنتي ، فلم اكترث ؟
ونهض سورم ، وقال وهو لا يعني ما يقول :
ـ انه موقف معقول . ليس في الامر ما يدهش . لا اخالك تشعـــــر بالامتعــاض ؟
ـ كــلا .
ـ وستبقى تلتقي بهــا ؟
ـ كيف يمكنني ذلك ؟ انهم لا يسمحون لها بذلك .
ـ ولكنها ... ستبقى ترغب في لقائك ؟ ـــ ربمــا .
ووقف سورم عند الباب ، يتردد في الخروج . لقد اغاظه ما لمســه من الفتور في موقف غلاسب . وقال :
ـ بالتأكيد ليس هذا من الامور التي تقلق ؟ لعل هذا حدث قــبل ان تلتقي بها .
وانك لتمنحها شيئا لم تمتلكه من قبل . فلا يغير هذا في الامرولاريب؟
ولوى غلاسب راسه لينظر اليه وقال :
ـ انظر يا جيرارد . لا اعلم كيف اشعر نحو القضية . اشعر كأنني وقعت من ارتفاع عشر طبقات . كما انني لست واثقا كيف شعرت تجاهها ، لعل هذا ما كنت ابغيه طول الوقت . لست ادري ، انا لا استطيع ان افهم

شيئا وحسب . لم تريد ان تقوم بهذه الفعلة .؟ اود ان اتحدث معها ... حتى انها قالت لي مرة بانها تريد الزواج بي . اعلم ان الامر سخافة،ولكني شعرت باني فهمتها ... لا استطيع ان افهم شيئا وحسب .

ـ ربما تفهمها انت اكثر من والديها ـ او ابن عمها هذا . على كـل حال ، لا يمكنك ان تلفظ الفتاة لمجرد هذا السبب . انه هو ما تريد منـك ان تخلصها منه بالذات ـ هذا المحيط الواطيء ..

فقال غلاسب : ربما .

ـ الاجدر ان اتركك الان . ستشعر بتحسن فيما بعد . هل ازورك فيمـا بعـد ؟

ـ ان اردت . ليس اليـوم ..

ـ طيب . لا تدع الامر يقلقك . وداعا ، يا اوليفر .

واغلق الباب على عجل ، وهو مسرور لمغادرة الغرفة .. لقد ضايقته شفقة غلاسب على نفسه ، كانت مشكلته تافهة بمقارنتها مع مشكلة اوستن .

كانت تدخن سيكارة . وقالت :

ـ لم يطل غيابك كثيرا .

ـ كـلا .

ـ كيـف حالـه ؟

ـ بخير . لقد اسقطت الشرطة الدعوى . نستطيع الان ان نسترجـع الكفالة ان اردت ...

ـ صحيح اسقطوها؟ عظيم . كنت واثقة من ذلك . هل هو مسرور ؟

ـ كلا . لقد ازعجني . اكتشفوا ان الفتاة ليست عذراء ، ولكـن ابن عمها كان المسؤول عن ذلك .

ـ ما افظع الامر !

ـ وهو لهذا يمعن في تعذيب نفسه .

ـ لماذا ؟ هل هو غاضب ؟

ـ لست ادري ماذا به . انه لمجنون . اتريدين الذهاب الى الشرطـة لاستـلام المـال ؟

ـ ليس الان . لا ضير ان يبقى . واتوقع انهم مشغولون الان ، على كـل حـال .

واتجها ثانية نحو زحمة المرور في شارع وايتشابل ، وسارا نحـو المدينـة . وغاص في مقعده وراح ينظر خلال الشباك وهـو مقطب الوجـه . وقال :

ـ كنت اظن اوليفر فنانا موهوبا . ولكني بدات الان اشك ... انه شديد الاستسلام للانفعالات . ماذا يهم اذا كانت الفتاة عذراء املا ؟ انها لا زالت الفتاة نفسها .

ـ هل هو ساخط بشدة ؟

ـ لا استطيع ان اجزم . اعتقد انه كان يحاول أن يخلق من الفتاة رمزا للبراءة وما شاكل . لقد اضناه عالم الكبار ، فتحول الى الصغار . ولما اكتشف ان الصغار يخضعون لنفس عوامل الفساد اضحى كئيبا ذا رغبة انتحارية ... ان اوستن اكثر نضجا منه على الاقل .

ـ ولم يتغير موقفه لهذا السبب ؟ لا ادرك العلاقة . يجب ان يسره انهم اسقطوا الدعوى .

فقال بامتعاض :

ـ الله أعلم . انه نموذج للرومانتيكي . لقد توصلت الى نتيجة ، وهي ان القرن العشرين يعاني من بقايا اثار الرومانسية . اناس مثل اوليفر ، لا يمكنهم ان ينظروا بصورة مستقيمة . يجب ان يكون الشيء مريضا ليكسب اهتمامهم ... اوه ، لا تكترثي لقولي. لعلي اقسو في حكمي عليه . عرجي على شارع فينتشرش .

وفي شارع فليت ، توقفا لشراء جريدة « ايفننغ ستاندرد » وكان العنوان البارز : البحث عن القسيس المفقود مستمر . والقى نظرة على عمود اخر الانباء فلم يجد ذكرا لحادثة القتل . فقذف بالجريدة على المقعد الخلفي .

ـ لا فائدة . لنذهب ونتناول شرابا على عجل . انا بحاجة اليه .

كانت صالة البار خالية . كانت الصالة عينها التي تحدث فيها سورم الى بيل بين في اليوم السابق . وشرب قدحا من البيرة المرة بينما كانت جيرترود كوينسي تتفحص خارطة للطرق لتبحث عن اقصر الطرق للوصول الى ليدرهيد . ولاحظ باهتمام السهولة التي شربت بها قدحا مضاعفا من الويسكي الصرف . واكسبته البيرة وشعاع الشمس احساسا بالانبساط . واغلقت المس كوينسي اطلس الخرائط . وقال :

ـ اتظنين الاجدر أن نذهب مباشرة الى ليدرهيد ؟ ام الافضل ان نجرب شقته في كينسنغتن اولا ؟

ـ اتعتقد ان الافضل ان نجرب كينسنغتن ؟

ـ ربما لا . لا اعتقد انه سيبقى في لندن اذا ... اذا كان يعلم عن الامر .

فلمست قدحها الفارغ بطرف اصبعها وقالت :
ـ احسن حالا ، شكرا .
ـ ولكن ... عن القضية كلها ؟
والقت نظرة حواليها ورات ان صاحب الحانة كان خارج مدى صوتها .
ـ كانه شيء لا حقيقي . لا استطيع ان اصدق ان الامر جدي.اشعر بطريقة ما..كانك واوستن والشرطة ، كلكم تدبرون احبولة لايقاعي بها .
فقال بلهجة متعاطفة :
ـ اعلم . اشعر انا بالشيء نفسه . اعتقد ان جميع جرائم القتـل الحقيقية ربما تكون كذلك ـ ما لم يكن المرء مرتبطا بها ارتباطا مباشرا . لا يحدث الا في القصص ان يعثر المحقق على الادلة والاجساد مبعثرة هنـا وهناك . اما في الواقع فجرائم القتل تحدث خارج المسرح ، وكلها مشوشة لا سبيل الى تصديقها .
وانهى بيرته . وقال :
ـ الافضل ان نذهب . من يدرينا ، ربما نجد الشرطة قد سبقتنـا الى المكان . هل يعرف والدا اوستن عنوان ليدرهيد ؟
ـ اجل ، بالطبع .
ـ لا ادري هل اعطوه الى ماكمردو ؟
ـ هل اتصل تلفونيا للتاكد ؟
ـ فكرة صائبة .
ولاحظها وهي تخرج من الحانة ، وادهشه ثانية الهدوء الذياستقبلت بـه الموقف . وطلب قدحا اخر من البيرة ، ووقف عنـد طـاولة البـار ليحتسيه ، وهو يفكر : لن استطيع ابدا ان افهم النساء . هل كلهن عـلى هذه الشاكلة ؟ كانت بالامس من شهود يهوه ، وهي اليوم خليلتي وشريكتي في معرفة حقيقة ما . ليس في الامر انسجام . كان القدماء على حـق . ارملة ايفسوس ، هيلين طرواده . لعل الامر لا يعدو ان يكون افتقـارا الى الحيويـة .
وغابت فترة طويلة . وعادت وهي تسير بخفة وعدم اكتراث المراة التي كانت توا تصلح من زينتها ، ووقفت امامه تنتظر .
وقـال : شراب اخر ؟
ـ كـلا شكرا .
وانهى بيرته ثم خرجا .
ـ طيب ؟

ـ كلا . لم تتصل الشرطة بوالديه .
ـ انت متأكدة ؟ هل سألتهم ؟
ـ كلا . ليس بصورة مباشرة . سألتهم فقط اين استطيع ان اجد اوستن . فقالوا لعله في اوكسفورد مع بعض الاصدقاء . قلت ان احـــدا قد بعث له رسالة بواسطتي ، وان احدا اتصل بي تلفونيا ليسأل عنـــه .
ـ عظيم ! ومـــاذا قـــالوا ؟
ـ كانت امه .. قالت انها لم تفهم الامر ، فهي لا تظن انه فيورطة. قلت لها ظننت ان الذي طلبه قد يكون بائع كتب او دائنا ..
فقال باعجاب :
ـ لـك قابلية فطرية على تدبير الدسائس !
وابتسمت باقتضاب :
ـ يبدو انه لم يحقق احد معها ، اذن .
ـ من الغريب . لم َ اخبرنا ماكمردو بانه حقق معهم ؟
ـ لا اظنه قال ذلك . قال فقط ان اوستن ليس في بيت والديـــه . لعلهم يراقبونـــه .
واستدارت السيارة يسارا نحو الشارع المحاذي للنهر . وقال :
ـ يلوح الامر غريبا .
ـ لم يدر بخلدي شيء اقوله لاحذرهم . بدا الامر فجاة مضحكـــا ..
ـ احسن شيء يمكننا فعله هو ان نجد اوستن . كم يستغرق مـــن الوقت الذهاب الى ليذرهيد ؟
ـ حوالي الساعة ، اذا لم يكن المرور مزدحما ..
وعندما اقتربا من جسر وستمنستر ضبط ساعته مع ساعة « بيج بين » ولاح النهر كانه صفحة من الورق الصقيل تحت اشعـــة الشمس . كان من العســـير الايمان بالقتل في مثل هذا الدفـء المفاجيء .

* * *

وقالت :
ـ اوستن هنـــا بالتأكيد .
واعتدل في جلسته وراح يحدق فيها . كانت صامتة منذ ان تركـــا ميـــسرتن .
ـ ايـــن ؟
ـ هنا في ليذرهيد . كانت هذه سيارته خارج الفندق .
ـ هل انت واثقة ؟ لم ار سيارة حمراء .

ـ لم تكن السيارة الحمراء . كانت سيارة « ام.جي » الرمادية .
والتفت ونظر من خلال الشباك الخلفي . كان من المتعذر تمييز سيارة واقفة من خلال زحمة المرور .
ـ اليس الافضل ان نعود ونتأكد ؟
ـ لا حاجة لذلك . انا واثقة . عرفت رقمها . انها احدى سيارات والده التي يستعيرها احيانا .
ـ ولنفرض انه في الفندق .
ـ لا اظن ذلك . من المحتمل ان يكون في البيت الريفي . ولكنني سأذهب الى الفندق بينما تذهب انت الى البيت .
ـ ولكن ليس من المسموح له الوقوف بسيارته طويلا في شارع رئيسي.
ـ ليست سيارته في الشارع الرئيسي ـ انها في شارع فرعي .
ـ كم يبعد البيت ؟
ـ حوالي الميلين من ذاك الطرف .
ـ هل ذهبت اليه قبلا ؟
ـ مرة واحدة . خرج بي فى جولة فى الطائرة .
وقـال :
ـ اعتقد انه وصل باريس الان .
ـ لا اظن ذلك . لو كان ينبغي مغادرة القطر لما ترك سيارته خارج الفندق .
ونظر اليها باعجاب وقال :
ـ لك ميزات المحقق البارع !
وابتسمت دون ان تجيب . واستدارت السيارة يسارا الى زقاق جانبى فى مدخله رقعة مرور كتب عليها « الطريق مسدود من الطرف الاخر » وبعد مسيرة خمسمائة يارده اخرى استدارت الى اليسار ثانية حيث وقفت .
ـ عليك ان تقطع بقية المسافة سيرا على الاقدام . فلا استطيع العودة بالسيارة اذا ما تقدمت اكثر .
ـ ايـن هو البيت ؟
ـ وراء تلك الاشجار . عند وصولك الى الاشجار سيمكنك رؤية البيت . انه ينتصب وحده .
ـ وماذا ستفعلين انت ؟
ـ سانتظر حوالي عشرين دقيقة .
ـ طيب . اذا لم اعد خلال هذه المدة فمعنى ذلك هو اني وجدت

اوستن . وايــن اجــدك ؟

ـ ساعود الى الفندق . وعليك أن تعود اليه مشيا . يدعى الفنــدق « كراون » وستجد عنوانه فى دليل التلفون ان اردت الاتصال .

ـ حسنــا وداعا يا عزيزتي .

ومال اليها وقبلها . واحس باحساس غريب ، فمنذ ان جاءت الشرطة لم يعد يشعر بانه حبيبها . كانت شفتاها باردتين متصلبتين .

وتسنم الحاجز القرميدي وسمع صوت السيارة وهي تعود الى الخلف فى الزقاق . كانت أيكة الاشجار على بعد مائة ياردة ، على حافة الحقل . ولم يستطع أن يميز وراءها شيئا غير السماء . وعلى الرغم من نور الشمس كانت ارض الحقل المحروثة تلوح قاسية متجمدة . وتبع الطريق المحاذيــة للسياج ، ومشى وهو يسرع الخطى واضعا يديه فى جيبيه . وشعر بعــد حرارة جو السيارة ، ببرودة الهواء .

كانت بين الاشجار بركة ماء ، وكان ملؤها الطيني يبدو راكدا بلا حياة ، وقد برز فى وسطها جذع شجرة مكسورة كانه الذراع . ولما وقف على حافة البركة لمح البيت على طرف الحقل الاخــــر . واجتاحه شعور بالانقباض والتوجس . وظل واقفا دقائق عديدة وهو يامل ان يبصر دلائل الحياة . لم يكن هنالك دخان يتصاعد من المدخنة . ورأى نافذتين تواجهان البركة ، ولكن ستائرهما كــانت مسدلة .

كان الهواء باردا بين الاشجار . والقى نظرة على ساعته فتذكر ان المس كوينسي تنتظره فى السيارة . فانطلق عبر الحقل ليعجل فى الوصول الــى البيت . وكانت تداعبه الرغبة فى ان يجد البيت خاليا ليعود مسرعا الــى السيارة التي تقف فى انتظاره ومن ثم الى لنــدن .

كانت بوابة الحديقة الصغيرة الامامية مفتوحة . كانت جدران البيت الريفي مطلية بالكلس الابيض غير أن امطار الشتاء كانت قد شقت الاخاديد فيها وخلفت رواسب الصدأ التي انجرفت من سطح البيت المعدني . وكــان خارج الباب الخلفي حوض ماء أمتلأ حتى فاض .

وطرق الباب بمقرعة الباب الصدئة هاتفا : اوستن !

ولما لم يسمع حركة فى الداخل صاح :

ـ هــل هنــاك احد ؟

وخطر له فجأة احتمال وضع البيت تحت مراقبة الشرطة . والتفت وراح يجيل بصره محدقا فى مجموعة الاشجار التي خلفها وراءه قبل قليــل وفى أسوار الحقول الجرداء ، وفى كومة التبن المغطاة بالقماش المشمع فى ركــن

الحقل الاخر . وفيما هو ينظر، سمع حركة في الداخل. والتفت فرأى عيني اوستن تنظران اليه من خلال شق الرسائل تحت مقرعة الباب . وظل يحدق مشدوها لا يقوى على الكلام. وانسدل غطاء الشق وسمع صليل سلسلة وحركة مزلاج . وانفتح الباب . كان اوستن يقف مرتديا القميص والسروال . كان وجهه تعبا غير حليق . وقال سورم :

ـ هــــلو اوستن .

وابتسم نن ابتسامة مترجرجة ، وشم سورم من فمه رائحة الويسكي . وقــــال نــن :

ـ ادخل ايها الصديق العزيز ... واقبل تشايلد رولاند الى البرج المظلــم ...

الفصـــل الثـــامن

كانا كأنهما يلتقيان للمرة الاولى . فخلال اليومين الماضيين ، لم يعـد نـــن شيئا حقيقيا بالنسبة لسورم . وكاد الارتياح الذي احس به لهذا اللقاء يعبر عن نفسه برغبة في الضحك ، وقال :

ـ ما اجمل ان اراك ، يــا اوستن !

ـ اشكرك ، يا جيرارد . مرحبا بك ايضا .

كان للمطبخ رائحة الرطوبة ، وكانت خلف الباب اسطوانة للغاز لم يفك ختمها بعد . وكان حوض الماء وموقد الغاز والة الغسيل جديدة على مــا يبدو . وعلى الرف ثلاث زجاجات ويسكي فارغة .

ـ ايــن الطريق ؟

ـ الــى اليسار .

كانت الغرفة نموذجا مصغرا لشقة نن في شارع الباني . وكان لون البساط هو اللون الازرق نفسه ، والجدران مطلية باللون الابيض المائل الــى الاصفرار والازرق البحري . وكانت الغرفة خانقة الحرارة ، اذ كانت هنالك مدفأة زيتية تتوهج في وسطها اسلاك على هيئة نصف كرة . وكــان يضيء الغرفة مصباحان زيتيان لهما زجاجتان طويلتان ، وكانت مشوشة المظهر ، مبعثر على بساطها رماد السكايــر بكمية كبيرة وكذلــك قشــور الفــول السوداني . وكانت على المنضدة بقايا طعام وزجاجتا ويسكي مليئتان . وازاح نن الصحيفة وبعض الكتب التي كانت ملقاة على الكرسي وقال :

ـ اجــلس .

ـ شكرا . ارجو ان تسمح لي بأن اخلع معطفي .

ـ كيــف جئت ؟

ــ جيرترود اوصلتني .
ــ ايـــن هـــي ؟
ــ عــادت الى الفنـــدق .
والقى نن بنفســه على الكرسي وتناول قدحا من المنضدة وقال :
ــ هيا تناول شيئا من الويسكي. افتح زجاجة جديدة. لم قررت المجيء.
ومزق سورم الغلاف الرصاصي من قمة احدى زجاجات الويسكي وصب لنفســه كمية كبيرة وقال :
ــ كــانت الشرطة تبحث عنــك .
واضاف شيئا من الصودا والتفت الى نــن فالفاه يبتسم. كانت اسنانه صفراء كانها انياب افعى . وقال :
ــ نعـــم .
وخلع سورم سترته وقذف بها على ظهر احد الكراسي . وقال :
ــ هل افتح النافذة ؟
ــ بالتاكيد . اين وجدك رجال الشرطة ؟
ــ في بيــت جيرترود .
ــ متــى ؟
ــ صبـــاح اليــوم .
ــ آه .
كــان نن ما يزال يبتسم . وكان سورم يتوقع السؤال الذي كان يجول في ذهن نــن ، فتاهب للاجابة بصدق . غير ان اوستن بدلا من ذلك سأل :
ــ كم سيطول انتظار جيرترود لك ؟
ــ طول اليوم ، اذا اقتضى الامر . والا فيمكنني ان اتصل بها في فنــدق كـــراون .
ــ طيب . قد نفعل ذلك فيما بعد . يمكنني ان اوصلك بسيـــارتي الــى المدينــة .
ولم يدع سورم الدهشة تلوح على وجهه وقال :
ــ طيب . هل انت عائد اليوم ؟
ــ اظن ذلك . . . ما دمت قد جئت انت . ولكن امنحني بضع ساعات كيمـــا اصحو .
وتمدد في الكرسي وتثاءب ثم افرغ كاسـه .
ــ اذن فقد قطعت كل هذه المسافة لكي تحذرني ؟ ما اعذبك !
ــ شكرا . ليس في ذلك اية مشقة .

وتوجه نـن نحو الطاولة وصب لنفسه المزيد من الويسكي . كـان يتناوله غير ممزوج بالماء . واثناء عودته الى الكرسي توقف بالقرب من سورم ووضع يده على راسه وقـال :

ــ لا يمكنني ان اعبر عن مدى سروري بلقائك ، ايها الصديق العزيز .

واستطاع سورم ان يميز صدق مشاعره من خلال الويسكي . وقال :

ــ شكـــرا .

واستند نـن على ظهر الكرسي . وكان ما يزال يترنح قليلا . وقال :

ــ انك لصديقي حقا ، اليس كذلك يـا جيرارد ؟

ورفع سورم بصره اليه واحس مرة اخرى بتدفق الحنان . وقال :

ــ اجـــل . انـا صديقك .

وابتسم نن ومضى يترنح في طريقه عائدا الى كرسيه . وقال سورم :

ــ ولكنك ان اردت ان تصحو ، فليس بهذه الطريقة .

فقـــال نـــن ببطء :

ــ كلا . احسبك على صواب . اجـل .

وعاد الى النافذة وسكب ما في قدحه خارجا . وقـال :

ــ لسوء الحظ ، اظل احس بالرغبة في شرب شيء بمجرد ان اشرب جرعة واحدة . وليس لدي حليب .

وذهب الى المطبخ . وسمعه سورم يقول :

ــ لا تظنن ان الشمبانيا تصلح من حالي . حتى ولا نبيذ نيرشتاينر . وعليه فلم يبق لدي غير حساء الاطفال او عصير الليمون .

وعاد وهو يحمل ثلاث زجاجات من عصير الليمون وفتاحة قناني . وسكب محتويات احدى الزجاجات في قدحه واخذ يذوقه . وقال :

ــ اوف ! مـــا افظعـــه !

ووضعه على مسند الكرسي كأنه سائل النتروغليسرين المتفجر ثـم اعتدل في جلسته وقال :

ــ طيب ، استمر . ماذا اراد رجال الشرطة ؟

ــ مجرد ان يعرفـوا مكـــانك .

ــ آه . وهـــل قـالوا شيئا اخر ؟

ــ كـلا . ولكني عندما سألت ماكمردو ان كان هو المسؤول عن التحقيق في قضية وايتشابل اجاب بالايجاب . واخبرني بـأن حادثـة قتل اخرى وقعت الليلــة الماضيــة .

وقـال نـن بعـدم اكتراث :

ـ وهـل افضى اليك بأية تفاصيل ؟
ـ كـلا .
ـ متى تـم العثور عـلى الجثـة ؟
ـ فـي وقت متأخر ، على مـا اظن . حيث لم تذكر الجرائد الصباحية شيئـا عنهـا .

ومد نـن يده وسحب مقعدا صغيراً . ثم اغمض عينيه ومد جسده وسقط رأسه الى الامام . وقال :

ـ موقف محرج ، اليس كذلك يا جيرارد ؟
ـ لست ادري .

وابتسم نـن وهو مغمض العينين . كان يلوح كالنائم في استسلامه التام الى الشعور بالاجهاد . وقـال :

ـ ظللت افكر في هذه المشكلة خمس ساعات . غير ان الويسكي اخـذ يطغـى علي .

وفتح عينيه فجأة وحدج سورم بنظرة :

ـ مـاذا ينبغي علي ان افعـل ؟

فقـال سورم :

ـ لست أدري . فلست افهم مشكلتك تمامـا .

وابتعد بكرسيه عن النار . كان النسيم المقبل من خلال النافذة قـد خفض حرارة الغرفة . غير ان الحرارة كانت ما تزال شديدة . ونهض سورم وذهب نحو النافذة ثانية . ولمس سورم شيئا من القلق والتوتر لدى نـن مما لم يستطع الويسكي أن يمحـوه .

ـ هل انت واثق من ان احداً لم يتبعك الى هنا ؟
ـ ليس من المحتمل . كنت اراقب باستمرار . حتـى ان جيرترود ادارت مرآة السياقة باتجاهي كي استطيع ان انظر خلال الشباك الخلفي .
ـ ما مدى معرفة جيرترود بالامر ؟
ـ بقدر ما اعرفـه انا تقريبا .

وتجاهل نـن التحدي الذي كانت تنطوي عليه كلمات سورم . واسدل الستـار وعاد الى كرسيه .

ـ لا اريد ان يقاطعني احد . يا الهي ، احس باني متمرغ بالوحـل . يمكنني ان اكتفي بحمام بارد . لا تهتم . اريد ان اتحدث اليك .

ومسح وجهه بيديه ودفع شعره الى الخلف . ثم احتسى نصف قدح الليمون وجلس وهو مقطب الوجه . وقال :

ـ اني لفي موقف حرج ، كما ترى ، ايها الصديق .
ـ مــــا مدى حراجته ؟
لست واثقا . هل كان ماكمردو يحمل امرا بالقاء القبض علي ؟
واحس سورم بالتوتر في صدره لهذه الكلمات . وقال :
ـ كــلا . لا اظن ذلــك .
كان نن باسطا جسده على الكرسي ، وظل يحدق في سورم حتــى طال الصمت . كانت عيناه تلوحان محمرتين واهنتين ، غير انهما كانـــتا تنطقان بالسخرية . وقــال اخيرا :
ـ طيب ، يــا جيرارد ؟
ولم يجب سورم ، ولكنه هز كتفيه . وقــال نــن :
ـ انك ما زلت اكثر أدبا من ان تدس انفك في شؤوني . ولكنك صرت تحس بشيء من المسؤولية تجاه القضية ، اليس كذلك ؟ وقطعت الطريـــق لتحــذرني . لمــاذا جئت ؟
ـ اعتقد لاحذرك . كنت احاول الاتصال بك تلفونيا طوال الاسبوع .
ـ كنت هنا . ولكني جد ممتن لك ، يا جيرارد ، جد ممتن . . . ماذا تفعل لو القي القبض علــي ؟
وقال سورم بتأن :
ـ تعني . . . بسبب حوادث القتل ؟
فقـــال نــن بهدوء : اجل .
ـ هل يمكنهم القاء القبض عليك ؟
ـ لست أدري . ربما لا . وحتى ولو قبضوا علي ، فانهم سيضطرون الــى اخلاء سبيلي .
وافرغ سورم قدحه . كان قد شرب مقدار اربعة اصابع من الويسكي ولكنه لم يتأثر مطلقا ، بل احس بمقدار ما كان يدين به الى الويسكي للهدوء الذي كان يشعر به . ومد يده نحو الزجاجة وسكب المزيد . وانتزع سورم غطاء قنينة اخرى من عصير الليمون . وقال سورم :
ـ ما الذي يحملك على الافتراض بانه لن يلقى عليك القبض ؟
ـ ليس لديهم دليــل .
ونهض ثانية وذهب نحو النافذة وقال :
ـ لا اريد ان ياتي ماكمردو زاحفا تحت هذه النافذة وهو يحمـــل مسجلة صوت . الافضل هو ان ندع النافذة مغلقة . ساطفيء المدفأة .
وقـــال سورم :

ـ هل انت على يقين من عدم وجود الادلة لديهم ؟
ـ تقريبا . ليس هنالك دليل قاطع فى المحاكم .
فقـــال سورم :
ـ سيحاولون جهدهم . انهم فى امس الحاجة للقبض على احد .
ـ اعلم . وربما سيبحثون عن سبب لحجزي لديهم ريثما اضطر الـى الاعتراف . من اليسير ان يفعلوا ذلك. وهم يأملون أن انهار. ولكني لن انهار
ـ لا ؟
ـ كلا . هل لاحظت ان اكثر القتلة يسرفون فى الكلام ؟
وجعلت هذه الكلمة سورم يشد بيده على القدح . كان القاتل بينهمـا كانه ورقة لعب مقلوبة على وجهها . وقال نـن :
ـ.وايتوي ، القاتل فى قضية تيدنغتون توباث . نيفيل هيث . بيتـر عمانوئيل . كلهم ظلوا يثرثرون طوال طريقهم الى المشنقة .
فقـــال سورم ببــطء :
ـ هل تعتبر نفسك فى عداد هؤلاء ؟
ونظر اليه نـن نظرة جادة ، نظرة استحسان لا تكاد تتميز ، كأنه استاذ يرد على المع تلاميذه . وقـال :
ـ كلا ، لا اعتبر نفسي منهم .ولكن ذلك لا يمنعني من الاهتمام بهم . انك لا تحصر قراءاتك بغوته ودوستويفسكي فقط بالرغم من انك تعد نفسك اقرب اليهم من معاصريك . والمشكلة هي ان اكثر المجرمين أوغاد حمقى . لقد كان عمانوئيل وهيث وغيره زمرة حقيرة . ولكن كورتن كان اكثر اثـــارة للاهتمام ، ولو كان فى قطر اكثر حضارة ـ كالسويد مثلا ـ لما شنقوه. كان شديد الاهتمام بدوافعه ورغباته ، وقد قرأ لومبروزو وهافيلوك اليس . لو ساعده نفر من الاطباء اللامعين لكان اضاف افقا جديداً الى علم النفس .
كانت اثار الويسكي قد تلاشت كلها ، سوى بعض الشهقات التـي كانت تنتابه بين الحين والآخر . وكان فى عينيه بريق كبريق الحمى وهـــو يتكلم . وقـــال :
ـ اتعلم ، يا جيرارد ، لقد حاولت مرارا ان أحاسب نفسي . انـــا لست حيوانا . انا انسان ، ويمكنني الحكم على نفسي . ولو كنت كاتبا أو شاعرا ، لاتفق البشر على انني استطيع ان اضيف شيئا الى معرفتهم . وهذا يعني انني امتلك ذاتي . ويمكنني ان احلل دوافعي بالرغم من اني لا املـك السيطرة عليها . واذا استطعت ان اتحدث عنها للاخرين فمن الممكن حتى ان اتعلم السيطرة عليها . وعليه فلماذا يصدر الحكم بادانتي وإساق الـى

المشنقة كالكلب المكلوب ؟ ليس لاحد الحق فى أن يفعل هذا . انها جريمة قتل بحقي .

فقال سورم :

ـ هذا ما كنت تفكر فيه طوال هذا الصباح ؟

ـ كلا . كلا ابدا . ولكني كثيرا ما فكرت فى ذلك ...

وذهب الى النافذة ثانية واطل من خلالها . ثم فتحها وازاح الستار قليلا . كانت الغرفة مليئة برائحة الابخرة الحادة التي تصاعدت من المدفاة وهي تنطفيء . وقال سورم :

ـ وماذا ستفعل الان ؟

ـ اه ، تلك هي المشكلة ؟ هناك شيء واحد اكيد ، وهو انه ينبغي علي ان اكسف .

ـ ولكن ... هل تظن انك ستفلت ؟

ـ لم لا ؟ اذا لم يكن لديهم دليل ضدي ...

ـ ولكن طالما يبحث ماكمردو عنك ، معناه أنه لديه شكوك اكيدة .

ليس هذا شيئا يذكر . لم يرني احد الليلة الماضية ...

فقال سورم :

ـ كنت انت ايضا الليلة الماضية ؟

ولاول مرة لاح الشعور بالاثم فى وجه نن وقال :

ـ اجل .

ـ هل كنت ... على معرفة بالمراة ؟

وجلس نن وقال :

ـ اه ، اذا كنت تريد التحدث عن ذلك ... فمعناه يجب ان نبدا من جديد .

فقال سورم :

ـ لا اريد ان نتحدث عن هذه الحادثة بصورة خاصة .

ـ اترى ... تلك هي مشكلتي . لا يمكنني البقاء فى انكلترا . لو كنت على يقين من اني اريد ان اشفي نفسي ...

ـ الا تريد ان تشفي نفسك ؟

ـ الى حد . ولكن الامر لا يشبه المرض . لا شك انك تفهم ذلك ، يا جيرارد ؟

ـ اظن ذلك ...

ـ الا ترى ... ان اردت ان تفعل شيئا ذا قيمة ، عليك ان تدع لنفسك

المجال للاندفاع . اترى ، لقد ولدت على هذا الشكل . لقد جرى ذلك في عروقي . انه يشبه القلق الذي تحس به انت . لم استطع ابدا ان استقر في حياة اعتيادية . عندما كنت في السابعة عشرة كنت ابتهل الى الله ان يجعل مني فنانا عظيما . كنت اتفرس في صور فان غوخ او مونش وافكر : كان لهؤلاء الناس دوافع غريبة . واعتقد انه كانت تراود مونش رؤى الدماء . كنت اعتقد بأني لو كنت املك القوة الكافية لاصبحت فنانا عظيما ...

وبدا عليه الانهيار فجأة ، والقى براسه مرة اخرى بين يديه . واحس سورم بشفقة هائلة تعتصر في اعماقه وشعر برغبة ليمد اليه يديه عبر الغرفة. وقال نن :

ـ ولكن لم تكن هنالك فائدة ترجى . كنت سعيد الحظ اكثر مما ينبغي . وكان لعائلتي الكثير من المال . لكي تقوم بشيء كهذا ، عليك ان تشعر بالوحدة .

وقال سورم بهدوء :

ـ مسكين يا اوستن .

ورفع نن بصره وهو يبتسم . كانت عيناه حمراوين حيث كان يدعكهما.

ـ كلا . انا لست اوستن المسكين . انا اوستن القذر الغني . ولكن اصغ ، يا جيرارد . لدي نظرية . في عقلي الباطن كنت دائما احاول خلق حالة متأزمة في حياتي . لكي اتخلص من المال والامتيازات . وقد نجحت بذلك فعلا . لقد خلقت الازمة ولم يعد هنالك طريق للعودة . تأمل ، لو كنت غادرت القطر يوم امس ، لكانوا ادانوا هذا الشخص المسكين من بريكستون لجرائم القتل هذه ولما كان علم احد .

وقال سورم :

ـ انا لست واثقا . كانت الشرطة تراقبك . وقد اخبرني الاب كاراثرز بان احذرك . كان شتاين قد اخبره .

فقال نن :

ـ الاب كاراثرز ؟ هل بقي احد في لندن لا يعلم ؟

ـ لا ادري اذا كان يعلم . ولم اكن انا اعلم الا عندما رايتك . ولم استطع ان اصدق .

وقال نن :

ـ وقد صدقت الان ؟

ـ كلا . كلا في الواقع . اوه ، اني اصدق كلماتك ... ولكن الأمر لا يبدو حقيقيا بالنسبة لي .

ومد نن يديه على فخذيـه وراح يحدق فيهما وقـال :
ـ لكـن مـا قلته صحيح ...
فقـال سورم :
ـ ولكن لماذا ؟ لماذا كان عليك ان تفعل ذلك .
ونظر نن اليه . كانت عيناه تبدوان محتقنتين بصورة غريبة وقال :
ـ كيف لي ان اعرف ؟ يعود هذا الدافع الى الماضي البعيد حتى انني لا استطيع ان اتتبع اثره . الم تشعر قط باحساس كهذا ؟
ـ آ ... اظن ذلك . عندما كنت في السادسة كان لي ميل قبيح وهو ان اضرب الاطفال الذين كانوا اصغر مني سنا .. اذا ضايقني شيء منهم ولا ادري هل كان ذلك الدافع من الدوافع السادية ام مجرد الميل الى المزاح .
فقـال نـن مبتسمـا :
ـ يبدو ذلك دافعا ساديا بكل معنى الكلمة .
ـ ولكني كنت دائما استطيع ان افهم دوافعي في وقتها . لم يكن الامر ، على كل حـال ، كأن شيطانا تملكني ، كما يقولون . كنت دائما انـا المسيطر عـلى نفسي .
ـ بالطبع . هذه هي الحال دائما .
ـ ولكنك ... حدثتني مرة عن القيام بفعل جعلك تشعر وكانـك انقلبت الـى حيوان .
ـ صحيح ؟ ربما حدثتك بذلك . ولكن ذلك لا يعدو ان يكون طريقة مسرحية للتعبير عن الحالة . لو نظرت الى نفسك نظرة موضوعية ، فستشعر بالطبع بانك كالحيوان . غير ان الواقع ليس غريبا الى هذا الحـد . اتعلم ، ان الواقع ليس غريبا الى هذا الحد . اتعلم ، ان لدى احد علماء النفس نظرية تفيد بان الاساطير القديمة عن الوطاويط والذئاب الممسوخة انبثقت كلها عن اعراض السادية ـ انفصام الشخصية . انا لم احس مطلقا بأني ذئب فـي صـورة انسان .
ـ كيـف شعرت اذن ؟
كان يحدق في يديه مرة اخرى . وقال على مهل :
ـ استطيع ان اعطيك فكرة . عندما قتلت تلـك العاهرة السوداء احسست بنشوة هائلة . احسست كأني نبي يطهر العالم ، كأني المسيـح يقذف بالصيارفة خارج المعبد . وعندما رأيتها راقدة على الارض ، كان علي ان اكبح في نفسي الرغبة في الصراخ لجلب انتباه كل من في الشارع ليـأتي وينظر اليها . كنت اريد ان اقول : انظروا ، لقد ماتت . انها عبرة للعالم ...

ورفع نظره فجأة فلمح مزيجا من الذعر والافتتان يرتسم في وجه سورم . لقد بدا نن ، بشكل من الاشكال ، أنسانا اخر ولاح وجهه وعيناه اكثر عتمة . وذكره منظر سورم باحد الغجر تعرف عليه وهو طفل . وقال نن بلهجة كئيبة :

ـ اعلم . انك لا تفهم . لا يمكنك ان تفهم .

وقال سورم :

ـ كلا . . . افهم قليلا . هل كانت هذه هي الاولى ؟

وحدق فيه نن . وكانت عيناه اصلب من ذي قبل ، تلوحان خاليتين من العمق .

ـ كلا . ولكني . . . لا أريد ان اخوض في الموضوع .

ـ طيب . . . عم تريد أن نتحدث ؟

ـ مشكلة ماذا يمكنني ان افعل .

ـ ماذا تريد أن تفعل ؟

ـ لست ادري . أتعلم . . . تركت هذا الدافع ينمو ويشتد . واني لاحس اليوم بأني قد تطهرت منه تماما ـ كانه مضى الى غير رجعة . ربما مضى فعلا لغير عودة .

كان الامل يشرق في وجهه ، وقد استطاع سورم ان يميزه بوضوح . اذ كان الافتعال محالا . وقال سورم بهدوء :

ـ بسبب الليلة الماضية .

فهز نن راسه وقال :

ـ بسبب الليلة الماضية . اتعلم يا جيرارد ؟ احسست في الليلة الماضية ، ولاول مرة ، بالغثيان المفاجيء من نفسي . بدأ الامر سخيفا لا معنى له . وكنت طوال الطريق الى هنا اقول لنفسي : اذا لم يقبض علي هذه المرة ، فهي الاخيرة . لن يحدث شيء من هذا القبيل ثانية .

ـ وهل تعني ذلك ؟

ـ اظن ذلك . لست ادري ، يا جيرارد ، انا لم ازل ارغب في عمل شيء اخر . انا لم ازل واثقا من ان في امكاني ان افعل شيئا جيدا ، شيئا مهما . الا تعتقد ذلك ؟ انه الدافع نفسه ـ الحاجة لان ادع شيئا يخرج من ذاتي .

فقال سورم :

ـ اسمع . ارجو ان تعذرني اذا بدا سؤالي سخيفا ، ولكني اريد ان اوجهه مع هذا . لنفرض ان الامور جرت بالطريقة التي تريدها انت ولنفرض

انك عدت الى لندن ولم تقبض عليك الشرطة فتبدا حياة جديدة . الن تعود بذاكرتك . . . الى الماضي ؟ أم تعتبر أن الامر مضى وطواه النسيان ؟

ـ لست ادري . اظن ذلـك .

ـ الا تحس . . . أ . . . بتبكيت الضمير ؟

ـ وما الفائدة من ذلك ؟ قضي الامر . واذا كان الدافع قـد اختفى نهائيا فمعناه انه لم يكن عديم الجدوى كليا . . .

ـ ومـاذا عـن النساء ؟

فهـز نـن كتفيه وقـال :

ـ اف . . . نفر من العاهرات . نساء بعن حياتهن على ايـة حال . اتدري ماذا قالت تلك المراة لي في الليلة الماضية ؟ « من المحتمل أن تكون انت ذلك الذي يدعو نفسه الفوطة الجلدية » . لقد علمت باني ربما اكونه .

ـ لا احسبها كانت تعتقد بذلك .

ـ ولكنها كانت تعلم ان الامر ممكن . ولم تكترث . لو انك وجـدت حشرة كريهة فى قطعة السجق فانك تكف عن شراء ذلك النوع من السجق ، اليس كذلك ؟ اما اذا مضيت فى تناول هذا النوع من السجق فمعناه انـك لم تكترث فى الواقـع .

ـ او ان الجوع بلغ بك حدا لا يمكنك فيه الكف عن تناوله .

ـ كلا . ليس هؤلاء النسوة الى هذه الدرجة من الفقر حتى انهن لا يستطعن التخلي عن حياتهن . وفى استطاعتهن أن يعشن حياة افضل لـو عملن بائعات فى المخازن او عاملات فى مصانع النسيج . ولكنهن لا يكترثن .

ـ ولكنك لم تقتلهن لمجرد انهن لا يكترثن ؟

فقـال نن بشيء من الغيظ :

ـ لست ادري . لست ادري لم اريد أن افعل ذلك .

وحرك يديه مشيرا الى معدته :

ـ انه شيء احس به هنا . واشعر احيانا بالرغبة فى ان اتناول دواء مقيئا فاتخلص منه برمته . انه يشبه الملاريا المزمنة . ولكن حاول ان تفهـم يـا جيرارد . ليس هذا مجرد مرض . انه انفعال شديد . انـه ضرب مـن الدافع الخلاق المعكوس . احس كاني اخدم شيئا اعظم من نفسي . انه . . . انه حاجة . . . الى البنـاء .

ورسم بيديه شكلا فى الفضاء . ثم ضحك فجاة ضحكة دهش لهـا سورم . كانت ضحكة منبسطة ، فيها شيء من السرور .

ـ اترى ، انك لتحس ان وراء هذه الحاجة دافعا دراماتيكيا ـ كرغبة

مؤلف المسرحيات فى حبك ذروة لمسرحيته . اتفهم ؟
فهز سورم راسه . وقال ببطء :
ــ تعني ... كما نشرت الجرائد : القاتل انتقل الى غرينتش ، واذا بجريمة مضاعفة تقع ؟ ثم يلقى القبض على انسان ، فيتنفس السكان الصعداء . واذا بجريمة اخرى تقع ...
ولاح الجد فى محيا نن فجأة :
ــ من زاوية معينة . نعم . ولكن ، يا جيرارد ... كم اود لو تخلى هذا الشعور عني ، وللابد . لقد كان هذا الدافع يسوقني ... منذ ثلاث سنين .
ــ منذ حادثة هامبورغ ؟
وبدت الدهشة فى وجه نن وقال :
ــ نعم . هامبورغ . كيف عرفت ؟
ــ الاب كاراثرز ايضا ، شتاين هو الذي اخبره .
فقال نن باقتضاب :
ــ توقعت شكوكهم .
ــ الم يكن القتيل رجلا فى هامبورغ ؟
ــ كان شابا . يتعاطى الجنس .
ــ كان الاول ؟
فهز نن راسه بالايجاب .
ــ و ... لماذا شعرت بالحاجة ... ؟
فقال نن وهو يهز راسه :
ــ لا اعلم . لا يمكنك ان تفهم .
ــ ربما يمكنني ان افهم . هل كنت تكرهه ؟
ــ كلا . على العكس . كنت اهواه ... قليلا .
ــ ولماذا لم يقبضوا عليك ؟
ــ لم يعلم احد انه كان معي . وكان لديه زبائن كثيرون .
ــ ولكن ... ماذا فعلت له ؟
ــ هل يهمك ان تعرف حقا ؟
ــ اجل .
ــ دعني اخبرك . غطسته فى حوض الحمام المليء بالماء المثلج ــ كان الوقت فى منتصف الشتاء فى هامبورغ ــ وتركته هناك ساعة واحدة . ثم حملته ثلاثة طوابق وتركته فى غرفة رجل علمت انه سيغيب تلك الليلة عن

غرفته . وعاد الرجل في الخامسة صباحا فايقظ كل من كان في الفندق . ثم جاء احد الاطباء وفحص الجثة وقرر من درجة حرارتها ان الجريمة وقعت قبل ثماني ساعات على الاقل . وقد استطعت ان اثبت اني كنت غائبا عن الفندق حتى الساعة الثانية صباحا ، فسمحوا لي بان اترك الفندق في اليوم التالي .

ـ الم يكن في الامر خطورة ؟ كان من الممكن ان يراك احدهم وانت تصعد به السلم .

ـ هذا صحيح . كان الامر خطرا . وكان الرجل الذي يسكن في الغرفة المجاورة قد سمعني افتح صنبور الماء في الحمام في الساعة الثالثة صباحا وذكر ذلك صباح اليوم التالي . ولحسن الحظ، كنت اتخذت حيطة شديدة الا ادع شعر رأسه يبتل . كانت مسألة خطرة جدا .

كان نن يتكلم بشيء من الزهو . كأنه يقص على سورم تفاصيل نزهة للصيد . ونظر سورم الى ساعته . كانت تشير الى النصف بعد الواحدة . كان قد مضى عليه حوالي الساعة . وكان سلوك نن قد تغير تماما . فلم يعد يلوح ثملا ، وكان يتحدث بدقة متناهية ، وكان صوته هادئا مرحا . وكان الويسكي قد اثر في سورم ، وأحس باكثر من سكرة خفيفة ، بالرغم من انه لم يفقد قوته على التركيز . لقد احس بقبول غريب لنن . لم يعد كون نن قاتلا اغرب من كونه شاذا جنسيا ، او أغرب من كون جيرترود كوينسي خليلته . لقد تغيرت الاشياء ، والعالم في جريان مستديم . ليس ثمة نهاية للمكان او للزمن ، ليست هنالك غير حرية هائلة لا حدود لها .

وقال نن :

ـ قل لي ، ماذا يدور في ذهنك ، يا جيرارد ؟

ـ ليس ذلك سهلا . يمكنني ان ابدأ بالفهم ... ولكن لم تزل هناك حلقات مفقودة .

ـ مثلا ...

ـ الا تفضل ان تكون ... طبيعيا ؟ او ...

فقاطعه نن بسرعة :

ـ بالطبع افضل ان اكون طبيعيا . ولكن ارجو الا تبالغ في اضفاء الشذوذ علي . اعتقد ان مهنة الجلاد ، مثلا ، مهنة غير طبيعية ولكنه يعاملها على انها مهنة مع هذا . والشيء نفسه ينطبق على الجزار . كنت اعرف رجلا قضى سني الحرب يدرب المراهقين على القتل بسهولة وصمت . كما اعرف فدائيين قتلوا عددا لا يستطيعون احصاءه من الالمان . وكان احدهم

يذهب دائما الى المانيا لقضاء عطلته ويقول انه يفضل الالمان على اي شعب آخر في اوروبا .

فقال سورم باكتئاب :

ــ تعني ان القتل هو جزء من الذهنية الحديثة ؟

ــ جزء من اية ذهنية كانت ، يا جيرارد . يقوم المجتمع دائما على القتل . لا نفع في محاولة تحريم القتل بالقوانين والسنن الاخلاقية . يجب ان يترك ليختفي من ذاته ــ على الناس ان ينضجوا ذهنيا الى ما وراء هذه الشهوة . الا تفهم ما اعنيه ؟ صديقي من الفدائيين الذين ذكرته ــ انه انسان يحترم القانون احتراما تاما . ولكن القتل لم يزل في كيانه . واذا وقعت حرب اخرى ، فلا يلبث ان يبدأ بالقتل ثانية . انه لم يرتفع عقليا فوق القتل . ولكنه يقبل بالقوانين التي تحرمه . ليست هذه الطريقة التي ينمو بها الانسان ... هل بدات تظن بأني من الجزويت(1) ؟

فقال سورم بتردد :

ــ لست من الجزويت . ولكن دفاعك هذا لن يجدي في اية محكمة ...

فقال نن على الفور :

ــ اتفق معك . ولا اتوقع ان يجدي دفاعي شيئا . انه ليس في الواقع دفاعا . انا لا انكر ما فعلت ،وكيف لي أن انكره ؟ بل اني لا افهم ما فعلت . لقد ولدت بهذا الدافع .

ــ أعلم ... ولكن الذي لا افهمه هو ... على كل حال ، لماذا ينبغي ان تفعل ذلك . يمكنني ان افهم كل شيء ما عدا فعل القتل نفسه . يمكنني ان افهم الكراهية والحقد . لقد كتبت مرة قصة عن رجل يرتكب جريمة قتل نتيجة لمحض الشعور بالسأم والرغبة في فعل شيء ايجابي . ولكن.. الاسباب ليست بهذه الاهمية . وانك لا تقتل الاسباب وانما تقتل مخلوقا ادميا .

فقال نن بجد :

ــ هذا صواب ، من زاوية معينة . ولكن الشعور ليس ادراكا عقليا الى هذا الحد . وانما ضرب من الاستهجان اللاعقلي على ما اعتقد . ليس للناس فقط ، وحتى للمجتمع فقط ، وانما للعالم .

لم يكن ينظر الى سورم وهو يتكلم . كان قد لوى وجهه ، وكان سورم لا يرى غير قمة راسه وشعره الاسود الكثيف المغسول حديثا . وعندما تامل في سبب غسل شعره مرت به رعشة . وبدا الحديث فجاة غير

---

(1) يستخدم اعداء الجزويت هذه الكلمة لتعني الخبث والدهاء ــ المترجم

حقيقي ، وحاول ان يبذل جهدا عقليا ليعيده الى نقطة واحدة . وقال :
اعتقد اني أفهمك . فلقد خبرت هذا النوع من الشعور بالاشمئزاز. اذ قبل ثلاثة أشهر من استقالتي من وظيفتي الى الابد ذهبت لقضاء اجازة فى كينت ، ومر بي شعور مماثل .

وقـال نـن وهو لم يزل مشيحا بوجهه .

ـ مـاذا حدث ؟

ـ اوه ... لقد شعرت بالملل من المكتب . جعلني احس بالجمود فى اعماقي . وفى الاخير ، لم تكن العطل الاسبوعية كافية لتطهر نفسي من هذا الملل . ولم استطع قراءة الشعر او الاستماع الى الموسيقى . كنت احس كانني مصاب بامساك . على كل حال ذهبت فى اجازة الى كينت مـدة اسبوع . وقضيت اليومين الاولين وانا لا احس بشيء على الاطلاق ، لاشيء غير الموت فى اعماقي . وذهبت ذات يوم الى حانة تقع فى محل يـدعى « مارتون » وتناولت قدحين من البيرة . وعندما خرجت احسست كـأن فقاعة انفجرت فى نفسي وبدات احس بالاشياء من جديد . واجتاحني فجـأة شعور بالكراهية للمدن والدوائر والناس وكل ما يدعو نفسه مدنية ...

كان يرغم نفسه على الكلام ، وقد سره ان يتحدث عن نفسه ليعيد جوا طبيعيا الى الموقف :

ـ ثم خطرت فى ذهني خاطرة . جلست على جانب الطريق واخـذت اتامل فيها . كنت قرات فى مكان ما ان الزنادقة كانوا يعتقدون بان الشيطان هو الذي خلق العالم وان كل ما يتصل بالمادة شر . ولكن لاح لي فجاة ان القوى التي تكمن وراء هذا العالم ليست خيرة او شريرة ، وانما شيء لا يقوى البشر على ادراكه . وان الشيء الوحيد الذي تريده هذه القوى هو الحركة ، الحركة الابدية . شعرت على هذا النحو فجاة . يريـد البشر السلام ، فيشيدون مدنياتهم ويضعون قوانينهم لتوطيد السلام . غير ان القوى التي تكمن وراء العالم لا تريد السلام ، فلذا ترسل اناسا وظيفتهم اثارة الاضطراب في العالم ـ اناسا مثل نابوليون وهتلر وجنكيزخان . ولقد دعوت هـؤلاء الاشخاص « الاعداء » . وفكرت : انا انتمي الى هؤلاء « الاعداء » ولهذاكرهت هذه المدنية الملعونة . وبدات فجاة احس بتحسن .

كان نـن ينظر اليه الان ، وهو يهز براسه ببطء بينما كان سـورم يتكلم . وقال نـن ، مبتسما :

ـ تماما . انك لتفهم ايضا . ان القوة التي تقف وراء العالم ليستخيرة ولا شريرة . ليس البشر على جانب من النضوج الكافي لمعرفة شيء عن الخير

والشر . هذا ما شعرت به ... وكان يحدث لي لاول مرة في لندن . كنت في زيارة للاب كاراثرز وخرجت من عنده وانا امقت كل شيء . كان على ما يظهر لا يعي ما كنت اتحدث عنه . ومشيت في شارع تشارترهاوس ، وكانت الشمس تنحدر للمغيب خلف اعالي السطوح بطريقة غريبة . وفجاة احسست بالازدراء لكل شيء . هل قرات في كتاب شتاين عن كورتن تلك الفقرة التي يصف فيها كيف كان كورتن يحلم بنسف المدينة كلها بالديناميت ؟ لقـــــد شعرت انــا بنفس الشيء .

وتوقف فجاة وراح يلوي اصابعه . ثم حنى يديه الى الوراء فطقطقت مفاصلهما . وكان صوته قد صار اجش بطريقة غريبة . واخذ سورم يرقبه باهتمام وهو يحس بالتوتر الذي كان يتولد في اعماقه . ونهض نــن فجاة وذهب نحو النافذة ، وصب في قدحه قليلاً من الويسكي وابتلعه جرعـــة واحدة . وعندما شرع يتحدث ثانية لاح صوته مختنقا :

ـ لا يمكنني ان اوضح شعوري ... ولكنك تفهم .

فقـــال سورم :

ـ اجـــل ، افهـــم .

قال ذلك ليدخل الطمانينة في نفس نــن اكثر من يقينه بانه فهم فعلا .

وتوقف نن بضع ثوان وظهره الى سورم وهو ممسك بقدحه الفارغ . ثم استدار بجسده ومر باصابعه في شعر سورم . وكان يبتسم ثانية . وقال :

ـ اتمنى لو كنت تفهمني حقا ، يــا جيرارد .

وجلس مرة اخرى ، ولكن على حافة الكرسي ، وقد وضع قبضتيــه على ركبتيه . وبالرغم من البرودة التي كانت تسري في الغرفة الان كان العرق يسيل على وجهه . وقال سورم :

ـ اعتقد انني فهمت فعلا ، اوستن . ولكن ... اتعلم ... ينبغـــي عليك ان تكف الان . ان توقفت الان ، ربما تكون في مأمن . ولكنك ان مضيت في هذا السبيل ... فلن ينقذك احد .

فقال نــن : اعلم ، تلك هي المشكلة .

فمال سورم الى الامام وقال :

ـ ولكن الا تدرك موقفك ؟ انك حي الان ، وبعد شهرين من المحتمل ان تكون في زنزانة الاعدام تنتظر مصيرك . انهم يشنقونك ، يا اوستن . عليهم ان يشنقوك . انهم لا يجرؤون على ادخالك في مستشفى المجاذيب . اهرب مــا دمت قادرا . اذهب الى سويسرا . ابحث عن طبيب نفساني جيد واعطـــه

خمسة الاف باون واعترف له بكل شيء . ولكن لا تبق في لندن .

ورفع نن نظره الى سورم وابتسم.وكان الاجهاد قد عاد الى وجهه . وقـال :

ــ اعلم انك على حق ، يا جيرارد .

وسعل لينقي حنجرته ومر بيديه خلال شعره . وشرع يحكم ازرار قميصه .

ــ انا شديد الامتنان لك ، يا جيرارد ...

ــ هراء .

ــ انا لا استحق صديقا مثلك .

فقال سورم :

ــ لا تكن سخيفا .

فنهض نن :

ــ اعتقد انه ينبغي ان نرحل .

وفيما هو يتكلم سمعا جلبة . كان صوت شيء معدني يضرب في الخارج ، ومكثا لحظة يحدق احدهما في الاخر . ونظر سورم نحو النافذة . وقال بسرعة :

ــ من المحتمل ان يكونوا من رجال الشرطة .

وبينما هو يتكلم ، سمعا طرقا على الباب . وقال نن :

ــ لعلهم كانوا يتبعونكما .

ــ انا آسف ...

ــ لا تكترث .

وفتح الباب المؤدي الى الصالة ، فتبعه سورم وامسك بذراعه . وقـال بهدوء :

ــ لا تبح بشيء .

فالتفت اليه نن وابتسم . كانت ابتسامة هادئة ساخرة ذكرت نن بلقائهما الاول ، ابتسامة تنم عن الثقة والاستعلاء . وقال نن :

ــ لا تقلق ايها الصديق . كن انت على حذر .

وخرج الى الباب الامامي . وبعد قليل استطاع سورم ان يميز صوت ماكمردو .

ــ المستر اوستن نن ؟

ــ نعم . هل من خدمة ؟

ـ نود ان نتحدث معك ، ان امكن . انا ضابط شرطة .
ـ بالتأكيد . تفضل . كنت اتوقعك .
واستطاع سورم ان يرى اللهفة على وجه ماكمردو . وبعد قليل دخل الغرفة يتبعه العريف ونن . وكان يقول :
ـ صحيح ؟ كنت تتوقعني ، لماذا ؟
فقال نن :
ـ لان صديقي هنا جاء خصيصا ليطلب مني الاتصال بكم .
كان سورم ما يزال جالسا . فاومأ براسه باقتضاب لماكمردو .
ـ كيف حالك ؟
فقال ماكمردو :
ـ لم اكن اتوقع رؤيتك هنا . ظننت انك لم تكن تعلم اين يمكن ان نجد نن ؟
فقال سورم ببشاشة :
ـ لم اكن اعرف . ولكني ظللت ابحث باستمرار .
كان عدم التصديق واضحا في سيماء ماكمردو . وقال :
ـ آه .
والتفت الى نن :
ـ مستر نن ، الا تتفضل وتخبرني اين كنت الليلة الماضية ؟
ـ بالتاكيد . كنت هنا .
ـ طول الليل ؟
ـ كلا . ذهبت لاستنشاق شيء من الهواء. مجرد نزهة في السيارة.
ـ كم كانت الساعة ؟
ـ اوه .. فى الواقع ، لست ادري . بعد منتصف الليل . كان لدي راديو بطارية وقد نفدت البطارية .
ـ كم امضيت خارجا ؟
ـ اوه .. حوالي الساعتين ، ربما .
ـ أين أوقفت سيارتك ؟
ـ في الزقاق خارجا .
ـ ومتى تركتها خارج فندق كراون في ليدرهيد ؟
وجلس نن على حافة الطاولة . كان وجهه متجهما شديد التركيز .
ـ صباح اليوم . ذهبت لشراء صحيفة . وكان اليوم جميلا للغاية

فقررت العودة مشيا على الاقدام . وقد تناولت شيئا من القهوة ..

فقاطعه ماكمردو بعنف :

ـ انك تعلم سبب توجيه هذه الاسئلة ، اليس كذلك ؟

فقال نن :

ـ اظن ذلك .

ـ لماذا اذن ؟

ـ انك تقوم بالتحقيق في جرائم وايتشابل . وتريد الانتهاء مني كواحد من المشبوهين في قائمتك .

ورأى سورم الامتعاض في وجه ماكمردو يزداد شدة كلما اجابه نن بثقة . وكان العريف يقف قرب الباب ، يرقب الموقف باهتمام . وقال ماكمردو :

ـ الا يضيرك ان نتحرى البيت ؟

فسأل نن برقة :

ـ هل لديكما تصريح بذلك ؟

ـ كلا . ولكن يمكننا الحصول عليه حالا .

فقال نن على عجل :

ـ أوه ، كلا ابدا ، تفضلا .

وخرج العريف من الغرفة . وبعد قليل سمع سورم عددا اخر من الرجال يدخلون . وجلس ماكمردو على الكرسي الذي كان نن قد اخلاه . ووجه سؤاله الى سورم :

ـ وهل لي ان اسألك كيف جئت الى هنا ؟

ـ بالسيارة . جاءت بي المس كوينسي ـ عمة اوستن .

ـ كيف علمت أن المستر نن هنا ؟

ـ بعد زيارتكما ظللنا نتحدث طويلا وحاولنا ان نهتدي الى المحل الذي يحتمل أن يكون فيه . واخيرا ، تذكرت العمة هذا المكان ..

اين هي الان ؟

ـ في فندق كراون .

وللمرة الاولى احس سورم بالذعر . لم يكن يخشى شيئا لنفسه او لنن ، ولكن جيرترود كانت من فصيلة اخرى . واحس بالندم يقرصه لاخبارها عن نن . ولكنها كانت تعلم قليلا ، حتى لو اعترفت ..

ودخل الغرفة احد رجال الشرطة في ملابس مدنية واشار لماكمردو

والتقت نظرتا نن وسوورم لبرهة بينما خرج المحقق من الغرفة . وبعـد قليل عـاد المحقق وسأل :

ــ الا تتفضل وتخبرني ، يا مستر نن ، ما هو سبب وجود الرمـاد الدافيء في موقد الغرفة العلوية ؟

فقال نن مبتسما :

ــ اوه ، بالطبع . كنت بدات اشعل النار في غرفة النوم ، ثم اقبـل جيرارد فنسيت امرها . وتجدون الخشب والفحم في الغرفة .

ــ هل وضعت الخشب في النار ؟

ــ كلا . كنت اشعر بالبرد ، فملأت المشبك بالورق وبعض الخـرق المزيتة واشعلت فيها النار. كنت جالسا استمتع باللهيب عندما جاء جيرارد:

ــ من اين جلبت الخرق المزيتة ؟

ــ من السقيفة في الخارج . تركها الصباغون .

ــ وهذا ما يفسر رائحة زيت البارافين ؟

ــ تماما .

فقـال ماكمردو :

ــ يستعمل الصباغون التربنتين .

فقال نن وهو يهز كتفيه :

ــ اعتقد اني لست مسؤولا عما يخلفه الصباغون . ولـم يكون لذلـك اهمية ، على كل حال ؟

فاهمل ماكمردو السؤال وقـال :

ــ ولماذا ترتدي القميص فقط ان كنت تشعر بالبرد منذ ساعة ؟

فقـال نن :

لان هذه الغرفة كانت دافئة جدا في الواقع قبل ساعة ، كما يمكـن ان يخبركم به صديقي هنا . ويمكنكم ان تجدوا سترتي وقميص الصوف على الفراش في غرفة النوم .

ــ وماذا كنت تشعل في موقد المطبخ ؟

ــ اوه ... نفايات اخرى . اكثرها من الصحـف . اني مغـرم بـاشعال النيران .

ــ الم تكن تحرق اشياء اخرى ... ملابس ، مثلا ؟

فقال نن ، وقد نفد صبره :

ــ تعني ملابس ملطخة بالدماء ؟ اسمع ، ايها المحقق ، لا داعي الـى اللف والدوران. اني اريد مساعدتك ، اسألني عما تشتهيه ، فاجيبك بكل

ما يمكنني مـن الدقـة .

فكرر ماكمردو السؤال باصرار :

ـ هل كانت هنالك اية ملابس ؟

ـ كـلا .

ـ انك لتعلم بأن هذا من الاشياء التي يمكننا اكتشافها بسهولـة ؟ وذلك بتحليل الرماد ؟

فقال نن :

ـ عظيم . يسرني أن أسمع هذا . فانه يوفر علينا المتاعب .

فقـال ماكمردو :

ـ آه .

ومال الى الامام كأنه يحدق في المدفاة . ثم التفت الى نن فجأةوقال:

ـ ماذا فعلت بميلي روجرز ؟

وشعر سورم بقلبه يعتصر بطريقـة كريهة ، ورأى نـن يفاجـأ بالسؤال . وقال نن :

ـ أرجـو المعـذرة .

فقـال ماكمردو :

ـ شوهدت تتحدث الى امرأة تدعى ميلي روجرز خارج ناد فـي بادينغتن . نادي البلالايكا . وقد سمعها أحدهم تقول بانها ستذهب معك الى البيت . ولم يرها أحد منذ ذلك اليوم .

فقـال نـن ببرود :

ـ ليست لدي أية فكرة عم تتحدث ايها المحقق ، وان كنت لا تعرف، فان ميولي ليست في هذا الاتجاه .

ـ اتنكر معرفتك بامرأة بهذا الاسم ؟

ـ بكل تأكيـد .

ـ وتنكر انك تحدثت معها .

ـ كلا . ليس بالضرورة . من المحتمل اني تكلمت الى امرأة من هـذا النـوع اذا كانت قد تحرشت بي . وكذلك على ما أتصور ، اني تحدثت الى الاف الرجـال .

ـ وكيف علمت انها كانت من « هذا النوع » ؟

ـ حقا ! ايها المحقق ، انك لا تدع مجالا للشك !

وعاد العريف الى الغرفة . كان ممسكا بقبعة نسائية حمراء. فتناولها ماكمردو منه . وقال العريف :

ـ وجدتها في درج الملابس في غرفة النوم ، يا سيدي .
فسأل ماكمردو نن :
ـ لمـن هـذه ؟
ـ صدق أو لا تصدق ، ايها المحقق ، ان هذه القبعة تخص عمتي . تركتهـا هنـا .
ـ السيدة التي تنتظر الان في فندق كراون ؟
ـ نعم .
ـ هل سبق ان جاءت الى هنا ؟
ـ مرة واحدة عندما اخذتها في نزهة بالطائرة .
ـ هل هي السيدة نفسها التي قالت انها لا تعرف اين يمكن اننجدك؟
كان ماكمردو قد وجه السؤال بلهجة ساخرة .
ـ هي نفسها .
ـ ولم ، في اعتقادك ، انها لم تذكر لي هذا المكان عندما سألتهـا صباح اليـوم ؟
فتدخل سورم قائلا :
ـ يمكنني ان اخبرك . كانت قد نسيته . وبالاضافة لذلك ، كانت صدمة بالنسبة لها ان ترى الشرطة تبحث عن ابن اخيها .
وحدق ماكمردو في وجه سورم بنظرة عدائية . ومرت لحظة، توقع سورم أن ماكمردو سينفجر بتقريع شديد . ثم لوى الشرطي برأسه وهـو يهز كتفيه وناول القبعة الى العريف . وقال :
ـ خذ بعض النماذج من الرماد ، ايها العريف .
ثم التفت ثانية الى نن :
ـ الا تسمح لي برؤية يديك ؟
ومد نن يديه دون ان يتكلم . فتناولهما ماكمردو في يديه ثم قلبهما، وقـال :
ـ لقد نظفت اظافرك اليوم .
ـ بالطبع افعل ذلك كل يوم .
ـ يبدو انك بالغت في تنظيفها اليوم .
ـ كلا . ليس بصورة خاصة .
وترك ماكمردو يدي نن . ولاحظ سورم خيبة ماكمردو . اذ بدا فمه يتوتر بطريقة اظهرته بمظهر كلب كبير . ولكن قبل ان يجلس نن مرة اخرى سألـه ماكمردو :

ـ هل لديك مدية ؟
فقـــال نن :
ـ بالطبع .
واخذ يتحسس في جيب سرواله واخرج مدية صغيرة. فقال ماكمردو:
ـ لا اعني هذا النوع . الديك سكين اكبر ـ مثلا ، سكين ذات غمـد من النوع الذي يستخدمه الكشافة ؟
ـ كــلا .
ـ هل كانت لديك واحدة قبلا ؟
ـ كلا منذ ان كنت طفلا .
ـ اليست لديك اية مدية يمكن استعمالها في القتال ؟ مديـــة ذات نـــابض مثـــلا ؟
ـ كلا ... لدي في شقتي سكينا مطبخ حادتان على ما اعتقـد .. ولكنهما ليستا خطرتين .
وعاد العريف داخلا الغرفة وقال :
ـ ليس هناك شيء اخر يذكر . اخذت نماذج من الرماد .
فهز ماكمردو راسه ، وقال :
ـ مستر نن. اخشى انه يجب أن نأخذك معنا الى الدائرة لاستجوابك.
فاطلق نن زفرة وقال :
ـ حسنا . اعتقد انه أمر ضروري .
وسأل سورم :
ـ وانـــا ؟
فقال ماكمردو :
ـ لن نحتاج اليك الان
فقال نن :
ـ الا يضيرك ان ذهبت لارتداء بعض الملابس الدافئة ؟
فأومأ ماكمردو برأسه موافقا . وقال :
ـ ايها العريف !
فاومأ العريف برأسه وتبع نن خارج الغرفة .
وحالما بقيا لوحدهما جلس ماكمردو على الكرسي المواجه لسورم. ثم مال الى الامام وقال بعناية :
ـ انك تدرك بانه اذا ما وجدنا اي دليل ضد نن فهذا يعني انك معرض للسجن مدة طويلة بصفتك شريكا للمجرم بعد وقوع الفعل ؟

فقال سورم بغلاظة :

ـ اسمع ، ايها المحقق . انك تبحث في الاتجاه الخاطيء . اوستن ليس بمجرم ، بصرف النظر عن خصاله الاخرى .

فقال ماكمردو :

ـ هل انت واثق ؟

ـ اظن ذلك .

ـ قل لي ، مستر سورم ، عم كنتما تتحدثان قبل مجيئي ؟

ـ مواضيع عامة ، من ضمنها جرائم وايتشابل .

ـ الم يوضح لك نن الاسباب التي تجعلنا نشتبه فيه ؟

ـ لم يذكر لي شيئا لا اعرفه ؟

ـ وماذا تعرفه ؟

ـ لاوستن بعض الميول الجنسية الخاصة ، تكفي لان تجعل منه مشبوها في قضية كهذه .

ـ وبانه سادي ، في الواقع ؟

ـ طيب .

ـ ولكنك لا زلت تعتقد بانه لا يستطيع ان يحمل نفسه على القتل ؟

وظل سورم يحدق في وجه المحقق بهدوء ، وقال :

ـ انه نزاع الى الجنس المشابه . ولكن ضحايا وايتشابل كلهن من النساء .

ـ ربما يضمر الكراهية للنساء .

ـ ربما .

فالح ماكمردو قائلا :

ـ الا تتفق معي ؟

ـ لم الحظ تلك العلائم .

وعاد نن ، وكان يحكم أزرار معطفه . وابتسم لسورم ، ورد سورم له ابتسامته . وكان كلاهما يعلم ان ماكمردو كان يرقبهما جيدا لئلا يتبادلا الاشارات . وحول نن ابتسامته الى ماكمردو قائلا :

ـ حاضر ، ايها المحقق ؟

فقال ماكمردو :

ـ طيب ، بوب .

وتقدمهما العريف خارج البيت .

كان احد الشرطة الذي يرتدي الملابس المدنية يسير الى الامام ، وتبعه

نن والعريف . ومشى الشرطي الاخر خلفهما . وكان سورم ومـــاكمردو يسيران الى الخلف على بعد عشر ياردات . وادرك سورم ان ماكمردو كان يحاول ان يستفز نن . كان الامر يشبه لعبة الشطرنج . يريدون ان يجعلوا نن قلقـا لا يعلم هل باح سورم بشيء ، وتهديد سورم بتهمة الاشتـــراك بالجريمة قد سببت له مخاوفه ايضا . وعنـدما تسلقوا الحاجز القرميدي الفى سورم نفســه يفكر : اذا ما اعترف اوستن بكل شيء ، هل تبقى تهمة الاشتراك قائمــة ؟

مسكين اوستن ــ لقد اضعف موقفه باشتراكي في سره . ترى ، هل هنالك اساس من الصحة لهذا الهراء عن ميلي روجرز ؟ الملابس فـــي الشقة الارضية . هل يعرفون شيئا عن هذه الشقة ؟ اتمنى لو استطيـــع التحدث الى أوستن .

وقـــال ماكمردو :

ــ انا لا افهمك .

ــ لماذا ايها المحقق ؟

ــ انك لم تلتق بنن الا منذ اسبوع . حتى اذا ثبتت ادانتـــه ليس هنالك شيء ضدك ، فلم تزج نفسك بالقضية ؟

فقال سورم ببرود :

ــ لاول مرة اعلم باني زججت نفسي في قضية .

ــ لقد هرعت الى هنا هذا الصباح لتحذيره . لعلك ادركت بانه ربما يكون هو الرجل الذي نبغيه .

فقال سورم :

ــ اتفق ان يكون صديقي . ولقد طلبتم مني بانفسكم ان اتصل به . ولـولا مجيئكم لجاءكم هو بنفسه . كنا على وشك الرحيل الى لندن .

وفيما هو يتفوه بهذه الكلمات ظن بانه لمح امارات الشك في عيـــني ماكمردو . وفجاة ، طاف في ذهنه يقين . لم يكن لماكمردو دليل ضد نن . ان كل ما فعله هو خداع وامل . ولقد وقعت اربع جـرائم قتـل خـــلال اسبوع واحد . كان القبض على بريسكتون فشلا ذريعا ، وكان على ماكمردو ان يقبض على احد . واحس بجلده ينكمش للارتياح بهذه الخاطرة كمـــا لو سكب عليه ماء بارد . وقال ماكمردو :

ــ انك لصديق مخلص ، مستر سورم .

ــ آمل ذلك .

كانت هنالك سيارتان سوداوان تقفان في الزقاق الـذي انزلتـه فيه

المس كوينسي . وسأل سورم :

ـ هل يمكنك ايصالي الى فندق كراون ؟

ـ يمكننا . اريد ان ارى السيدة هناك ـ اسمها مس كوينسي ؟

كان نن يصعد الى السيارة الاولى . ولاحظ سورم أن ماكمردو كان يحاول ان يمنع اي اتصال بينهما . فهتف سورم :

ـ اوستن !

والتفت نن اليه . وقال سورم :

ـ اذا خرجت في الوقت المناسب ، فلنتناول العشاء معا .

ـ فكرة جيدة يا جيرارد .

ولوح بيده فيما هو يصعد السيارة . واحس سورم بالانتصار . لقد افلح في مخاطبة نن ، وعلم نن ان كل شيء على ما يرام . وصعد سورم في السيارة الاخرى وجلس الى الخلف ، وتبعه ماكمردو . وقال ماكمردو :

ـ اشك في ان موعدك سيتحقق الليلة .

ـ كلا ؟ لماذا ؟

ـ ربما سنحصل على ترخيص لالقاء القبض عليه عندما نصل .

ـ صحيح ؟ وهل ذلك من الحكمة ؟

فقال ماكمردو بلهجة حادة :

ـ اظن ذلك .

وجعل الخبث يظهر على محيا سورم ، وقال مبتسما :

ـ القاء القبض على رجل اخر غير الرجل المقصود قد يفسد الامور . ان انطباعي عن المسألة هو ان الناس بدأ صبرهم ينفد تجاه الشرطة . وافرض انكم قبضتم على اوستن ووقعت حادثة قتل اخرى غدا ليلا ؟

فعبس ماكمردو . وادرك سورم الشك في وجه ماكمردو ، خوف ان يقترف خطأ اخر ، خوف السخرية على صفحات الجرائد . وقال ماكمردو بامتعاض :

ـ هذا من شأني .

فقال سورم :

ـ اعلم .

واسترخى على مقعد السيارة وراح ينظر خلال النافذة . كانت السيارة الامامية قد اجتازت الفندق .

وقال ماكمردو :

ـ توقف هنا قليلا .

وتوقفت السيارة عند انوار المرور . فسأل سورم :

ـ هل انزل ؟

فقال ماكمردو :

ـ الافضل ان تفعل .

ـ الن تأتي ؟ ظننتك تريد رؤية المس كوينسي .

فقال ماكمردو باقتضاب :

ـ فيما بعد .

وترجل سورم من السيارة وصفق الباب بينما كانت انوار المرور تتغير . وبقي واقفا برهة من الزمن ، وهو يرقب السيارة تختفي بين بقية السيارات ، ثم عبر الشارع الى الفندق .

الفصـــل التـــاسع

وقادته الفتاة التي تقف خلف طاولة الاستعلامات الى الصالة . كانت المس كوينسي تجلس لوحدها على كرسي من القش ، وهي تقرأ احـــدى المجلات . ورفعت نظرها حالما دخل الغرفة . كانت ابتسامتها دافئـــة تلقائية . واحس بالارتياح ان يكون الى جنبها مرة اخرى . وقالت :

ـ يسرني ان جئت . بدأ القلق يساورني . هل كل شيء على ما يرام ؟

وتناولت يده فيما هو ينحني عليها ، ثم خلتها مباشرة . وقال :

ـ ليس سيئا ، ايتها العزيزة . سأذهب لاحضار شراب . هل لـك في قـــدح اخر ؟

ـ كلا شكرا . هذا قدحي الثاني . لقد تناولت الغداء توا .

وعاد الى طاولتها وهو يحمل قدح البيرة ، وسحب كرسيـــا الى جوارها . وقال :

ـ لحسن الحظ لم يأت رجال الشرطة معي هنا . وصلوا بعـــدي بحوالي ساعة .

ـ هل وجدوا اوستن ؟

ـ نعم . ولكن الامور على ما يرام . لا تجزعي ، اعتقد انـــه لـــن يحدث شيء .

وجالت بنظرها حواليها في الصالة ثم سألت هامسة :

ـ هل أوستن هو ...؟

فقال بلا مبالاة :

ـ سأحدثك عن الموضوع في الخارج . هل انت على استعداد للخروج؟

فهزت راسها . فرفع قدح البيرة واحتسى جرعة كبيرة وكـــاد ان

يفرغ القدح . وسألت :

ـ اين اوستن الان ؟

ـ في طريقه الى سكوتلانديارد . للاستجواب .

ـ هل لديهم امر بذلك ؟

ـ كلا . ولا اعتقد انهم سيحصلون عليه . لقد اتفقت معه على العشاء الليلة .

ورشفت من شرابها . كانت يداها ترتعشان قليلا . وقال :

ـ لا تقلقي . لعله واحد من خمسين مشبوها تم استجوابهم اليوم وهذا لا يعني شيئا .

لاحت هذه الكلمات كأنها ادخلت الاطمئنان الى نفسها . وانهى بيرته ونهض وقال رجل البار : طاب مساؤكما ، بينما كانا يغادران .

ـ اين اوقفت سيارتك ؟

ـ هناك في ساحة وقوف السيارات .

ولم ينبس احد منهما بكلمة الى ان تركت السيارة شارع ليفرهيد ودلفت في طريق ابسوم . وقال :

ـ ذكريني بالاتصال بكارولين عند وصولنا . من المفروض ان التقي بها الليلة على العشاء .

وتجاهلت سؤاله وراحت تحدق أمامها خلال زجاج النافذة.ثم سألت:

ـ ماذا حدث لاوستن ؟

وادرك ، لاول مرة ، بانه لم يقرر بعد ما الذي سيقوله لها . ودفعته رغبة فطرية في حمايتها لأن يقول لها :

ـ سيكون بخير . انه في ورطة ،ولكنها ليست وخيمة . .

ـ ولكن . . . هل يعرف عن ؟

ـ حوادث القتل ؟ لم يذكر لي ذلك بصورة خاصة . اعتقد انه كان يخشى ان يزج بي في المسألة ، لاجلي . ولكني اظنه يعرف ما يكفي لزجه في متاعب ، بصفته شريكا . . .

ـ اذن فهو ليس . . .

ـ كلا . انه ليس القاتل .

ـ اواثق انت ؟

ـ واثق تماما .

ـ شكرا لله .

واثر فيه الارتياح الذي احست به ، وجعله يشعر بالاثم . فانطلقت

ضاحكة وهي تميل الى الامام . فانحرفت السيارة ثم استقامت . وقالت:
ــ لا يمكنك ان تدرك فظاعة الكابوس الذي جثم على صدري طوال الساعتين الماضيتين .
فقال بشيء من التعاطف :
ــ ادرك ذلك ، ايتها العزيزة .
ــ ولكني علمت أن في الامر خطأ . اعلم ان اوستن ينتابه الحمق احيانا ... ولكنه لن يستطيع ابدا ان يفعل ذلك .
ــ ان عوائل اكثر القتلة يفكرون بهذه الطريقة ، اتدرين .
ــ ولكنه ليس قاتلا . انت قلت ..
ــ كلا . ليس هو القاتل . ولكنه قد يقع في مشكلة كبيرة .
ــ ولكن لماذا ؟ وبالتاكيد لا يبدو عليهم الاهتمام بانسان غيره ؟
ــ بل انهم مهتمون . لقد قلبت اجراءات التحقيق هذا العالم السفلي راسا على عقب . لقد اثاروا كل القذارة التي تكمن هناك .
ــ ولكن ماذا فعل هو بالضبط ؟ لا يمكن ان يكون فعل شيئا خطيرا؟ ويمكن لوالده ان يكلف محامين ..
ــ آمل الا يصل الامر الى ذلك الحد . لو كان على جانب من العقل لغادر انكلتره فترة ستة اشهر . اسمعي ، عزيزتي ، هل يمكنك التوقف عند دائرة بريد ابسوم ؟ الافضل ان ابعث ببرقية الى كارولين . اتعرفين عنوان منزلها ؟

* * *

وقالت المراة الاسكوتلاندية :
ــ انه نائم الان . هل يمكنك المجيء في الساعة السادسة ؟
فقال سودم :
ان الامر مستعجل . شيء سيهمه ان يعرف عنه حالا . قد تكون مسالة حياة او موت .
ــ آسفة . لا يمكنني ازعاجه عندما يكون نائما .
وكبح في نفسه الغيظ الذي اثار رغبته في أن يدفعها بالقوة عن طريقه . واقبل القسيس الهنغاري من خلف الطاق ، وقال بأدب :
ــ المعذرة .
فقال سودم :
ــ اسمع ، ايها الاب . ينبغي ان ارى الاب كاراثرز . ان الامر مستعجل
فنقل القسيس بصره من سودم الى المراة الاسكوتلاندية ، ولاح عليه

الاحراج والتردد . وسأل :

ــ وهو نائم الان ؟

فقالت المراة :

ــ ولا يريد ان يزعجه احد .

فسأل الاب راكوسي بقلق :

ــ هل الامر مهم ؟

فعاد سورم خطوتين الى الوراء واقترب من القسيس وقال بصوت منخفض :

ــ تتعلق المالة بجرائم وايتشابل . وقد طلب الي ان اخبره حالا عن كل ما يستجد من أمر .

ونظر القسيس الى المراة ، ثم قال باعتذار :

ــ اعتقد يجب ان تنتظر في الداخل . سأذهب لارى ان كان مستيقظا .

واستدارت المراة دون ان تتفوه بكلمة اخرى ، ومضت في سبيلها . وتبع سورم القسيس الى داخل البناية المظلمة حيث تنتشر رائحة التنظيف والمسح . وقال القسيس :

ــ انتظر هنا لطفا .

ووقف سورم الى جوار النافذة ذات الزجاج المعتم وهو يتفوهبكلمات الشتم بصوت غير مسموع للمراة الاسكوتلاندية . لم يكن رفضها الذي اغاظه ، ولكن موقفها العدائي ورغبتها في عرقلته . وفكر : كيف تتجرأ ان تقف مني موقفا عدائيا،الكلبة ؟ هل هذا ايضا شكل من اشكال السادية؟

وطرب لهذه الفكرة ، وجلس على الكرسي وطفق يتأمل فيها.السادية هي ايقاع الالم . هل التفاهة العقلية التي من هذا النوع،ضرب من السادية؟ اختيار البلادة بدلا من الذكاء ؟ ولكن كيف افهم سادية اوستسن ؟ الحب المعكوس ...

وعاد القسيس وقال على عجل :

ــ انه مستيقظ .

والتفت ومضى الى الغرفة المجاورة . وصعد سورم السلم مسرعا وسار في الدهليز وهو يكاد يتوقع ان تعترض طريقه المراة الاسكوتلاندية. كان باب غرفة القسيس مفتوحا قليلا ، فنقر عليه بقفا اصابعه ودخل .

كان الاب كارانزا يجلس في فراشه ، وكان الغطاء الصوفي يلتف حول كتفيه . وكان وجهه يلوح مجهدا زائغ البصر . كانت الغرفة اكثر برودة من المألوف والنافذة مفتوحة .

ـ هلو ، ايها الاب .

فقال القسيس :

ـ ماذا وقع من الاحداث .

فاغلق سورم الباب بعناية وجلس على حافة السرير . وقال :

ـ اخذوا اوستن الى مركز الشرطة للاستجواب . وقعت حادثة قتل اخرى الليلة الماضية .

ـ سمعت عن الجريمة . ماذا يريدون من اوستن ؟

واعتدل في جلسته ، وسحب جسده في وضعية اكثر راحة . ومال سورم الى الامام وامسك بالوسادة لئلا تسقط حتى استطاع القسيس ان يعدل جلسته . وقال :

ـ يشتبهون بقيامه بجرائم القتـــل .

ـ هل تحدثت اليه ؟

ـ اجل ، ايها الاب . كنت هناك عندما اقبل رجال الشرطة .

ـ هل تعتقد بانه يحتمل ان يكون مذنبا .

وتردد سورم . ولاح القسيس ، وهو لم يزل يفرك عينيه ليزيـــل اثار النعاس ، تعبا مسنا لا يقوى على تحمل نبأ مؤلم . وفيما كان ســورم ينتظر ، شد القسيس الاغطية الى كتفيه وغاص بين الوسـائد . وقال :

ـ افهم من ترددك بانه مذنب .

فقال سورم :

ـ اجل ايها الاب .

ـ يؤسفني ذلك .

وقبل أن يستأنف الكلام ، طرق احدهم الباب . كـــانت المـــراة الاسكوتلاندية . وقالت ، دون أن تنظر الى سورم :

ـ ايها الاب ، هنالك سيد اخر يريد مقابلتك . انه الطبيب الالماني..

ونظر القسيس الى سورم :

ـ اتود ان تراه ؟

فقال سورم :

ـ لا يهمني ذلك ايها الاب . يمكنني ان اذهب .

ـ هـــلا بعثتـــه ؟

واغلقت المراة الباب بهدوء وقال سورم :

ـ انها مصادفة غريبة ...

ـ لست ملزما بالكلام معه .

ـ ليس لدي ما اخفيه ايها الاب . ولكن ... لا تذكر امر اوستن ، هـــا ؟

ـ كلا . ولكنك ان كنت واثقا بان اوستن مذنب ، فليس هنالك مـــا يمكن ان يفعله احدنـــا .

ـ اعلم ايها الاب . ان هذا اعترافه هو . ولست عازما على ان ابوح لسواك بانـــه مـــذنب .

ـ واذا كان للشرطة دليل ..؟

ـ ليس لديهم اي دليل .

فقـــال القسيس :

ـ هذا ما سنتحقق منه سريعا .

وبينما هو يتكلم ، دخل شتاين الغرفة . كان يلوح نشطا معـــافى ، والمظلة تتأرجح في يده . ولم تبد عليه الدهشة لرؤية سورم ، ولكنـــه ابتسم ببشاشة وهز راسه . والقى بمظلته على احد الكراسي وخلـــع معطفه وهـــو يقول :

ـ كيف حالك ، يا لاري ؟ تبدو بخير . وانت يا مستر سورم، يسرني ان اراك هنـــا .

وقال القسيس :

ـ ليس الوقت مناسبا للزيارة ، يا فرانز .

ـ اعلم . لم اكن احلم بان اقلقك .. ولكني رايت صديقنا الشـــاب يدخل . كنت خلف الطاق عندما جاء. اريد ان اتحدث اليه.. طالما هو عندك.

وسال سورم :

ـ كيف علمت اني جئت ؟

فقال شتاين :

ـ لم اعلم .

وقال القسيس لسورم :

ـ هلا اغلقت النافذة ، رجاء ؟ وضع المزيد من الفحم على النار .

وذهب نحو النافذة طائعا . وقال القسيس :

ـ لماذا تريد ان تتحدث الى سورم في حضوري ، يا فرانز ؟

فقال شتاين :

ـ اظنه يفهم .

ونظر سورم الى وجهه عندما كان ينحني على السطل الذي يحتـــوي

على الفحم ، كانت دلائل أجهاد اليوم الماضي قد تلاشت ، وبدأ هادئـا واثقا من نفسه . وقال سورم :

ـ لو شرحت مرامك ايها الدكتور .

ـ حسنا . انك تعلم بان صديقك أوستن الان في سكوتلانديارد ؟

ـ نعم .

ـ وانك تعلم ايضا بانه ربما سيبقى في سكوتلانديارد الى ان يذهب الى السجن ؟ واعاد سورم كلابة الفحم الى مكانها ، وسأل :

ـ لمـاذا ؟

ومال شتاين الى الامام ، وقال بكلمات متروية :

ـ انك تعلم لماذا . لانه الشخص الذي تبحث عنه الشرطة بصـــدد جرائم وايتشابل .

وجلس سورم ثانية . وقال :

ـ أواثق انت ؟

والقى شتاين نظرة عجلى على القسيس ، كأنه يشك في انه يؤيـــد سورم في هذه الخدعة . وقال :

ـ انا جد واثق . واعتقد بانك واثق ايضا .

وقرر سورم أن يمضي في الخدعة ، وحدق في عيني شتاين وقال :

ـ ان الذي لا افهمه هو : لماذا تخبرني عن الامر ؟ ماذا يمكنني ان افعل .

اما شتاين فاستمر محملقا ، فاضحت عيناه نفاذتين مخيفتين .

ـ كنت معه صباح هذا اليوم ؟

ـ نعم .

واحس سورم بالاسترخاء واللامبالاة ، وترك امر توجيه دفة الحديث الى شتاين ، وهو غير راغب في التعاون . وقد احس شتاين ولا شك بذلك في موقفه الهادىء . وقال بنفاد صبر :

ـ اظنك لا تدرك خطورة موقفك .

فهز سورم كتفيه وقال :

ـ ما هو ، بالله ، موقفي ؟

ـ سأخبرك . هنالك رجل يدعى أوستن نن ، وقد ورث ميولا سادية من والده . وقد ارسل لرؤية طبيب نفساني ، فكتب هذا الطبيب عـــن حالته وتطورها وبعد سنة من ذلك اشتبه فيه بقتل شاب في هامبـورغ . ثم عاد الى انكلترا واصبح معروفا في اوساط معينة بانه رجل ذو اذواق خاصة غريبة . واخيرا ، يقوم بقتل عدد من مومسات القطـاع الشرقي .

وتتقلص المدة بين حادثة واخرى . وقبل اسبوع من اهتمام الشرطة بـــه اهتماما سافرا ينشىء صداقة معك ويتدله بك . انت لست نزاعا الـــى الجنس المشابه ، فتقوده خيبته الى اقتراف المزيد من جرائم القتل . هل اوضحت الموقف لك ؟

فقال سورم بهدوء :

ــ تماما . فاذا كان اوستن القاتل،فهل انا مسؤول بصورة غيرمباشرة؟

وهز شتاين راسه .

ــ انا لا اقول بانك المسؤول ، بصورة مباشرة او غير مباشرة . مـــا اقوله هو انه يمكنك معاونة الشرطة ان اردت .

ــ كيف ؟

ــ حدثهم بالتفصيل عن اتصالاتك به خلال الاسبوع الماضي .

فقـــال سورم وهو يهز كتفيـــه :

ــ سأفعل ذلك بكل سرور . ولكنهم لـــن يجدوا شيئا ذا اهميـــة . وقبل كل شيء ، فاظن بانك مخطىء في اعتقادك بان اوستن متدله بي . كان يميل الى اتخاذي قسيس اعتراف . ولكن ما اعترفه الي لم يكن عن جرائم قتـــل .

ــ كلا ؟ ما الذي اعترف به اذن ؟

ــ بعض الهراء عن احساسه بالضجر واللاجدوى والتفاهة وغيرها. وثانيا ، اذا كانت ميوله الجنسية شريرة جدا ، فقد احتاط الا يبوح لـــي بهـــا . ان الانطباع الذي كونته هو ميله للتبجح حول اشياء كثيرة.. اشياء تتعلق بحياته الجنسية . ولكنه مع هذا يعلم باني لا اشاركه ميوله . وربما لا يريد أن يفرضها علي .

وقال شتاين :

ــ ولكنك تتفق معي في انه من المحتمل جدا ان يكون هو القاتل ؟

ــ لا . . . لا اريد ان انكر الامر . ولكني لا اعتقد انه محتمل جداً .

ــ ومع ذلك عندما بدات بالدفاع عن قاتل يوم امس . .

فقاطعه القسيس فجاة :

ــ فرانز ، اليس الافضل ان تذهب بجيرارد الى غرفة اخرى لتوجيه هذه الاسئلة اليه ؟ لا يمكنني ان اساعد في شيء ، كما لا اريـــد ان أزج بنفسي في هذه القضية .

فقال شتاين ، باهتمام :

ــ اعتذر اذا كنا نتعبك ، يا لاري ، ولكننا . .

وقاطعه القسيس :

ـ انك لا تتعبني . ولكني اعتقد انك تريدني ان اكون شاهـدا ، ولا اريد انا ان اكون شاهدا . ان سني اكبر من ان تتيح لي الظهور في قـاعات المحاكم ، كما لا اريد ان يأتي رجال الشرطة لاخذ افادتي .

فقال شتاين بادب :

ـ انا آسف ، يا لاري . ولكنك مخطيء . لن اسألك ان تكون شاهدا اريد ان تؤيدني . ان صديقك يعيرك اذانا صاغية .

وقال القسيس :

ـ انا لا افهم ..

وقال شتاين بجد :

ـ دعني اوضح . اعتقد ان المستر سورم هنا يعلم بان اوستن نن هو الرجل الذي نبحث عنه . واعتقد بان الشكوك قد ساورته بهذا الشان منذ ايام . واعتقد بانه يشعر بانه مدين بالاخلاص لصديقه فراح يختلق الاعذار لتبرير القتل . اريدك ان تخبره : لا اعذار في جريمة قتل ..

فقـال القسيس بملل :

ـ انا لا افهم . تقول ان الشرطة واثقة من ان اوستن هو القاتـل . ففي هذه الحالة انه من شأنهم ان يبحثوا عن الادلة او يستخلصوا اعترافا منه . وحتى اذا كان اوستن قد اعترف بصراحة لجيرارد ، لا اجد فائـدة من ذلك في المحكمة . ستكون شهادة غير مدعومة . واذا استطاع جيرارد مساعدتك ، واراد ذلك ، فخير على خير . ولكن لا تطلب مني التدخل .

فقال سورم :

ـ اسمع ، دكتور شتاين ، دعني اشرح ما احس به . اذا كان اوستن مذنبا ، فلا اريد ان اهيء السبيل لادانته ، واذا كان بريئا فلا اريد مساعدته في الهروب . لا اجد مبررا لزجي انا في المسألة كلها .

وقال شتاين ، وهو يشير باصبعه الى سورم :

ـ انت لا تريد ان تزج بنفسك في المسألة ! ولنفرض ان خلي سبيل نن غـدا ـ فماذا تعتقد انه سيحدث ؟ انه سيعود الى القتل .

وقال سورم :

ـ ولكنك تفترض انه القاتل .

ـ انك لتعلم بانه القاتل .

ـ طيب . لنفرض جدلا انه القاتل . فـلم يعود الى القتل ثانيـة ؟ اذ سيكون اول من يشتبه به في اية جريمة جنسية تقترف في لندن خـلال

السنوات العشر القادمة . سيشعر بانه تحت المراقبة الدائمة . فهل تعتقد بانه سيعود الى القتل تحت هذه الظروف ؟ .

وابتسم شتاين ابتسامة خفيفة ، ومال الى الوراء . لقد ابتدأ يحس بان الحديث اخذ يسير نحو هدف معلوم .

ـ حسنا . انك على حق . ستراقبه الشرطة ليلا ونهارا ، بحثا عن الادلة . وربما سيغادر القطر . وحيثما يذهب ، ستعلم الشرطة كل شيء عنه . انه في الواقع رجل لا يستقر في مكان واحد قط . وعاجلا او اجلا سيقترف جريمة قتل ، ذلك امر محتوم ـ توتر عصبي ، خوف ، شعور بالاضطهاد . فاذا ما اقترف جريمة قتل اخرى، انك انت المسؤول. فكر في الامر مليا . انه صديقك . ولكنه قاتل ايضا . ولو ادانته المحكمة ، فلربما اعتبرته مجنونا وارسلته الى مستشفى المجانين المجرمين . اما اذا اخلت سبيله ، فسيواجه عدوين امامه ـ الاول رغبته الشديدة في القتل والثاني شعوره بانه تحت المراقبة الدائمة . افليس الافضل له ان يكون في مستشفى المجاذيب ؟

كان شتاين يتكلم بطريقة مقنعة . وكان سورم يدرك بان شتاين كان يستخدم كل ما في وسعه من قوة الشخصية للتأثير عليه . فاخذ يحس بالندم للدخول في النقاش . كان من العسير عليه الا يقتنع . فاشاح بوجهه ، عالما ان التردد كان واضحا في محياه . فهز كتفيه وقال كمن يشك:

ـ لست ادري .

وابتسم شتاين فجأة :

ـ الا تدعني اريك شيئا ؟

فرمقه سورم بنظرة .

ـ ماذا ؟

ـ لن يطول بنا الامر .

ونظر سورم الى القسيس . كانت عيناه مغمضتين ، وكان يلوح نائما . كان وجهه الابيض قد انسحب عن الموقف . وقال سورم :

ـ طيب . اين هو ؟

فنهض شتاين .

ـ انتظر هنا لحظة ، رجاء . لدي مخابرة تلفونية اولا . ثم يمكننا ان نذهب معا .

وخرج من الغرفة . وظل سورم يحدق في الباب ، لعل شتاين كان يقف خارجا يسترق السمع . وبعد هنيهة ، اتجه نحو الباب وفتحه بهدوء.

لم ير احداً في الرواق .

وعندما التفت وراءه الفى القسيس ينظر اليه . فابتسم ابتسامة تنم عن الضيق وقال :

ــ انا لا اثق به تماما ايها الاب .

ــ أنه رجل مستقيم .

ــ صحيح ؟ ماذا ، تعتقد ، يريد أن يريني ؟

ــ ربما الجثة . لست ادري .

ــ لا ؟

وثار في معدته واطرافه شعور غريب . وجلس على الكرسي الذي اخلاه شتاين . وقال :

ــ يؤسفني ان ادفعك الى هذا الموقف ، ايها الاب .

ــ المشكلة مشكلتك يا جيرارد .

ــ ولكن ــ اترى ما احس به ؟ لا يمكنني ان اخون اوستن مهما فعل ، حتى اذا كان ما قاله شتاين صحيحا ــ من ان الافضل لاوستن ان يدخل برودمور ــ مستشفى المجاذيب ..

ــ تشعر بانك مدين اليه بالاخلاص ؟

ــ كلا . ليس هذا ، ايها الاب . تحدثت اليه هذا الصباح . انه ليس معتوها . انه لا يختلف عني ــ له مشاكل تحتاج الى كل جهده ليتغلب عليها . أنه رجل حر ، ايها الاب . اني لم افقه قط معنى الحرية الا خلال هذا الاسبوع المنصرم . اتلاحظ ايها الاب ، اني على يقين من شيء واحد، وهو ان اوستن فعل ما فعل لحاجته الى الحرية . لقد اخبرني هذا الصباح بانه يعتقد بانه يسوق حياته بطريقة لا شعورية نحو حالة من التأزم . اسمعت ما قاله شتاين ؟ لقد ورث السادية عن ابيه ولا يعلم الا الله ماذا ورث بالاضافة لذلك . لقد عاش حياة جعلت منه انسانا مضطرب الاعصاب انه يحس كانه في سجن وبان لديه الشجاعة الكافية ليفعل شيئا مهما كان يائسا لتحطيم جدرانه . اعلم بان القتل خطأ ــ ولكن قضي الامر الان. لقد اصبحت جرائمه حدثا ماضيا . فلو افلت هذه المرة فسيكون ادراكه للحرية ادراكا اشمل . الا ترى ؟ انه يخوض حربا ضد نفسه وحربا اخرى ضد المجتمع . فلم علي ان اتخذ جانب المجتمع ؟ لقد اشفقت على المجتمع اكثر مما ينبغي .

فقال القسيس :

ــ لعلك مصيب في قولك ، يا جيرارد . ولكن لا تحاول اكثر مما

ينبغي ان تجد في اوستن صنوا لك .

ـ هذا بالضبط ما اعنيه ، ايها الاب . ان في امكاني ان اجد فيـــه صنوا لي . سيكون القضاة الذين سيحكمون باداته قد اساؤوا الفهـم . عليهم ان يدينوه ، لان المجتمع يجب ان يسير بطريقة من الطرق . ولـكني لا استطيع ان اتعاون معهم . ان شتاين هذا انسان له قابلية على الاقناع، وطريقة جذلة تبدو سليمة . ولكن بيلاطيوس كان كذلك ايضا . انه ينتمي الى هذا العالم . وهو لا يفهم . .

فقال القسيس بصوت خافت :

ـ كن على حذر ، يا جيرارد .

ـ لماذا ، ايها الاب .

ـ انك تظن بان اوستن مجبول من الطينة التي جبل منها القديسون والشهداء ـ هذا الهوس المقدس . قد تكون مخطئا . قد يتضح انه مجرد . .

وانفتح الباب ودخل شتاين الغرفة وقال :

ـ آسف . كان علي ان اطرق الباب . هل قاطعتكما ؟

فقال القسيس :

ـ كلا . تفضل يا فرانز .

وقال شتاين :

ـ اذا كان المستر سورم على استعداد ، فلن تقلق راحتك بعد .

فنهض سورم :

ـ انا حاضر .

وقال شتاين :

ـ ربما اراك فيما بعد ، يا لاري . حاول ان تأخذ قسطا من النوم .

ـ اشكرك يا فرانز . ويا جيرارد ... ان اردت العودة ، ساكـــون مسرورا برؤيتك .

ـ شكرا ايها الأب .

ـ وداعا يا لاري . ربما أعود .

* * *

وفي السيارة ، ظل شتاين ينظر خلال النافذة دون ان يتكلم . وسأل شتاين اخيرا :

ـ ماذا يجعلك على يقين من ان اوستن هو الرجل الذي تبحث عنه ؟

فالتفت شتاين اليه مبتسما :

ـ التقريـر .

ـ تعني تقرير الطبيب النفساني ؟

ـ نعم .

ـ ماذا قال التقرير ؟

ـ اشياء كثيرة . هذه احداها : عندما كان اوستن فى الثالثة عشرة من العمر طرد من المدرسة لانه كان رئيس عصابة في حادثة تهديد واقلاق احد الصبية مما ادى الى وفاته . لم يكن هو المسؤول المباشر ـ اذ ان الصبي مات بمرض ذات السحايا الدماغية ـ ولكن اوستن كان مذنبا مع هذا . وبعد ذلك مباشرة ، طرأ على اوستن تحول ديني ، فتوسل الى ذويه ان يرسلوه الى دير كطالب مستجد . فرفض والداه ذلك ، ولكنهما عينا له احد القساوسة ليرشده .

وكان شتاين متكئا الى الخلف، وهو يرمق سورم بنظره من تحت حاجبيه الكثين . وكانت عتمة السيارة من الداخل قد ابرزت وجهه كأنه كان منحوتا من الصخر . وقال سورم بتردد :

ـ لست افهم تماما .

ـ كلا ؟ لعلك ستفهم هذه الحادثة اذن . بعد مقتل شاب يدعى غرانز كان يتعاطى الامور الجنسية فى هامبورغ فى احد المنازل دخل اوستن ديرا فى مقاطعة الالزاس ، حيث مكث حوالي ثلاثة شهور . وفى نهاية تلك الفترة ، اشتعلت النيران فى احدى كومات القش المجاورة ، وكان أوستن من بين الذين هرعوا لاخمادها . وترك الدير فى اليوم التالي وعاد الى انكلترا .

ـ لا ... لا افهم ما علاقة كومة القش بذلك .

ـ كلا ؟ كان بيتر كورتن مصابا بجنون الحريق . كان مولعا باشعال النار فى الاشياء ـ وبالاخص فى كومات القش . أن مشهد النار يعمل على اثارة مشاعر الساديين فى اكثر الاحيان .

ـ تريد ان تثبت لي ... بأن اوستن به نوع من انفصام الشخصية يتنقل بين القتل والدين ؟

ـ اظن هذا ممكنا .

ـ وماذا قال التقرير بالاضافة لذلك ؟

ـ لا شيء مما يثير اهتمامك .

ـ هراء عن عقدة التعلق بالام ؟

ـ اجل عقدة التعلق بالام .

وتوقفت سيارة التاكسي عند انوار المرور خارج مركز شرطة الدغيت ايست ستيشن . وقال سورم :

ـ هل نحن في طريقنا الى مركز الشرطة ؟

ـ كلا ، الى مستشفى لندن .

ـ لمـــاذا ؟

فقـــال شتـــاين :

ـ اريدك ان ترى المراة التي قتلت في الليلة الماضية .

ـ لمـــاذا ؟

ـ كي تفهم خطورة الشيء الذي تغض الطرف عنه .

وفتح سورم فاه ليتكلم ، ولكنه ما لبث ان غير رايه . وعندما مرت السيارة امام اكشاك السوق في طرف شارع فالانس ، لمح سورم غلاسب يقتني شيئا ويضعه في كيس من الورق . والتفت وظل يحدق من خلال زجاج النافذة الخلفية الازرق ، ولكن سيارة اخرى اعترضت نظره . وحسب انه راى فتاة صغيرة تقف الى جواره . وبعد قليل توقفت السيارة خـــارج محطة قطار نفق وايتشابل . فترجل شتاين ونقد السائق . ووقف سورم على الرصيف ومد عنقه ليحظى بلمحة اخرى من غلاسب . وقال شتاين :

ـ هـــل تذهب ؟

فقـــال سورم معتذرا :

ـ ظننت اني لمحت احد الاصدقاء ...

وعبرا الطريق برفقة حشد من المارة . واحس سورم بالبرد يجتـــاح صدره وينفذ الى معدته . ولما راى الثقة التي يظهرها شتاين في مشيته ، هيا نفسه لصدمة عنيفة تقلق هدوءه . وتصور في مخيلته وجها منتفخا وشفتين مسودتين ولفاعة تشد على الرقبة . كانت هذه صورة فوتوغرافية رآهـــا في كتاب ثن عن الطب العدلي . واحس ، وهو يسير الى جنب شتاين فـــي ساحة المستشفى ، بشيء من الاشمئزاز كان من العسير عليه ان يقمعه . وكان قلبه يخفق بطريقة كريهة ، فيجعل الاشمئزاز يسري مـــن حنجرتـــه وشحمـــة اذنيـــه .

وكان يقف عند اسفل السلم المصبوب من الاسمنت فرد من رجـــال الشرطة في ملابسه الرسمية ، وابتسم لشتاين وحياه . وقد لاحت تحيته في غير محلها ، كعبارة الجلاد عندما يقول : « ارجو ان يكون كل شيء قد انتهى بصورة مرضية ، يا سيدي ؟ » وتقدمه شتاين خلال الباب الاخضر وظـــل ممسكا به حتى دخل سورم . واستقبلته رائحة الايودوفورم المالوفة واشاعت الراحة في نفســه . وسمع سورم صوت شتاين يقول :

ـ لمـــاذا جلبوها الى هنـــا ؟

ـ يريد الطبيب ان يقوم بفحص دقيق . مخزن الجثث التابع للشرطة بعيد جدا .

كانت الغرفة خالية ، وكانت المربولات البيضاء تتدلى من مسامير في الجدران . وكانت هنالك دكتان من الحجر ، كلتاهما مغطاة بقماش ابيض يبرز انحناءات اجساد بشرية . ولم يضيع شتاين وقته في الاهتمام بجو الغرفة المسرحي ، فازاح الغطاء عن اقرب الدكتين وقال :

ـ اريد منك ان تنظر الى هذه .

واقترب سورم لينظر . وتلاشت صعقة الرعب على الفور ، الصعقة التي اورثه اياها منظر الشعر المتجمدة عليه كتل الدماء . لم يكن مخلوقا ادميا ذلك الشيء الملقى على الدكة . انه لم يشعر سوى بشيء من الاشمئزاز الذي قرص معدته للرائحة التي كانت تذكره بدكان الجزار . واحس بالحاجة للكلام ، فقال :

ـ هذا ما يشير اليه الاطباء « بالرفات » .

ولم يكن ثمة شبه بين الجثة وبين انسانية حية . كانت لا تمت الى الحياة بصلة ، كانها تمثال لم يتم ملقى في ستوديو النحات ، او وجه مومياء في احد التوابيت الحجرية القابعة في المتحف البريطاني . لقد اتلفت الجروح اي اثر للتعبير . كان في امكان سورم ان يضع جدولا موضوعيا دقيقا بتفاصيل الجثة كالجدول الذي يضعه الطبيب الذي يفحص الجثة بعد الموت ، ولكنه كان من المحال عليه ان يقفز بخياله فيتصور انسانا يفعل كل هذا بكيان حي . كان الموت قد تغلغل في الجثة الى حد بعيد ، حتى لم يعد يتصور انها كانت حية يوما ما . وبعد ان تفرس في الجثة مدة نصف دقيقة كان معناها قد تلاشى تماما . وراح بدلا من ذلك يحدق في الغطاء البلاستيكي الذي يفصل الرفات عن الغطاء الابيض فيحميه من لطخات الدم .

وقال شتاين :

ـ كيف تشعر ؟

ـ لست افهم . كيف المفروض في ان اشعر ؟

فقال شتاين بهدوء :

ـ في هذه الساعة من يوم امس كان من المحتمل ان تلتقي بهذه الفتاة في الشارع .

ونظر سورم الى الجسد المتفسخ وقال :

ـ أعلم انك على حق . ولكني لا استطيع تصديق ذلك .

ورفع نظره ، فالتقت عيناه بنظرات شتاين ، فالفاها تنم عن الخيبة . وقال :

ـ اعلم ماذا تريد ان تقول . هنالك فرق شاسع بين اقرار الجريمة من الناحية النظرية وبين فعل القتل الحقيقي . اعلم هذا ، ولكن ما الفرق ؟

كان على وشك أن يقول : « ما الفرق بين ان اقر جرائم اوستن او لا اقرها ؟ » ولكنه توقف . وبدلا من ذلك ، اشار الى الدكة الاخرى وقال :

ـ ومـــاذا هنـــاك ؟

فقـــال شتـــاين باقتضاب :

ـ امــــراة .

ـ هل يمكنني رؤيتها ؟

ودون أن ينتظر سورم الموافقة ، رفع الغطاء الذي كان يغطي الجـزء العلوي من جسدها . كان يرتاب في ان هناك مخبر شرطة يدون حديثهما . وصعقه مشهد الوجه المحروق . وسأل :

ـ مـــاذا حدث له . . . لهـــا ؟

لقد اصلحت خطأه رؤية الثديين . كانا كما لو نحتا من العاج .

وقـــال شتاين :

ـ مـــاتت حرقا . قذف عليهـــا زوجها مصباحا نفطيا .

ـ لمـــاذا ؟

فهـــز شتـــاين كتفيـــه :

ـ لست اعلم لماذا نشأ بينهما عراك . ربما كان ثملا .

ـ مـــن هي ؟

ـ لست ادري . لقد سمعت فقط ما حكوه عنها عندما جيء بها صباح اليوم . امراة متزوجة ولها ثلاثة اطفال .

ـ كم تبلغ من العمر ؟

ـ في اواسط العقد الثالث . اسمح لي لحظة ، سأعود .

وسره أن يبقى لوحده . لم يورثه منظر الجثة اي شعور بالاشمئزاز او الفزع ، وانما اورثه ادراكا لانسانيتها . وازاح الغطاء عن الجثة باكملهـــا ومضى يتأمل فيها . كان جسد امراة شابة ، يصرخ الشباب منه . كانت البقع غير المتفحمة تماما لم تزل حية . وكانت هناك نتف من الملابس مـــا زالت عالقة بساقيها وذراعيها . وجذبه اليـــها شعور بالشفقة والقربى . كان من الممكن ان تكون جيرترود كوينسي أو كارولين . لقد كان هذا الجسد موضع غزل وتدليل ، ولقد حمل هذا الجسد يوما اطفالا . واحس بميـــل عنيف الى النفوذ الى اسرارها . لماذا ماتت ؟ ومن كانت ؟ كان موتها عبثا . كيف تنتهي خمسة وعشرون عاما تقضيها كانسانة الى دكة الجثث ، ويتحول

ثدياها وبطنها الناعمة الى نموذج من الفحم للاصل الحي ؟ كان لبطنها وفخذيها شكل جميل . حتى انه لو كان رآها حية وهي نائمة لاحس بالشهوة تتحرك فيه . ولكن انعدام الشهوة الان يقف رمزاً لسخافة موتها .

وعاد شتاين الى الغرفة . ووقف الى جوار سورم ثم اعاد الغطاء فوق الجثة . وقال سورم :

ــ انك لرومانتيكي .

واصلح وضع الغطاء فوق الدكة الاخرى . وتبعه سورم الى الباب . وقبل أن يهم بفتحه ، قال شتاين :

ــ فكر في الامر . ايهما اهم ، الاخلاص ، ام . . . ذلك ؟

فقال سورم ووجهه متجهم :

ــ اتفق معك . ولكن . . . ليس هنالك ما يمكنني فعله .

كانت عينا شتاين المتصلبتان كقطعتي جليد تحاولان ان تنفذا داخل عينيه فتستخلصان منهما اعترافا . وقال :

ــ ان اردت ، يمكن أن تفعل الكثير .

فهز سورم كتفيه وقال :

ــ أن أردت .

وقال شتاين ببرود :

ــ ماذا تعني ؟

فقال سورم :

ــ هل تجيبني عن سؤال واحد ، ايها الطبيب ؟

ــ نعم ؟

ــ هل كنت تؤيد هتلر ايام الحرب ؟

كان السؤال مفاجئا لشتاين، فزاغت عيناه قليلاثم عادتا الىوضعهما وقال:

ــ نعم . كبقية السبعين مليونا الاخرين من الالمان .

فقال سورم :

ــ ولكنك كنت عضوا في الحزب . وكنت طبيبا أيضا . ولا شك انك كنت على علم بما كان يحدث في أمكنة مثل أوشفيتس وبيلسن .

وحل الغيظ محل الدهشة ، ولكنه كظمه حالا وقال بجفاء :

ــ لا أفهم ماذا تحاول أن تبين .

ــ اصحيح انك لا تفهم ايها الطبيب ؟

ــ هل تعني اني اذا كنت غضضت النظر عن جرائم هتلر ، يجب ان اغض النظر الان عن جرائم اوستن ؟

ـ كلا . ولكني لا افهم لم تنظر اليهماعلى انهما امران مختلفان الـى هـذا الحـد .

فقال شتاين بشيء من الفظاظة :

ـ ليس صحيحا اني غضضت النظر عن جرائم بيلسن واوشفيتس . كنا نسمع الاشاعات عنها ـ كما سمع عنها كثير من الالمان . ولكنا كنا نفضل الا نصدقها .على كل حال ، لم يكن في وسعنا ان نفعل شيئا . وبالرغم من ذلك ، فان جرائم هتلر وجرائم اوستن مختلفة فعلا . كـان هتلر سياسيا يبحث عن مثل . وربما كان هو على خطأ ، ولكنه لم يكن ساديا . كانت المانيا النازية تقتل القتلة الجنسيين كما تفعل انكلترا .

ـ ولكن لماذا تريد ان تقبض على مجرم وايتشابل ؟

ـ لاني اشعر بالمسؤولية تجاه المجتمع . تذكر هذا : حتى ان هتلـر نفسه كان يعتقد بانه كان يخدم البشرية بالقضاء على اليهود . بينما يقترف مجرم وايتشابل جرائم القتل ارضاء لشهوته الذاتية . انه يعلم بانه لا يخدم غيـر نفسه .

فقـال سورم بلطـف :

ـ ولكن الضرر الذي يولده اقل كثيرا من الضرر الذي سببه هتلر .

ـ هـذا خارج عن الموضوع .

وقـال سورم :

ـ اذن دعني اوضح نقطتي . اخبرني الاب كاراثرز بانك انضممت الـى صفوف النازية في عام ١٩٣٩ . لا بد وانك كنت على علم بالوسائل التي كـان هتلر يستخدمها ـ كل اوروبا عرفتها . ولكنك لم تشعر بانه من واجبك القبض على هتلر ، او حتى ان تتخلى عن الحزب . ومع ذلك ، تقول لي بانه اذا كان اوستن هو القاتل فعلي ان اساعد في ادانته ، كمسالة مبدأ . وكل ما اريد معرفته هو كيف يمكن لمبادئك ان تتجاهل هتلر وتدين اوستن . انكنت اسرفت في القول ، فارجو المعذرة . ولكني يا للاسف لا استطيع متابعة منطقك .

فقـال شتايـن بامتعاض :

ـ ان قولك هذا سخف وليس صحيحا اني غضضت النظر عـن معسكرات الاعتقال . وحتى لو اني فعلت ذلك ، فليس هذا سببا لغض النظر عـن القتـل الجنسي .

فقـال سورم :

ـ ربمـا لاني لا اغض النظر . ربما اني اشعر كما كنت انت تشعر تجاه وسائل هتلر ـ أي اني لا أريد انافعل شيئا وحسب .

فلوى شتاين وجهه وهز كتفيه ،وقال :
ـ فى هذه الحالة ، آمل ان تكون على استعداد لمواجهة نتائج اتهامـــك بالاشتراك فى الجريمـــة .
وخرج قبل ان يجيب سورم . وتبعه سورم هابطا السلم بعد ان اغلق الباب خلفه . ولم يأسف لاغاظة شتاين . فقد وفر عليه ذلك المزيدمن النقاش.
وفى منتصف الطريق عبر الساحة توقف سورم وتظاهر بالبحث عـن شيء فى جيوبه . وتوقف شتاين عند بوابة المستشفى والتفت الى الخلف ، فلما وجد سورم على بعد عشر خطوات وراءه ، هز كتفيه ومضى فى سبيله . ولما غاب شتاين عن النظر اخذ سورم يسير ببطء.وفى شارع وابتشابل،اخذ يتطلع فى الجمهور والفى الرجل الالماني امام شباك احد الحوانيت ينتظر . ولما تحولت أنوار المرور الى اللون الاحمر عبر الشارع مسرعا مع حشد مـن المارة ثم اتخذ الاتجاه المعاكس لشتاين ،ثم راح يمشي على عجل . وفى منعطف شارع برادي التفت سورم الى الوراء فلم ير شتاين ولكنه لمحه بعد قليـل يلوح الى سيارة تاكسي . وظل سورم واقفا يرقبه من عطفة الشارع، حتى اتجهت السيارة بشتاين نحو مركز المدينة . ثم سار فى شارع برادي ودلف الى شارع داروارد .
وقرع جرس الباب عدة مرات ثم خشي ان يكون الجرس معطلا ،فقرع الباب بمفاصل اصابعه . وبعد انتظار قليل حاول ان يدفع الباب ، فانطلق مفتوحا والفى نفسه وجها لوجه امام صاحبة بيت غلاسب . وقالت :
ـ اه . اهذا انت . انه لم يعد يسكن فى هذا البيت .
فقـــال سورم :
ـ ليس هنـــا .
ثم تذكر أنها صماء ، فمال الى الامام وسأل :
ـ ايـــن هو الان ؟
ـ لا حاجة للصياح . لقد ترك ، لا اعلم ايــن .
ـ هــل ترك عنوانه ؟
ـ كــلا . قـــال انــه سيبعثه .
ـ وصـــــوره ؟
ـ مــا زالت هناك ؟ فوق . قال بانه سيأتي لاخذها . اعتقد بانه لا يريد أن تعرف الشرطــة محله .
ثم ادارت ظهرها اليه واغلقت الباب .
ومرت به لحظة ، اجتاحه فيها غضب عنيف لفظاظتها ، ولكنه سيطـر

على رغبته في ان يرفس الباب . وبقي في مكانه ، حتى هدأت نفسه ثم رجع بخطواته الى الخلف ورفع نظره الى شباك غرفة غلاسب ، وهو يرتاب في ان يكون غلاسب هو الذي امر صاحبة البيت بان ترده على اعقابه ولعله يطل الان ببصره ليرى هل قفل سورم عائدا ولكنه لم يجد احـــدا ، فاستدار ومضى سائرا نحو اللغيث . ولم يبتعد بضع خطوات حتى سمع احدا خلفه يقول :

ــ رجـــاء ...

والفى نفسه ينظر في وجه فتاة في حوالي الثانية عشرة من العمر . كانت ملفعة بمعطف بني ، وقد احاطت ياقته بذقنها . وقالت :

ــ هل كنت تبحث عن اوليفر غلاسب ؟

ــ نعم . أتعلمين اين هو ؟

فهزت راسهـا .

ــ كـلا . اردت ان اراه . هل تعتقد بانه قد غادر فعلا ؟

فسألها بفضول :

ــ هـــل انت كرستيـــــن ؟

فهزت راسها ، واحمر وجهها . ونظر اليها باهتمام متزايد . كان شعرها قصيرا يلوح كشعر صبي ، ولكن وجهها كان رقيقا جذابا ولا ريب . كـان متوردا ، كانها اقبلت راكضة ، وقد زاد هذا التورد من جاذبيتها . وكـانت عيناها واسعتين بنيتين في وجهها البيضوي . وقال سورم :

ــ رايته منذ ساعة في ذلك المنعطف ، فمعناه انه لم يذهب بعيدا .

ــ ولكن صاحبة البيت تقول انه غـادر .

ــ يبدو الامر محتملا .

ــ اين ذهب ، حسب ما تظن ؟

ــ هذا ما لا يمكنني التكهن به .

ولاح الاضطراب في عينيها .

ــ ما سبب مغادرته ، حسب ظنك ؟

وشعر سورم فجاة بالندم لاجوبته المختصرة .

كان واضحا انها ارتابت في انه يمقتها . وقال :

ــ اوليفر انسـان غريب الاطوار . اعتقد انه كان شديد الغضب والتاثر . رايته في الصباح ، كان زري الهيئة .

واخفضت عينيهـا .

ــ بسببي ؟

ــ اعتقـد ذلــك .

ولاحظ رغبتها في اكتشاف مدى معرفته . كان وجهها واضح المعالم الى حد محرج ، يعكس انفعالاتها بوضوح تام . وادرك فجأة سبب غضب اوستن عندما تخيل انها قادرة على خداعه . وقالت :

ــ هــل حدثك عنــي ؟

ــ نعــــم .

ومن الخجل حولت ثقل جسمها من قدم الى اخرى . ولاح لســورم انها كانت مرتدية جوربا قصيرا . ولمح ستائر نافذة فــوق رأسها تتحرك : كانت صاحبة البيت الذي كان غلاسب يسكن فيه تطل مـــن النافذة . فقال سورم :

ــ من اي اتجاه ذاهبة انت ؟

فقــالت بلهجة بائســة :

ــ لايهم اي اتجـــاه .

ــ تعالي نتمش معـــا .

وانتظمت الى جواره ، وسارا معا نحو المسرح المهدم في الطــرف الاخر من الشارع . ولم يتبادلا الكلام طول شارع داروارد . وسألت اخيرا :

ــ أتظنـــه سيعود ؟

ــ لست ادري . أمل ان يعود . ولكن ربما بعد وقت طويل .

وتوقفا عند منعطف شارع فالانس . وطاف في عينيها شيء من السخط الخائب وهي تنظر اليه . وقــالت :

ــ ولكنه لا يمكنه أن يرحل على هذه الشاكلة . الا يودعني قبل ان يذهب؟

فقــال سورم باحراج :

ــ اعتقد انـــه سيعود .

ــ ربما ... ربما يظن انه لا يستطيع ان يراني .

وحاول سورم أن يغذي الامل الذي بزغ في وجهها .

ــ أعتقد بأن هذا هو السبب ، وخاصة وان والديك يعلمان ...

ــ ولكن كل شيء على ما يرام الان ! فتحت امي الموضوع معابي وحملته على الموافقة على مجيء غلاسب لزيارتنا . قالت انها ستترك البيت ان لـــم يتوقف عن تعذيبنا جميعا ...

وتورد وجهها ثانية ، ولكن من فرط الانفعال هذه المرة . ولاحظ انها كانت تتكلم باهتمام ولباقة ، غير ان غضبها أبرز لهجتها اللندنية . وقــال مهدئـا ايــاها :

ــ ربمــــا سيكتب اليــك .

ـ اتظنه سيفعل ؟ ان رايته ، دعه يكتب لي . لا اريده ان يذهب . انه سخف . لقد انتهى كل شيء.اخبره بأن كل شيء عاد الى مجراه. هلا فعلت؟

ـ اذا رايته فساخبره . ولكنه قد لا يتصل بي ايضا .

فقالت وقد استشاطت غيظا :

ـ ما اسخف الامر ! لم يريد ان يهرب على هذه الصورة ؟

وهز كتفيه وحاول ان يتفوه بجواب ما ، ولكنها قاطعته بقولها :

ـ هل يحاول ان يهرب منك ايضا ؟

فابتسم لامعانها فى التساؤل :

ـ اعتقد انه يحاول ان يهرب من كل الناس فى الوقت الحاضر . انه فى احدى حالاته النفسية .

ـ هل تدوم طويلا هذه الحالات ؟

ولم يشعر بالميل للاعتراف بانه لم يختبر هذه الحالات قبلا . فقال :

ـ اوه ، ليس طويلا جدا . فهو لاشك سيتصل باحد اصدقائه ان عاجلا او اجلا .

ـ ولكنه لن يتصل بي . واذا لم يكن يريد ان يراني فلا فائدة من..

ـ ولكني سادعه يتصل بك .

فحدقت فى وجهه وقد غمرها الامل وقالت :

ـ كيف ؟

ـ ساطلب منه ان يراك .

ـ ولكنه ربما لا يريد ذلك .

ـ طيب . سارسل اليك عنوانه ، ويمكنك ان تكتبي اليه انت .

ـ صحيح ؟ هل تفعل ذلك ؟ انا واثقة من انه سيعدل عن تصرفه اذا تحدثت اليه .

ـ ما هو عنوانك ؟

واخرج دفتر الملاحظات ، وكتب ما املته عليه . وسألت :

ـ اتعتقد بانك ستراه فى وقت قريب ؟

ـ لا ادري . اخشى ان يطول انتظارك .

ـ اوه ، يا الهي . او لو اعرف سبب هربه .

وقال :

ـ اعتقد بان احساسه قد جرح .

وحدجته بنظرة مرتابة برهة وجيزة ثم قالت :

ـ حول تومي ... ابن عمي ؟

فأومأ براسه . وقـالت :

ـ توقعت انهم سيخبرونه بذلك . ولكن قل له ان الخطأ لم يكن خطئي. ارجوك ان تخبره بذلك . اجعله يفهم : ها ؟

ـ ساحـاول .

ـ اوه ، ارجوك ... لقد كنت عازمة على ان اخبره بذلك .

وقـــال على عجل :

ـ لم يكن هذا وحده . اعتقد ان المشاكل التي تسببت معابيك والشرطة قـــد ازعجتـــه ...

كانت تضرب بطرف حذائها على بلاط الرصيف ومن ثم تقوس ساقها قبل ان تنتقل الى القدم الاخرى . وقـال :

ـ علي ان اذهب الان ...

فقـــالت بلهجة حزينة :

ـ اعتقد باني ربما لن اراه ثانيـــة .

وومض في اعماقه شعور يشبه الغيرة ، فشد حزام معطفهبقوةليخنق هـذا الشعور . وقـال :

ـ كـلا ، بـل سترينه ثـانية .

ـ ربما ليس لفترة طويـلة .

ـ وهل يعني ذلك بالنسبة الك شيئا ؟

فهزت راسها بهيئة جادة وقالت :

ـ بالطبع . كنت احب الحديث معه . كان واسع المعرفة ... وكـان ظريفا . واحب ان ازوره .

ورفعت نظرها اليه واضافت بصراحة مفاجئة :

ـ انا لا اميل الى اخوتي واخواتي .

ودفع يديه في اعماق جيبي معطفه ، وهو يبتسم لها وقال :

ـ لحسن حظك لم تتطور الامور الى اسوأ .

ـ اعلم . ولكن القضية كانت تستحق كل المتاعب . لا يهمني ان اتورط في متـــاعب ، ولكني امقت الضجر .

وقـــال :

ـ اذا بلغ بك الضجر مبلغا شديدا تعالي لزيارتي .

واحس على الفور بالندم لهذا الدافع الذي حدا به الى التفوة بهـــذه الكلمات،لقد اخجله ان يقول ذلك لفتاة تعني شيئا كبيرا بالنسبة لغلاسب. كان احساسا بالخيانة لغلاسب . وسألته الفتاة :

ـ هل انت رسام ؟
ـ كـــلا .
ـ مـــا انت ، اذن ؟
ـكـــاتب .
ـ هـل تقطن قريبـا مـن هنـا ؟
ـ كلا مـع الاسف . اقطن فى كامدن تاون .
ـ هـل هي بعيدة جـــداً .
ـ ليست بعيـدة جـدا .
ـ زارك أوليفر يوما لتناول العشاء ، أليس كذلك ؟
ـ أجــل .
قـــالت بتردد :
ـ اود ان آتي . ولكني لا اريد ان يعلم والدي بذلك .
فقـال مبتسما :
ـ آمل الا تكوني معتادة على قبول دعوات الغرباء ؟
ـ اوه ، كـلا . ولكنك لست غريبا .
ـ اشكرك . ولكنك لا تعرفين حتى اسمي .
ـ مـــا اسمك ؟
ـ جيـرارد .
ـ نعم . اعرف عنك شيئا . اخبرني أوليفر عنـك .
وكتب عنوانه ورقمه التلفوني على ورقة من دفتر الملاحظات ثم اقتلعها.
ـ انظري . خذي هذه الورقة . ان رغبت فى المجيء فيمكنك ان تتصلي بـي تلفونيا . هل تعرفين كيفية استعمال جهاز التلفون ؟
فقـالت بمسحة مـن السخرية :
ـ بالطبـــع .
وطوت الورقة بعناية ودستها داخل معطفها . وقال :
ـ علي أن اذهب الان . وداعا يا كريستين .
ـ هل يمكنني المجيء يوم السبت ؟
ـ طيب . . . ان اردت . ربما من الافضل ان نلتقي في محل ما . هلا خـابرت اولا ؟
ـ حسنـــا .
ـ هل لديك المال اللازم للنداء ؟
وهزت راسها بعنف . وقـال :

ـ لا تفتمي كثيرا بشأن اوليفر .

ـ كـــلا .

ـ وداعــا يــا كريستين .

ـ وداعـــا .

ومشى نحو محطة نفق الدغيت : ما اغرب هذه الطفلة ، ماذا سأفعل معها ؟ اعتقد بان الافضل ان اذهب بها الى جيرترود لتناول الشاي . ثم اجعل جيرترود توصلها بسيارتها . يا الهي ! اللعنة عليك يا اوليفر الاحمق!..

وتذكر نـــن برجة عنيفة . لقد كان قد نسي كل شيء عنه خلال الدقائق العشر الماضية . ومرت به لحظة وفى ذهنه صورتان : وجه هذه الطفلة ،ووجه المراة القتيلة المندثرة المعالم فى محل الجثث . وتحرك الاشمئزاز فى معدتـــه كالابخرة الراكدة ، وتبع ذلك شعور كثيف بالاشفاق والحزن . ووعى عـــلى نفســه وهو يقول بصوت عال :

ـ مسكينة انت يـــا كريستين ...

الفصـــل العـاشر

كان يوشك ان يضع المفتاح في الباب ، عندما اخذ جرس التلفون يرن . فانزوى خلف حافة الجدار كي لا يظهر ظله على الزجاج . وبعد قليل سمع صوت كارلوتة تقول :

ــ هلو ... كلا . غير موجود . ذهبت قبل قليل لاتحقق . ساخبره بانك اتصلت . نعم ، سيتصل بك . وداعـــا .

واصدر التلفون قرقعة عندما اعادت السماعة الى مكانها . فادارمفتاحه ودخـل . كانت قد بدات تكتب شيئا في دفتر الملاحظات .

ــ أوه ، يا مستر سورم . لقد فاتتك مخابرة تلفونية توا .

ــ فقـــال :

ــ اعلم . انا اردت ذلـــك .

ــ صحيح ؟ كان هو مستر نن . لم يترك لك خبرا .

ــ اذا اتصل اي شخص بي ، هلا قلت له باني خارج البيت رجاء ؟

ــ لا تريد ان تتحدث مـع احد .

ــ اجـــل .

ــ اتصلت سيدة قبل قليل . وقالت بانك ستعلم من هي .

ــ اوه ، شكـــرا ...

ــ ولا تريـــد ان تتحدث مع احد ؟

ــ ارجوك . اذا لم يكن لديك مانع .

ــ لا ابدا ولكن ماذا افعل اذا اقبل احدهم لزيارتك ؟

ــ ا ... اعتقد ، دعيه ياتي . ساقول باني جئت توا . اني متعب واريد ان انـــام الان .

فابتسمت بشيء مـن الحنان .

ــ حسنا . ساخبرهم بانك لست فى البيت .

وذهبت نازلة السلم . اما هو فقد عثر على بعض النقود فى جيبه وادار رقم المس كوينسي . فاجابت فى الحال . لا بد انها كانت تقف بجوار التلفون.

ــ جيرارد . اين كنت ؟

ــ اوه ، فى كل مكان . لقد عدت توا .

ــ هـــل تاتي ؟

ــ كلا ، يا عزيزتي . انا تعب قليلا واريد النوم .

ــ يمكنك ان تنام هنا . هل آتي لاحضارك ؟

ــ ليس هذا . لدي امور كثيرة اريد ان افكر فيها .

ــ عـــن اوستن ؟

ــ نعم . ولكن لا تقولي شيئا فى التلفون . اريد ان اخلو الى نفسي بضع ساعات لاتامل فى القضية كلها .

ــ هـــل سياتي اوستن ؟

ــ كلا . لقد اتصل بي قبل قليل واخبرته الفتاة باني غير موجود . لا اريد ان اراه الان .

ــ لمـــاذا ؟

ــ ساشرح الامر فيما بعد . قد اتصل بك فيما بعد . اكاد اموت مـــن التعـــب .

ــ طيب . نومـــا هنيئـــا .

ــ ساراك فيمـــا بعد يـــا عزيزتي .

لاحت غرفته غريبة عنه ، وكأنه غاب عنها زمنا طويلا . وملأ ابريـــق الماء ووضعه على الموقد الغازي ، ثم اشعل المدفاة الغازية . وتناهى اليه من الغرفة العليا صوت اسطوانات موسيقية وضعها الرجل العجوز فى الغرامافون. وقال لنفسه : يا الهي ، لقد بدأت حفلته فى وقت مبكر . ونظر الى ساعته فتبين ان الوقت لم يكن مبكرا . كان قد تناول الطعام فى مطعم صغير للعمال فى شارع كينتش تاون قبل مجيئه . لم يكن فى الواقع تعبا . كان ذلك عـــذرا تذرع به كي لا يقابل جيرترود .

وازاح ما كان على الطاولة من الاكواب والاقداح القذرة وغطاها ببطانية جيش مطوية تناولها من السرير . فعل ذلك ليطمس ضجيج الالة الكاتبة كي لا يؤثر على الغرفة التي تحت غرفته . وطفق يكتب على الالة فورا . وعندما شرع ماء الابريق بالغليان ، اخفض الغاز ومضى يكتب . واستعمـــل

ورقا من الحجم المتوسط يحمل في أعلاه الكلمة : « ملاحظات » . ولم تمض نصف الساعة حتى كان قد ملأ ثلاث صفحات .

وتوقف ليقرأ ما كتبه . وكانت الانفعالات تسري في جسده كمفعول الخمر . وقبل ان يبلغ نهاية الصفحات الثلاث ، سمع طرقا على البـــاب . فهتـــف : تفضـــل .

ودخلت جيرترود كوينسي وقــالت :

ــ اسفة . هــل قاطعتك ؟

وقــال مجامــلا :

ــ كلا . ابدا . تفضلي بالجلوس . ما الذي حدا بك الى المجيء ؟

وجلست على الطرف الثاني من الطاولة . كانت مرتدية معطفا من الفرو، فاتح اللون شاحبه ، كلون فراء الدب . وقد قلبت ياقته الكبيرة الى الاعلى وذكره منظرها بكارولين قليلا . وقــالت :

ــ اردت ان اراك .

فسألهـا مبتسما :

ــ كنت ترتابين في وجود كارولين معي ؟

ــ كــــلا .

ودله الامتقاع الذي ظهر على وجهها بأن حدسه لم يكن خاليا من الدقة تمامــــا . وقـــال :

ــ هـــل لـك في قـدح شـــاي ؟

ــ نعـــم ، رجـــاء .

واخفض النار الغازية . كانت الغرفة خانقة الحرارة . ونضت عنهــا معطفها والقت به على الفراش . كانت ترتدي تنورة صوفية زرقاء لم يرهـا قبــلا ، ولاحت منسجمة وقوامها المشوق . واحاطها بذراعيه وقبلها عـلى جبينها ، قـــائلا :

ــ مممم . مــا الذك ؟

وتخلصت منه وامسكت بمعصميه .

ــ ماذا ستفعله بشأن آوستــن ؟

ــ لست أدري ، يا عزيزتي . كان هذا سبب رغبتي في بقائي وحيـــدا هـــذا المساء .

ــ انــا اسفــة ...

ــ سأعود بعد لحظة .

وحمل ابريق الشاي والاكواب على صينية وصعد بها الى المطبخ ،وراح يغسلها في المغسلة . ولما عاد بعد دقائق قليلة الفاها تمسك بقطعة قماش وقد

اخذت بتنظيف المكتبة من الغبـــار .
ـ اليس هناك احد ينظف غرفتك ؟
ـ المفروض فى تلك الفتاة ان تقوم بذلك مرة واحدة فى الاسبوع .
ـ تلك الفتاة التي ادخلتني اليك ؟ ليست نشيطة الحركة . هنالك من الشعر والزغب تحت السرير ما يكفي لتحشية فراش كامل .
وازاح الالة الكاتبة من الطاولة والقى بالبطانية على السرير . وقطبت وجهها لرؤية حصير البلاستيك ملطخة ببقع الشاي والبيرة .
ـ هــل لديــك اسفنجة ؟
ـ اعتقد هناك واحدة فى المطبخ . ولكن لا ضرورة لهذه المشقة الان .
ـ لا اريد ان يتسمر نظري في هذه اللطخات . هناك فوق ؟
وخرجت من الغرفة وصعدت السلم . وصب الماء الساخن على الشاي ثم اطفأ الغاز . وعادت بعد هنيهة وبيدها قطعة من القماش المبلل ومسحت البقع من حصير البلاستيك . وتناهى اليهما خلال الباب المفتوح صـــوت جـرس التلفـون .
ـ اتظـن المخابرة لــك ؟
ـ ربما . ولكني اخبرت الفتاة ان تدعي باني خارج البيت .
ـ ولنفرض انــه اوستن ؟
ـ لا اريد أن أرى أوستن . ليس الان .
ـ آه .
وعادت بقطعة القماش الى المطبخ . وصب سورم الشاي . ثم رجعت واغلقت الباب بأناة وجلست .
ـ لم لا تريد رؤيتـــه ؟
ـ لان . . . لدي امور كثيرة أريد ان افكر فيها .
فقالت بهدوء :
ـ انه الرجل الذي تبحث عنه الشرطة ، اليس كذلك ؟
والتقت نظراتهما . لم يكن به ميل الى الكذب .
ـ حتى لو كان هو ، فهو لم يزل طليقا .
ـ اعلم . هذا ما ذكره الراديو الليلة .
ـ ذكـر مـــاذا ؟
ـ بان الشرطة قد استجوبت اثنين فى سكوتلانديارد ثم اطلقت سراحهما .
ـ ممم . صحيح ؟ امر يثير الاهتمام .
ـ هــل هو الرجل المطلوب .

وادرك فجأة سخافة أن يخفي الامر عنها . فهز راسه بالايجاب . واطلقت زفرة عميقة ، واشاحت بوجهها عنه . وراح يرقبها مليا . وسالته اخيـــرا :

ــ الم تكن عازما على اخبـاري ؟

ــ لم اكن اريد اثارة قلقك .

ــ مـــاذا تعتزم أن تفعل الان ؟

ــ ليس هنالك ما يمكنني فعلـه .

ــ لم غيرت رايك حول لقائه الليلة ؟

فهز راسه وقـــال :

ــ اريـــد وقتـا للتفكير .

ــ هـــل انـك ... تتخلى عنه ؟

فقـــال :

ــ اسمعي ، أيتها العزيزة . اريد ان تحاولي فهم ذلك . كنت اشك منذ اكثر من اسبوع في ان يكون اوستن هومجرم وابتشابل . ولم ادع هذا الشك يقلقني . بل بالعكس وجدت لذة بذلك . اردت ان افهمه ، لا ان ادينه . على كل حال ، فقد بدات الان فقط ان افهمه . فان التقيت به الان، يجب ان اجعله يـــدرك باني ادينه . وافضل الا افعل ذلك . افضل ان يظل يتصور باني صديقه.

ــ هل كففت عـــن صداقته ؟

ــ ليس هذه هي المسالة . كنت اعتقد صباح اليوم باني افهمه خيـرا من رجال الشرطة . والان علمت باني كنت مخطئا .

ــ ولكن جيرارد ... انه لم يزل انسانا . انه بحاجة الى العون.انه بحاجة الى الاصدقاء . واذا كان مذنبا ، فهو بحاجة الى الاصدقاء اكثر مـــن اي وقت مضى .

وقـــال :

ــ ذهبت في المساء لمشاهدة المراة التي قتلها . كانت في غرفة الجثث في مستشفى لندن لقد ادركت امورا لم اكن ادركها قبـلا .

ــ ومـــا هـــي ؟

ومـــال الى الامام فوق المنضدة وهو يتكلم بروية تامة :

ــ اكتشفت شيئا لم اكن ادركه في اوستن . انه انسـان مجنون .

وامتقع وجهها .

ــ انه ليس بمجنون . انا واثقة من انه ليس بمجنون ...

ــ انا لا اعني بانه فاقد العقل تماما، كهذا الذي يسكن في الطـــابق

العلوي . ولكن في دماغه ركنا متعفنا كالتفاحة المتعفنة . اتعلمين لم يقترف جرائم القتل ؟ لانه يعلم بانه يعاني مرضا قاتلا . مثله مثل الرجل المصـــاب بالشلل الذي يحتاج الى المحفزات اكثر فاكثر كلما توغل الشلل فيـــه . انه لم يعد يكترث لشيء .

وعندما كان يتحدث ، كان وجهها لا ينم عـــن التصديق في باديء الامر ، ثم تحول التعبير الى مسحة من اليأس .

ـ ولكن ارجوك،يا جيرارد. الا تفهم؟ان كان هذا صحيحا فعلينا ان نبقى الى جانبه . انه بحاجة الى العون اكثرمن ذي قبل .

ـ ومـــاذا عن كتابك المقدس ؟ « سوف لن تقتل » ؟

ـ ولكن العهد الجديد يتحدث عن الحب، لاالعقاب. يكفيه عقابالقانون.

ـ ماذا يحملك على التفكير في ان القانون سيعاقبه ؟ انه يعرف بان ليس للشرطة اي دليل ضده . انهم لن يعثروا على لطخات الدم على حذائه ، او اي شيء من هذا القبيل . انه فرح لان الشرطة اخذت تتعقبه . انه يحب الوقوف امامهم وجها لوجه . هذا محفز اخر بالنسبة له . وهو يعلم ان الشرطة لا تملك دليلا واحداً ضده ما لم تقبض عليه متلبسا بالفعل . الا ان هنالـــك شيئـــا واحدا يقلقني ...

ـ مـــا هو ؟

ـ كان غير آبه الى حد الغباء في نهاية الاسبوع الماضي . وقد اتصل بي من سويسرا تلفونيا ليطلب مني ان اذهب الى شقته في كينسنغتن لآخذ بعض الملابس النسائية . يلوح هذا الفعل دافعا لا واعيا يدفعه الى تعريض نفسه للقبض ...

ـ لمـــن كانت هذه الملابس ؟

ـ لست ادري . ذكر رجال الشرطة اسم بغي شوهدت تتحرش بـــه خـــارج نادي البلالايكا . من يدرينا لعلها مدفونة تحت ارضية شقتـــه فـــي كينسنغتـــن .

وانحسر الدم عن وجهها تماما ، وظن انها ستغيب عن وعيها . وقـــال :

ـ خذي حذرك ، يا عزيزتي . هل انت على ما يرام ؟

وهزت راسها هزة قصيرة ، وانتقلت من الكرسي الى السرير . وجلست على حافته مستندة الى الجدار .

ـ هـــل انت جـــاد ... ؟

ـ كلا . كلا . في الواقع . لااعتقد جادا انه قتل المراة . انه اكثر حذرا من ان يقوم بـــذلك .

ــ ولكن لمن كانت هـــذه الملابس ؟

ــ من المحتمل ان تكون هذه ملابس مستعملة اشتراها من احــــد الدكاكين لغرض ما .كان يريد ان يوليني ثقته .ولو كنت ذهبت الى الشرطة ، لما كان يهمه ذلك فى شيء ــ ربما كان سيذهب برجال الشرطة الى الحانوت الذي ابتاع الملابس منه واختلق عذرا بانه لا يريد احد اصدقائه من الصبيان ان يعثر عليها فى شقته . ولكنه كان يريد الكتمان حول هذه المسالة الى حــد سخيف . ولم يكن مضطرا للسفر الى سويسرا . وكان يشك فى احتمــال كوني متعاطفا معه . كان بحاجة الى شخص يوليه صراحته . فاختارني وقد وجدني مفعما بانواع النظريات حول الثورة والمدنية الحديثة وغيــر ذلك ، فاعتقد باني ساكون خير كاتم للسر ــ على شرط الا اطلع على حقيقته اكثر ممــا ينبغي . ولسوء الحظ ، خطرت للبروفسور شتاين ، الطبيب الالماني ، فكرة اخذي لمشاهدة الجثة . وحتى فى تلك اللحظة ، فشلت خطة الدكتور معي . كانت جثة هذه المراة مشوهة تشويها يقطع كل علاقة لها بالانسان . وكنت خرجت من المستشفى وانا لم ازل لا افهم شيئا . ولكن كانت هنالك جثة لامراة اخرى ــ ماتت حرقا . وفجاة ادركت ما يعنيه الموت عن طريــق العنف . اتعلمين ماذا يعني ؟ يعني انتفاء تاما لجميع الدوافع . يعني اننا لا نملك مستقبلا ، على حين علينا أن نؤمن بالمستقبل . والامر لا يتصل بمستقبلي فقط وانما بمستقبل الجنس البشري . واذا كان للحياة ان تنتهي عــلى هذا الشكل ــ تنطفيء بنفخة واحدة ــ فكل ما يتشدق به الناس عن كرامــــة الانسان ضلال وخداع . ربما تكون الضحية فى المرة القادمة انت او انــــا . وادركت فجاة شيئا خطر لي مرة او مرتين ولكني لم اكن افهم كنهه قط . اذا كان العالم طيبا ، ذلك لان الحياة ، بطريقة ما ، كلها شيء واحد . وهذا ما تعنيه صحة العقل ــ كل الاشياء هي كل لا يتجزا ، ليس الحياة فقط وانمــا الماء والاحجار . وهنا يكمن جنون اوستن . هل ادركت ذلك : انه بحاجة الى الاخرين ولكنه لا يؤمن فى الحقيقة بانهم موجودون ؟ الحياة خالية من المعنــى بالنسبة له . انه رجل لا مستقبل له . وله القدرة على سلب حياة الاخرين لانه لا يعلق اهمية على حياته هو .

وكانت تهز راسها عندما كان يتكلم .

ــ انك مخطيء . انه لم يهبط الى هذا الدرك . كان دائما انســانــا مفسدا انانيا ، ولكنه ينطوي على طيبة كبيرة في اعماقه ...

ــ حاولي ان تفهمي ، يا عزيزتي . انه مجنون . ان احسن ما يمكــن فعله له الان هو ارساله الى مستشفى برودمور .

ـ ولكن . . . ماذا ستفعل الان ؟ تخبر الشرطة ؟

ـ كلا . لا يمكنني ذلك . كان يثق بي .

ـ لـــم كـــان يثق بـــك ؟

ـ كان يعلم باني اشعر مثل شعوره حول كثير من الاشياء . اتعلمين ، لم ادرك انذاك بانه كان معتوها . ظننته يريد التعبير عن الثورة بوجه الطريقة التي تسير عليها الحياة فى العصر الحاضر . اتعلمين . . . اخذ التنظيم يشمل كافة نواحي الحياة ، وكل انسان مدفوع الى الانتظام فى هذه الماكنة . بيد انهم كلما ارادوا أن يسلبوا الانسان حريته ، اشتد التعبير عنها عن طريق العنف . وكلما تحدثوا عن القانون والمجتمع ازدادت نسبة الجرائم . ويترك النـــاس مصائرهم يتلاعب بها السياسيون ومروجو الاعلانات الى حد معين ، غير ان التمرد يستفحل فى نفوسهم شيئا فشيئا . وتظل نسب الجرائم الجنسية وجنوح الاحداث والانتحار ترتفع باطراد . لا يمكن للانسان ان يستغني عـــن اللامعقول . فالانسان ، فى الاخير ، ليس مخلوقا عقليا . انه فى الواقع لا يبغي مدنية كاملة وفردوسا ارضيا .

فقـــالت بهدوء :

ـ وسبب ذلك الخطيئة الاولى .

ـ ربما . ولكني لا اميل الى خرافة جنة عدن . لا يريد الانسان ان يكون آدم متحررا من الخطيئة في جنة عدن ، وانما يريد ان يكون الها . امنحي الانسان فرصة اخرى ، وسيبادر الى اكل التفاحة . انه يريد ان يكون اكثر من انسان ، ولا يهمه مطلقا أن يتمرغ فى البؤس والقذارة . اذ انها على الاقـــل برهان على حريته . وهنا موطن الخطأ فى موقفي تجـــاه اوستن . ظننت جرائمه من دلائل التحدي . مثل اكل التفاحة . ولكنها لم تكن كذلك . انـــه يقتل لعين السبب الذي يدفع المدمن الى تناول المسكرات ـ ليس فـــي وسعه أن يتوقـــف .

وكف عن الكلام ، وقد احس باجهاد غريب . لم يكن بعد قد لمس قدح الشاي . ومال الى الامام وناولها الكوب الملآن من الجانب القريب منها مـــن الطاولة ، ثم راح يحرك كوبه . كان فاترا . وشربه جرعة واحدة دون ان يخفض الكوب . وقـــال :

ـ اتعلمين لم لم استطع معاونة شتاين ؟ لانه لا يختلف شرا عن اوستن ، سوى انه لا يدرك ذلك . انه يريد ان يلقي القبض على اوستن لخير هـــذه المنظمة ـ خير المجتمع . ولكنه خلال الحرب ، ربما اقر القضاء على الساميين ولخير المجتمع ايضا . وهو لا يكترث لحرية الانسان مطلقا .

كان يتكلم الان لانه رآها مشدوهة . وكانت هذه محاولة لاصلاح نفسيتها ، كمحاولة لصرف اهتمام الشخص الذي اكتوت اصبعه حتى يذهب الالم . وقال:

ـ لقد تعلمت الكثير من اوستن ، يلوح انني تعلمت الكثير خلال الاسبوع المنصرم . تعلمت مثلا الا فائدة من الهروب . خذي اوليفر المسكين مثلا . حاولت ان ازوره هذا المساء فوجدته قد رحل ـ حزم امتعته ورحل. تلك هي طريقته فى تحاشي الاشياء التي يكرهها .

وبدت عليها الرغبة فى التمسك بموضوع غلاسب خلاصا من التفكير فى اوستن .

ـ اوليفر ؟ الا تعرف اين ذهب ؟

ـ كلا . لم يترك عنوانه . ولكني التقيت بهذه الفتاة ـ كريستين ـ الفتاة التي سببت كل متاعبه . انها فتاة صغيرة حلوة ـ تبدو أكبر من سنها . لقد وعدتها بلقائها يوم السبت .

ـ لقائها ؟

ـ اجل . فكرت فى ان آتي بها عندك لتناول الشاي ؟ كان تاثرها لمغادرة غلاسب ظاهرة على كل حال ، لم اردان اتركها دون الاتصال بها . اعتقد ان اوليفر احمق . انها لا تعدو ان تكون طفلة وهو يعاملها وكأنها فتاة بالغة خانته. انه نموذج للرومانتيكي ـ لا يكلف نفسه مشقة تحليل عواطفه . مثله مثل اوستن من هذه الناحية . بدلا من تحليل مشاعره ، يعمل بموجبها . ما عدا ان رد فعل غلاسب هو ايذاء نفسه . فى حين أن اوستن يؤذي الاخرين .

وسألته ببطء :

ـ هل تعتقد حقا بان اوستن ... مجنون ؟

ـ اجل . انه مجنون .

ـ وهل توافقك المحكمة على ذلك ؟

ـ لست ادري . اشك فى ذلك . فجنونه ليس من النوع الظاهر .

ـ ماذا تعني ؟

ـ ان جنونه اقرب الى جنون العصر . اخبرني اوستن صباح اليوم باننا نعيش فى عصر القتل . انه يفهم ذلك تمام الفهم ؟ هل اخبرك ما هو اوستن ؟ مثله مثل الجرذان التي هي اول من يموت عندما ينتشر وباء الطاعون . لقد لسعه الكروب . وليست له اية مقاومة . وهو يعتقد ان المقاومة لن تنفع فى شيء. ان حرية الانسان فى طريقها الى الزوال، وهو يسعى الى معاونتها فى هذا الطريق بقليل من القتل . هنا يكمن جنونه . الجنون هو الكف عن المقاومة . ضعي اوستن فى مستشفى المجاذيب ، ولسوف تظهر

عليه علائم الجنون التام خلال اسابيع معدودات .
ـ ما الذي يحملك على هذا القول ؟
ـ لان مثل ذلك مثل حرمان المدمن على المخدرات من مخدراته . لانه عندما يحس بالتوتر يبدأ بالقتل . ولكنه ان وضع حيث لا يمكنه ارتكـــاب القتل ، يبدأ بالهيجان .
ـ وهل ... سيستمر الان ... اعني ؟
ـ اظن ذلك .
ـ اذن ... اعتقد انه يجب ان نفعل شيئا .
ـ مـــاذا ؟
ـ يجب ان ارى والديه . ينبغي ان تأتي انت ايضا . فلن يصدقا ذلك . لديهما المال ويمكنهما وضعه في مستشفى خاص .
ـ يجب ان يثبت ذلك الطبيب . وينبغي ان يعرف الطبيب . تفاصيل حالته وتاريخها . فسيذهب الى السجن .
ـ كلا . لديهم اصدقاء .
وراحت تحدق في النار . وقالت بصوت خافت :
ـ يا الهي ... ما افظع ما يجب ان تواجهه فجأة ؟
ـ لقد نجحت في مواجهة ذلك .
ـ ولكني ... لست على صلة وثيقة به . ثم انك افضيت بالنبأ ... برفـــق .
وقـــال سورم بنفاد صبـــر :
ـ يبدو ان والديه بحاجة الى صدمة .
فارتعشت :
ـ لا يستحق احد أن يصدم بهذا الشكل .
ـ اعتقد ان الامر محتوم الان . ربما ستكون الصدمة اعنف قريبا ...
وفهمت ما يعنيه حـــالا :
ـ كلا ... ليس الان ، بالتأكيد ؟
فقال سورم وقد هز كتفيه :
ـ لا اريد ان افزعك يا عزيزتي . ولكنه قادر على اتيان جريمة اخرى هذه الليلة لا لشيء الا للتباهي . لقد اصبحت القضية بالنسبة له قضيـــة العوية . هذا ما لم ادركه عندما تكلمت معه في الصباح . لا يمكنه ان يمنـــع نفسه من التحدي .
ونظرت الى ساعتها :

ـ وعليه فيجب ان نذهب فورا .
ـ كنت اعتقد ان والديه يقطنان في شروشاير ؟
ـ والده يسكن في المدينة . سأتصل به تلفونيا .
ـ هل انت بحاجة الي حقا الان ؟
ـ انا . . . ربما لا . ولكني قد احتاج اليك فيما بعد . هل ستبقى في البيت ؟
ـ اجل . سانتظر هنا . ولكن كوني على حذر ، بالله عليك . لا تفعلي شيئا يجعل من كلينا شريكين في الجريمة . واذا اتصلت به تلفونيا فلا تذكري شيئا في التلفون .
وساعدها في ارتداء معطفها . كان الذهول قد تلاشى من وجهها . فقد اعاد اليها عزمها على العمل الفوري ثقتها . وفتحت حقيبتها واخرجت منهما باونا .
ـ اترك اليك بعض النقود . اذا اتصلت بك تلفونيا . قد اطلب اليك القدوم بتاكسي .
ـ لا اريد النقود . لدي ما يكفي .
ـ احتفظ به الان . ربما اتصل بك خلال ساعة . ساكون في شارع الباني . واذا لم اجده . سانتظره هناك . لا تتعب نفسك بمرافقتي الى الباب.
وطبعت على انفه قبلة قصيرة وخرجت . كانت المرة الاولى التي تتقدم هي بتقبيله . وظل واقفا في مدخل الباب يصغي الى وقع خطواتها على السلم ثم انصفاق الباب الخارجي . ولسبب ما ، اراد ان يتحقق من كونه وحيداً . ثم صب له كوبا اخر من الشاي واضاف اليه بعض الماء لتخفيفه . وبالرغم من التعب ، طاف فيه احساس باليقين وبالنظام . احس كانه بدا ينظر في داخل نفسه ويرقب عمليات كانت غير منظورة قبلا . ولم يعد يرغب في البساطة ، كان تراكم معرفته للذاته قد قلل من اهميتها .
وبدأ جرس التلفون يرن في الطابق الاسفل . وتردد قليلا عند الباب ، ولكن عندما استمر الرنين ذهب ليرد عليه . لم يعد لتجنب اوستن اي معنى الان . واحس كانه معلق ، ينتظر وقوع امر ما .
وهتف صوت فتاة :
ـ هل المستر سورم موجود ، رجاء ؟
ـ يتكلم .
ـ أوه ، لم يبد كانه صوتك . كارولين تتكلم ؟
وقال بشيء من التردد :

ـ كيف حالك يا عزيزتي ؟
ـ أستلمت برقيتك . متى وصلت ؟
ـ منذ عشر دقائق . ايـن انت ؟
ـ في البيت . مـاذا حـدث ؟
ـ لا يمكن ان اخبرك في التلفون . ساخبرك عندما اراك .
ـ متـى يكون ذلـك ؟
واحس كأنه ينزلق من منحدر ، لا يقوى على التوقف . وقال بحذر :
ـ متى يمكننا اللقاء .
ـ ليس غدا . لدي تدريب . وربما يكون لدينا تدريب اخر يـوم الاربعاء . لست واثقة . انا طليقة يوم الخميس ...
ـ يجب ... يجب ان اتأكد من مفكرتي .
ـ يوم الخميس يناسبني . اخبرت امي بانني ذاهبة الى حفلة ساهرة طول الليل . وقد الغيت الحفلة . وعليه فلست ملزمة بالذهاب الى البيت .
ومضت تتكلم ، وهو في موقفه هناك، يحدق في صندوق النقود ،متظاهرا بتصفح مفكرته ليغتنم الفرصة ويفكر . وأحس فجأة بالامتعاض من نفسه وقال:
ـ اجل الخميس لا بأس . هل تأتين الى هنا ؟
ـ طيب ، يا عزيزي . حوالي السابعة ؟
ـ عظيم .
وقالت على الفور :
ـ يجب أن اغلق التلفون . امي عند البـاب .
وانقطع الصوت .
وذهب الى غرفته ، واحتسى الشاي ، وهو يقف الى جوار الموقـد . واحس ببهجة غريبة تحركه ، وبقبول للتعقيد . ومضى يتفرس في وجهه في المرآة ، وهو يقول بصوت عال :
ـ ماذا ستفعل الان ، يا ايها النغل البليد ؟
وابتسم لنفسه مكشراً عن اسنانه ، ثم رفع انفه كما يفعل الارنب .

« انتهى الكتـاب »

مؤسسة جواد للطباعة والتصوير
هاتف: ٨٢٠٩٤٢ - بيروت - لبنان

مؤلفات كولن ولسون

- ضياع في سوهو
  ترجمة يوسف شرورو وعمر يمق
- المعقول واللامعقول في الأدب الحديث
  ترجمة أنيس زكي حسن
- أصول الدافع الجنسي
  ترجمة يوسف شرورو وسمير كتاب
- اللامنتمي
  ترجمة أنيس زكي حسن
- ما بعد اللامنتمي
  ترجمة يوسف شرورو وسمير كتاب
- القفص الزجاجي
  ترجمة سامي خشبة
- طقوس في الظلام
  ترجمة فاروق محمد يوسف
- سقوط الحضارة
  ترجمة أنيس زكي حسن
- رحلة نحو البداية
  ترجمة سامي خشبة
- الشعر والصوفية
  ترجمة عمر الديراوي
- الحالم
  ترجمة سامي خشبة
- إله المتاهة
  ترجمة سامي خشبة
- الانسان وقواه الخفية
  ترجمة سامي خشبة
- الشك
  ترجمة يوسف شرورو
- خفايا الحياة
  ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد

مؤلفات كولن ولسون

من منشورات دار الآداب

□ ضياع في سوهو	ترجمة يوسف شرورو وعمر يمق
□ المعقول واللامعقول في الأدب الحديث	ترجمة أنيس زكي حسن
□ أصول الدافع الجنسي	ترجمة يوسف شرورو وسمير كتاب
□ اللامنتمي	ترجمة أنيس زكي حسن
□ ما بعد اللامنتمي	ترجمة يوسف شرورو وسمير كتاب
□ القفص الزجاجي	ترجمة سامي خشبة
□ طقوس في الظلام	ترجمة فاروق محمد يوسف
□ سقوط الحضارة	ترجمة أنيس زكي حسن
□ رحلة نحو البداية	ترجمة سامي خشبة
□ الشعر والصوفية	ترجمة عمر الديراوي
□ الحـــالم	ترجمة سامي خشبة
□ إلـــه المتاهة	ترجمة سامي خشبة
□ الانسان وقواه الخفية	ترجمة سامي خشبة
□ الشـــك	ترجمة يوسف شرورو
□ خفايا الحياة	ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد